

السيرة النبوية

المجمع الشافعي

تأليف
المفتي محمد صالح المنجد

مكتبة دار البصائر



مرکز تحقیقات کتب و علوم اسلامی

السيرة النبوية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

السيرة النبوية

الجزء الثاني



مركز تحقيقات کتب و تاریخ اسلامی

تأليف
المفكر نجيب الطائي

مجله علمی-ادبی

از دفتر نشر کتب و تحقیقات اسلامی

شماره ۱۰۰

موسسه البلاغ



جميع حقوق الطبع محفوظة.

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م



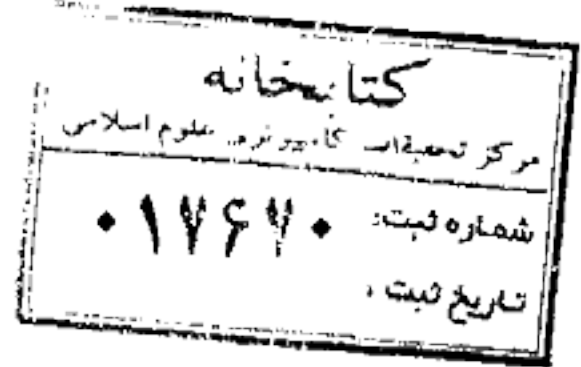
مركز تحقيقات كميونير علوم إرسدي

مؤسسة البعث

للطباعة والنشر والتوزيع



المكتب : بئر العبد ستر الإنما، ١ - ط ٢ - المسنوع : صفيح - جانب فري الأمرا.
ص.ب. ١١ - ٢٩٥٢ بيروت ٧٢٥٠ - ١١٠٧ - هاتف : ٠١/٥٥٢١١٩ - ٢٠٥١٩٠٥ - بيروت لبنان



مرکز تحقیقات اسلامی

باب

معركة خیبر





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

حركة النبي ﷺ إلى خيبر

خيبر واحة في طريق الشام بينها وبين المدينة اثنان وثلاثون فرسخاً أي ستة وتسعون ميلاً^(١)، ومشى ثلاثة أيام إلى جهة الشام^(٢). وخيبر بلسان اليهود الحصن، وقيل سميت باسم خيبر بن قانية^(٣) وفيها مزارع وأربعون ألف نخلة. وكان الله تعالى قد وعد النبي ﷺ إياها وهو في الحديبية، في قوله تعالى: ﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(٤)، ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾^(٥) فارس والروم^(٦). فبعد اتفاق رسول الله ﷺ مع قريش على صلح الحديبية تفرغ لحرب يهود خيبر الذين جهزوا جيوش الأحزاب ضده واستمروا في حربه منذ وصوله المدينة.

ولقد عاد رسول الله ﷺ من الحديبية في شهر ذي الحجة سنة ست فأقام فيها ذا الحجة والمحرم ثم ذهب إلى حرب يهود خيبر في محرم سنة سبع^(٧) وأخذ معه أم سلمة واستخلف

(١) التبيه والإشراف ٢٢٢، السيرة الحلبية ٣ / ٣٠.

(٢) تاريخ الخميس ٢ / ٤٣.

(٣) معجم البلدان ٢ / ٤٦٧.

(٤) عيون الأثر ٢ / ١٣٣، ١٤١، الفتح: ١٨.

(٥) الفتح: ٢١.

(٦) عيون الأثر ٢ / ١٣٣، ١٤١.

(٧) مغازي الواقدي ٢ / ٦٣٤ تاريخ يعقوبي ٥٦ / ٢، وقال ابن اسحاق خرج رسول الله ﷺ في محرم سيرة ابن هشام ٣ / ٣٤٢، تاريخ خليفة ٣٧، مغازي الذهبي ٤٠٣، عيون الأثر ٢ / ١٣٣، وقال مالك وابن حزم: إن معركة خيبر في سنة ست للهجرة وقال أبو حامد في سنة خمس للهجرة، السيرة الحلبية ٣ / ٣١.

على المدينة سبع بن عرفطة^(١).

ولما أمر الرسول ﷺ أصحابه بالتهيؤ للغزو جاء المخلفون رجاء الغنيمة وقد تخلّفوا عن الحديبية قائلين: نخرج معك إلى خيبر إنها ريف الحجاز طعاماً وودكاً^(٢) وأموالاً فقال الرسول ﷺ: لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد فأما الغنيمة فلا.

فشق ذلك على يهود المدينة المواعين للرسول ﷺ لأنهم خافوا هلاك خيبر فلم يبق لأحد من اليهود حق على أحد من المسلمين إلا لزمه.

وأرسل عبد الله بن أبي إلى يهود خيبر أن خذوا حذرکم وأدخلوا أموالكم حصونكم وأخرجوا إلى قتاله ولا تخافوا منه إن عددكم كثير وقوم محمد شرذمة قليلون عزل لا سلاح معهم إلا قليل^(٣).

وقطع النبي ﷺ المسافة بين المدينة وخيبر بثلاثة أيام ولما دنا رسول الله ﷺ من خيبر قال للناس: قفوا فوقف الناس فرفع يديه إلى السماء وقال: اللهم رب السماوات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن، أسألك خير هذه القرية وخير ما فيها، واعوذ بك من شرها وشر ما فيها^(٤) ولم تكن خيبر مختصة بأهل الحديبية^(٥) فقط بل الشرط في الغزوة أن يكون الهدف الجهاد في سبيل الله تعالى وليس الغنائم.

وكان النبي ﷺ إذا غزا قوماً لم يُغز عليهم حتى يُصبح فإن سمع أذاناً أمسك وإن لم يسمع أذاناً أغار^(٦).

وكان يهود خيبر لا يظنون أن رسول الله ﷺ يغزوهم لمنعتهم في حصونهم وسلاحهم وعددهم، فكانوا يخرجون كل يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفاً ثم يقولون: محمد يغزونا؟

(١) مغازي الواقدي ٢ / ٦٣٦، سيرة أبي حاتم ١ / ٣٠٠.

(٢) الودك دسم اللحم ودهنه، النهاية ٤ / ٢٠٢.

(٣) السيرة الحلبية ٣ / ٣٣، تاريخ الخميس ٢ / ٤٣.

(٤) الأرشاد، المفيد ١ / ١٢٤، سيرة ابن هشام ٣ / ٣٤٣، مجمع البيان ٩ / ١١٩، البحار ٢١ / ١٤.

(٥) مغازي الواقدي ٢ / ٦٨٤.

(٦) الروض الأنف ٦ / ٥٠١، عيون الأثر ٢ / ١٣٤.

هيات، هيات.

وقال يهود المدينة للمسلمين: ما أمنع والله خيبر منكم! لو رأيتم خيبر وحصونها ورجالها لرجعتم قبل أن تصلوا إليهم، حصون شامخات في ذرى الجبال، والماء فيها واتن^(١). وكانت خيبر أرضاً وخيمة شديدة الحر فجهد المسلمون جهداً شديداً^(٢).

وخرج الرسول ﷺ في ألف وستائة من المسلمين، وأعطى الراية لحاملها في حروبه كلها علي بن أبي طالب^(٣). ومعه مائتا فارس، ونزل عليهم ليلاً وفي الصباح شاهدتهم الرسول ﷺ فقالوا: محمد والخميس أي الجيش

فقال النبي ﷺ: الله أكبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم ﴿فساء صباح المنذرين﴾^(٤).

وقال رسول الله ﷺ للمسلمين لا يحل إتيان الحبالى من السبايا، ولا يحل لا مريء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبي حتى يستبرئها، ولا يحل لا مريء أن يبيع مغنماً حتى يقسم^(٥).

قال اليهود: إن بخير الألف دارع ما كانت أسد وغطفان يمتنعون من العرب قاطبة إلا بهم، فأنتم تطيقون خيبر؟ قال المسلمون لهم: وعد الله تعالى نبيّه أن يُغنمه إياها.

استعداد اليهود للحرب

واختلف اليهود في طريقة محاربة المسلمين فقال الحارث أبو زينب اليهودي: نعسكر خارج الحصون ونحاربهم. وقال آخرون: نحاربهم من داخل الحصون^(٦).

(١) وتن الماء أي دائم ولم ينقطع، الصحاح ص ٢٢١٢.

(٢) تاريخ الخميس ٤٧ / ٢.

(٣) سيرة ابن هشام ٣٤٢ / ٣ - ٣٥٠، ذخائر العقبى ٧٥، تاريخ الخميس ٤٣٤ / ١، المعظم، ٢٩٣ / ٣، الروض الأنف

٤٩٩ / ٦، عيون الأثر ١٤٤ / ٢.

(٤) سورة الصافات ١٧٧، عيون الأثر ١٣٥ / ٢.

(٥) الروض الأنف ٥٠٤ / ٦، عيون الأثر ١٣٧ / ٢.

(٦) مغازي الواقدي ٦٣٦ / ٢، البداية والنهاية ٢٠٦ / ٤، ٢٠٧، تاريخ الطبري ٢٩٨ / ٢.

وكان يهود خيبر مرعوبين وجلين من المسلمين وقريش مسرورة بهذه الحرب لمعرفة بقدره وعظمة حصون خيبر وكثرة مقاتليها وقالوا: إن ظفر محمد فهو ذلّ الدهر. ودعا كنانة بن أبي الحقيق غطفان لنصرهم ولهم نصف تمر خيبر سنة. فلما سمعت قبيلة غطفان بمجيء رسول الله ﷺ خيبر جمعوا له ثم خرجوا ليعاونوا اليهود عليه، حتى إذا ساروا مرحلة سمعوا خلفهم في أموالهم وأهلهم حساً، فظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم، فرجعوا على أعقابهم فأقاموا في أهلهم وأموالهم، وخلّوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر^(١). والظاهر أن رسول الله ﷺ افتعل عملية عسكرية أخافت قبيلة غطفان وأرجعتهم من خيبر، تتمثل في مسيره في طريق يصل إلى مساكن غطفان ونزل بالرجيع فارتفعت الأصوات والصياح في مساكنهم، فخافت هذه القبيلة وفضلت أولادها ونساءها على تمر خيبر!^(٢). ولما وصل رسول الله ﷺ خيبر قال: الله أكبر خربت خيبر وابتنى مسجداً هناك، وشعار المسلمين: يامنصور أمت^(٣).

وادخل اليهود نساءهم وذرائعهم وأموالهم حصن الوطيع والسلام، وادخلوا ذخائرهم حصن ناعم، ودخلت المقاتلة حصن نطاة وكان حصن القموص أمتع حصون خيبر وأشدّها وهو الحصن الذي كان فيه ملكهم مرحب وحفر اليهود خندقاً حول حصونهم مثل خندق المدينة والحصون في قم الجبال ولكل حصن باب عظيم من حجارة طوله أربع أذرع في عرض ذراعين في سمك ذراع.

وجاء راعي لرجل من اليهود إلى رسول الله ﷺ ليعرفه على الإسلام فعرفه عليه فأسلم فقال: إني كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم وهي أمانة عندي فكيف أصنع بها؟ قال اضرب في وجهها فإنها سترجع إلى ربها، فضرب في وجهها بحفنة من الحصباء فخرجت مجتمعة كأن سائقاً يسوقها حتى دخلت الحصن. ثم تقدم إلى ذلك الحصن فقاتل مع المسلمين فأصابه حجر فقتله^(٤).

(١) سيرة ابن هشام ٣/٣٤٤.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢/٢١٦.

(٣) راجع مغازي الواقدي ٢/٦٥٠ - ٦٥٤، تاريخ الطبري ٢/٢٩٨، مغازي الذهبي ٤٠٦، تاريخ الخبيس ٢/٣٤.

(٤) عيون الأثر ٣/١٤٨.

وقائع المعركة

وابتدا رسول الله ﷺ حربه بحصن المقاتلة وكانوا في منطقة مرتفعة على جيش رسول الله ﷺ فالتبل يسرع اليهم^(١) وحاصروهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة. فقد أخرج علي بن أبي بكر الهيثمي عن ابن عباس أنه قال: بعث رسول الله إلى خيبر أحسبه قال: أبا بكر فرجع منهزماً ومن معه. فلما كان الغد بعث عمر فرجع منهزماً يجبن أصحابه ويحبته أصحابه^(٢).

فقال النبي ﷺ: لا عطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه، كرار ليس بفرار، فبات الناس يخوضون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح أرسل إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو أرمد فقال عليه السلام: ما أبصر سهلاً ولا جبلاً، فقال عليه السلام: افتح عينيك، ففتحها، فتفل فيها.

قال علي عليه السلام: فما رمدت عيني ولا صدعت حتى الساعة^(٣). ثم دفع إليه اللواء، ودعاه له ومن معه من أصحابه بالنصر، فكان أول من خرج إليهم الحارث أخو مرحب في عاديته، فأنكشف المسلمون وثبت علي عليه السلام، فاضطربا فقتله علي عليه السلام، وخرج أخوه ياسر للمبارزة فقتله علي عليه السلام ورجع أصحاب الحارث إلى الحصن فدخلوه وأغلقوا الباب عليهم وخرج مرحب وهو ملكهم؛ طويل القامة عظيم الهامة^(٤) والظاهر أنه أصبح ملكاً عليهم بعد مقتل حبي بن أخطب^(٥) وهو يقول:

قد علمت خيبر أني مرحبٌ شاكي السلاح بطل مجربٌ
أطعنُ أحياناً وحيناً أضربُ

(١) السيرة الحلبية ٣ / ٣٣.

(٢) مجمع الزوائد ٩ / ١٢٤، تلخيص المستدرک ٣ / ٣٧، مستدرک الحاكم ٣ / ٣٧، صحيح البخاري ٤ / ٤٦٥ ح ١١٥٥

ط. دار القلم، مغازي الذهبي ٣١٢.

(٣) مغازي الذهبي ٤١٣.

(٤) أمالي المفيد ٣، السيرة الحلبية ٣ / ٣٢.

(٥) مغازي الواقدي ٢ / ٧٠٦.

فقال علي عليه السلام:

أنا الذي سمّنتني أمي حيدرَه أكيلكم بالسيف كيل السندره

ليث بغابات شديد قسوره

فاختلفا ضربتين فبدره علي عليه السلام فضربه بسيفه ذي الفقار، فقدّ الحجر والمغفر ورأسه، حتى وقع في الأضراس، وسمع أهل العسكر صوت ضربته وأخذ المدينة، وقد قتل علي عليه السلام الأخوة الثلاثة مرحباً والحارث وياسراً اللذين طلبوا المبارزة على التوالي^(١).

وكان للجو النفسي الذي وضعه اليهود حول قوة جيشهم في خيبر وما عرف به مرحب وأخواه من شجاعة؛ الأثر القوي في فرار أبي بكر وعمر...

وذكر الذهبي رواية البكائي عن ابن اسحاق، وهي رواية جابر بن عبد الله الأنصاري: أن علياً حمل باب خيبر، حتى صعد المسلمون عليه، فافتتحوها، وأنه خرب بعد ذلك فلم يحمله اربعون رجلاً^(٢)، وقيل حمل الباب على ظهره حتى صعد المسلمون عليه ودخلوا الحصن، ثم قتلوه بغير عري^(٣).

وكان الباب من حجارة طوله أربع أذرع في عرض ذراعين في سمك ذراع فاقتلعه علي بن أبي طالب عليه السلام ورماه خلفه ودخل الحصن ودخله المسلمون^(٤) وكان اليهود قد حفروا خندقاً حول الحصن فجعل علي عليه السلام الباب الذي رفعه قنطرة على الخندق واجتاز المسلمون عليه إلى أبنية الحصن بعد أن قتل قائدهم الحارث بن أبي زينب.

وقال علي عليه السلام: ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية ولكن بقوة إلهية^(٥).

وقد وصف الأستاذ عبدالرحمن الشرقاوي في (كتابه محمد رسول الحرية) معركة خيبر

(١) عيون الآثار ٢ / ١٤٠ مغازي الذهبي ٤١١ أمالي الطوسي ٣، المنتظم ٣ / ٢٩٦. مغازي الواقدي ٢ / ٦٥٤، سيرة ابن هشام ٣ / ٣٤٩، تاريخ الطبري ٢ / ٣٠٠، السيرة الحلبية ٣ / ٣٧، ٣٨.

(٢) تاريخ الذهبي، المغازي ص ٤١٢، تاريخ ابن الوردي ١ / ١٢٠، الأرشاد ١ / ١٢٦، دلائل النبوة، البيهقي ٤ / ٢١٢، مجمع البيان ٩ / ١٢١، مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٢٩٣، تاريخ الطبري ٣ / ١٣، تاريخ يعقوبي ٢ / ٥٦، الروض الأنف ٦ / ٥٠٨، تاريخ الخميس ٢ / ٥١، سيرة ابن دحلان ٢ / ١١.

(٣) تاريخ يعقوبي ٢ / ٥٦.

(٤) تاريخ الخميس ٢ / ٥١.

ومواقف علي فيها والإنتصارات الحاسمة التي حققها خلال ساعات قتال بعد محاولات استمرت عدة أيام من قبل المسلمين لم تغن عنهم شيئاً.

فقال: ورأى محمد ﷺ أن يحشد كل قواه الضاربة لفتح هذا الحصن فاجتمع اليهود فيه يجعلهم أقدر على الفتك بالمسلمين.

وجمع محمد ﷺ جيشه وأمرهم أن يقتحموا الحصن وسلم أبا بكر راية الجيش، ولكن أبا بكر لم يستطع أن يصنع شيئاً ولا أن يقتحم الحصن، وفي اليوم التالي جعل القيادة لعمر ابن الخطاب، وحارب عمر يومه كله ولكنه لم يستطع أن يقتحم الحصن وظل اليهود على مواقفهم المنيعه يسددون ضرباتهم دون أن يخرج منهم رجل واحد للقتال في السهل المكشوف^(١).

وكانت هذه الحصون والأعداد العسكرية الهائلة يسندها المال والسلاح والشهرة القتالية والمكر اليهودي. وبسبب ذلك فقد فر جيش المسلمين في الحملتين الأولى والثانية على خيبر، والقائدان المهزومان هما أبو بكر وعمر.

فلم تقتصر هزيمة عمر على فراره في أحد، وذعره من منازة عمرو بن عبد ود العامري في الخندق، بل فر أمام اليهود في خيبر.

وكانت كتائب اليهود قد خرجت يتقدمهم ياسر فكشف الانصار حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ في موقفه فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ وامسى مهموماً^(٢).

فدعا محمد ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام وقال له خذ هذه الراية، فتح الله عليك وخلع علي عنه الدرع ليكون خفيف الحركة وطالب رجاله أن يتخففوا من الدروع التي تثقلهم ليكونوا خفافاً، وانصرف وفي ذهنه وصية محمد: إنفذ علي رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن لم يطيعوا فقاتلهم فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من حمر النعم.

(١) أقول من اخلاق رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام انهما لا يدعوان احداً للمبارزة ولكنهما لا يردان احداً يطلبها.

(٢) السيرة الحلبية ٣ / ٣٤.

وكان النبي ﷺ حين وصف علياً عليه السلام قائلاً كرار ليس بفرار^(١) يعرض بأبي بكر وعمر الذين فرّوا من اليهود،

وكانا قد فرّوا في حرب المشركين في احداً ثم فرّوا في حرب حنين! وقال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم الا بحقها.

وتقدّم علي فدعاهم إلى الإسلام ولكنهم سخروا منه فطالبهم أن يحاربوا المسلمين رجلاً لرجل ويبعثوا إليه شجعانهم ليبارزهم هو بنفسه الواحد تلو الآخر وخرج إليه الحارث أحد شجعانهم فصرعه علي عليه السلام، وخرج إليه رجل آخر فصرعه أيضاً.

وإذ ذاك تعالت من المسلمين صيحات السخرية بقوة شجعانهم، وسأل علي عليه السلام شجعان خيبر أن يبعثوا إليه برجل يثبت في المعركة^(٢)، فخرج إليه زعيمهم مرحب وكان هو حقاً سيّد فرسان خيبر، ولكنه خرج إلى علي عليه السلام في كبرياء وثقة مطمئنة مهيباً ضخماً بيده حربة ذات ثلاثة رؤوس وكلّ جسده الفارع الشاهق في الزرد، والحديد يغطّي رأسه وساقيه وليس في كلّ بدنه ثغرة ينفذ منها سيف.

وتقدّم إليه علي بقامته المعتدلة بلا درع وفي يده السيف وحده وتوقّع المسلمون واليهود جميعاً أنها نهاية علي عليه السلام، ولكنّ علياً استطاع أن يحسن الاستفادة من تخفّفه من الدرع والزرد، وترك مرحباً يتقدّم بدرعه وزرده وحربته حتى إذا أوشك سنّ الحربة أن يمسّ صدر علي عليه السلام تراجع علي فجأة ثم قفز في الهواء متفادياً حربة مرحب، ثم اقتحم وأهوى بكلّ قوّته على رأس مرحب بالسيف، فانطلق الحديد من على رأس مرحب وسقط سيف علي عليه السلام على الجمجمة فشقّها نصفين، وهوى مرحب وسط دعر اليهود وعجبهم وصيحات النصر ترتفع من معسكر المسلمين.

(١) مغازي الذهبي ٤٠٧، سنن البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام. وكتاب المغازي، باب غزوة خيبر ٧٦ / ٥، ٧٧، سنن مسلم، باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام، طبقات ابن سعد ١١٠ / ٢، ١١١، سيرة ابن هشام ٤٢ / ٤، نهاية الأرب ١٧ / ٢٥٣.

(٢) أقول من اخلاق رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام انهما لا يدعوان احداً للمبارزة ولكنهما لا يردان احداً يطلبها.

واندفع علي إلى باب الحصن هو ورجاله يدكونه بكل طاقاتهم حتى اقتحموه، واليهود الذين أذهلهم موت مرحب يفرون فزعين إلى حصن آخر.

وروى السيد مرتضى الفيروزآبادي في كتابه فضائل الخمسة في المجلد الثاني حديث الراية في خيبر بكامله عن صحيح البخاري ومسلم، وعن أحمد بن حنبل والنسائي والإستيعاب وكنز العمال والرياض النضرة والترمذي وابن ماجه وغيرهم.

وفي معركة خيبر اختلفت الأحداث عن حرب بدر، إذ واجه المسلمون حصوناً منيعة، وكثرة محاربين ملحوظة، فقد ذكرت الروايات وجود عشرة آلاف مقاتل يهودي في خيبر. وذكر بريدة الأسلمي: أن رسول الله ﷺ أعطى اللواء عمر بن الخطاب (فنهض معه من نهض من الناس) (١). فلقوا أهل خيبر، فانكشف عمر وأصحابه، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ يُحِبُّهُ أَصْحَابُهُ وَيُحِبُّهُمْ.

فقال رسول الله ﷺ: لأعطين اللواء غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله فلما كان الغد تصدر لها أبو بكر وعمر، فدعا علياً وهو أرمد، فتقل في عينه، وأعطاه اللواء (٢).

ثم قال ﷺ: اللهم اكفهِ الحرَّ والبرد، فما وجد بعد ذلك حرّاً ولا برداً (٣).

وذكر البيهقي الرواية في قتل علي عليه السلام لمرحب قائلاً: فاختلفا ضربتين، فبدره علي بضربة فقد الحجر والمغفر ورأسه، ووقع في الأضراس، وأخذ المدينة.

وبه جزم مسلم وابن الأثير وسائر رجال السيرة (٤).

وحصن ناعم هو أول حصن فتح من حصون النطاة على يد علي كرم الله وجهه، ثم فتح علي كرم الله وجهه حصن القموص، وكان منيعاً حاصره المسلمون عشرين ليلة، ومنه سببت صفة.

(١) بين القوسين رواية النسائي للحديث أمّا في الأصل فقد ورد ونهض معه شيء من الناس.

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٢٨/١٠.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٤١٢/٢.

(٤) دلائل البيهقي ٢١٠/٤ - ٢١٢، البداية والنهاية، ابن كثير ٢١٣/٤، ورواه مسلم عن أسحاق بن إبراهيم، كتاب

الجهاد باب غزوة ذي قرد ١٤٣٩، السيرة الحلبية ٣٨/٣.

وفي رواية حذف الناشر اسمي المنهزمين من معركة خيبر أبي بكر وعمر، ووضع بدلها فلاناً ورجلاً إذ جاء: أن رسول الله ﷺ أخذ الراية، فهزّها، ثم قال: من يأخذها بحقّها؟ فجاء فلان فقال: أنا، فقال امض، ثم جاء رجل آخر، فقال: امض ثم قال النبي ﷺ: والذي كرّم وجه محمد لا عطيتها رجلاً لا يفر، فقال: هاك يا علي، فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك وجاء بعجوتها وقديدها^(١).

فالناشر لم يرض بذكر اسمي أبي بكر وعمر كمنهزمين في معركة خيبر فقال جاء فلان وجاء رجل ليثبت قدرته على تغيير الحقائق والروايات مثلما يحب ويهوى! ولم يحاول الرواة والنسّاخ والناشرون حذف أسماء الفارين من قيادات الحزب القرشي فقط، بل حاولوا سلب مناقب علي بن أبي طالب ﷺ لصالح هؤلاء! خيانة لله ورسوله لتنطبق عليهم صفة المنافقين.

قال ابن عرفة: إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة، إفتعلت في أيام بني أمية، تقرّباً إليهم، بما يظنون أنّهم يرغبون به أنوف بني هاشم^(٢). ومن هذا التحريف: روى الزهري الأموي^(٣) أنّ الذي قتل مرحباً هو محمد بن مسلمة حسداً لعلي ﷺ. وسبب تفضيل محمد بن مسلمة أنّه يهودي الأصل ومن المتشددين في محاربة أهل البيت ﷺ والأنصار فقد اشترك في الهجوم على بيت فاطمة ﷺ^(٤)، وقتل سعد ابن عباد زعيم الانصار^(٥).

لذلك احبه الامويون كثيراً وكيف لا يحبونه وهو يشترك معهم في كره أهل البيت ﷺ والانصار فلم يبايع لأمر المؤمنين ﷺ في خلافته^(٦).

(١) البداية والنهاية، ابن كثير ٢/٤١٢، مسند أحمد بن حنبل.

(٢) فجر الإسلام، أحمد أمين ص ٢١٢.

(٣) قضى هشام بن عبد الملك عن الزهري سبعة آلاف دينار، تاريخ أبي زرعة الدمشقي ص ١٨٧. وقالت رقية اخت الزهري لشخص لا تروي عن الزهري فانه أخذ جوائز بني أمية وكتب فضائل آل محمد. وشكك الإمام علي السجاد في نسبه لايه.

(٤) شرح النهج ٦/ ٤٨، السقيفة وفدك ٥١، البداية والنهاية ٤/ ٤٩٦.

(٥) أنساب الاشراف ١/ ٥٨٩، العقد الفريد ٤/ ٢٤٧.

(٦) الامامة والسياسة ١/ ٧٣.

والمدهش أن محمد بن مسلمة أخو مرحب فأراد الأمويون طمس ذلك واخفائه فجعلوه قاتله. إذ قال علي ابن أبي طالب عليه السلام في سبب عدم مبايعة محمد بن مسلمة له: وذنبني إلى محمد بن مسلمة اني قتلته أخاه يوم خيبر مرحب اليهودي ^(١).

وبقيت في قلوب المشركين حسرة عدم انتصار اليهود على المسلمين فحاولوا تمجيد اليهود ودعمهم مثل كعب الأحبار ومحمد بن مسلمة وعبد الله بن سلام وزيد بن ثابت **﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾**.

واعطى الأمويون دوراً لكعب بن مالك لأنه تخلف عن رسول الله ﷺ في معركة تبوك وناصر عثمان ولم يبايع علياً عليه السلام في خلافته ^(٢).

وهكذا روى ابن كثير الأموي: أن محمداً قطع رجلي مرحب فقال له اجهد عليّ، فقال: ذق الموت كما ذاقه محمود بن مسلمة، فرّ به علي وقطع رأسه، فاخصما في سلبه إلى رسول الله ﷺ، فأعطى رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة سيفه ورمحه ومغفره وبيضته ^(٣).

فلم يكتف الأمويون وانصارهم بسلب منقبة من مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، بل حولوها إلى مذمة له بتصويره رجلاً يطالب بسلب قتيل غيره! فيحكم النبي ﷺ لغير صالحه!

والحق أن علياً عليه السلام قتل مرحب اليهودي وكانت عادة علي عليه السلام أن لا يسلب قتيله ^(٤) مثلما فعل مع عمرو بن عبد ود العامري وحملة لواء قريش في بدر واحد وتحدثنا السيرة، بأن رسول الله ﷺ (عميد أهل البيت عليهم السلام) رفض تسلم اثني عشر ألف درهم ثمناً لجثة نوفل بن عبد الله المخزومي، الذي قتله علي بن أبي طالب عليه السلام في معركة الخندق، قائلاً: لا خير في جسده ولا في ثمنه ^(٥).

فلما قتل علي بن أبي طالب عليه السلام عمرو بن عبد ود العامري في معركة الخندق قال له عمر

(١) الامامة والسياسة ١/٧٣.

(٢) الروض الأنف ٦/١٣٨.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير ٤/٢١٥.

(٤) تاريخ الخميس ١/٤٨٨.

(٥) مسند أحمد ١/٢٤٨، دلائل النبوة، البيهقي ٣/٤٤٠، البداية والنهاية، ابن كثير ٤/١٢٢، ١٢٣.

ابن الخطاب: هلاً استلبته درعه، فإنه ليس للعرب درع خير منها؟

قال ﷺ: ضربته فاتقاني بسوء ته، فاستحييت أن أسلبه^(١).

وجاء أن النبي ﷺ رفض أيضاً تسلم اثني عشر ألف درهم ثمناً لجثة عمرو بن عبد ود العامري المقتول بيد علي ﷺ.

لقد قتل علي بن أبي طالب ﷺ أبطال وفرسان الأعداء في بدر واحد والخندق وخيبر وحنين ولكن المنافقين من أعداء أهل البيت حاولوا تحريف تلك الأخبار، واعطاء تلك المناقب لرجال آخرين حسداً منهم لولي المسلمين وسيد العرب ووصي المصطفى ﷺ وكان من طبيعة علي ﷺ أن لا يسلب قتيله^(٢). ولا يقتل جريحاً ولا يلحق فارساً.

قال عمر: لقد أعطي علي ﷺ بن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحب إلي من أن أعطي حمر النعم تزوجته فاطمة ﷺ وسكناه المسجد مع رسول الله ﷺ يحل له ما يحل له والراية يوم خيبر^(٣).

وقال الحلبي: كانت حصون اليهود: الشظاء والسق والصعب والقموص والوطيح والسلام، والحصون الأربعة الأولى فتحت عنوة والخامس والسادس فتحا صلحاً.

ولقد تزوج النبي ﷺ بصفية في الصهباء المكان الذي ردت فيه الشمس لعلي ﷺ بعدما غربت^(٤). فحدثت لعلي ﷺ في خيبر كرامتان:

الاولى قتل ملك اليهود وابطاهم وسحق جيشهم خارج الحصون ثم رفع بابهم العظيمة وجعلها جسراً فوق خندقهم لدخول حصنهم وفتحها وفتح الحصون الاخرى.

والثانية ردت الشمس اليه بعدما غربت^(٥).

(١) البداية والنهاية، ابن كثير ١٢٢/٤، دلائل النبوة، البيهقي ٤٣٢/٣، باب ما أصاب النبي ﷺ والمسلمين من

محاصرة المشركين إياهم من البلاء، السيرة النبوية ابن كثير ٢٠٥/٣، ٢٠٦.

(٢) تاريخ الخميس، الديار بكري ٤٨٨/١، دلائل النبوة، البيهقي ٤٣٢/٣.

(٣) مستدرک الحاكم ١٣٥/٣.

(٤) السيرة العلوية، الحلبي الشافعي ٣٩/٣، ٤٠، ٤١، ٤٤.

(٥) السيرة الحلبي، الحلبي الشافعي ٣٩/٣، ٤٠، ٤١، ٤٤.

نتيجة المعركة

وبعد فراغ المسلمين من خيبر قدم جعفر بن أبي طالب وصحبه من الحبشة فقال النبي ﷺ: والله ما أدري بأي الأمرين أنا أشد فرحاً بفتح خيبر أو قدوم جعفر ثم قام إليه فقبل ما بين عينيه^(١)، وكان معه ستة عشر رجلاً^(٢) والظاهر بأن جعفراً قد بقى هذه المدة الطويلة في الحبشة لنشر الاسلام في افريقيا بعد ان عاد معظم المهاجرين الى المدينة اثر وصول النبي ﷺ اليها.

لقد فتح رسول الله ﷺ بعض الحصون عنوة، وبعضها جنح أهلها إلى الصلح أي الوطيح والسلام فصالح رسول الله ﷺ اليهود على أن تحقن دماءهم ولهم ما حملت ركابهم وللنبي ﷺ الصفراء والبيضاء والسلاح ويخرجهم وشرطوا أن لا يكتنموه شيئاً فإن فعلوا لا ذمة لهم ولا عهد، فلما وجد المال الذي غنيوه في مسك الجمل^(٣) غلبهم على الأرض والنخل، وقسم رسول الله ﷺ خيبر على ألف وثمانمائة سهم وكان الرجال بها ألف واربعائة والفرسان مائتي فارس، فقسم للفارس ثلاثة أسهم سهمين لفرسه وسهماً له وللراجل سهماً. وقسم رسول الله ﷺ خيبر على من شهد الحديبية فاعطى جابر بن عبد الله الانصاري رغم غيابه عن خيبر^(٤) وأعطى النسوة اللاتي رافقنه لمداداة الجرحى من الفبيء.

وأخذ النبي ﷺ صفية بنت حيي بن أخطب في سهمه وأعتقها وتزوجها^(٥). وجعل رسول الله ﷺ وليمة صفية التمر والأط والسمن^(٦). وكانت قد روت لزوجها ابن أبي الحقيق أنها رأت الشمس سقطت على صدرها فضر بها على وجهها قائلاً: تمنى ملك

(١) المنتظم ٣ / ٢٩٤.

(٢) عيون الأثر ٢ / ١٤٥.

(٣) أي جلدأ وضع فيه الحلي.

(٤) الروض الأنف ٦ / ٥٢٤، السيرة العلية ٣ / ٣١.

(٥) وقيل بقيت في ملكه.

(٦) المنتظم ٣ / ٢٩٧.

العرب وأعرس بها رسول الله ﷺ بعد أن طهرت من الحيض^(١).
 وحصل المسلمون على كنز حيي بن اخطب وقتلوا ابن أبي الحقيق الذي غيبه فدله الله
 تعالى عليه^(٢) وكان كنانة بن الربيع قد غيَّب كنز بني النضير في خربة فقال له رسول
 الله ﷺ: أرايت إن وجدناه عندك أقتلك؟
 قال: نعم

فلما وجد المسلمون الكنز قتلوه^(٣).
 ثم دفع لهم الأرض يعملون فيها على الشطر قائلاً: أقركم ما أقركم الله^(٤).
 ولم يطلب رسول الله ﷺ اخراج اليهود إلى الشام لذلك لم يخرجهم في أيام حكمه
 الممتدة اربع سنوات بعد فتح خيبر.
 ولم يخرجهم أبو بكر عن خيبر بل سار على النهج النبوي ولم يخرجهم عمر في السنوات
 الاولى لحكمه والممتدة اربع سنوات، وبعد إسلام كعب الأحمري طلب من عمر إعادة اليهود
 إلى فلسطين التي اخرجوا منها، فوافق عمر.
 ولأن القضية خطيرة ولا يوافق عليها المسلمون، فقد صنعوا حديثاً على لسان رسول
 الله ﷺ مفاده توصيته باخراج اليهود إلى الشام وذكر ذلك الحديث الزهري الأموي
 الميول والهوى^(٥).

وقُتل من اليهود ثلاثة وتسعون رجلاً، وقُتل من المسلمين ستة عشر شخصاً^(٦) وقيل
 اربعة وعشرون رجلاً^(٧).
 ورووا كذباً أن رسول الله ﷺ حرّم المتعة وحرّم أكل لحوم الحمير الأهلية في خيبر^(٨).

(١) السيرة الحلية ٤٤ / ٣، تاريخ الطبري ٢ / ٣٠٢.

(٢) المنتظم ٢ / ٢٩٤.

(٣) الروض الأنف ٦ / ٥١٠، تاريخ الخميس ٢ / ٤٧.

(٤) المنتظم، ابن الجوزي ٣ / ٢٩٤، جمل من أنساب الاشراف ١ / ٤٤٣، التنبيه والاشراف ٢٢٢.

(٥) الروض الأنف ٦ / ٥٢٨، تاريخ الخميس ٢ / ٥٦.

(٦) المنتظم ٣ / ٢٩٤.

(٧) مغازي الذهبي ٤٣٠، الروض الأنف ٦ / ٥١٩.

(٨) سنن البخاري ٢ / ٦٠٤، ٦٠٦، سيرة أبي حاتم ١ / ٣٠٤.

واستغل الحجاج بن علاط السلمي الذي أسلم جديداً وشارك في خيبر هذه الحادثة فاستأذن رسول الله ﷺ في الذهاب لمكة لجمع ماله من زوجته المشركة ومن الناس. ولأن المشركين يحبون انتصار اليهود على المسلمين فقد قال لهم الحجاج:

هزم محمد هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وقُتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قط وأسر محمد وقالوا: لا تقتله حتى نبعث به إلى مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم.

فجمع المشركون له ماله من شدة فرحهم بذلك الخبر وواسى أبو سفيان العباس بالمصيبة التي وقعت على بني هاشم.

ثم انفرد الحجاج بالعباس بن عبد المطلب فقال له: لقد تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم يعني صفية بنت حيي ولقد افتتح خيبر، فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك، فأخبر العباس الناس في مكة بذلك فحزن الكافرون وفرح المسلمون^(١).

وبعد انتصار المسلمين على الجبهة الفرسية بالصلح وعلى الجبهة اليهودية بالحرب وتوسعت الدولة الإسلامية رغب المترلقون إلى المصالح الدنيوية في اغتنام الفرصة فدخلوا في الاسلام زيفاً مثل عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري وأبي هريرة وخالد بن الوليد.

رد الشمس بين الحقيقة والخيال

ردت الشمس للإمام علي عليه السلام في موطنين أحدهما في حياة النبي ﷺ في غزوة خيبر والثاني بعد رجوعه من معركة النهروان^(٢). وحديث رد الشمس يكاد يكون متواتراً، وآلف فيه الكثير من العلماء كتباً خاصة وعلى رأس هؤلاء السيوطي.

وقال الديار بكري: وفي هذه السنة طلعت الشمس بعد ما غربت لعلي عليه السلام ما أورده الطحاوي في مشكلات الحديث عن أسماء بنت عميس من طريقين:

أن النبي ﷺ كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي عليه السلام ولم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال له رسول الله ﷺ: أصليت يا علي؟

(١) الروض الأنف ٦ / ٥٢١، تاريخ الخميس ٢ / ٥٤.

(٢) الذريعة ٣ / ١٧٣، مصنف أبي بكر الوراق.

قال: لا

فقال رسول الله ﷺ: اللهم إني كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس.
قالت أسماء: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت ووقعت على الجبل وذلك في
الصهباء في خير^(١).

وفي المنتقى قال أحمد بن صالح: لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء
لأنه من علامات النبوة^(٢).

وبحث هذا الموضوع العلامة الأميني في كتابه الغدير بشكل رائع^(٣).
والمؤيدون لصحة الحديث من علماء السنة: أبو بكر الوراق^(٤) والمحافظ الخطيب البغدادي
والمترجم ذكره في تلخيص المتشابه^(٥). والمحافظ أبو زكريا الاصبهاني الشهير بابن مندة في
كتابه المعرفة والمحافظ القاضي عياض في كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١ / ٥٤٨.
واخطب خوارزم في كتابه المناقب^(٦)، والمحافظ أبو الفتح النطنزي في كتابه الخصائص
العلوية والمحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه^(٧) والمحاكم ابن شاهين في مسنده الكبير
والمحاكم النيسابوري والمحافظ ابن مردويه الاصبهاني وأبو اسحاق^(٨) البغدادي الشهير
بالماوردي في كتابه اعلام النبوة^(٩) والمحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه الدلائل^(١٠). والمحافظ
محمد الطحاوي في كتابه مشكل الآثار قائلاً: هذان الحديثان ثابتان ورواتها ثقات^(١١).

(١) تاريخ الخميس ٥٨/٢، مشكل الآثار ١١/٢.

(٢) تاريخ الخميس ٥٨/٢، الكافي ٥٦٢/٤، من لا يحضره الفقيه ١ / ٢٠٣.

(٣) كتاب الغدير ٣ / ١٢٧، ١٨٤.

(٤) مناقب آل أبي طالب ٢ / ٣٥٣.

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١ / ٥٤٨.

(٦) المناقب ٣٠٦ ح ٣٠١.

(٧) المعجم الكبير ٢٤ / ١٤٥ ح ٣٨٢.

(٨) الثعلبي في تفسيره غرائب المجالس: ٢٤٩، والفقيه.

(٩) اعلام النبوة ١٣٢.

(١٠) ذكر في كتاب فيض القدير للمناوي.

(١١) مشكل الآثار ١١ / ٢.

وذكر الحديث وصححه العلامة سبط بن الجوزي في كتابه تذكرة الخواص^(١).
 وصححه الحافظ أحمد زيني دحلان في كتابه السيرة النبوية^(٢).
 وأورد الحديث الحافظ الكنجي الشافعي في كتابه كفاية الطالب^(٣).
 وصحح الحديث شيخ الإسلام الحموي في كتابه فرائد السمطين^(٤) والحافظ أبو زرعة
 العراقي في كتاب الطبراني الكبير^(٥).
 وصحح الحديث الإمام السبتي في كتابه شفاء الصدور والحافظ ابن حجر العسقلاني في
 كتابه فتح الباري^(٦) والإمام العيني في عمدة القاري في شرح صحيح البخاري^(٧).
 والحافظ السيوطي رواه في جمع الجوامع كما في ترتيبه^(٨) عن علي رضي الله عنه في عد معجزات
 النبي ﷺ وقال في الخصائص الكبرى^(٩) أتي يوشع حبس الشمس حين قاتل الجبارين وقد
 حبست لنبينا ﷺ في الإسراء، وأعجب من ذلك رد الشمس حين فات عصر علي رضي الله عنه
 ورواه السيوطي في اللآلئ المصنوعة^(١٠) عن أمير المؤمنين وأبي هريرة وجابر الأنصاري
 واسماء بنت عميس من طريق ابن مندة والطحاوي والطبراني وابن أبي شيبة والخطيب
 والعقيلي والدولابي وابن شاهين وابن عقدة.
 وايد صحة الحديث الحافظ السهودي في وفاء الوفا فقال: كان ذلك بالصهباء في
 خيبر^(١١).

(١) تذكرة الخواص ٥٣.

(٢) السيرة النبوية ١ / ٢٠١.

(٣) كفاية الطالب ٣٨١، ٣٨٨.

(٤) فرائد السمطين ١ / ١٨٣ ح ١٤٦.

(٥) معجم الطبراني الكبير ٢٤ / ١٤٥.

(٦) فتح الباري ٦ / ٢٢٢.

(٧) عمدة القاري ١٥ / ٤٣.

(٨) كنز العمال ١٢ / ٣٤٨ ح ٥٣ ٥٢.

(٩) الخصائص الكبرى ٢ / ٣١٠.

(١٠) اللآلئ المصنوعة ١ / ٢٣٦ - ٢٤١.

(١١) وفاء الوفاء ٣ / ٨٢٢.

وايد صحة الحديث الحافظ القسطلاني في المواهب اللدنية^(١).

والحافظ ابن حجر الهيثمي إذ عده في الصواعق المحرقة كرامة باهرة لأمير المؤمنين عليه السلام^(٢). والحلي الشافعي في السيرة الحلبية^(٣).

وجاء في الأحاديث الصحيحة أن الشمس لم ترجع إلا ليوشع بن نون وعلي عليه السلام أفضل من يوشع إذ ورد أنه لم ترد الشمس لأحد من خلق الله تعالى إلا ليوشع بن نون وصي موسى عليه السلام ولأمير المؤمنين عليه السلام وكان آخر قتالهم له يوم الجمعة إلى أن غربت الشمس وقد ظهر على المنافقين أصحاب يوشع عليه السلام، وقال قاتلوهم فقد غلبتموهم بإذن الله. فقالوا: لا نقاتل وقد دخل السبت.

فانفرد يوشع عليه السلام فتلا أسفاراً من صحف إبراهيم عليه السلام ومن التوراة، وسأل الله عز وجل برّد الشمس عليهم حتى لا يحتج المارقون، فقال يوشع عليه السلام: قاتلوا. قالوا: لا نقاتل لأن السبت قد دخل، قال: هذا لا من السبت ولا من الجمعة، وإنني سألت الله عز وجل ردّ الشمس لتظهروا على أعدائكم ولا يظهروا عليكم. فقاتلوهم فغلبوهم وملكوهم وغربت الشمس.

وكانت صفراء ابنة شعيب النبي عليه السلام زوجة موسى بن عمران عليه السلام تقاتل يوشع بن نون عليه السلام مع المارقين من بني إسرائيل على زرافة كما قتلت عائشة ابنة أبي بكر زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وصيه أمير المؤمنين عليه السلام مع المارقين من أمته على جمل^(٤). وقد ردت ليوشع مرة وقد ردت لأمير المؤمنين عليه السلام ثلاث مرات وسلمت عليه بالبقيع^(٥).

وبعد أن انتهى علي عليه السلام من قتل الخوارج وقطع أرض بابل^(٦). حضرت صلاة العصر

(١) المواهب اللدنية ٢ / ٥٢٨.

(٢) الصواعق المحرقة ١٢٨.

(٣) السيرة الحلبية ١ / ٣٨٦.

(٤) كمال الدين، الصدوق ٢٧، الهداية الكبرى، الخصيي ١٢٣.

(٥) الهداية الكبرى ١٢٣.

(٦) اسم موضع بالعراق قرب الحلة المزيديّة اليوم وبالقرب منه مسجد الشمس.

فنزّل أمير المؤمنين عليه السلام ونزل الناس، قال علي عليه السلام: أيها الناس إن هذه الأرض ملعونة قد عذبت في الدهر ثلاث مرات وهي إحدى المؤتفكات^(١) وأول أرض عبد فيها وثن، وإنه لا يحل لني ولا لوصي نبي أن يصلي فيها، فمن أراد منكم أن يصلي فليصل، قال الناس عن جني الطريق يصلون.

وركب هو عليه السلام بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومضى، قال جويرية فقلت: والله لا تبعن أمير المؤمنين عليه السلام ولا قلده صلّاتي اليوم، فضيت خلفه فوالله ما جزنا جسر سورا^(٢) حتى غابت الشمس فشككت، فالتفت إلي علي عليه السلام وقال: يا جويرية أشككت؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين.

فنزّل عليه السلام ناحية فتوضّأ ثم نطق بكلام لا أحسنه كأنه بالعبراني، ثم نادى الصلاة فنظرت والله إلى الشمس قد خرجت من جبلين لها صرير^(٣) فصلّى العصر وصليت معه، فلما فرغنا من صلاتنا عاد الليل كما كان فالتفت إلى علي عليه السلام وقال: يا جويرية بن مسهر الله عز وجل يقول: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ وإني سألت الله عز وجل باسمه العظيم فردّ عليّ الشمس.

فقال جويرية لما رأى ذلك: أنت وصي نبي ورب الكعبة^(٤). وجاء أيضاً أن الشمس كانت قد ردّت لعلّي بن أبي طالب عليه السلام في وقعة بني النضير حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ست ليال بأيامها في مسجد هناك يعرف بمسجد الفضيخ^(٥). وهذا نبي الله سليمان بن داود عليه السلام أمر بأن تعرض عليه خيله حتى اعجب بها وفتنته إلى أن غربت الشمس، وفاتته صلاة العصر، فذكر أنه لم يصل صلاة العصر فأمر برد خيله واعتاقها كفارة لما فوتته صلاة العصر ولم ترد الشمس له، كما ردت لأمير المؤمنين عليه السلام.

(١) مدائن قوم لوط أهلكها الله تعالى بالغسف.

(٢) سورى وسوراء بلدة بارض بابل وبها نهر يقال له نهر سورا وفي القاموس سورى موضع بالعراق من بلد السريانيين وموضع من أعمال بغداد.

(٣) صرير: صوت.

(٤) من لا يحضره الفقيه ١ / ٢٠٤، وسائل الشيعة، الحر العاملي ٣ / ٤٦٩.

(٥) من لا يحضره الفقيه ١ / ٢٠٣، أي أنها ردّت لعلّي عليه السلام ثلاث مرّات.

والفضل لرسول الله ﷺ ولأمير المؤمنين لأنه أفضل الوصيين والأئمة الراشدين. وقد قص الله خبر سليمان عليه السلام فقال تعالى:

﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ رَدَّوَهَا عَلَيَّ فَنُفِقْتُ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾^(١).

والمخالفون للحديث هم ابن كثير، ابن تيمية وابن الجوزي وابن حزم^(٢)

وقد رد سبط ابن الجوزي قول جدّه في تضعيف الحديث لمكانة ابن عقدة لانه رافضي فقال: وابن عقدة مشهور بالعدالة^(٣).

محاولة يهود خيبر قتل النبي ﷺ

الصحابة: لم يأكل النبي طعام خيبر المسموم

غالباً ما يحاول القاتل القاء تهمة القتل على غيره لينقذ نفسه من التهمة مثلما فعل قتلة النبي ﷺ بالقاء التهمة على زينب اليهودية ولم يتصف النبي ﷺ بالغدر وكذلك كان عبد المطلب من أتباع العدل فقد اجبر حرب بن أمية على دفع دية يهودي قتله^(٤).

في حين استمر اليهود في محاولاتهم لقتل الرسول ﷺ ففشلوا وحاول رجال الحزب القرشي كراراً قتل رسول الله ﷺ ففشلوا أولاً ونجحوا أخيراً، وحاول القتل اختلاق روايات في مقتل رسول الله ﷺ بسم خيبر، في حين لم يأكل النبي ﷺ الطعام المذكور. وإليك الروايات الصحيحة الدالة على عدم أكل رسول الله ﷺ طعام خيبر المسموم عن جابر بن عبد الله الأنصاري وعبد الله بن مسعود:

١ - «وفي السنة السابعة وبعد معركة خيبر أهدت زينب بنت الحارث امرأة سلام بن

(١) سورة ص ٣١-٣٣، الهداية الكبرى ١٢٣.

(٢) كتاب الغدير ٣ / ١٢٧، ١٨٤.

(٣) تذكرة الخواص ٥٤.

(٤) أنساب الأشراف ١ / ٨٣.

مشكم^(١) للنبي ﷺ شاة مصلية وكانت قد سألت أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ فقبل لها الذراع فاكثرت فيها السم، وسُمّت سائر الشاة ثم جاءت بها. فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع فاخذها فلاك منها مضغة فلم يُسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، وقد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله ﷺ فلم يأكل وقال: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم^(٢). ثم دعا بها فاعترفت... فمات بشر بن البراء من أكلته التي أكل في ذلك الزمن. أي أن بشراً أكل السم. ولم يأكل رسول الله ﷺ من ذلك السم شيئاً.

ومقتل بشر بالسم من كذب السلطة الحاكمة التي قتلت رسول الله ﷺ إذ كيف يقدم مسلم على الأكل قبل زعيمه رسول الله ﷺ؟! فهذا مستحيل في العرف الإسلامي والقبلي. ٢- وقال البيهقي عن أبي هريرة: «لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم».

فقال رسول الله ﷺ: اجمعوا من كان ها هنا من اليهود، فجمعوا له. فقال لهم رسول الله ﷺ: إني سألتكم عن شيء هل أنتم صادقون عنه؟ قالوا: نعم. يا أبا القاسم.

فقال لهم رسول الله ﷺ من أبوكم؟ قالوا: أبونا فلان، قال: كذبتكم بل أبوكم فلان، قالوا: صدقت وبررت. قال النبي ﷺ: هل أنتم صادقون عن شيء أن سألتكم عنه قالوا: نعم يا أبا القاسم وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفت في آبائنا. فقال رسول الله ﷺ: من أهل النار؟ فقالوا نكون فيها يسيراً ثم تخلفوننا فيها.

(١) وكانت زينب بنت الحارث (أخي مرحب) قد عمدت إلى سم لا يُطني، وقد شاورت يهود في سموم، فأجمعوا لها على هذا السم بعينه فسُمّت الشاة بالطبقات ٢٠١/٢، ٢٠٢. والمتخصص بالسموم كان لييد بن الأعصم اليهودي، فهو أعلمهم بالسموم والطبقات ١٩٧/٢. وكانت الجمادات تسلم على النبي ﷺ ومنها الشجر، أنساب الأشراف ١/ ١١٥.

(٢) تاريخ الطبري ٢/ ٣٠٣، طبعة الأعلمي - بيروت.

فقال لهم رسول الله ﷺ اخسأوا فيها أبداً.

ثم قال النبي ﷺ: هل أنتم صادقي عن شيء ان سألتكم عنه؟

قالوا: نعم.

قال: أ جعلتم في هذه الشاة سُمًّا؟

قالوا: نعم.

قال: فما حملكم على ذلك؟

قالوا: أردنا ان كنت كاذباً أن نستريح منك، وان كنت نبياً لم يضرَّك»^(١).

٣- وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: حدَّثنا أبو العباس: محمد بن يعقوب، قال: حدَّثنا

العباس بن محمد، قال: حدَّثنا سعيد بن سليمان، قال: حدَّثنا عباد ابن العوام، عن سفيان

يعني ابن حسين، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي

هريرة أن امرأة من اليهود أهدت إلى رسول الله ﷺ شاةً مسمومة.

فقال النبي ﷺ لأصحابه: أُمِسْكُوا فَإِنَّهَا مَسْمُومَةٌ، فقال ﷺ: ما حملك على ما صنعتِ؟

قالت: أردت ان أعلم ان كنت نبياً فسيطعك الله عليه، وإن كنت كاذباً أريح الناس منك.

(١) تاريخ ابن الأثير ٢/٢٢١، مغازي الذهبي ٤٣٦، طبقات ابن سعد ٢/١١٥ سيرة الحافظ أبي حاتم ١/٣٠٥، تاريخ

ابن دحلان ٢/١٧، سيرة ابن هشام ٣/٣٥٢، فتح الباري (٧: ٤٩٧) مختصراً «لما فتحت خير اهديت لرسول

الله ﷺ شاة فيها سُمٌّ» كما أخرجه البخاري مطولاً في: ٥٨ - كتاب الجزية (٧) باب إذا غدر المشركون بالمسلمين

هل يعفى عنهم، فتح الباري (٦: ٢٧٢)، من حديث أبي هريرة، تاريخ ابن كثير ٤/٢٠٩.

قال البدر العيني: قوله «اهديت للنبي ﷺ شاة» وكان الذي اتى بها امرأة يهودية صرح بذلك في صحيح مسلم

وقال النووي في شرح مسلم وهذه المرأة اليهودية الفاعلة للسم، اسمها زينب بنت الحارث اخت مرحب اليهودي

قلت كذا رواه الواقدي عن الزهري، وأنه ﷺ قال لها ما حملك على هذا؟

قالت: قتلت أبي وعمي وزوجي وأخي، قال محمد: فسألت إبراهيم بن جعفر عن هذا فقال أبوها الحارث وعمها

بشار وكان أجبن الناس وهو الذي أنزل من الرف وأخوها زبير وزوجها سلام بن مشكم.

قال القاضي عياض: واختلفت الآثار والعلماء هل قتلها النبي ﷺ أم لا فوقع في مسلم أنهم قالوا ألا نقتلها؟

قال ﷺ لا ومثله عن أبي هريرة وجابر، والنبي ﷺ لم يقتلها لأنها لم تقتل أحداً وبهذا قال أبو هريرة وجابر بن

عبد الله الانصاري والزهري والسهيلي.

قال: فما عرض لها رسول الله ﷺ^(١).

٤- وحدثنا الإمام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان - رحمه الله، قال: أخبرنا أبو حامد أحمد بن الحسين الهمداني، قال: حدثنا محمد بن رزام المروزي، قال: حدثنا خلف بن عبد العزيز، قال: أخبرني أبي عبد العزيز بن عثمان، عن جدي: عثمان بن أبي جبلة، قال: كما أخبرني عبد الملك بن أبي نضرة، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، أن يهودية أهدت إلى رسول الله ﷺ إمّا شاة مسمومة، وإمّا بَرَقاً مسموطاً مَسْمُوماً، فلما قَرَّبته إليه وبسط القوم أيديهم، قال النبي ﷺ:

أَمْسِكُوا، فَإِنْ عَضُوا مِنْ أَعْضَائِهَا يَخْبِرُنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ فَدَعَا صَاحِبَتَهَا^(٢).

فقال النبي ﷺ: أَسَمِمْتَ هَذَا؟

قالت: نعم.

قال النبي ﷺ: مَا حَمَلَكَ عَلَيْهِ؟

قالت: أَحْبَبْتُ إِنْ كُنْتُ كَاذِباً أَنْ أُرِجَ النَّاسُ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتُ رَسُولاً أَنْكَ سَتُطْلَعُ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَعاقِبْهَا^(٣).

٥- وجاء عن عبد الله بن مسعود قوله: لَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ - يَعْنِي بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَكَلَّمَهُ ذِرَاعُ الشَّاةِ الْمَسْمُومَةِ، وَاعْلَمَهُ بِمَا فِيهِ مِنَ السَّمِ^(٤).

إِذِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْلَمُ بِالطَّعَامِ الْمَسْمُومِ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِثْلُهَا كَلِمَةُ الذِّرَاعِ الْمَسْمُومِ، فَلَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ، وَلَمْ يَمْضَغْهُ، وَهَذَا مِنْ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ. وَأَخْبَارُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ يَسْتَوْجِبُ عَدَمَ أَكْلِهِ مِنْ ذَلِكَ الطَّعَامِ.

هَذِهِ الرِّوَايَاتُ تَثْبُتُ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ ذَلِكَ الطَّعَامِ الْمَسْمُومِ، وَكَانَ الْحَادِثُ فِي سَنَةِ ٧ هَجْرِيَّةٍ، وَالرَّسُولُ ﷺ قُتِلَ فِي سَنَةِ ١١ هَجْرِيَّةٍ، إِذِنْ لَمْ يَمِتَّ الرَّسُولُ ﷺ بِفَعْلٍ

(١) نقله ابن كثير في تاريخه ٢٠٩/٤.

(٢) شرح النووي على مسلم ١٧٩/١٤.

(٣) نقله الصالح في السيرة الشامية (٥: ٢٠٨).

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير ٣١٧/٦، ٣٢٢.

سم خبير قطعاً. وحاولت القوى التي قتلت رسول الله ﷺ اتهام زينب اليهودية بذلك للفرار من القصاص الذي سيحل بهم، وقد اثبتت الروايات الصحيحة عدم اقدام رسول الله ﷺ وصحبه المسلمين على الأكل من تلك الشاة، ونطق الشاة المشوية كان من علامات النبوة فذكره العلماء في كتب دلائل النبوة.

وبشر بن البراء بن معرور قتل في معركة خبير في الحرب، وما لفقوه عليه من أكله الطعام قبل رسول الله ﷺ من زيف قتلة رسول الله ﷺ، مثلما زيفوا أحداث السقيفة بان سعد بن عباد الانصاري أراد اغتصاب السلطة في السقيفة وهو برىء من هذه التهمة^(١). إذ جاء في رواية مختلفة إن رسول الله ﷺ دفع ابن أبي الحقيق إلى ولاية بشر بن البراء فقتل به^(٢)، بينما جاء في رواية: إن بشر بن البراء مات بعد ذلك بسنة^(٣). وفي رواية مات في زمن خلافة عمر^(٤).

وفهم علماء السوء المطلب فالحوا في الافتراء لأثبتا مقتل رسول الله ﷺ من جراء ذلك السم لتبرئة القتلة من التهمة وإبطال الكرامة الإلهية التي وهبها الله تعالى لرسوله والمتمثلة في نطق الشاة المشوية!

ولقد جاءت عدة روايات محرفة في مسمومية رسول الله ﷺ منها: أحب العراق إلى رسول الله ﷺ الذراع، ذراع الشاة، وقد كان سم فيها وكان يروى أن اليهود سموه^(٥)، وأضاف المحرفون للرواية الصحيحة عبارة: فأخذ رسول الله ﷺ منها مضغة فلم يسغها^(٦).

(١) راجع كتاب السقيفة للمؤلف ١٩٦.

(٢) مغازي الواقدي ٦٧٣/٢.

(٣) مغازي الواقدي ٦٧٨/٢، الشفاء، القاضي عياض ١٠٧/١.

(٤) كتاب من له رواية في مسند أحمد، محمد بن علي بن حمزة.

(٥) أخرجه أبو داود ص ٣٧٨١، في الاطعمة باب في أكل اللحم، شمائل الترمذي ص ١٦٣، باب ما جاء في صفه إدام

رسول الله ﷺ، المصنف لابن أبي شبة ص ١٣ رقم ١٥٣٨٢، وطبقات خليفة ص ٩٦، وتاريخه ص ٧١، ١٩٨.

٢٣٩، ٢٧١، ومسند أحمد ٢/٣، والمعبر ص ٢٩١، ٤٢٩.

(٦) تاريخ ابن الأثير ٢/٢٢١.

والصحيح كما اثبتناه في الروايات ان النبي ﷺ والمسلمين لم يأكلوا من تلك الشاة المسمومة.

والذين قتلوا رسول الله ﷺ هم الذين أشاعوا مقتله بسم خيبر وأشاعوا مقتل بشر بن البراء بن معرور بالسم، وكانت عائشة على رأس القائلين بذلك^(١).
لقد انقسمت الروايات الى قسمين القسم الأكثر قال بأن الشاة أخبرت رسول الله قبل أكله منها فلم يأكل ﷺ.

والقسم الثاني المحرف قال: إن رسول الله ﷺ لأك منها مضغة فلم يسغها فلفظها.

والادلة التالية تثبت عدم مقتل النبي ﷺ بسم خيبر

١- لم يأكل رسول الله ﷺ من الشاة المسمومة. والعقل يحتم أن يكون نطق الشاة قبل الإقدام على المضغ لا بعده.

ولأن رواية نطق الشاة من الروايات المتواترة لم يتمكن الأمويون وأتباعهم من حذفها.

مركز تحقيقات كميتر علوم دینی

٢- ولأن الطعام المسموم لزنب اليهودية لم يقتل أحداً فقد عفا عنها رسول الله ﷺ كما في الروايات الصحيحة^(٢). ولو تسبب ذلك السم في قتل بشر لقتلها خاتم الأنبياء به.

٣- ولولا علاقة لموت النبي ﷺ في سنة ١١ هجرية بسم خيبر في سنة ٧ هجرية، إذ الفارق الزمني كان طويلاً، هذا أولاً وثانياً أن النبي ﷺ لم يأكل الطعام المسموم. لأن الذراع المسمومة أخبرته بذلك.

بينما حاول اعلام السلطة القاء المسؤولية في شهادة الرسول ﷺ على أكلة خيبر، إذ رووا عن النبي ﷺ حديثاً كاذباً هو: ما زالت أكلة خيبر تعاودني كل عام^(٣).

ومن طبيعة السموم قتلها للضحايا في أيام معدودة ولا تعطي فرصة أكثر من ذلك، وهذا مأخوذ من تجارب السموم في التاريخ، والعلم الحديث يؤيد ذلك.

(١) راجع كتاب المستدرک، للحاكم ٦٠ / ٣.

(٢) فتح الباري ٧ / ٤٩٧، تاريخ ابن كثير ٤ / ٢٠٩.

(٣) كنز العمال ١١ / ٣٢١٨٩.

فنفهم أن الرواية الصحيحة لعبد الله بن مسعود تقول إنه ﷺ لم يأكل طعام خيبر المسموم، وأيد البخاري الرواية الصحيحة في عدم أكل النبي ﷺ من طعام خيبر^(١). وفي أيامنا كثيراً ما تقتل الحكومات أعداءها وتضع التهمة على الأبرياء فتقتلهم! إذن من قتل النبي ﷺ في السنة الحادية عشرة؟! سيأتي الجواب في فصل قادم.

٤- ولم يسمح الله تعالى بقتل النبي ﷺ قبل اكتماله القرآن الكريم ورسالة الاسلام ولما اكمل رسالته وابلغ الناس بولاية علي عليه السلام نزل قوله تعالى :
اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً .
وعندها سمح الله تعالى لأعداء النبي ﷺ بقتله فقتلوه .

فدك

كان رجال فدك اليهود قد شاركوا مع رجال خيبر في حرب الأحزاب فحاصروا المدينة واخافوا أهلها ورموها بالنبل .
ولما دنا رسول الله ﷺ من خيبر بعث محيصة بن مسعود إلى فدك يدعوهم إلى الإسلام ويخوفهم أن يغزوهم كما غزا أهل خيبر ويحل بساحتهم فجاءهم محيصة وأقام عندهم يومين فقالوا: بالنظاة عامر وياسر وأسير والحارث وسيد اليهود مرحب ما نرى محمداً يقرب حراهم^(٢)، إن بها عشرة آلاف مقاتل.
قال محيصة: فلما رأيت خبثهم أردت أرحل راجعاً فقالوا نحن نرسل معك رجالاً يأخذون لنا الصلح، ويظنون أن اليهود تمتنع؛ فلم يزالوا كذلك حتى جاءهم خبر قتل أهل حصن ناعم وأهل النجدة منهم، ففت ذلك أعظادهم وقالوا لمحيصة: أكنم عنا ما قلنا لك ولك هذا الحلي وكان كثيراً.
فقال محيصة: بل أخبر رسول الله ﷺ بالذي سمعت منكم. فأخبر النبي ﷺ بما قالوا .
وقدم معه رجل من رؤسائهم يقال له تون بن يوشع في نفر من اليهود، صالحوا رسول

(١) صحيح البخاري ٦٦/٤ دار الفكر - بيروت.

(٢) جناب الرجل يقال إذ ذهب فلا أراك بحري، النهاية ١ / ٢٢٢.

الله ﷺ أن يحقن دماءهم ولرسول الله ﷺ نصف الأرض وبقوا يعملون في النصف الثاني من الأرض على نصف الحاصل^(١).

والرواية الأصح: لما سمع يهود فدك بهزيمة يهود خيبر أمام المسلمين بعثوا إلى النبي ﷺ من يفاوضه على تنازله عن الأرض وما يملكون مقابل حقنه ﷺ دمائهم، واتفقوا معه على بقائهم في الأرض يعملون فيها بنصف الناتج^(٢).

فأصبحت خيبر المفتوحة عنوة للمسلمين، وأضحت فدكاً للرسول ﷺ لأنها أخذت دون حرب. فأعطاه الرسول ﷺ ابنته فاطمة^(٣).

وقال علي^(٤) في خلافته: بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلمته السماء فشحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس قوم آخرين ونعم الحكم الله تعالى^(٥).

ولما جاء أبو بكر إلى السلطة انتزع فدك من فاطمة^(٦) بحديث انكره صحابة رسول الله ﷺ ومفاده قوله: نحن معاشر الأنبياء لا نورث^(٧).

والقرآن يكذب هذا الحديث بقوله تعالى ﴿وورث سليمان داود﴾^(٨).

ورغم ذلك الحديث الكاذب فقد كتب أبو بكر كتاباً في إرجاع فدك لفاطمة^(٩) فرفض عمر ومزق ذلك الكتاب.

واعطى عثمان فدكاً لمروان بن الحكم^(١٠).

واعطاها مروان لابنه عبدالعزیز ووهبها عبد العزيز لابنه عمر ولما وصل عمر بن عبد العزيز إلى الخلافة ردها إلى أهلها الشرعيين فسلمها للإمام علي بن الحسين^(١١) الذي وزع ناتجها على ذرية فاطمة^(١٢).

(١) منازي الواقدي ٧٠٦ / ٢.

(٢) شرح النووي على مسلم ٨٢ / ١٢.

(٣) فضائل الخمسة في الصحاح الستة ١٣٦ / ٣، شرح النهج، المعتزلي ٣٧ / ٤.

(٤) شرح النهج، المعتزلي ٣٧ / ٤.

(٥) سنن البيهقي ٣٠١ / ٦.

(٦) النمل: ١٦.

(٧) سنن البيهقي ٣٠١ / ٦، الغدير ١٩٥ / ٧.

ثم اغتصبها يزيد بن عبد الملك وبقيت بيد الدولة إلى أن ردّها أبو العباس السفاح.
ثم اغتصبها المنصور بعد ثورة عبد الله بن الحسن، ثم أرجعها المهدي العباسي لأهل البيت وأخذها منهم موسى بن المهدي العباسي ثم أعادها المأمون ثم اغتصبها المتوكل^(١).

غزوة وادي القرى

وتقع وادي القرى خارج الحجاز وهي الحدود الشمالية لجزيرة العرب.
وخير رسول الله ﷺ يهود وادي القرى بين الإسلام أو الجزية فإن أسلموا أحرزوا أموالهم ودماءهم، لكنهم رفضوا الإسلام وأصرّوا على الحرب. فحاصروهم أربعة أيام وحاربهم رسول الله ﷺ وانتصر عليهم ولما هزموا أعلنوا الإستسلام فأخذ المسلمون أموالهم وأرضهم، وأبقاهم النبي ﷺ في أرضهم يعملون فيها بنصف حاصلها؛ مثلما فعل مع أهل خيبر.

فكانت سيرة النبي ﷺ مع اليهود تتمثل في قبوله بجزيتهم وبإبقائهم في مناطقهم يعملون فيها مقابل نصف ثمرها. وفي الحصار قتل مولى رسول الله ﷺ مدغم.
ولم يستسلم هؤلاء اليهود إلا بعد قتلى كثيرين أعطوهم في ساحة الحرب قد قتلوا في مبارزات فردية مع المسلمين^(٢).

وسبب إبقاء رسول الله ﷺ هؤلاء في أرضهم يعملون بها هو اعتراف الإسلام بدينهم السماوي. والنبي ﷺ لا يريد إعادة اليهود إلى الشام ثانية ليؤسسوا دولة إسرائيل مرة أخرى. كما أن احترامه لبني البشرية وأصحاب الديانات الأخرى فرض عليه إبقاءهم في أراضهم يعملون فيها.

ولما قتل اليهود مسلماً بعد فتح خيبر لم يكن عند المسلمين دليل فوداه رسول الله ﷺ

(١) السقيفة، أبو بكر الجوهري ١٠٤، شرح النهج ٦ / ١١٠، فتوح البلدان ٣٦، تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٨، السيرة الحنبية ٣٦٣ / ٢.

(٢) مغازي الذهبي ٤٤٢، تاريخ الطبري ٣ / ١٦، نهاية الإرب ١٧ / ٣٦٨، عيون الأثر ٢ / ١٤٤، تاريخ ابن الأثير ٢٢٢ / ٢، سنن البخاري ٧ / ٢٣٥، المستدرک، الحاكم ٣ / ٤٠.

ولم يخرج اليهود من خيبر^(١). وكان كعب الأحبار يرغب في إعادة تأسيس دولة إسرائيل في فلسطين.

ولما جاء عمر بن الخطاب إلى الرئاسة خالف سيرة النبي ﷺ في يهود الحجاز وأخذ يطلب كعب الأحبار المتمثل في إرسالهم إلى الشام موطنهم الأصلي حيث أماراة معاوية بن أبي سفيان، فاعطاهم معاوية الأراضي هناك فقوي أمرهم واشتدّ مكرهم^(٢).

وفي وادي القرى كان الأعراب قد غدروا بسلطان الفارسي المسافر معهم في بداية الهجرة النبوية إلى المدينة فباعوه فيها إلى يهودي ثم باعها ذلك اليهودي إلى يهودي آخر من بني قريظة فقدم به المدينة. ثم أسلم وعاش مائتين وخمسين سنة^(٣).

ولما عرض النبي ﷺ الإسلام أو الجزية على يهود تيماء قبلوا بالأمر الثاني فلم يقع هناك قتال^(٤). وتيماء على بعد ثمانية مراحل من الشام ووادي القرى بينها وبين المدينة.

الدلائل والعبر

بعد مراجعة موضوع غزوة خيبر الذي كتبناه نلاحظ نتائج وحكماً ودلالات مؤثرة منها:

إن رسول الله ﷺ كان يحارب الاطراف كل واحد على حدة وينتقم من الغدرة الذين حاربوه في معركة الخندق الذين هددوا أمن المدينة المنورة باستمرار.

ونجد السرعة الفائقة في الوصول إلى خيبر فلم يستقر المسلمون في المدينة بعد عودتهم من الحديبية الا شهراً واحداً حتى تجهزوا للحرب خيبر.

فرسول الله ﷺ ليس من أهل الرخاء والترف بل هو من أهل الجد والاجتهاد والجهاد. فقد حاول النبي ﷺ الاستفادة من صلحه مع قريش إلى اقصى حد وهو عارف بغدر

(١) مغازي الواقدي ٢ / ٧١٥.

(٢) راجع نظريات الخلفيتين ٢ / ٣٨٧ للمؤلف.

(٣) تحفة الآخوذ في شرح الترمذي ١ / ٢٠٢، المعجم الكبير، الطبراني ٦ / ٢٢٤، دلائل النبوة، الاصبهاني ٤٢

(٤) مغازي الواقدي ٢ / ٧١٠، ٧١١.

قريش وجبروتها، واقصائه يهود خيبر من قائمة الأعداء يضعف قريش ويزيد في قوة المسلمين ففي خيبر المال والسلاح والرجال ووقوع المسلمين بين مكة وخيبر يضعف أمنهم واستقرارهم.

فنجحت خطة الرسول الاعظم ﷺ إذ حاصر خيبر عشرين يوماً فلم تتدخل قريش في المعركة.

واسقرار الجيش الإسلامي بين قبيلة غطفان وخيبر منع غطفان من تقديم العون لليهود. ومن الأمور المهمة الأخرى في خيبر ارسال النبي ﷺ لثلاثة قيادات للمعركة متمثلة في أبي بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم.

والشخصيتان الأولى والثانية تمثلان مشروع القيادة الخائفة والضعيفة الموصوفة في الكتب: بالجبن، فالواحد منهم مع جيشه يجهلون ويجهلونونه^(١).

وكانت معركة خيبر أكبر فضيحة لمشروع القيادة الفاشلة فانتشرت الاخبار في صفوف المسلمين واليهود والمناطق المجاورة بهزيمة المسلمين في يومين متوالين بزعامة أبي بكر وعمر.

فضعفت معنويات المسلمين وقويت معنويات اليهود وكادت الحرب تنتهي بهزيمة الموحدين.

وترقب اليهود مجيء قائد جبان ثالث إلى أرض المعركة ليهزموه وعلت معنويات الجيش الخيبري إلى درجة خروجهم من حصنهم وإحراقهم الهزيمة بالأنصار. وبلغوا خيمة النبي ﷺ.

وعندها نادى خاتم الأنبياء: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه كراار ليس بفرار فلما أصبح أرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فخرج أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بروحيته العالية وتوكله على القدرة الأحادية فقتل بطل اليهود وقائدها الحارث أخا مرحب ثم قتل القائد الثاني ياسراً.

(١) مجمع الزوائد، ابن حجر ٩ / ١٢٤، تلخيص المستدرک ٢ / ٣٧٦، المستدرک، الحاكم ٣ / ٣٧، سنن البخاري ٤ /

فاضطر ملك اليهود وبطلهم الأكبر مرحب اليهودي للنزول إلى أرض المعركة متمنياً الحاق الهزيمة بالمسلمين كما الحقوها بالقائدين السابقين أبي بكر وعمر.

وما إن جال مرحب في ميدان الحرب حتى طلع إليه بطل المسلمين وقائد الغر المحيامين يوم القيامة علي بن أبي طالب عليه السلام فضربه ضربة قاصمة حطم فيها خوذته الحديدية والحجر وجمجمته فاستقر ذو الفقار في أسنانه ^(١)!

فكبر المسلمون وانهزم اليهود إلى حصونهم خائفين ومصرين على عدم الخروج لحرب المسلمين.

وعندها هجم عليهم الإمام علي عليه السلام واقتلع باب حصنهم المنيع وقتلهم في أوكارهم ومأمنهم فاستسلموا خائفين مرعوبين مدحورين فتحقق النصر للمسلمين.

فبينت هذه المعركة فائدة القيادة الشجاعة وأهميتها، في القتال تلك القيادة المعتمدة على الله تعالى كما قال علي عليه السلام: بعد قلعه باب خيبر ما قلعت باب خير بقوة جسمانية ولكن بقوة إلهية ^(٢).

فعرف المسلمون أن القيادة الذائبة في الله تعالى هي المنتصرة والقيادة الأخرى هي الفاشلة والخائبة.

فارتفع نجم علي عليه السلام وانخفضت منزلة أبي بكر وعمر في نظر المسلمين إلى درجة ملحوظة خاصة وانهما تعرضا لانتكاستين مرّتين في فترة زمنية متقاربة مرّة في الحديبية ومرّة في خيبر.

وكانت نتيجة المعارك عدم اقدام أبي بكر وعمر وعثمان على قتل أي مشرك قرشي ويهودي، وهذا الأمر كان من دواعي حقد قريش واليهود على محمد عليه السلام وعلي عليه السلام وحبّهم لأبي بكر وعمر.

وبالإضافة إلى حديث المنزلة الإلهية الذي قاله رسول الله ﷺ في علي عليه السلام فقد تحققت

(١) سنن مسلم ٣ / ١٤٤١.

(٢) تاريخ الخميس ٢ / ٥١.

معجزة لعلي عليه السلام بهرت العقول تثلت في رد الشمس كرامة من الله تعالى لوصي المصطفى.
فقد وقفت الشمس ليوشع عليه السلام وصي موسى عليه السلام وارتدت لوصي محمد عليه السلام
عليه السلام. فكانت قضية رد الشمس أعظم معجزة نبوية تحققت باسم علي عليه السلام لم يذكر لها
التاريخ من نظير. فتأثر العلماء الأكابر بها وألف السيوطي كتاباً خاصاً في هذا المجال.
وبيّنت معركة خيبر هزيمة الغدر وانتصار الحق ولكن بشروط:
ألا وهي حب المسلم لله ورسوله وحب الله ورسوله له.
والاندفاع في سبيل الله تعالى دون خوف من الموت وجعل الإسلام فوق القومية
والقبلية وغيرها.

ومن القضايا الاخلاقية استمرار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الاعتراف بهم كأصحاب دين
سماوي رغم ما فعله اليهود من موبقات إذ أبقاهم في اراضيهم يزرعون على النصف بناءً
على طلبهم. أي أخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أموالهم وأرضهم ولم يأخذ نساءهم وأطفالهم.
وما أوجدوه لاحقاً من وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإخراج اليهود إلى الشام ما هو إلا رواية
زائفة اوجدها زعيم اليهود كعب الأحبار^(١).

واظهرت معركة خيبر فرح قريش بانتصار اليهود المزعوم وهزيمة المسلمين!، وتكررت
هذه الواقعة في معركة حنين، رغم اسلام قريش الظاهري فإنهم كانوا يتمنون انتصار
هوازن على المسلمين إذ قال أبو سفيان: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر^(٢).

(١) راجع كتاب، نظريات الخلفيتين، للمؤلف ج ٢ باب اليهود.

(٢) تاريخ يعقوبي ٤٧ / ٢.



مرکز تحقیقات کلامی و فقهی اسلامی

باب

احداث ما قبل فتح مکه





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

معاهدة النبي ﷺ للنصارى

وفد نصارى نجران

جاء نصارى نجران إلى المدينة لمحااجة رسول الله ﷺ بمعتقداتهم من بنوة نبيهم عيسى عليه السلام (والعياذ بالله تعالى)، فردّهم رسول الله ﷺ في كتابه بهاتين الآيتين:

﴿إِنْ مَثَلٌ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ، فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١)

ووفد نصارى نجران ستون راكباً، فيهم أربعة عشر رجلاً من اشرافهم يؤول أمرهم إليهم والعاقب عبدالمسيح رئيسهم والسيد الأيهم عالمهم وأبو حارثة أسقفهم.

فقالوا: إِنَّ عِيسَى ابْنُ اللَّهِ وَثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ، وَإِلَّا فَمَنْ أَبُوه يَا مُحَمَّد؟

فنزلت سورة آل عمران وأمر الله سبحانه نبيه بملاعتهم^(٢). وبعد يوم من المدارس

والمناقشة مع رسول الله ﷺ رضوا بالمباهلة مع رسول الله ﷺ.

قال اليعقوبي: «فلما أصبحوا قال أبو حارثة: انظروا من جاء معه، وغدا رسول الله آخذاً بيد الحسن والحسين تتبعه فاطمة وعلي بن أبي طالب بين يديه وغدا العاقب والسيد بابنين

(١) آل عمران ٥٩ - ٦١.

(٢) تفسير ابن كثير ٥٧٩/١، ٥٨١.

لها عليها الدر والحلي وقد حقوا بأبي حارثة.

فقال أبو حارثة: مَنْ هؤلاء معه؟

قالوا: هذا ابن عمه وهذه ابنته، وهذان ابناها.

فجثا رسول الله ﷺ على ركبتيه ثم ركع.

فقال أبو حارثة: جثا والله كما يحثو النبيون للمباهلة.

فقال له السيد: أدنُ يا أبا حارثة للمباهلة.

فقال أبو حارثة: إني أرى رجلاً حرياً على المباهلة وأني أخاف أن يكون صادقاً، فإن

كان صادقاً لم يحل الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الطعام.

وقال أبو حارثة: يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من

مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا. والمباهلة حدثت في ٢٤ ذى الحجة.

فقال أبو حارثة: يا أبا القاسم لا نباهلك ولكننا نعطيك الجزية.

فصالحهم رسول الله ﷺ على ألفي حلة من حُلل الاواق، قيمة كل حلة اربعون درهماً،

وثلاث وثلاثين درعاً عادية وثلاث وثلاثين بعيراً وأربع وثلاثين فرساً غازية.

وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من النبي محمد ﷺ لتجران وحاشيتها إذ كان له عليهم حكمه في كل بيضاء

وصفراء وثمره ورقيق كان أفضل ذلك كله لهم غير ألفي حلة من حُلل الاواق قيمة كل حلة

أربعون درهماً، فما زاد أو نقص فعلى هذا الحساب ألف في صفر وألف في رجب، وعليهم

ثلاثون ديناراً مثواه رسلي شهراً فما فوق.

وعليهم في كل حرب كانت باليمن دروع عارية مضمونه لهم بذلك جوار الله وذمة محمد،

فمن أكل الربا منهم بعد عامهم هذا فذمتي منه بريئة.

فقال العاقب: يا رسول الله إنا نخاف أن تأخذنا بجنابة غيرنا.

فكتب النبي ﷺ: ولا يؤخذ أحد بجنابة غيره.

شهد على ذلك عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، وكتب علي بن أبي طالب.

فلما قدموا نجران أسلم الأيهم وأقبل مسلماً^(١).

قال الفخر الرازي: هذه الآية ﴿ندعُ أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم﴾ دالة على أنَّ الحسن والحسين ابنا رسول الله ﷺ، ويؤكد هذا قوله تعالى: ﴿ومن ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وسليمانَ... وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾^(٢).

ومعلوم أن عيسى عليه السلام إنما ينتسب إلى إبراهيم عليه السلام بالأب، فثبت أن ابن البنت قد يسمى ابناً، والحسن والحسين عليه السلام ينتسبان إلى النبي ﷺ من الأم^(٣).

قال الشعبي: أراد الحجاج قتل فقيه خراسان عيسى بن يعمر لزعيمه أن الحسن والحسين عليه السلام من ذرية رسول الله ﷺ قائلاً:

لتأتيني بها واضحة بينة من كتاب الله أو لأقطعنك عضواً عضواً.

فقال: آتيك بها واضحة بينة من كتاب الله يا حجاج؛ فقال الآية السابقة.

فقال الحجاج: كأنني لم اقرأ هذه الآية من كتاب الله^(٤).

ورغم هذا القول القرآني الفصل والكلام السأوي المحكم في فضل أهل البيت عليه السلام لم يذكر البعض أهل البيت في شرحهم على حادثة المباهلة حسداً لهم وذكروا بدلاً عنهم زيفاً لا أصل له يتمثل في إرساله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح مع النصاري ووصفه ﷺ له القوي الأمين^(٥). والصحيح أن الأمين من صفات رسول الله ﷺ!

والنصارى لم يسلموا، فلماذا يرسل معهم ﷺ شخصاً يفقههم في الدين!، وقد اتفقوا مع النبي ﷺ على إعطاء الجزية واشتراط إبقائه ﷺ لهم على النصرانية^(٦).

لقد أراد الأمويون إبعاد الأنظار عن أهل البيت عليه السلام في قضية المباهلة وحرّفها إلى ابن

(١) تاريخ اليعقوبي ٨٢/٢، ٨٣.

(٢) الأنعام ٨٤.

(٣) الأنعام ٨٤، ٨٥ تفسير الزمخشري ٤٣٤/١، تفسير الفخر الرازي ٨٠/٨ - ٨١ الدر المنثور ٣١١/٣، تفسير

الخازن ٢٤٣/١، دلائل النبوة، أبو نعيم ٢٩٨، ٢٩٩، نور الابصار، الشبلنجي ١١١.

(٤) المصدر السابق.

(٥) تفسير ابن كثير ٥٧٩/١، ٥٨١.

(٦) تفسير ابن كثير ٥٧٨/١.

الجراح حفار قبور المهاجرين الذي امتنع عن حفر قبر رسول الله ﷺ بعد موته ﷺ! (١).
فهل هو أمين؟

وأهل البيت ﷺ ذرية الرسول ﷺ وإبراهيم عليه السلام، وقال الله تعالى في ذرية إبراهيم:
﴿وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب﴾ (٣).
ونقض زعماء نجران لاحقاً اتفاقهم مع النبي ﷺ فكاتبوا الأسود العنسي وسلموه خالد
بن سعيد بن العاص (والي النبي ﷺ على اليمن) وعمرو بن حزم (٤).

غزوة ذات السلاسل

لقد تجمعت عدة قبائل من شمال جزيرة العرب للهجوم على المدينة المنورة لقتل رسول
الله والمسلمين. ويقال لوادهم الوادي اليابس أو وادي الرمل وبينه وبين المدينة عشرة أيام
وفيها قبيلة قضاة. وقال خليفة في تاريخه عن أرضهم هي عين بأرض جذام (٥).
واستخدم الروم بني قضاة على بادية العرب وكان لهم ملك ما بين الشام والحجاز (٦).
وفي تلك المنطقة ناس من بني عذرة وبلي وقبائل من اليمن (٧).
وكانت تلك الحادثة في السنة الثامنة للهجرة في شهر صفر وسميت المعركة بذات
السلاسل لان الامام علياً عليه السلام جاء بالأسرى مربطين بالحبال والسلاسل. واستخلف
النبي ﷺ على المدينة سعد بن عباد (٨).

(١) تاريخ الطبري ٤٥٢/٢.

(٢) العنكبوت ٢٧.

(٣) الحديد ٢٦.

(٤) تاريخ ابن الوردي ١/ ١٣٣.

(٥) طبقات ابن سعد ٢/ ١٣١، تاريخ خليفة ٥١، البحار ٢١/ ٧٥.

(٦) معجم قبائل العرب، عمر كحالة ٣/ ٩٥٨.

(٧) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٧٥.

(٨) السقيفة، أبو بكر الجوهري ٤٨.

فعن الامام أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : ﴿والعاديات ضبحاء فالموريات قدحاً﴾، قال هذه السورة نزلت في أهل وادي اليابس.

قلت له وما كان حالهم وقصتهم؟

قال ان اهل وادي اليابس اجتمعوا اثني عشر الف فارس وراجل وتعاهدوا وتعاهدوا وتواثقوا على ان لا يتخلف رجل عن رجل ولا يخذل احداً واحداً ولا يفر رجل عن صاحبه حتى يموتوا كلهم على حلف واحد او يقتلوا محمد ﷺ وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما.

فنزل جبرئيل ﷺ على محمد ﷺ وأخبره بقصتهم وما تعاهدوا عليه وتواثقوا، وأمره ان يبعث ابا بكر اليهم في اربعة آلاف فارس من المهاجرين والأنصار:

فصعد رسول الله ﷺ المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «يا معشر المهاجرين والأنصار إن جبرئيل أخبرني أن أهل وادي اليابس اثنا عشر الف فارس وراجل قد استعدوا وتعاهدوا وتعاهدوا ان لا يغدر رجل بصاحبه ولا يفر عنه ولا يخذله حتى يقتلوني وأخي علي بن ابي طالب وأمرني أن أسير اليهم ابا بكر في اربعة آلاف فارس فخذوا في أمركم واستعدوا لعدوكم وانهمضوا إليهم على اسم الله وبركته في يوم الاثنين إن شاء الله تعالى».

فأخذ المسلمون عدتهم وتهيئوا وأرسل رسول الله ﷺ أبا بكر بأمره وكان فيما أمره به أنه إذا رآهم أن يعرض عليهم الإسلام فإن تابعوه وإلا واقعهم فيقتل مقاتليهم ويسبي ذراريهم ويستبيح أموالهم ويحرب ضياعهم وديارهم، ففضى أبو بكر ومن معه من المهاجرين والأنصار في أحسن عدة وأحسن هيئة يسير بهم سيراً رفيقاً حتى انتهوا إلى وادي اليابس، فلما بلغ القوم نزول أبي بكر وأصحابه قريباً منهم، خرج اليهم من أهل وادي اليابس مائتا رجل مدججين بالسلاح، فلما صادفوه قالوا لهم:

من أنتم ومن أين أقبلتم وإلى أين تريدون؟ ليخرج إلينا صاحبكم حتى نكلمه. فخرج اليهم أبو بكر في نفر من أصحابه المسلمين فقال لهم: أنا أبو بكر صاحب رسول الله.

قالوا ما أقدمك علينا؟

قال أمرني رسول الله ﷺ أن أعرض عليكم الأسلام فإن تدخلوا فيما فيه المسلمون لكم

ما لهم وعليكم ما عليهم وإلا فالحرب بيننا وبينكم.

قالوا له: والللات والعزى لولا رحم بيننا وقرابة قريبة لقتلناك وجميع أصحابك قتلة تكون حديثاً لمن يكون بعدكم فارجع أنت ومن معك وأرجعوا العافية فإننا إنما نريد صاحبكم بعينه وأخاه علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقال أبو بكر لأصحابه: يا قوم! القوم أكثر منكم أضعافاً وأعد منكم وقد ناءت دياركم عن اخوانكم من المسلمين فارجعوا نعلم رسول الله ﷺ بحال القوم.

فقالوا له جميعاً خالفت يا أبا بكر قول رسول الله ﷺ وما أمرك به فاتق الله وواقع القوم ولا تخالف رسول الله ﷺ.

فقال إني أعلم ما لا تعلمون الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فانصرف وانصرفوا اجمعون، فأخبر رسول الله ﷺ بمقالة القوم وما رد عليهم أبو بكر.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبا بكر خالفت أمري ولم تفعل ما أمرتك به وكنت لي والله عاصياً فيما أمرتك به فقام النبي ﷺ وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشر المسلمين أمرت أبا بكر أن يسير إلى أهل وادي اليباس وأن يعرض عليهم الإسلام ويدعوهم إلى الله فإن أجابوه وإلا واقعهم، وإنه سار إليهم فخرج منهم مائتا رجل فلما سمع كلامهم وما استقبلوه به انتفخ صدره ودخله الرعب منهم وترك قولي ولم يطع أمري، وإن جبرئيل أمرني عن الله أن ابعث إليهم عمر مكانه في أصحابه في أربعة آلاف فارس فسر يا عمر على اسم الله ولا تعمل كما عمل أخوك فإنه قد عصى الله وعصاني وأمره بما أمر به الأول.

فخرج وخرج معه المهاجرون والانصار الذين كانوا مع الأول يقتصد بهم في سيرهم حتى شارب القوم وكان قريباً منهم بحيث يراهم ويرونه وخرج إليهم مائتا رجل فقالوا له ولأصحابه مثل مقاتلتهم للأول فانصرف الناس معه وكاد أن يطير قلبه مما رأى من عدة القوم وجمعهم ورجع هارباً منهم.

فنزل جبرئيل عليه السلام فأخبر محمداً ﷺ بما صنع هذا وإنه قد انصرف وانصرف المسلمون

فصعد النبي ﷺ المنبر فحمد الله وأثنى عليه وأخبر بما صنع هذا وما كان منه وإنه قد أنصرف وأنصرف المسلمون معه مخالفاً لأمر عاصياً لقولي، فقدم عليه فأخبره مثل ما أخبره به صاحبه.

فقال له يا عمر عصيت الله في عرشه وعصيتني وخالفت قولي وعملت برأيك ألا قبح الله رأيك^(١).

وقال معظم المؤرخين: وفي السنة الثامنة للهجرة في شهر صفر كان قد أسلم عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة^(٢). والصحيح أسلم عثمان بن طلحة في فتح مكة. وقد خلط العلماء بين عثمان بن أبي طلحة الذي قتله الإمام علي عليه السلام في معركة بدر وابن أخيه عثمان بن طلحة حاجب الكعبة عند فتح مكة^(٣).

ولما سيطر المسلمون على خيبر وأصبحت دولتهم غنية وكبيرة رغب الإنتهازيون في دخول الإسلام. اذ قال عمرو: لما أنصرفنا مع الأحزاب (المخندق) قلت لأصحابي: إني أرى أمر محمد يعلو علواً منكرأ^(٤). وبسبب ذلك العلو والانتصار الإلهي على يهود قريظة وخيبر وتشكيل دولة إسلامية قوية، وتراجع قريش المتوالي فقد قرر البعض دخول الإسلام، فكان دخولهم طمعاً في المغنم^(٥).

وفي هذه السنة أرسل النبي ﷺ عمرو بن العاص قائداً ورئيساً لأبي بكر وعمر وابن عوف في حملة ذات السلاسل^(٦) بعد فشلها في الحملتين السابقتين.

إذ أرسل النبي ﷺ جيشاً مدداً لجيش عمرو بن العاص بقيادة ابن الجراح فيه أبو بكر وعمر. وعندها رفض هؤلاء الثلاثة الإنضواء تحت قيادة ابن العاص الداخل في الإسلام

(١) تفسير القمي ٢ / ٣٤٣، تفسير فرات الكوفي ٥٩٢، بحار الأنوار ٢١ / ٧٦، الاستغاثة، أبو القاسم الكوفي ٢ / ٢٨.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٣٠، وذكر إسلام عثمان بن طلحة معهم لكنه من أكاذيب الحزب القرشي لأنه كان في فتح مكة كافراً، البحار ٢١ / ١١٦، تاريخ الخميس ٢ / ٨٧.

(٣) المستدرک ٣ / ٤٢٨، تفسير القمي ١ / ١١٣.

(٤) المصدر السابق.

(٥) وكان عمرو بن العاص دميماً قسيراً شبيهاً بأبي حفيان، شرح النهج، المعتزلي ٦ / ٢٨٣ محارباً عنيداً لله ورسوله لاهناً خلف الدنيا إلى يوم مصرعه بيد معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٣ هجرية، أثناء صراعهما على السلطة.

(٦) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٣٢.

جديداً، لكن ابن العاص حكمهم بأنهم مدد له ليس إلا فرضخوا لقوله.

ومنزلتهم في هذه الحملة تبين منزلتهم الاجتماعية، والسياسية في ذلك الوقت والصراع على السلطة بين هؤلاء الأربعة وغيرهم من قريش كان واضحاً منذ ذلك الوقت لذا أوصى النبي ﷺ عمرو بن العاص وأبن الجراح ألا يختلفا.

لكنهم اختلفوا مرة بين ابن العاص وابن الجراح ومرة بين ابن العاص وعمر بن الخطاب. إذ أشعل عمر بن الخطاب النار ليلاً فانتهره ابن العاص^(١) وردّ عليه عمر تعبيراً عن رفض قيادته، وأسرع أبو بكر إلى تهدئة الحال بينهما^(٢).

وقد قُتل هؤلاء الأربعة بيد بعضهم البعض لاحقاً أثناء صراع الحزب القرشي على السلطة^(٣).

وفي تلك الحملة كان عمرو بن العاص اماماً للصلاة يصلي خلفه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وآخرون، وكان يصلي بهم جنباً^(٤). وبعد وصول عمرو بن العاص بالمسلمين إلى أرض المعركة انهزم من الأعداء وفرّ فراراً منكراً^(٥).

ومن دلائل النبوة للرسول ان عمرو بن العاص افتخر بلوائه المذكور في معركة صفين قائلاً: هذا لواء عقده رسول الله ﷺ.

فقال علي عليه السلام عندما عقد رسول الله ﷺ لواءه لابن العاص قال له: لا تفر من كافر. ولا تقاتل به مسلماً. فقد فرّ به من الكافرين في حياة رسول الله ﷺ (ذات السلاسل)، وقد قاتل به المسلمون اليوم^(٦).

فقال رسول الله ﷺ: ان جبرئيل عليه السلام قد أمرني ان أبعث علي بن ابي طالب في هؤلاء

(١) متهما اياه بتبنيه الاعداء.

(٢) أخرجه الذهبي في التلخيص.

(٣) راجع كتاب إغتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة للمؤلف.

(٤) التنبيه والاشراف ٢٢١، عيون الأثر ١٧٤ / ٢، دلائل النبوة، البيهقي ٤ / ٤٠٢، البداية والنهاية ٤ / ٣١٣.

(٥) بحار الانوار ٢١ / ٧٦، تفسير القمي ٢ / ٤٣٥.

(٦) الاخبار الطوال، أبو حنيفة الدينوري ١٧٤.

المسلمين واخبرني ان الله يفتح عليه وعلى أصحابه.

فدعا علياً وأوصاه بما أوصى به الأول والثاني وأصحابه الأربعة آلاف فارس وأخبره ان الله سيفتح عليه وعلى أصحابه^(١). وتعصب علي عليه السلام بعصاة وكانت لعلي عليه السلام عصاة لا يتعصب بها حتى يبعثه النبي ﷺ في وجه شديد^(٢).

فخرج علي عليه السلام ومعه المهاجرون والانصار فصار بهم سيراً غير سير أبي بكر وعمر وذلك انه اعنف بهم في السير حتى خافوا ان ينقطعوا من التعب وتحفى^(٣) دوابهم فقال لهم: لا تخافوا ان رسول الله ﷺ قد أمرني بأمر وأخبرني ان الله سيفتح علي وعليكم فابشروا فانكم على خير وإلى خير، فطابت نفوسهم وقلوبهم وساروا على ذلك السير والتعب حتى إذا كانوا قريباً منهم حيث يرونهم ويأمر أصحابه ان ينزلوا.

وسمع أهل وادي الياض بقدم علي بن أبي طالب وأصحابه فخرجوا اليه منهم مائتا رجل شاكين بالسلاح، فلما رأهم علي عليه السلام خرج إليهم في نفر من أصحابه فقالوا له من اين انتم ومن اين اقبلتم واين تريدون؟ ثم خرج إليهم رسول الله ﷺ وقال: أنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ وأخوه ورسوله اليكم، أدعوكم إلى شهادة أن لا إله الا الله وان محمداً رسول الله ولكم ان آمنتم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم من خير وشر.

فقالوا له إياك أردنا وانت طلبتنا قد سمعنا مقاتلتك وما عرضت علينا، هذا ما لا يوافقنا فخذ حذرک واستعد للحرب العوان^(٤) واعلم اننا قاتلوك وقاتلوا اصحابك والموعود فيما بيننا وبينك غداً ضحوة، وقد أعذرنا فيما بيننا وبينكم.

فقال لهم: عليه السلام: ويلكم! تهددوني بكثرتكم وجمعكم! فأنا أستعين بالله وملائكته والمسلمين عليكم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

(١) الإستغاثة ٢ / ٢٨، تفسير القمي ٢ / ٤٣٥.

(٢) بحار الانوار ٢١ / ٨١.

(٣) حفي الفرس انقشر حافره.

(٤) الحرب العوان: الحرب التي قوتل فيها مرة بعد اخرى.

فانصرفوا إلى مراكزهم وانصرف علي عليه السلام إلى مركزه فلما جنة الليل أمر أصحابه ان يحسنوا إلى داوهم ويقضموها ويسرجوا^(١) فلما انشق عمود الصبح جاء بالناس بغلس^(٢) ثم أغار عليهم بأصحابه فلم يعلموا حتى وطأتهم الخيل فيما أدرك آخر أصحابه حتى قتل مقاتليهم وسبي ذراريهم واستباح أموالهم وخرب ديارهم وأقبل بالأسارى والأموال معه وجاء جبرئيل فأخبر رسول الله ﷺ بما فتح الله لعلي عليه السلام وجماعة المسلمين فصعد رسول الله ﷺ المنبر فحمد الله وأثنى عليه وأخبر الناس بما فتح الله عليه للمسلمين وأعلمهم انه لم يصب منهم إلا رجلين ونزل.

فخرج يستقبل علياً عليه السلام في جميع أهل المدينة من المسلمين حتى لقيه على ثلاثة أميال من المدينة.

فلما رآه علي عليه السلام مقبلاً نزل عن دابته ونزل النبي ﷺ حتى التزمه وقبل ما بين عينيه، فنزل جماعة المسلمين إلى علي عليه السلام حين نزل رسول الله ﷺ وأقبل بالغنيمة والأسارى^(٣). فأقام المسلمون له صفين وقال له الرسول ﷺ: يا علي لولا أني اشفق أن تقول فيك طوائف ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمر بملاً منهم إلا أخذوا التراب من تحت قدميك^(٤).

والظاهر ان النبي ﷺ خرج في الحملة وتتركز في منطقة ثم أرسل أبا بكر وعمر وعمر بن العاص على التوالي ثم أرسل علياً عليه السلام وعاد هو إلى المدينة لمعرفته بفتح المنطقة على يديه.

فلما نظر رسول الله ﷺ إلى الأسرى موثقين بالحبال والسلاسل التفت إلى علي عليه السلام قائلاً: يا أبا الحسن اقطع الحبال والسلاسل فاني لا أستطيع ان أراهم موثقين وان كانوا

(١) القضم: الأكل بأطراف الاسنان شيئاً يابساً، والمعنى ان يقضوا ليهم في رعاية الدواب وأكل الطعام اليابس ليكون له صوت عند الأكل لكي لا يهجم عليهم العدو غيلة. ويسرجوا اي يسرجوا السراج.

(٢) الغلس بالتحريك: ظلمة آخر الليل.

(٣) تفسير القمي ٢ / ٤٣٧، تفسير البرهان ٤ / ٤٩٨، تأويل الآيات، الحسيني ٢ / ٨٤٤، بحار الانوار ٢١ / ٦٨ - ٧٤.

شجرة طوبى، عباس القمي ٢ / ٢٩٥.

(٤) بحار الانوار ٢١ / ٨٢.

مشركين^(١).

وقتل علي عليه السلام منهم مائة وعشرين رجلاً وكان رئيس الأعداء الحارث بن بشر وسبي منهم مائة وعشرين ناهداً^(٢).

وقد سعى رجال الحزب القرشي إلى حذف الشطر الأول والاخير من رواية الغزوة والابقاء على حملة ابن العاص!

بحيث اعطوا منقبة الفتح لابن العاص المهزوم في المعركة رغم ان الآية القرآنية فضحته ﴿ان الانسان لربه لكنود﴾^(٣).

فالكنود هو المحسود وهو عمرو بن العاص^(٤).

غزوة مؤتة

وهي أول غزوة اسلامية للشام جاءت بعد مقتل سفير النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحارث بن عمير الازدي إلى ملك بصرى جبيل بن عمرو الغساني يد جبيل. وكان جيش مؤتة ثلاثة آلاف مسلم، والروم في مائة ألف رجل.

قال اليعقوبي: ووجه جعفر بن أبي طالب أي أميراً وزيد بن حارثة وعبدالله بن رواحة في جيش إلى الشام لقتال الروم سنة ٨ هجرية^(٥) وروى بعضهم أنه قال: أمير الجيش زيد بن حارثة، فإن قُتل زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب، فإن قُتل جعفر بن أبي طالب فعبدالله بن رواحة، فإن قتل عبدالله بن رواحة فليرتضي المسلمون من أحبّوا. والصحيح كان جعفر المقدّم ثم زيد بن حارثة ثم عبدالله بن رواحة.

وصار جعفر إلى موضع يقال له مؤتة في فلسطين على مرحلتين من بيت المقدس. وقيل بانه وادي من الشام من البلقاء من أرض دمشق.

(١) شجرة طوبى ٢ / ٢٩٧.

(٢) تفسير فرات ٢٢١، ٢٢٢.

(٣) العاديات ٦.

(٤) بحار الانوار ٢١ / ٧٧.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٦٥.

فأخذ الراية جعفر فحارب فقطعت يده اليمنى فقاتل باليسرى فقطعت يده اليسرى ثم ضرب وسطه، ثم أخذ زيد الراية فقاتل حتى قُتل، ثم أخذها عبدالله بن رواحة فقتل. فرفع لرسول الله كلّ خفض، وخفض له كلّ رفع حتى رأى مصارعهم؛ ونعاهم رسول الله فقال: أنبت الله لجعفر جناحين من زبرجد يطير بهما في الجنة حيث يشاء. ولقب بذي الجناحين لقطع يديه في معركة مؤتة^(١).

وانكر بعضهم حديث طيران جعفر مع الملائكة في الجنة وقال: الروح عرض لا يجوز أن يتنعم.

وهذا لا يصح لأن الروح جسم رقيق هوائي مأخوذ من الريح، ويدل على ذلك أنه يخرج من البدن ويرد إليه وهي الحساسة الفعالة دون البدن^(٢).

وجعفر ابن احدى واربعين سنة فهو أسن من امير المؤمنين علي عليه السلام بعشر سنين^(٣) وكان غاية في الجود.

فقال شاعر من المسلمين رجع من معركة مؤتة سالماً:

كفى حزناً أني رجعت وجعفر وزيد وعبدالله في رمل أقبر

قضوا نحبهم لما مضوا لسبيلهم وخلفت للبلوى مع المتغير^(٤).

وقال عليه السلام: على جعفر فلتبك البواكي؛ وتأمر خالد بن الوليد على الجيش^(٥).

قالت أسماء بنت عميس الخثعمية، وكانت امرأة جعفر وأمّ ولده جميعاً: دخل عليّ رسول الله، ويدي في عجين، فقال: يا أسماء أين ولدك؟

فأتيته بعبدالله ومحمد وعون، فأجلسهم جميعاً في حجره وضّهم إليه ومسح على رؤوسهم ودمعت عيناه.

(١) الجوهرة، التاهبستاني ٢٠.

(٢) تفسير الطبرسي ٢ / ٤٤٢.

(٣) الدرجات الرفيعة ٧٥.

(٤) سيرة ابن هشام ٣ / ٨٣٩.

(٥) تاريخ يعقوبي ٢ / ٦٥ / ٦٦، مغازي الواقدي ٢ / ٧٥٥، الدرجات الرفيعة ٧٥، يتابع المودة ٣ / ١٥٠، مغازي

الذهبي ٤٧٩، نهاية الإرب ١٧ / ٢٧٧.

فقلت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله! لم تفعل بولدي كما تفعل بالأيتام؟ لعله بلغك عن جعفر شيء؟

فغلبته العبرة وقال ﷺ: رحم الله جعفرًا!

فصحت: وا ويلاه وا سيّده! فقال: لا تدعي بويل ولا حرب، وكلّ ما قلت فأنت صادقة. فصحت: واجعفراه! وسمعت صوتي فاطمة بنت رسول الله، فجاءت وصاحت: وابن عمّاه! فخرج رسول الله يجرّ رداءه ما يملك عبرته، وهو يقول على جعفر فلتبك البواكي.

ثم قال يا فاطمة اصنعي لعيال جعفر طعاماً فإنهم في شغل، فصنعت لهم طعاماً ثلاثة أيّام، فصارت سنة في بني هاشم^(١).

وقال موسى بن عقبة في مغازيه: ثم اصططح المسلمون على خالد بن الوليد فهزم الله العدو وظهر المسلمين فقال العمد بن كثير: ويمكن الجمع بان خالداً حاز المسلمين وبات ثم أصبح وقد غير حياة العسكر فجعل الميمنة مسيرة والميسرة ميمنة ليتوهم العدو أن مدداً قد جاء المسلمين فحمل عليهم خالد فولوا فلم يتبعهم ورأى الرجوع بالمسلمين هي الغنيمة الكبرى^(٢) ولما دنوا من المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ ولقيهم الصبيان يسرعون فقال ﷺ: خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر، فأتي بعبد الله فاحمله بين يديه. وجعل الناس يصيحون بالجيش: يا فرّار فررتم في سبيل الله.. فيقول رسول الله ﷺ: ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى وكان الفارق العددي بين الجيشين كثيراً جداً^(٣).

أراد رسول الله ﷺ بعد إنتصاراته المتكررة أمام عرب الجاهلية واليهود فتح جبهة جديدة للمسلمين ألا وهي جبهة الروم، قبل أن تفتح الروم نفسها هذه الجبهة فيكون أقوى لمعنويات المسلمين.

(١) تاريخ الطبري ٣١٨/٢ - ٣٢٢، تاريخ البعقوبي ٦٥/٢، ٦٦، تاريخ ابن الأثير ٢٣٤/٢ - ٢٣٨، مغازي الواقدي ٧٥٥/٢ - ٧٦٩.

(٢) فتح الباري ٧/٣٦١، ٣٦٢.

(٣) سيرة ابن هشام ٣٧٥/٢، طبقات ابن سعد ١٧٥/٣.

وثانياً بيان الحكم الشرعي في امكانية محاربة أهل الكتاب واجبارهم على دخول الإسلام أو دفع الجزية. أما الكفار فقد بين رسول الله ﷺ امكانية حربهم واجبارهم على دخول الإسلام وعدم القبول بالجزية.

وكانت العرب تخاف خوفاً شديداً من دولة الروم لقدرتها العظيمة في العدة والعدد وقدرتها الاقتصادية الهائلة.

وعرب الحجاز كانوا أضعف من عرب الشام التابعين للروم بينما أقدم رسول الله ﷺ على غزو الروم وتابعيهم من العرب!

وهذا لم يكن ليأتي في ذهن هؤلاء فبت الرعب في قلوبهم وقلوب القرشيين وزلزل الأرض تحت أقدامهم. وكان نتيجة ذلك نجاح رسول الله ﷺ في فتح مكة بعد شهرين من هذه الحادثة دون حرب ولا دماء!

وثبت النبي ﷺ بعمله هذا نظرية الفتوحات الخارجية وأعقبها بحملة تبوك التي قادها بنفسه إلى الشام.

ثم أمر بحملة أسامة بن زيد إلى الشام أيضاً إلى الأرض التي قُتل فيها أبوه وجعفر بن أبي طالب للانتقام من الروم ومن عرب الشام فقتل النبي ﷺ قبل تحرك قواته من المدينة.

لقد سيطر رسول الله ﷺ في حدود عشر سنوات على جزيرة العرب ثم ذهب إلى الشام غازياً مما يبين القدرة الفذة له ﷺ في إدارة البلاد! عسكرياً وإدارياً واقتصادياً واجتماعياً.

الدلائل والعبير

أود أن أحرر هذه الاسطر في هذا الموضوع:

غزوة مؤتة فيها دلالات وعبير كثيرة منها توكل النبي ﷺ على الله تعالى وعدم خوفه من القوى العظمى.

والروم في ذلك الوقت إحدى القوتين العظميين في العالم والقوة الثانية هي دولة الفرس. وقد انبهرت عقول قريش من غزو رسول الله ﷺ للروم لأنه فوق تصوراتهم

واعتقاداتهم. ولولا النظرية النبوية في غزو بلاد الروم وفتحها لتأخر المسلمون كثيراً عن هذا المقصد.

ومنذ ذلك اليوم ونحن نعتقد بإمكانية غزو بلاد القوي العظمى بالتوكل على الله تعالى أولاً والاستناد إلى دولة اسلامية قوية ثانياً.

والقضية الثانية في هذا الموضوع هي ارسال النبي محمد ﷺ لابن عمه جعفر بن أبي طالب رغم المخاطر الجسيمة لتلك الحملة والفارق الكبير في العدد والعدة بين المسلمين والروم. ورغم معرفة النبي ﷺ بمقتله إذ قال ان قُتل جعفر فزيد وان قُتل زيد فعبده بن رواحة امير الجيش.

وهذا نابع من الاعتقاد النبوي والاسلامي الصارم بالآخرة، واعتبار الدنيا مرحلة موصلة لها.

فشلت كانت دماء أبي عبيدة بن الحارث أول دماء هاشمية روت ارض القتال في بدر كانت دماء حمزة من الدماء التي روت ارض احد.

وفي معركة مؤتة سالت دماء أول هاشمي في تلك البلاد الفلسطينية القريبة من القدس. وتوالت حركة الشهادة الهاشمية في سوح القتال العالمية لتثبت الاعتقاد الهاشمي الأكيد بالمبادئ الإسلامية وعدم اقتصار ذلك على الكلام وهذا هو سر الانتصار.

وقد فشلت حركات كثيرة في التاريخ لتوكلها على الخطب الرنانة وامتناعها عن الجهاد والشهادة.

فكان بإمكان رسول الله ﷺ ارسال شخص آخر بدل جعفر إلى ارض مؤتة وليس في ذلك حرج، لكنه أراد ان يثبت بعرق جبين جعفر ودمائه ان الآخرة حق وهي ارض الخلود.

كما ان حملة مؤتة إلى فلسطين لم تكن من باب الصدقة بل هي حركة نبوية لبيان أهمية القدس في قاموس المسلمين. فرغب النبي ﷺ في فتحها وقدمها على باقي بلدان الدنيا، وسيفتحها النبي عيسى عليه السلام في دولة الإمام المهدي عليه السلام.

فقد حاول النبي ﷺ تحرير القدس قبل اليمن وعمان لاهميتها الخاصة عند الموحدين

باعتبارها قبلة المسلمين الاولى.

ونبيننا اسوة وقدوة في افعاله واقواله فالأجدر بنا ان نخذوا حذوه.

ولقد كان جعفر بن أبي طالب من المسلمين القدماء من بني هاشم الذين اسلموا قبل الصحابة، وهو أمير المسلمين في الحبشة، وامير المسلمين في مؤتة ولأنه اخو علي عليه السلام فقد حسدوا امارته!



مركز تحقیقات کتب و تفسیر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات و پژوهش در علوم اسلامی

باب

فتح مكة عنوة





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

عقد رسول الله ﷺ صلح الحديبية مع قريش في سنة ست للهجرة على أن يزور البيت الحرام العام المقبل فأخلى له أهالي مكة المدينة، وإزاحوا الأصنام عن الصفا والمروة.. وفي السنة الثانية زار النبي ﷺ والمسلمون مكة وبقوا هناك ثلاثة أيام، وساق معه سبعين بدنة، واجروا مراسم العمرة. وتزوج في مكة بيمونة بنت الحارث الهلالية^(١). فتمت عمرة رسول الله ﷺ المفردة بسلام وأمان طبقاً لعهد الحديبية فهو أهل الوفاء. وفي جمادى الأولى من سنة ثمان حدثت معركة مؤتة مع الروم التي خسر فيها المسلمون وقُتل جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبدالله بن أبي رواحة. فشجع هذا الأمر المشركين على الغدر بمعااهدة صلح الحديبية، وفعلاً اعتدت قريش وقبيلة كنانة على قبيلة خزاعة المتحالفة مع رسول الله ﷺ بعد شهر ونصف من حادثة مؤتة^(٢).

العداء بين خزاعة وبني بكر

كانت خزاعة في الجاهلية قد أصابوا رجلاً من بني بكر أخذوا ماله؛ فرجلٌ من خزاعة على بني الدليل بعد ذلك فقتلوه، ف وقعت الحرب بينهم، فر بنو الأسود بن رزن - ذئيب، وسلمى، وكلثوم - على خزاعة فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم. وكان قوم الأسود يؤدّون في الجاهلية ديتين بفضلهم في بني بكر، فتجاوزوا وكفّ بعضهم عن بعض من أجل

(١) تاريخ اليعقوبي ٥٤/٢، تاريخ ابن الأثير ٢٢٧/٢، وهي خالة خالد بن الوليد.

(٢) مغازي الذهبي ٥٢٨، مغازي الواقدي ٧٨٨/٢.

الإسلام وهم على ما هم عليه من العداوة في أنفسهم، فلما كان صلح الحديبية دخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ وعهده، وكانت خزاعة حلفاء لعبد المطلب، وكان رسول الله ﷺ عارفاً بذلك، ولقد جاءته يومئذ خزاعة بكتاب عبد المطلب فقرأه عليه أبي بن كعب وهو «باسمك اللهم، هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة، إذ قدم عليه سراتهم وأهل الرأي، غائبهم مقرر بما قضى عليه شاهدتهم. إن بيننا وبينكم عهد الله وعقوده، ما لا ينسى أبداً، ولا يأتي لداً^(١)، اليد واحدة والنصر واحد، ما أشرف ثبير، وثبت حراء، وما بل بحر صوفة^(٢)، لا يزداد فيما بيننا وبينكم إلا تجدداً أبداً أبداً، الدهر سمرمداً».

فقال ﷺ ما أعرفني بحلفكم وأنتم على ما أسلمتم عليه من الحلف! فكل حلف كان في الجاهلية فلا يزيده الإسلام إلا شدة، ولا حلف في الإسلام.

وآخر ما كان بين خزاعة وبين كنانة أن أنس بن زعيم الديلي هجا رسول الله ﷺ، فسمعه غلاماً من خزاعة فوقع به فشجّه، فخرج إلى قومه فأراهم شجته فتار الشر مع ما كان بينهم، وما تطلب بنو بكر من خزاعة من دمائها. فلما دخل شعبان على رأس اثنين وعشرين شهراً من صلح الحديبية تكلمت بنو نفاثة من بني بكر أشرف قريش - واعتزلت بنو مذحج فلم ينقضوا العهد - أن يعينوا بالرجال والسلاح على عدوهم من خزاعة؛ وذكروهم القتل الذين أصابت خزاعة لهم، وضربوهم بأرحامهم، وأخبروهم بدخولهم معهم في عقدهم وعهدهم، وذهب خزاعة إلى محمد في عقده وعهده، فوجدوا القوم إلى ذلك سراعاً.

وجعلت بنو نفاثة وبكر يقولون: إنما نحن! فأعانوهم بالسلاح والكراع والرجال ودسوا ذلك سرّاً لئلا تحذر خزاعة، فهم آمنون غارون بحال المودعة وما حجز الإسلام بينهم. ثم اتعدت قريش الوتير موضعاً بمن معها، فوافوا للميعاد، فيهم رجال من قريش من كبارهم متنكبون؛ صفوان بن أمية، ومكرز بن حفص بن الأخيف، وحويطب بن عبد العزى وأجلبوا معهم أرقائهم، ورأس بني بكر نوفل بن معاوية الديلي؛ فبيتوا خزاعة ليلاً

(١) اللد: الخصومة الشديدة، النهاية، ج ٤، ص ٥٨.

(٢) شرح على المواهب اللدنية، ج ٢، ص ٢٤٥، وثبير وحراء جيلان بمكة، معجم البلدان ج ٢، ص ٧؛ ٢٣٩.

وهم غارّون آمنون من عدوّهم، ولو كانوا يخافون هذا لكانوا على حذرٍ وعُدّةٍ، فلم يزالوا يقتلونهم حتى انتهوا بهم إلى أنصاب الحرم.

فقالوا: يا نوفل، إلهك، إلهك! قد دخلت الحرم! قال: لا إله لي اليوم، يا بني بكر! قد كنتم تسرقون الحاج، أفلا تدركون تأركم من عدوّكم؟ لا يريد أحدكم يأتي امرأته من خُزاعة، وانتهوا بهم في عمارة الصبح ودخلت رؤساء قُريش في منازلهم وهم يظنون ألا يعرفوا، وألا يبلغ هذا محمداً ﷺ.

فقتلوا منهم عشرين رجلاً، وحضرت خُزاعة في دار رافع وبُدَيْل، وأصبحت خُزاعة مُقتلين على باب بُدَيْل ورافع مولى لخُزاعة. وتنحّت قُريش ونَدِموا على ما صنعوا، وعرفوا أن هذا الذي صنعوا نقضٌ للمُدّة والعهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ.

وجاء الحارث بن هشام وابن أبي ربيعة إلى صفوان بن أمية، وإلى سُهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، فلاموهم فيما صنعوا من عونهم بني بكر، وأنّ بينكم وبين محمّد مُدّة، وهذا نقضٌ لها. وانصرف القوم ودسّوا إلى نوفل بن معاوية، وكان الذي ولى كلامه سهيل ابن عمرو، فقال: قد رأيت الذي صنعنا بك وأصحابك وما قتلت من القوم، وأنت قد حضرتهم تُريد قتل من بقي منهم، وهذا ما لا نطاوعك عليه فاتركهم لنا. قال: نعم فتركهم فخرجوا. فقال ابن قيس الرقيات يذكر سهيل بن عمرو:

خالط أخواله خُزاعة لما كثرتهم بمكة الأحياء

وقال في ذلك ابن لُغَط الدّيلي:

ألا هل أتى قصوى العشرة أنّا ردّدنا بني كعبٍ بأفوق ناصلٍ

فجاء بديل بن ورقاء في ركب خُزاعة إلى رسول الله ﷺ شاكياً فعرف النبي ﷺ بغدر

قريش وبني بكر بقيادة نوفل بن معاوية النفاثي.

فقال النبي ﷺ لا نصرت إن لم انصر بني كعب مما أنصر به نفسي^(١).

قال اليعقوبي: «وكانت خُزاعة في عقد رسول الله ﷺ وكنانة في عقد قريش، فأعانت قريش

(١) مغازي الذهبي ٥٢٨ وبنو كعب هم خُزاعة.

كنانة فأرسلوا مواليتهم فوثبوا على خزاعة فقتلوا فيهم. فجاءت خزاعة إلى رسول الله فشكوا إليه ذلك فأحل الله لنبيّه قطع المدّة التي بينه وبينهم، وعزم على غزو مَكّة وقال: اللهم أعم الأخبار عنهم، يعني قريشاً^(١).

والقرشيون الذين شاركوا في الهجمة على خزاعة هم: سهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أميّة وآخرون فأرسل لهم رسول الله ﷺ ضمرة يخبرهم بين ثلاث خصال: الأولى: ان يدوا خزاعة.

والثانية ان يبرأوا من حلف نفائة وهي الجماعة التي غدرت من بني بكر. والثالثة الحرب.

فاختلف القرشيون فيما بينهم ودعا أبو سفيان إلى جحد الأمر بانكار مشاركة قريش في غزو خزاعة^(٢). وكان صفوان بن أميّة وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو قد دعوا إلى قتال رسول الله ﷺ.

ومن دلائل النبوة قول النبي ﷺ: كأنكم بأبي سفيان قد جاء يقول: جدد العهد وزد في الهدنة. وفعلاً جاء أبو سفيان إلى المدينة طالباً تحكيم العهد وزيادة المدّة فردّه رسول الله ﷺ والمسلمون.

وتأخر أبو سفيان في المدينة فاتهموه لطول غيابه بدخوله الإسلام. ولما عاد إلى مكة أخبر زوجته هند بذلك فضربت برجلها في صدره قائلة: قُبِّحت من رسول قوم^(٣).

ولما أصبح حلق رأسه عند الصنمين إساف ونائلة وذبح لها وجعل يمسح بالدم رؤوسها قائلاً: لا أفارق عبادتكما حتى أموت على ما مات عليه أبي أبرأ لقريش مما اتهموني^(٤).

(١) تاريخ اليعقوبي ٥٨/٢.

(٢) مغازي الواقدي ٢ / ٧٨٨.

(٣) مغازي الواقدي ٢ / ٧٨٨.

(٤) مغازي الواقدي ٢ / ٧٨٨.

خيانة حاطب

فكتب حاطب بن أبي بلتعة مع سارة مولاة أبي لهب إلى قريش بخبر رسول الله وما اعزم عليه.

فنزل جبرئيل فأخبره بما فعل حاطب؛ فوجّه بعلي بن أبي طالب عليه السلام والمقداد بن عمرو وقال: خُذَا الكتاب منها، فلحقاها وكانت تنكبت الطريق، فوجد الكتاب في شعرها، وقيل في فرجها. فأتيا به إلى رسول الله ﷺ فدعا رسول الله ﷺ حاطباً فقال له: ما حملك على هذا؟

فقال: يا رسول الله ﷺ إني لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت ولكني كنت امرأاً ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم أهل وولد فصانعتهم ^(١).

فلم يقتل النبي ﷺ حاطب بن أبي بلتعة رغم خيائته للاسلام، وكذلك لم يقتل عثمان بن عفان الخائن في قضية معاوية بن المغيرة بن أبي العاص الأموي حيث اخفاه في بيته رغم تمثيله بجسد حمزة وقدومه المدينة للتجنس على المسلمين ^(٢).

واجاب النبي ﷺ عن سبب ذلك في واقعة تبوك حيث امتنع عن قتل المتأمرين على اغتياله قائلاً: أكره أن يتحدث الناس ويقولوا: إن محمداً قتل أصحابه ^(٣).

خروج النبي ﷺ إلى مكة

وخرج رسول الله يوم الجمعة حين صلى العصر لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ٨ هـ ^(٤)؛ واستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر.

واراد الرسول ان تكون الغزوة سرية فأسر ﷺ إلى كل رئيس منهم بما أراد وأمره أن يلقاه بموضع سمّاه له، وأن يكتب ما قال له. فأسر إلى خزاعي أن يلقاه بمزينة بالروحاء وإلى عبدالله بن مالك أن يلقاه بغفار بالسُّقيا وإلى قدامة بن ثمامة أن يلقاه ببني سليم بقديد وإلى

(١) مغازي الواقدي، طبقات ابن سعد ٢ / ١٣٤، مغازي الذهبي ٥٢٧، ٢ / ٧٩٨.

(٢) اسد الغلبة ٥ / ٥٦٢، عيون الأثر ٦ / ٢.

(٣) السيرة الحلبية ٣ / ١٤٣، سنن مسلم في كتاب صفات المنافقين واحكامهم.

(٤) وقيل لمشر مضين من رمضان.

الصعب بن جثامة أن يلقاه ببني ليث بالكديد.

ولقيته القبائل في المواضع التي سماها لهم، وأمر الناس فأفطروا؛ وسمى الذين لم يفطروا العصاة. ودعا بماء فشربه، وتلقاه العباس بن عبد المطلب في بعض الطريق. وكان المسلمون عشرة آلاف رجل^(١).

وكانت الخيل يوم الفتح أربعائة فرس. ونزلت عليه سورة: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾، فقال النبي ﷺ: نُعيت إلي نفسي وأقام في مكة تسعة عشر يوماً. وطاف بالكعبة وصلى خلف مقام إبراهيم ﷺ وأمر ﷺ بالمتعة ثم لم تحرم مطلقاً^(٢).

فلما صار بمصر الظهران خرج أبو سفيان بن حرب يتجسس الأخبار ومعه حكيم بن حزام، وهو يقول لحكيم: ما هذه النيران؟

فقال حكيم: خزاعة أحشتها الحرب. فقال أبو سفيان: خزاعة أقل وأذل. وسمع صوته العباس فناداه: يا أبا حنظلة! فأجابه، وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل أبي سفيان مع العشرة الذين أفتى بقتلهم ومنهم زوجته هند بنت عتبة ولكن حذف الأمويون واتباعهم اسمه.

لذا انذره عمر قائلاً: لا تدن من رسول الله ﷺ حتى تموت!^(٣). ولو لا نصيحة عمر لقتل أبو سفيان.

وعندما أدرك أبو سفيان الخطر المحدث به استغاث بالعباس قائلاً: إني مقتول فمنعه العباس من الناس المصرين على قتله^(٤).

فأبو سفيان مدين لعمر وللعباس في استمرار حياته، فدامت العلاقة جيدة بين أبي سفيان وعمر في أيام حكمه. ودعم معاوية وعثمان عمر في قضية السقيفة، وردَّ عمر لبني أمية

(١) وقيل في اثنتي عشر ألفاً.

(٢) راجع تاريخ اليعقوبي ٥٨/٢ - ٦١، تاريخ ابن الأثير ٢٣٩/٢ - ٢٥٤، تاريخ الطبري ٢/٣٢٧ - ٣٤٣، الطبقات، ابن

سعد ١٣٤ - ١٤٤، عيون الأثر، ١٨١/٢ - ٢٠٥، البداية والنهاية ٤/٣٣٤ - ٣٥٤، ٣٦٢.

(٣) مغازي الذهبي ٥٣٠.

(٤) مغازي الذهبي ٥٣٠.

الفضل فعين عثمان وزيراً ووصياً له وجعل معاوية والياً على الشام.
واستمر عمر في منهجه محباً لأبي سفيان مسمياً إياه بسيد قريش وبقي أبو سفيان معروفاً
بالقدر فبعد اسلام أبي سفيان قال العباس للرسول ﷺ: إني لا آمن أبا سفيان ان يرجع
عن اسلامه^(١).

قال ابو سفيان: يا أبا الفضل ما هذا الجمع؟

قال: هذا رسول الله. فأردفه العباس على بغلته ليلاً وجاء به.

وقال العباس: يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد جاء ليسلم طائعاً. ويطلب الأمان
لقريش فقال له رسول الله: قل أشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله، فقال: أشهد أن
لا إله إلا الله، وجعل يمتنع من أن يقول: وأنت رسول الله، قائلاً: والله يا محمد إن في النفس
من هذا الشيناً يسيراً بعد فارجئها^(٢). وبعد الضغط قالها نفاقاً.

ثم سأل العباس رسول الله أن يجعل له شرفاً وقال إله يحب الشرف.

فقال رسول الله: من دخل دارك يا أبا سفيان فهو آمن.

وأوقفه العباس حتى رأى جند الله، فقال أبو سفيان: يا محمد جئت باوباش الناس من
يُعرف ومن لا يُعرف إلى عشيرتك وأصلك. فقال رسول الله ﷺ: انتم اظلم وافجر غدرتم
بعهد الحديبية وظاهرتم على بني كعب بالاثم والعدوان في حرم الله وأمنه^(٣).

فقال ابو سفيان: يا أبا الفضل لقد أوتي ابن أخيك ملكاً عظيماً.

فقال العباس: إنه ليس بملك إنما هي النبوة.

ومضى أبو سفيان مسرعاً حتى دخل مكة فأخبرهم الخبر، وقال: هو إصطلام إن لم
تسلموا، وقد قال من دخل داري فهو آمن. فوثبوا عليه وقالوا: وما تسع دارك؟ فقال:
ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، وفتح الله على نبيه وكفاه القتال.

(١) دلائل النبوة ٥ / ٤١.

(٢) مغازي الواقدي ٢ / ٨١٥.

(٣) مغازي الواقدي ٢ / ٨١٦، السيرة الدحلانية ٢ / ٥٩، مغازي الذهبي ٥٢٩ طبقات ابن سعد ٢ / ١٣٥.

دخول مكة

ولما دخل رسول الله ﷺ مكة كانت عليه عمامة سوداء، فوقف على باب الكعبة وقال: لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل دم أو مائة أو مال يُدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سداة البيت وسقاية الحاج.

وفي فتح مكة ذلّ كفار قريش وسقط ما في أيديهم، وضعفت مغنوياتهم وهزم مكرهم فوقفوا سباطين ينظرون إلى دخول رسول الله ﷺ وجيشه إلى مدينتهم.

وكان المهاجرون سبعائة ومعهم ثلاثمائة فرس، وكانت الانصار اربعة آلاف ومعهم خمسمائة فرس، وكانت مزينة الفأ ومعها مائة فرس وكانت أسلم اربعمائة ومعها ثلاثون فرساً وكانت جهينة ثمانمائة ومعها خمسون فرساً^(١).

وقال النبي ﷺ لصحبه: اهجوا قريشاً فإنه أشدّ عليها من رشق النبل^(٢)

فتقدم رجل براية كبيرة بين يدي النبي ﷺ وهو يقول:

خلّوا بني الكفار عن سبيله فاليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

يا رب إني مؤمن بقبيله

فقال عمر بن الخطاب: أفي حرم الله وبين يدي رسول الله، تقول الشعر؟

فقال له رسول الله ﷺ: مة يا عمر فوالذي نفسي بيده لكلامه هذا أشد عليهم من وقع

النبل^(٣).

وكان سعد بن عباد على الحرس وراية الانصار كانت بيده عند دخوله مكة وهو يقول: «يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اي يوم الحرب اليوم تستحل الكعبة اي يقتل من أهدر دمه ولو تعلق باستار الكعبة وسمع مقالة سعد بن عباد رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب وقيل سمعها رجلان وهما عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف فقال: يا

(١) السيرة الحلبية، سيرة ابن دحلان ٢ / ٥٤.

(٢) مغازي الذهبي ٥٤٣، دلائل النبوة البيهقي ٥ / ٥٠.

(٣) سنن البيهقي ٢٢٨ / ١، سنن الترمذي ٢١٧ / ٤، سير اعلام النبلاء ٢٣٥ / ١.

رسول الله ﷺ ما نأمن أن تكون لسعد صولة في قريش»^(١).

وشكاية هؤلاء على سعد في مكة وسيرة علاقتهم به في المدينة قبل وبعد حياة النبي ﷺ تبين سوء العلاقة بين سعد وبينهم وانتهت بقتله بأمرهم فقتله محمد بن مسلمة (اليهودي الاصل)^(٢).

وقد طالب أبو سفيان وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف بعزل سعد بن عباد عن قيادة لواء الأنصار. فكانت تلك أول قضية معلنة يتحد فيها هؤلاء ضد زعيم الأنصار. في حين قال أبو بكر للصحابه المؤذين أبا سفيان: اتقولون هذا لشيخ قريش وسيدها^(٣) والقضية الظاهرة الثانية هي واقعة السقيفة إذ اشترك معاوية معهم فيها^(٤).

أي أن عمر خالف الأمر النبوي بهجو قريش، وقبلها أُنقذ أبا سفيان من الموت. وبقي أبو بكر وعمر محبين لقريش فبعد فتح مكة اتاه ناس من قريش فقالوا: يا محمد إنا حلفاؤك وقومك، وإنه لحق بك أرقاؤنا ليس لهم رغبة في الاسلام، وإنما فروا من العمل فارددهم علينا!

فشاور ﷺ أبا بكر في أمرهم فقال: صدقوا يا رسول الله!

فقال لعمر: ما ترى؟ فقال مثل قول أبي بكر.

فقال رسول الله ﷺ يا معشر قريش لبيعن الله تعالى عليكم رجلاً منكم امتحن الله قلبه للايمان فيضرب رقابكم على الدين.

فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟

قال: لا.

قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟

قال: لا، ولكنه خاصف النعل في المسجد، وقد كان ألقى نعله إلى علي يخلصها^(٥).

(١) سيرة ابن دحلان ٢ / ٦٢.

(٢) كنز العمال ٣ / ٢٣٢٣، أنساب الأشراف ١ / ٥٨٩.

(٣) تاريخ ابن عساكر ١١ / ٨٤.

(٤) راجع كتاب السقيفة للمؤلف ١٩٦.

(٥) المستدرك، الحاكم ٢ / ١٣٨، الظاهر بأن مجاميع قرشية قد طلبت ذلك من النبي ﷺ في غزوة الحديبية وفي فتح مكة.

فبقي رسول الله ﷺ وعلي ﷺ في وجه قريش ومطامعها، رافضين عودة المسلمين عبيداً لقريش، وكيف يكون ذلك وقريش انفسهم عبيد لمحمد ﷺ حررهم بعد فتح مكة قائلاً: اذهبوا فانتم الطلقاء.

المهدور والدم

ودخل مكة ودخل أصحابه من أربعة مواضع وراية المسلمين مع علي بن أبي طالب ﷺ، وأحلها الله له ساعة من نهار ثم قام رسول الله ﷺ فخطب فحرّمها. وأمر الرسول ﷺ بقتل بعض الكافرين وهم :
أبو سفيان بن حرب .

وعبد الله بن عبد العزى بن خطل من بني تميم الأدرم بن غالب، وكان رسول الله ﷺ وجهه مع رجل من الأنصار فشدّ على الأنصاري فقتله وقال: لا طاعة لك ولا لمحمد ﷺ. وعبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري من بني عامر بن لؤي، وكان يكتب لرسول الله ﷺ فصار إلى مكة مرتداً فقال: أنا أقول كما يقول محمد ﷺ، والله ما محمد نبي وقد كان يقول لي: اكتب عزيز حكيم، فأكتب لطيف خبير، ولو كان نبياً لعلم. فأواه عثمان وكان أخاه من الرضاع! وأتى به إلى رسول الله ﷺ، فجعل يكلمه فيه ورسول الله ﷺ ساكت ثم قال لأصحابه: هلا قتلتموا هذا الفاسق! فقالوا: انتظرنا أن تومئ.

فقال الرسول ﷺ: إن الأنبياء لا تقتل بالآيما^(١). وقال الرسول ﷺ عن عبد الله بن أبي سرح: إنه كلب^(٢).

وقيس بن صبابه أحد بني ليث بن كنانة، وكان أخوه قُتل فأخذ الدية من قاتله ثم شدّ عليه فقتله. وقُتل قيس بن صبابه.

والحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد قصي، كان ممن يؤذي رسول الله ﷺ بمكة ويستناوله بالقول القبيح فقتل علي ﷺ الحويرث بن نقيذ.

(١) تاريخ ابن الأثير ٢/٢٥١، مستدرک الحاكم ٣/٣١٢، مغازي الوافدي ٢/٨٥٦، دلائل النبوة، البيهقي ٥/٤٤.

(٢) أنساب الاشراف ١/٤٥٤.

وجاء أن النبي ﷺ أمر بقتل عكرمة بن أبي جهل وكان يشبه أباة في إيذاء رسول الله ﷺ والحارث بن هشام هو أخو أبي جهل لابويه^(١).

وصفوان بن أمية بن خلف.

وعبدالله بن خطل.

وكعب بن زهير.

وزهير بن أبي أمية.

وعبدالله بن الزبيري السهمي.

والحارث بن هشام.

وعبدالله بن أبي ربيعة الذي عينه عمر لاحقاً أميراً على اليمن.

وأجارت أم هانيء بنت أبي طالب حمويين لها: الحارث بن هشام وعبدالله بن أبي ربيعة، فأراد علي قتلها^(٢).

فقال رسول الله: يا علي قد أجرنا من أجارت أم هانيء.

ووحشي بن حرب قاتل حمزة^(٣).

والنسوة: سارة مولاة بني عبدالمطلب، وكانت تذكر رسول الله بالقبيح.

وهند بنت عتبة^(٤).

وقريية وفرتنا جاريتنا ابن خطل، كانتا تغنيان في هجاء رسول الله^(٥).

وقُتِلَت الجاريتان واحدة في فتح مكة وواحدة في زمن رئاسة عمر وقُتِلَت سارة مولاة عمرو بن هاشم بن عبدالمطلب.

والذين أمر بقتلهم رسول الله ﷺ ولم يُقتلوا وأسلموا كانت تراجم حياتهم مليئة

(١) والملاحظ للوليد بن المغيرة وأولاده يجد حقداً عظيماً على الإسلام والمسلمين.

(٢) مغازي الواقدي ٨٢٢/٢.

(٣) تاريخ ابن الأثير ٢/٢٥١، مستدرك الحاكم ٣/٣١٢، مغازي الواقدي ٢/٨٢٦.

(٤) تاريخ ابن الأثير ٢/٢٥١، مستدرك الحاكم ٣/٣١٢، مغازي الواقدي ٢/٨٢٦.

(٥) تاريخ ابن الأثير ٢/٢٥١، مستدرك الحاكم ٣/٣١٢، مغازي الواقدي ٢/٨٢٦.

بأفعال الجاهلية، ولم تطهر قلوبهم بطهارة الإسلام. وهذا من المعجزات الالهية.
ولكن لماذا عين عمر عبدالله بن أبي ربيعة والياً على اليمن وعين عثمان عبدالله بن أبي
سرح والياً على افريقيا؟!

ثم آمنهم الرسول ﷺ جميعاً إلا خمسة نفر أمر بقتلهم ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة
وأربع نسوة. وأسلمت قريش طوعاً وكرهاً.

وقتل من المسلمين ثلاثة^(١). وقُتل من المشركين في فتح مكة أربعة وعشرون رجلاً. ثم
قتل خالد سبعين شخصاً تمردوا على امر النبي، ولم يغنم المسلمون شيئاً^(٢).

وقال ﷺ: كفوا السلاح إلا خزاعة من بني بكر، فاذن لهم حتى صلى العصر ثم قال:
كفو السلاح^(٣).

ومن دلائل النبوة كان الرسول ﷺ قد قال لعثمان بن طلحة في الجاهلية سترى المفتاح
بيدي يوماً أضعه حيث شئت! ولما فتح مكة أرسل ﷺ علياً وليد الكعبة للمجيء بالمفتاح
من عثمان بن طلحة، فأبى دفعه اليه قائلاً: لو علمت أنه رسول الله ﷺ لم أمنعه منه فلوى
عليه يده وأخذ المفتاح منه قهراً وفتح الباب وكان بنو طلحة يزعمون انه لا يفتح الباب
أحدٌ غيرهم^(٤).

ومن معجزاته ﷺ ايضاً كان يرى في الظلمة كما يرى في الضوء^(٥) وكان يرى خلف
ظهره كما يرى أمامه^(٦).

ثم دخل النبي ﷺ البيت فصلى فيه ركعتين ثم خرج فأخذ بعضادتي الباب، فقال: لا إله

(١) تاريخ ابن الوردي ١ / ١٢٤، طبقات ابن سعد ٢ / ١٣٦، اعلام الوري، الطبرسي ١ / ٢٢٧.

(٢) طبقات ابن سعد ٣ / ١٤٣.

(٣) البداية والنهاية ٤ / ٣٥٠.

(٤) تاريخ الخميس ٢ / ٨٧.

(٥) الوفا باحوال المصطفى ٣٤٨، الكامل، ابن عدي ٤ / ٥٣٤، تاريخ الإسلام ٤ / ٢٧٢، فيض القدير، المناوي ٥ /

٢١٥، دلائل النبوة، البيهقي ٦ / ٧٥.

(٦) الوفا باحوال المصطفى ٣٤٩، سنن البخاري ١ / ١٨٤، سنن النسائي ٢ / ٩٢، حلية الاولياء ٦ / ٣٠٩، مسند

أحمد ٣ / ١٠٣.

إلا الله وحده لا شريك له، أنجز وعده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده؛ فله الحمد وله الملك لا شريك له؛ ثم قال ﷺ: ما تظنون وما أنتم قائلون؟

قال سهيل: نظنّ خيراً ونقول خيراً، أخ كريم وابن عمّ كريم وقد ظفرت.

قال النبي ﷺ: فإني أقول لكم كما قال أخي يوسف: لا تريب عليكم اليوم؛ ثم قال النبي ﷺ: ألا كل دم ومال ومأثرة في الجاهلية فإنه موضوع تحت قدمي هاتين إلا سدانة الكعبة وسقاية الحاج فإنهما مردودتان إلى أهليهما، ألا وإن مكة محرمة بحرمة الله لم تحل لأحد من قبلي ولا تحل لأحد من بعدي وإنما حلت لي ساعة ثم أغلقت، فهي محرمة إلى يوم القيامة لا يختل خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد، ألا إن في القتل شبه العمد الدية مغلظة والولد للفراش وللعاهر الحجر، ثم قال: ألا لبئس جيران كنتم فاذهبوا فأنتم الطلقاء. لأنه ﷺ فتح مكة عنوة^(١).

ودخل النبي ﷺ مكة بغير إحرام وهي المرة الوحيدة التي دخل بها مكة دون إحرام وقال ﷺ: إن الله تعالى قد أحلها لرسوله ولم يحلها لأحد من بعدي ولا يحل من غنائمها شيء وأمر بلالاً أن يصعد على الكعبة فأذن فعظم ذلك على قريش؛ وقال عكرمة بن أبي جهل وخالد بن أسيد: إن ابن رباح ينهق على الكعبة، وتكلم قوم معها.

فأرسل إليهما رسول الله، فقالوا: قد قلنا، فنستغفر الله.

فقال: ما أدري ما أقول لكم ولكن تحضر الصلاة فن صلى فسييله ذلك وإلا قدمته فضربت عنقه.

وأمر بكل ما في الكعبة من صور فحيت وغسلت بالماء. ودعا بعثان بن طلحة فقال: رأيت في الكعبة قرني الكبش فحمرهما فإنه لا ينبغي أن يكون في الكعبة شيء، فصيروهما في بعض الجدر^(٢).

وروى بعضهم أن رسول الله قسم ما كان في الكعبة من المال بين المسلمين. وقال آخرون: أقره في مكانه وهو الصحيح فقهياً.

(١) عيون الأثر ١٨٩/٢، تاريخ الطبري ٣٢٧/٢، سيرة ابن هشام ٣١/٤. دلائل النبوة البيهقي ٧٠/٥ - ٨٠. طبقات

ابن سعد ١٣٠/٢ - ١٤٠، من لا يحضره الفقيه ٢٤٠/٢ - ٢٤٦، وسائل الشيعة ٦٩/٩، سيرة ابن دحلان ٦٦/٢.

(٢) تاريخ الخميس ٨٢/٢.

تحطيم الأصنام

وكانت الأصنام ود لكلب وسواع هذيل ويغوث لغطفان ونسر لذي الكلاع واللات لثقيف واساف ونائلة وهبل لأهل مكة.

وكان رسول الله ﷺ يحطم الأصنام بعضا في يده ومنها إساف ونائلة، وهما رجل وامرأة قد زنيا في الكعبة فسخها الله تعالى حجرين. فاتخذتهما قريش يعبدونهما. وكانوا يذبحون عندهما، ويحلقون رؤوسهم إذا نسكوا، فخرج من أحدهما امرأة شمطاء سوداء تخمش وجهها عريانة ناشرة الشعر تدعو بالويل.

فقال رسول الله ﷺ: تلك نائلة يشت أن تُعبد في بلادكم أبداً^(١).

ونادى منادي رسول الله: من كان في بيته صنم فليكسره، فكسروا الأصنام. واعظم الأصنام التي حطمها النبي هو هبل الذي كان بجانب مقام إبراهيم ﷺ والأصنام ثلاثمائة وستون بعدد أيام السنة كلها مثبتة بالرخام والحديد.

وصعد علي عليه السلام على كتف رسول الله ﷺ وكسر أصنام الكعبة^(٢) لانه لا يمكن لاحد حمل النبي ﷺ إذ قال ﷺ: لو أن ربيعة ومضر جهدوا على أن يحملوا مني بضعة وأنا حي ما قدروا^(٣).

ولما صعد علي عليه السلام فوق الكعبة رمى بصنم خزاعة الذي كان من صفر فكسره فجعل أهل مكة يتعجبون^(٤) لثقله.

وقال محمد ﷺ لما التقى علي عليه السلام بنفسه من فوق الكعبة إلى الأرض دون اصابة: كيف يصيبك ألم وقد رفعك محمد وانزلك جبرئيل^(٥).

وقال الديار بكري أن أحد الشعراء أشار إلى قصة صعود علي عليه السلام على كتف النبي ﷺ لتحطيم الأصنام وللصعود فوق ظهرها:

(١) مغازي الواقدي ٢ / ٨٤١.

(٢) سيرة ابن دحلان ٢ / ٨٧ تاريخ الخميس ٢ / ٨٦ المستدرک، الحاكم، ٦ / ٣.

(٣) الصراط المستقيم ١ / ١٧٩.

(٤) تاريخ الخميس ٢ / ٨٦.

(٥) تاريخ الخميس ٢ / ٨٧، كشف اليقين، العلي ٤٤٩.

قيل لي قل في علي مدحاً ذكره يحمد ناراً مؤصدة
 قلت لا أقدم في مدح امرئ ضل ذو اللب إلى أن عبده
 والنبي المصطفى قال لنا ليلة المعراج لما صعد
 وضع الله بظهري يده فاحس القلب أن قد برده
 وعلي واضح أقدامه في محل وضع الله يده^(١).

وارسل النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى نخلة وفيها العزى فلما نظرت إليه السدنة وهم
 حجابها أمعنوا في الجبل وهم يقولون: يا عَزَى خُبلِيه يا عَزَى عَوْرِيه وإلا فوقي برغم.
 فأتاهما خالد فإذا امرأة عُريانة ناشرة شعرها تحثوا التراب على رأسها فعممها بالسيف
 حتى قتلها^(٢).

وأرسل النبي ﷺ سعد بن زيد الأشهلي إلى مائة في عشرين فارساً، فخرجت امرأة
 سوداء عُريانة ثائرة الرأس تدعو بالويل.
 فقال لها السادن: مائة دونك بعض غضباتك وسعد يضربها فقتلها^(٣) وأقبل إلى الصنم
 فهدمه..

وأراد فضالة بن عمير الليثي قتل رسول الله ﷺ داخل الكعبة، فأخبره
 النبي ﷺ بقصده وضحك منه^(٤).

ولما قيل لرسول الله ﷺ في مكة: ألا ترجع إلى دارك؟ قال ﷺ: وهل ترك عقيل لنا
 داراً^(٥)؟

(١) تاريخ الخميس ٨٧ / ٢

(٢) مغازي الذهبي ٥٥٥.

(٣) مغازي الذهبي ٥٦٣، مغازي الواقدي ٨٧٠ / ٢، طبقات ابن سعد ١٤٦ / ٢، تاريخ الطبري ٦٦ / ٣، عيون التواريخ
 ١ / ٣٢١، عيون الأثر ١٨٥ / ٢. قال الكلبي: إن مائة أقدم الأصنام كلها وكانت على ساحل البحر من ناحية المشلل

بقديد بين المدينة ومكة، كتاب الأصنام ١٣.

(٤) تاريخ الخميس ٨٧ / ٢

(٥) علل الشرائع، الصدوق ١٥٥ / ١.

هل بايع الرجال والنساء النبي ﷺ في فتح مكة ؟

لقد اهتم رسول الله ﷺ إهتماماً أكيداً بالبيعة فعلى الأنصار أجرى بيعتين؛ بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية، وفي الحديبية أجرى بيعة الرضوان للمهاجرين والأنصار وغيرهم وبعد فتح مكة عقد البيعة العامة مع المسلمين من المهاجرين والأنصار والطلقاء وغفار وأسد وتميم ومزينة وقيس^(١).

إذ جلس رسول الله ﷺ، للبيعة على الصفا، واجتمع الناس لبيعة رسول الله ﷺ على الإسلام، فكان يبايعهم على الإيمان بالله والشهادة والسمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا، فكانت هذه بيعة الرجال.

ثم عقد رسول الله ﷺ بيعة النساء في مكة، للدلالة على أهمية المرأة في الإسلام وسمو مكانتها الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية، وهذه بادرة جديدة وخطيرة لم تعرفها شعوب العالم في ذلك الوقت.

فإنه لما فرغ من الرجال بايع النساء، فأثناء منهن نساء من قريش، منهن أم هانئ بنت أبي طالب، وأم حبيب بنت العاص بن أمية، وكانت عند عمرو بن عبد ود العامري، وأروى بنت أبي العيص عمّة عتاب بن أسيد، وأختها عاتكة بنت أبي العيص، وكانت عند المطلب بن أبي وداعة السهمي، وأمه بنت عفان بن أبي العاص أخت عثمان، وكانت عند سعد حليف بني مخزوم، وهند بنت عتبة، وكانت عند أبي سفيان، ويسيرة بنت صفوان بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وأم حكيم بنت الحارث بن هشام، وكانت عند عكرمة بن أبي جهل، وفاخنة بنت الوليد بن المغيرة أخت خالد، وكانت عند صفوان بن أمية بن خلف، وريطة بنت الحجاج، وكانت عند عمرو بن العاص وغيرهن. وكانت هند متكررة لصنيعها بحمزة وأكلها من كبده! فهي تخاف أن تؤخذ به.

وقال النبي ﷺ هن: تبايعنني على أن لا تشركن بالله شيئاً. قالت هند: إنك والله لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرجال فسئوتيكه.

قال النبي ﷺ: ولا تسرقن. قالت: والله إن كنت لأصبت من مال أبي سفيان الهنة والهنة. فقال أبو سفيان، وكان حاضراً: أمّا ما مضى فأنت منه في حلّ.

فقال رسول الله ﷺ: أهند؟

قالت: أنا هند فاعف عني سلف عفا الله عنك. فعفا النبي ﷺ عنها.

قال النبي ﷺ: ولا تزنين^(١).

قالت: وهل تزني الحرّة؟ فضحك عمر.

وقال النبي ﷺ: ولا تقتلن أولادكن.

قالت: ربّينا هم صغاراً وقتلتهم يوم بدر كباراً فأنت وهم أعلم.

قال النبي ﷺ: ولا تأتين بهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن.

قالت: والله إن إتيان البهتان لقبيح ولبعض التجاوز أمثل.

قال: ولا تعصيني في معروف. قالت: ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك.

وكان رسول الله ﷺ، لا يمسّ النساء ولا يصفح امرأة ولا تمسّه امرأة إلا امرأة أحلّها

الله له أو ذات محرم منه^(٢).

وجاء في قوله تعالى «ولا يعصيك في معروف»^(٣).

إن أم حكيم بنت الحارث بن عبد المطلب، قالت لرسول الله ما هذا المعروف الذي أمرنا

الله به أن لا نعصيك فيه؟ فقال: ألا تخمشن وجهاً، ولا تلطمن خداً، ولا تنتفن شعراً، ولا

تمزقن جيباً، ولا تسودن ثوباً، ولا تدعون بالويل والثبور، ولا تقعدن مع الرجال في

الخلاء^(٤).

وبعد بيعة الرجال والنساء لرسول الله ﷺ في مكة أصبح المسلمون جميعاً قد بايعوا

رسول الله ﷺ على السمع والطاعة وتطبيق أحكام الإسلام والجهاد في سبيل الله تعالى،

(١) وكانت معروفة بالزنا في مكة.

(٢) مغازي الواقدي ٢/ ٨٦٠ - ٨٧٤ تاريخ ابن الأثير ٢/ ٢٥٢.

(٣) الممتحنة ١٢.

(٤) البحار ٧٩ / ٧٧، مستدرك الوسائل ٢ / ٤٤٩ دعائم الإسلام ٢ / ٢٤٢٣.

والدفاع عن الإسلام ورسوله ﷺ.

وفي كيفية البيعة جاء بان النبي ﷺ ادخل يده في ماء ثم رفعه اليهن فأدخلن أيديهن فيه والاصح انه مسح بيده على ثوب ثم مسحن أيديهن على ذلك الثوب.
ومن الأمور الاجتماعية الاخلاقية للنبي ﷺ ان رجلاً أخذ به الرعدة أثناء كلامه معه فقال النبي ﷺ: هُوَنَ فَاِنَّمَا اَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قَرِيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيْدَ^(١).

وزوّج النبي ﷺ ضباعة بنت الزبير بن عبدالمطلب من المقداد بن عمرو ليتواضع النكاح وليتأسوا برسول الله^(٢).

وجاءته في مكة امرأة من بني سعد بن بكر بنحي مملوء سمناً وجراب أقط^(٣) فدخلت عليه وهو في الأبطح، فانتسبت له فعرفها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الإسلام فأسلمت وصدّقت.

ثم أمر رسول الله ﷺ بقبول هديتها، وجعل يسألها عن حليلة فأخبرته انها توفيت في الزمان فذرفت عينا رسول الله ﷺ ثم سأها من بقي منهم؟
فقالت: أخواك وأختاك وهم والله محتاجون إلى برّك وصلتك ولقد كان لهم موئل^(٤).
فأمر لها رسول الله ﷺ بكسوة واعطاها جملأ ظعينة وأعطاها مائتي درهم^(٥).

مسيرة قريش قبل وبعد فتح مكة

كانت قبائل قريش في زمن النبي ﷺ هي:

بنو هاشم بن عبد مناف، بنو أمية بن عبد شمس، وبنو نوفل بن عبد مناف، بنو عبد الدار ابن قصي، بنو مخزوم بن يقظة بن مرة، بنو زهرة بن كلاب، بنو أسد بن عبد العزى، بنو الحارث بن فهر بن مالك، بنو عامر بن لؤي، بنو سهم بن عمر، وبنو جمح بن عمرو، بنو أنمار

(١) دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٦٩. والقديد هو اللحم المجفف في الشمس.

(٢) دعائم الإسلام ٢ / ١٩٩.

(٣) النحي: الزق الذي يجعل فيه السمن خاصة والأقط لبن مجفف.

(٤) موئل أي منهل.

(٥) مغازي الواقدي ٢ / ٨٦٩.

ابن بغيض، بنو تيم بن مرة بن كعب، بنو عدي بن كعب.

لقد وقفت قريش في أغلبها ضد رسول الله ﷺ محاربة ومؤذية له ولاهـل بيته وللأنصار. لذا دعا رسول الله ﷺ على قريش ولم يدعو لهم حتى قال أبو سفيان: يا محمد أنشدك الله والرحم قد أكلنا العلهز! يعني الوبر والدم، فأنزل الله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾^(١)

وجاء: لما دعا رسول الله ﷺ على قريش حين استعصت أن يسلط الله عليها سبعا كسيع يوسف فأصابهم سنة حصدت كل شيء، حتى أكلوا العظام والكلاب والعلهز^(٢).

وقد اجتمع اشراف قبائل قريش في مكة في دار الندوة وهي دار الحكومة في يوم السبت ويسمونه يوم مكر وخديعة قبل الهجرة للبحث في طرق الخلاص من الإسلام وهم:

من بني عبد شمس عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب. ومن بني نوفل بن عبد مناف، طعيمة بن عدي وجبير بن مطعم والحارث بن عامر بن نوفل ومن بني عبد الدار بن قصي: النضر بن الحارث بن كلدة. ومن بني أسد بن عبد العزى: أبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود بن المطلب، وحكيم بن حزام.

ومن بني مخزوم: أبو جهل ابن هشام.

ومن بني سهم: نبيه ومنبه ابنا الحجاج.

ومن بني جمح: أمية بن خلف.

فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، فإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا، فاجمعوا فيه رأياً. فتشاوروا ثم قال قاتل منهم: إحبسوه في الحديد وغلّقوا عليه باباً، ثم تربصوا به^(٣).

ثم قرروا بينهم اغتيال رسول الله ﷺ فلم يفلحوا وهاجر النبي ﷺ إلى المدينة.

(١) المؤمنون ٧٦ المستدرك الحاكم ٢/٣٩٤ وقال هذا الحديث صحيح ولم يخرجاه.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير ٦/١٠١، والعلهز دم يابس يدق مع اوبار الإبل في المجاعات.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/٣٣١.

وكان حكيم بن حزام من أمة الكفر وقد احبته قريش لأمور عديدة فَعَلَهَا في الجاهلية والاسلام:

فهو الذي شارك في دار الندوة لقتل رسول الله ﷺ (١).

وهو من المحاربين لله ورسوله في مكة طيلة مدة بقاء النبي ﷺ في مكة.

وكان من المنفقين على جيش الكفار في معركة بدر (٢).

واستمر في محاربته للاسلام علناً وسراً، ولما فتحت مكة أعلن اسلامه وأخفى عدوانه،

وفرّ في معركة حنين بالمسلمين ثم طالب رسول الله ﷺ بالغنائم.

وكانت قبيلته (بني أسد بن عبد العزى) من قبائل قريش الحاكمة على الاسلام. ثم

دخلت في الإسلام وبرز منهم حبيب بن مظاهر الاسدي ومسلم بن عوسجة. من

الناصرين للإمام الحسين عليه السلام.

وفي زمن عثمان بن عفان كان حكيم من خاصته المقربين فحصل على أموال طائلة من

بيت مال المسلمين.

مركز تحقيق التراث
مكتبة جامعة القاهرة

ولما ثار المسلمون وقتلوا عثمان، كان حكيم بن حزام من بين خمسة أشخاص شاركوا في

دفنه في مقبرة اليهود؛ حش كوكب (٣).

ولأجل هذه السيرة فقد اعترز الأمويون بحكيم بن حزام حياً وميتاً وأفاضوا عليه المال

والمديح والمناقب حتى بلغ بهم الأمر للقول بأنه ولد في الكعبة الشريفة حسداً منهم لولادة

علي بن أبي طالب عليه السلام فيها (٤) وقد قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: والله ما تنقم منا قريش

إلا أن الله اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيزنا فكانوا كما قال الأول:

ونحن وهبناك العلا ولم تكن علينا وحطنا حولك الجرد والسمرا (٥)

(١) سيرة ابن هشام ٣٣١/٢.

(٢) سيرة ابن هشام ٤٨٨/٢.

(٣) تاريخ البعقوبي ١٧٦/٢.

(٤) راجع موضوع الوليد الوحيد للكعبة في هذا الكتاب.

(٥) نهج البلاغة ٨٢/١.

وكذلك، انقسم بنو إسرائيل إلى قسمين:

قسم عبدوا العجل فقتل بعضهم بعضاً وهم ستمائة ألف، والقسم الثاني اثني عشر ألفاً لم يعبدوا الله تعالى ثم توسلوا بحمد وآل محمد^(١). فانقذهم الله تعالى.

وفتح مكة يبين منهج رسول الله ﷺ في فتح البلدان ونشر الإسلام دون ظلم ولا عدوان.

وقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه الحارث بن طلحة أحد مؤذي الرسول، وقتل الحويرث بن نقيذ الذي نحس بزینب بنت رسول الله ﷺ مع هبار بن الأسود فسقطت عن دابتها وألقت جنينها^(٢) وقتل علي رضي الله عنه هبار بن الأسود أيضاً^(٣).

هل غدر خالد بنى جذيمة؟

قال النبي ﷺ في فتح مكة: ألا كل دم ومال ومأثرة في الجاهلية فإنه موضوع تحت قدمي هاتين^(٤).

وبعث رسول الله، وهو بمكة، خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن عامر، وهم بالغميصاء، وقد كانوا في الجاهلية أصابوا من بني المغيرة الفاكة عم خالد وقتلوا عوفاً أبا عبد الرحمن ابن عوف، فخرج عبد الرحمن بن عوف مع خالد بن الوليد ورجال من بني سليم وقد كانوا قتلوا ربيعة بن مكدّم في الجاهلية، فخرج جذل الطعان فقتل من بني سليم بدم ربيعة مالك ابن الشريد.

وكان بنو جذيمة قد أسلموا وبنو المساجد في ساحاتهم. فبلغهم أن خالداً قد جاء ومعه بنو سليم.

فقال لهم خالد: ضعوا السلاح.

فقالوا: إنا لا نأخذ السلاح على الله ولا على رسوله ونحن مسلمون، فانظر ما بعثك

(١) مستدرک الوسائل، المحقق النوري ٢٣٥/٥، تفسير الإمام العسكري ٢٥٥.

(٢) تاريخ الخميس ٩٣/٢.

(٣) سيرة ابن دجلان ٧٠/٢.

(٤) تاريخ ابن الأثير ٢٢٩/٢ تاريخ الطبري ٢/٣٢٧-٣٤٣.

رسول الله له فإن كان بعثك مصدقاً فهذه إيلنا وغنمنا فاعدُ عليها.
 فقال خالد: ضعوا السلاح^(١).
 لقد أسلم خالد طمعاً في الغنائم والجاه والسلطة فبقي غادراً للمسلمين يهدر دماءهم،
 وينقض عهودهم ويطأ نساءهم المحصنات^(٢)!
 وقد عرف بنو جذيمة خالدأ مشهوراً بالغدر إذ قال جحدم لقومه: إنه خالد والله ما بعد
 وضع السلاح إلا الأسر وما بعد الأسر إلا ضرب الاعناق^(٣)!
 قالوا: إننا نخاف أن تأخذنا بأحنة الجاهلية. فانصرف عنهم وأذن القوم وصلوا، فلما كان
 في السحر شنّ عليهم الخيل فقتل المقاتلة وسبى الذرية!
 وقال عبدالرحمن بن عوف امام الرسول والمسلمين: والله لقد قتل خالد القوم مسلمين.
 فقال خالد: إنما قتلتهم بأبيك عوف بن عبد عوف. (اي اعترف بقتلهم كفرأ!)
 فقال له عبدالرحمن: ما قتلت بأبي ولكنك قتلت بعمك الفاكه بن المغيرة^(٤).
 فبلغ رسول الله ذلك فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد!
 وبعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فآدى إليهم ما أخذ منهم حتى العقال
 وميلغة الكلب، وودّى القتلى وبقيت معه منه بقيّة، فدفعها علي رضي الله عنه إليهم على أن يحلّلوا
 رسول الله ممّا علم وممّا لم يعلم.
 فقال رسول الله: لعلي رضي الله عنه: فداك أبوأي. لما فعلت أحبّ إليّ من حمر النعم.
 وقتل خالد سبعين قرشياً في فتح مكة دون رضی رسول الله ﷺ^(٥) والظاهر بأنهم من
 المسلمين.
 وقتل خالد امرأة من هوازن بعد معركة حنين بعد انتهاء الحرب رغم الامر النبوي
 بالامتناع عن قتل النساء.

(١) تاريخ الخميس ٩٨ / ٢.

(٢) حياة الصحابة، الكاندهلوي ٤١٣ / ٢، سنن البخاري ١٧١ / ٤، وفيات الأعيان ١٤ / ٦.

(٣) تاريخ الخميس ٩٨ / ٢.

(٤) راجع تاريخ الطبري ٣٢٧ / ٢ - ٣٤٣، تاريخ يعقوبي ٥٨ / ٢ - ٦١، تاريخ ابن الأثير ٢٣٩ / ٢ - ٢٥٤، مناخي

الواقدي ٨٨٢ / ٣، مناخي الذهبي ٥٦٨، سنن البخاري، باب المغازي ١٠٧ / ٥، مستد أحمد ١٥١ / ٢.

(٥) تاريخ الخميس ٨٤ / ٢.

وشارك خالد في الهجوم على بيت فاطمة وقتلها^(١).
وكان خالد من المعادين لأمير المؤمنين علي عليه السلام فقد حاول اغتياله في أيام حكومة أبي بكر.

وشارك خالد في اغتيال سعد بن عباد^(٢).
وغدر خالد بن الوليد بالمسلمين مرة أخرى في زمن أبي بكر إذ قتل مالك بن نويرة وقبيلته في الصلاة وزنى بزوجته^(٣). فدعا عمر إلى قتله. وهذا ما يشكك في حقيقة نوايا خالد. في دخوله الإسلام!

وكانت العداوة بين خالد وعمر على أشد ما تكون في الجاهلية والإسلام فعزله عمر في اليوم الأول لسلطته وقتله بواسطة رجل المهات الخاصة في حكومته اليهودي السابق محمد ابن مسلمة^(٤).

لقد استمر طغاة قريش في منهجية الغدر فبعد فتح مكة جلس أبو سفيان يحدث نفسه بالغدر قائلاً: لو جمعت لمحمد جمعاً؟
فضرب رسول الله ﷺ بين كتفيه وقال: إذا يخزيك الله^(٥)

الدلائل والعبر

من الناحية الفقهية والاخلاقية لما دخل رسول الله ﷺ وجيشه مكة خرجت بنات سعيد بن العاص فنشرن شعورهن يضربن بخمرهن وجوه خيل المسلمين^(٦).
وكان من عادة نساء الجاهلية نشر الشعور لعدم التزامهن بالحجاب، فوقع بعض الشعراء المسلمين في الخطأ يوم وصفوا نساء الحسين الشهيد عليه السلام في كربلاء قائلين: خرجن

(١) شرح النهج ٤٨/٦، البداية والنهاية ٤/٤٩٦، تثبيت الامامة ايحيى بن الحسين ١٧، المسترشد ٤٥٦.

(٢) راجع كتاب تبصرة العوام.

(٣) حياة الصحابة ٢ / ٤١٣، تاريخ أبي الغداء ١ / ٢٢١.

(٤) راجع نظريات الخلفيتين، المؤلف ٢ / ٢٧٤ - ٢٨٠.

(٥) البداية والنهاية ٤ / ٣٤٨.

(٦) مغازي الواقدي ٢ / ٨٢٧.

من الخدور ناشرات الشعور، على الحدود لاطمات^(١).

إذ أخذ بعض المسلمين جزءاً من الأعراف الجاهلية، وسرق رجال الحزب القرشي بعض المسائل الفقهية الإسلامية لتحسين صورة قريش الجاهلية؛ مثل التزام الجاهليين بالغسل من الجنابة وقطع يد السارق!

وفي الناحية الامنية لقد قرأنا اموراً مدهشة في السيرة المختصة بفتح مكة إذ طلب رسول الله ﷺ من الله تعالى ان يعمي على قريش الاخبار ليدخل مكة دون اراقة دماء. فحصل ذلك إذ اخبره تعالى بخيانة حاطب بن بلتعة وقصده اخبار قريش بالغزوة فأبطل عز وجل مؤامراته. فبين تعالى وجود جواسيس لقريش في صفوف المسلمين.

وعن موضوع التجسس لم يكن التجسس وليد يومنا هذا ويبرز هذا الحال في عدم رغبة قريش بقتل بعض المهاجرين رغم تمكنهم منهم في الحروب.

ويتضح هذا الأمر ايضاً في التحالف الحاصل بعد فتح مكة واثار مقتل رسول الله ﷺ بين بعض الماجرين وطلقاء مكة إذ وصل إلى سدة الحكم قادة الحزب القرشي في بدر واحد والخندق مثل معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل.

ويتبين هذا الموضوع اكثر في ابعاد بني هاشم والانصار والمهاجرين الآخرين عن سدة الحكم بعد مقتل رسول الله ﷺ فلم يصل ابطال المسلمين في بدر واحد والخندق وخير إلى السلطة.

فيتضح المقال بتغيير قريش وجواسيسها خطة عملهم في مواجهة الإسلام من الحرب إلى السلام معه على أمل استلام السلطة.

فدخلوا في الدين ورضوا بترك عبادة الأصنام وبدأوا في التخطيط لاستلام السلطة بعد رسول الله ﷺ؛ أي انهم رضوا بسياسة الأمر الواقع في سقوط عبادة الأوثان وشيوع عبادة الرحمن. ونجحوا في استلام مقاليد الحكم بعد النبي ﷺ.

ومن الدلائل والعبر الأهتمام النبوي بالبيعة الشعبية المتمثلة في حكومة الشعب، اذ دعا ﷺ المسلمين جميعاً بعد فتح مكة إلى البيعة رجالاً ونساءً.

ففي باب الحقوق يكون رسول الله ﷺ أول من دعا إلى البيعة في تاريخ البشرية معطياً للمرأة دوراً مهماً في هذا المجال. ورغم مرور ألف واربعمائة سنة على تلك البيعة الجماهيرية نجد امتناع الكثير من الحكومات من اعطاء ذلك الحق لمواطنيها.

ان حق التصويت النسائي الذي شرعه رسول الله ﷺ للمرأة كان أمراً عجباً في ذلك الزمن الغابر المنكر لابطس الحقوق النسائية.

فكانت معظم النساء في ذلك الوقت بين خادمة وجارية تخدم الاولى في بيوتها وتدفع بعض الجوارى للزنا فنزل القرآن الكريم بتحريم الاعمال الخزية.

﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصناً﴾^(١).

وفي عالم الاخلاق وجد القرشيون الطلقاء رحمة رائعة من رسول الله ﷺ فقد عفى عنهم وقرأ عينهم ومنع المهاجرين من الانتقام منهم واعطاهم حقوقاً متساوية مع الفاتحين وبلغ به الأمر ان عفى عن الذين أمر بقتلهم! بعد اسلامهم.

فلم يرد ﷺ الطلبات الداعية للعفو عنهم الصادرة منهم ومن ارحامهم ونسائهم.

فلقد كان النبي ﷺ عطوفاً ورؤوفاً أكثر مما يتصور واكثر مما تخيله الكافرون.

ووصف الله تعالى محمداً قائلاً: ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾^(٢).

وفي جانب التربية والقضاء يطيب لي ان احرر أمراً آخر فعله رسول الله ﷺ ألا وهو أمره بقتل الاشرار والفساق الذين لا فائدة ترجى في حياتهم ولا أمل ينظر في بقائهم وهم أبو سفيان وحكيم بن حزام وعكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن أبي سرح وعبد الله بن أبي ربيعة وصفوان بن أمية وهند بنت عتبة ووحشي وآخرون ذكرناهم.

وهذا من دلائل النبوة إذ عاش ومات هؤلاء على الظلم والغدر والخيانة.

وفي باب التربية والاخلاق ايضا كان المسلمون إلا القليل منهم يحترمون رسول

(١) النور ٢٤.

(٢) القلم ٤.

الله ﷺ ولا ينطقون بحضرته الفاظاً بذينة مهتمين بذلك إذ قال أبو سفيان في حضرة النبي والعباس وعمر كيف أصنع باللات والعزى؟ فقال عمر: أخراً عليهما.

فقال أبو سفيان: ويحك يا عمر إنك رجل فاحش^(١).

وكان الكثير من عرب الجاهلية ينزهون أنفسهم عن الكلمات والتعابير والأفعال الرديئة. والعرب تعيب العيب بالميت والتمثيل به أيضاً إذ قال الحليس بن علقمة لما رأى أبو سفيان يجأ برمحه شدة حمزة: يا معشر بني كنانة انظروا إلى من يزعم أنه سيد قريش ما يصنع بابن عمه الذي صار لحماً^(٢)!

ولما رأى أبو سفيان صلاة المسلمين الجماعية واحترامهم لرسول الله ﷺ قال: ما رأيت كالיום طاعة قوم قبلهم ههنا لافارس الاكارم ولا الروم ذات القرون^(٣).

وفي موضوع الدعاء صلى النبي ﷺ الظهر بأصحابه بعد فتح مكة عند الحجر الأسود فلما سلم رفع يديه وكبر ثلاثاً وقال: لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده ونصر عبده وأعز جنده وغلب الأحزاب وحده فله الملك وله الحمد يحيي ويميت ويحيي وهو على كل شيء قدير.

ثم أقبل على أصحابه فقال ﷺ: لا تدعوا هذا التكبير وهذا القول في دهر كل صلاة مكتوبة فإن من فعل ذلك بعد التسليم، وقال القول كان قد أدى ما يجب عليه من شكر الله تعالى ذكره^(٤).

وفي عالم التربية والغزو سار في أمر يتمثل في محاولة خاتم الأنبياء توجيه الناس في هدفه المطلوب فأمر بالجهاد وساق طلقاء مكة إلى حرب حنين، فأصبح جيشه اثني عشر ألف محارب بعدما كان عشرة آلاف مقاتل.

(١) سيرة ابن دحلان ٢ / ٥٨.

(٢) اعلام الوردى، الطبرسي ١ / ١٨١ مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب ١ / ١٦٧.

(٣) سيرة ابن دحلان ٢ / ٥٨.

(٤) علل الشرائع ٢ / ٣٦٠، وسائل الشيعة، الحر العاملي ٤ / ١٠٣١.

وتعامل رسول الله مع اهالي مكة باخلاق عالية فتعجب المكيون من رفته في المعاملة وهو سلطان الحجاز وخاتم الرسل .

فشعر القرشيون سريعا بانهم من المسلمين كيف لا وهم يجدون انفسهم في صفوف الجيش الاسلامي مقابل كفار هوازن وكفار الطائف وحقوقهم وحقوق المسلمين السابقين متساوية.

في حين أمر يزيد بن معاوية باباحة المدينة المنورة لافراد جيشه بعد حوالي خمسين سنة من ذلك التاريخ ففعلوا فيها كل ما يدخل في عالم الخزي! والفسق والفجور! فسيد الرسل أراد بناء الانسان وتحكيم الأخلاق وتشديد الدول ونشر المحبة، وباقي العتاة في تاريخنا الغابر والمحاضر يريدون أسر الانسان ونشر الرذيلة وطمس الأمن. فالطغاة اعدى عدوهم الشعب وأسلم وسائلهم الاستبداد ولو استخدم النبي ﷺ وسائل أخرى معهم لنفر هؤلاء عن الإسلام في أول فرصة ممكنة، ولكنهم مكثوا عليه.

ولما رحل رسول الله ﷺ إلى حنين عتب بن اسيد الأموي والياً على مكة^(١). وحصل علي عليه السلام على مناقب كثيرة في فتح مكة فقد صعد على كتف رسول الله ﷺ وكسر الصنم الأعظم وقذف به من على ظهر الكعبة، وكان اللواء الاكبر للمسلمين بيده^(٢).

(١) الوفا باحوال المصطفى ﷺ ٧٢٠، سيرة ابن حاتم ١ / ٣٣٥ - ٣٤٢، تاريخ خليفة ٤٠، المنتظم ٣ / ٣٢٤، البدء والتاريخ ٢ / ٩٧، عيون الأثر ٢ / ١٨١، تاريخ الطبري ٢ / ٣٢٣، الأرشاد، المفيد ١ / ١٣٠، السيرة الحلبية ٣ / ٧٠، تاريخ ابن الأثر ٢ / ٢٣٩ - ٢٥٥، تاريخ الخميس ٢ / ٧٧ - ٩٧، طبقات ابن سعد ٢ / ١٣٤ - ١٤٠، سيرة ابن دحلان ٢ / ٤٥ - ٩٠، جمل من أنساب الاشراف ١ / ٤٤٩، دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٣، التنبيه والاشراف، ٢٣٠، سنن البخاري ٦ / ٢٦٠ - ٢٦٧، الروض الأنف ٧ / ١٠٨ - ١٢٦، تفسير الزمخشري ٤ / ٨١٠، تفسير الفخر الرازي ١١ / ٣٣٤ - ٣٣٩، تفسير الطبرسي، ٥ / ٥٠٠.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٣٣٤.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کلام و علوم اسلامی

باب

مهرکة حنین





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

دلت سورة النصر التي نزلت في فتح مكة على أنه ﷺ نعت إليه نفسه^(١) وقرب زمن موته بعد ان خذل الله تعالى قريشاً وبني بكر بن وائل ونصر المسلمين وحلفاءهم بني كعب (خزاعة).

وبعد مطالعتك أخي القاريء لموضوع معركة حنين ستجد جبهة معارضة واسعة لرسول الله ﷺ مكوّنه من هوازن وثقيف وقريش وقبائل الأعراب الملتحقة بجيش النبي ﷺ مثل أسلم وتيم والمنافقين المنتمين للمهاجرين والأنصار، فهل حدث الاتفاق في مكة عبر جاسوس هوازن المقتول بيد عمر أم كان صدفة؟ وهل كان هذا التنظيم العددي والمكاني صدفة؟ الجواب في هذا الموضوع.

بعد فتح مكة في ٢٠ رمضان بلغ رسول الله ﷺ أن هوازن وثقيفاً قد جمعت بحنين جمعاً كثيراً ورئيسهم مالك بن عوف النضري وهو ابن ثلاثين سنة فخرج الرسول ﷺ من مكة في السادس منه. والمعركة حدثت في العاشر من شوال في السنة الثامنة للهجرة^(٢).

وقد اختلفت المعادلات في معركة حنين عن المعارك السابقة بزيادة عدد المحاربين المسلمين على الكفار زيادة ملحوظة، ورغم هذا فرّوا من أرض المعركة.

وكان كثير من جنود المسلمين ما زالوا حديثي العهد بالاسلام فطلبوا من النبي ﷺ في اثناء مسيره الى حنين ان يجعل لهم شجرة ذات أنواط مثلها عند الكفار يذبجون عندها ويعكفون عليها^(٣).

(١) تفسير الفخر الرازي ١١ / ٣٤٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٢ / ١٤٩، مغازي الواقدي ٢ / ٨٨٩.

(٣) سيرة أبي حاتم ١ / ٣٤٦ البداية والنهاية ٤ / ٣٧٢.

فوصف الله تعالى حالهم بقوله: ﴿إجعل لنا إلهاً كما لهم إلهة﴾^(١).

وحنين وادي بين مكة والطائف، كانت فيه الوقعة والمسلمون اثنا عشر ألفاً وهو الصحيح الذين حضروا فتح مكة فيهم ألفان من الطلقاء وقالوا: عددهم ثمانية آلاف برواية مجاهد وقال عطاء عن ابن عباس ستة عشر ألفاً^(٢).

وتسكن هوازن في الجنوب الشرقي لمكة وحنين من اودية تهامة وهو اسم موضع في طريق الطائف إلى جنب ذي المجاز قال الواقدي بينه وبين مكة ثلاث ليال وقيل بضعة عشر ميلاً وكان سوقاً في الجاهلية.

وهوازن قبيلة كبيرة من العرب فيها عدة بطون ينسبون إلى هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن الياس بن مضر^(٣).

وقال زعيم هوازن: ما لاقى محمداً قوم يحسنون القتال فأجمعوا أمرهم وسيروا إليه^(٤). وشاركت في الحرب ثقيف كلها وغابت عن هوازن كعب وكلاب وشهدتها نصر وجشم وسعد بن بكر وناس من بني هلال وهوازن وثقيف عتاة مردة.

وهوازن وثقيف أربعة آلاف، فيمن ضامهم من امداد سائر العرب، فكان الجم الغفير، واعتقد بانهم أكثر من أربعة آلاف مقاتل، وقالوا: عشرون ألفاً وقالوا: ثلاثون ألفاً^(٥). وقد كانت اعداد قريش وقبائل الاعراب الموجودة في صفوف المسلمين أكثر من خمسة آلاف محارب ولو عد المحققون هذه القوات المنافقة مع الكافرين لاصبح المسلمون في سبعة آلاف مقاتل واصبح الكافرون في احد عشر الف محارب.

وقبل اللقاء قال أبو بكر: لن نُغلب اليوم من قِله. فساءت رسول الله ﷺ فعانهم أبو

(١) الأعراف ١٣٨.

(٢) تفسير القرطبي ٨ / ٩٨، تفسير الفخر الرازي ٦ / ١٨، سيرة ابن هشام ٨٣ / ٤.

(٣) سيرة ابن دحلان ٢ / ٩٦، معجم البلدان ٢ / ٣٥٩.

(٤) سيرة ابن دحلان ٢ / ٩٦.

(٥) سيرة ابن دحلان ٢ / ٩٦، ٩٩.

(٦) تفسير الكشاف للزمخشري ٢ / ٢٥٩، تاريخ أبي الفداء ١ / ٢٠٨، الأرشاد ٢ / ١٤٠، مغازي الذهبي ٥٧٤ البداية

بكر بعجبه بهم^(١). ولما قال أبو بكر ذلك القول قال تعالى تعليقاً على قوله:

﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم﴾^(٢).

لقد قال أبو بكر جملة ساءت النبي ﷺ فأبدل بعض الرواة اسم أبي بكر برجل، وهكذا فعلوا في كل الحوادث التي أساء فيها أبو بكر وعمر وعثمان للنبي ﷺ.

وحاول الزمخشري انتقاد أبي بكر من قول المنكر بإلقاء ذلك على رسول الله ﷺ!

وحاول محاولة أخرى تتمثل بحذف اسم أبي بكر ووضع كلمة رجل^(٣)! ولكن الواقدي ذكر في مغازيه بأن القائل هو أبو بكر^(٤).

وقال الفخر الرازي في تفسيره: قال رجل من المسلمين: لن نُغلب اليوم من قلة، فهذه الكلمة ساءت رسول الله ﷺ وهي المراد من قوله: ﴿إذ أعجبتكم كثرتكم﴾.

وقيل قالها رسول الله ﷺ، وقيل قالها أبو بكر، وإسناد هذه الكلمة إلى رسول الله ﷺ بعيد، لأنه كان في أكثر الأحوال متوكلاً على الله، منتطع القلب عن الدنيا وأسبابها^(٥).

وجاء في سيرة الحافظ الدمياطي أن أبا بكر قال: لن نُغلب اليوم من قلة^(٦).

لقد نظر أبو بكر إلى الحالة المادية على أرض المعركة في كثرتهم وكونهم أضعاف أعداد المشركين.

وساء النبي ﷺ قول أبي بكر لأنه ﷺ طلب من المسلمين أن ينظروا إلى الحالة الغيبية للأمور، والمتتملة بالنصر الإلهي، لا الحالة المادية في كثرة أعداد المسلمين.

لقد قال تعالى ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾ فجعل عز وجل المشيئة بيده يفرضها

→ والنهاية ٤ / ٣٦٩، جمل من أنساب الاشراف وعلى قول عروة والزهري وموسى بن عقبة يكون عدد جيش

المسلمين اربعة عشر الفا لانه ﷺ قدم بانني عشر الفا، البداية والنهاية ٤ / ٣٧١، تفسير الطبرسي ٣ / ١٧.

(١) الأرشاد ٢ / ١٤٠، وعانهم يعني حسدهم.

(٢) التوبة ٢٥.

(٣) تفسير الكشاف للزمخشري ٢ / ٢٥٩.

(٤) المغازي، الواقدي ٢ / ٨٩٠، البداية والنهاية: ٤ / ٣٦٩.

(٥) تفسير الفخر الرازي ٦ / ١٩.

(٦) السيرة الحلبية ٣ / ١١٠، سيرة الحافظ الدمياطي.

حيث أراد في خلقه وأرضه وسماواته، فيدعها فوق السنن الحياتية متى أراد سبحانه. لذا يقول المسلم حيث كان ومتى قصد عملاً إن شاء الله تعالى.

وفي معركة هوازن أعلن أبو بكر بأن الغلبة للمسلمين لكثرتهم على الكافرين فغضب رسول الله ﷺ من هذا المنطق المادي وأنكر الله تعالى هذا المنحى عملاً فانهزم المسلمون وانتصر الكافرون وكان أبو بكر رأس الفارين.

ذكر ابن إسحاق: ولما سمع بهم (هوازن) رسول الله ﷺ بعث إليهم عبد الله ابن أبي حدرد الأسلمي من هوازن، وأمره أن يدخل في الناس، فيقيم حتى يأتيه منهم ويعلم من علمهم، فانطلق ابن أبي حدرد فدخل فيهم، فأقام معهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ، وعلم أمر مالك، وأمر هوازن، وما هم عليه، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ولقد بقي ابن أبي حدرد يومين في جيش هوازن ووصل خباء مالك بن عوف وعنده رؤساء هوازن فسمعه يقول لأصحابه: إن محمداً لم يقاتل قوماً قط قبل هذه المرة، وإنما كان يلقي قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب فيظهر عليهم، فإذا كان السحر فصفوا مواشيكم ونساءكم وأبناءكم من ورائكم، ثم صفوا ثم تكون الحملة منكم وأكسروا أغمار سيوفكم فتلقونه بعشرين ألف سيف واحملوا حملة رجل واحد، واعلموا أن الغلبة لمن حمل أولاً^(١).

واضاف ابن أبي حدرد قائلاً: يا رسول الله ﷺ إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن على بكرة أبيها، بظعنهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا إلى حنين. فتبسم رسول الله ﷺ وقال: تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله^(٢). وهذا من دلائل نبوته.

فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب فأخبره خبر ابن أبي حدرد، فقال عمر: كذب. فقال ابن أبي حدرد: إن تكذبتني فطالما كذبت بالحق يا عمر. وكذبت من هو خير مني^(٣).

(١) سيرة ابن دحلان ٢ / ٩٩، المواهب اللدنية، الزرقاني، موضوع معركة حنين.

(٢) مغازي الذهبي ٥٧٥ وهذه من دلائل نبوته.

(٣) أي النبي ﷺ.

فقال عمر: يا رسول الله ألا تسمع ما يقول ابن أبي حدرد؟

فقال رسول الله ﷺ: قد كنت ضالاً فهداك الله يا عمر^(١).

لقد وقفت طويلاً عند هذه الرواية لقول ابن أبي حدرد لعمر: طالما كذبت بالحق يا عمر، وقوله قد كذبت من هو خير مني أي رسول الله ﷺ، ولم يعترض رسول الله ﷺ على قوله بل ايده فوجدت أنه لولا المعلومات الخطيرة التي قالها ابن أبي حدرد ولو لا اعتناء رسول الله ﷺ بها لخسر المسلمون المعركة في وقت السحر.

والدهشة تصيب القارئ أحياناً من تقديم عبد الله بن أبي حدرد روحه في سبيل الحصول على خطط الأعداء وبرامجهم وتأيد النبي ﷺ لأقواله التي ذكرها في هوازن وفي عمر!

لقد أشار دريد بن الصمة على مالك بن عوف النضري بوضع كمين يهجم على جيش النبي ﷺ من الخلف، واجتمعت هوازن وثقيف وبنو سعد بن بكر مع مالك.

وقال دريد: إجعل كميناً يكون لك عوناً، إن حمل القوم عليك جاءهم الكمين من خلفهم، وكررت أنت عليهم. بمن معك، وإن كانت الحملة لك لم يفلت من القوم أحد^(٢).

والحكمة من مجيء هوازن بدريد بن الصمة الأعمى البصر هي تجربته في الحروب فقد كان عمره مائة وأربعين سنة، فوضعه في شجار وهو مركب من أعواد مهيأ للنساء. وأيد دريد الحرب في واد أوطاس واصفاً إياه لا حزن ضرر ولا سهل دهس وخطأ نظرية مالك بن عوف في المجيء بالنساء والماشية لعدم فائدتها في الحرب بل تكون لقمة سائغة للعدو فوصفه بأنه راعي ضأن ماله وللحرب^(٣) وكانت الحرب في يوم قانظ شديد الحر ثم مطرت الدنيا^(٤).

(١) وذكر ذلك في شرح الزرقاني على المواهب من رواية الواقدي، تاريخ الطبري ٣٤٦/٢، مستدرک الحاكم ٥١/٣ طبعة دار الكتب العلمية - بيروت، مغازي الذهبي ٥٧٢، البداية والنهاية ٤/٣٧١، سيرة ابن هشام ٨٢/٤ طبعة الحلبي - مصر.

(٢) سيرة ابن دحلان ٩٩/٢.

(٣) المنتظم، ابن الجوزي ٣/٣٣٢.

(٤) المنتظم ٣/٣٣٢، طبقات ابن سعد ٢/١٥٦.

وقال البراء بن عازب: وكانت هوازن رماة وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكبينا على الغنائم فاستقبلونا بالسهم فأخذ المسلمون في الرجوع منهزمين لا يلوي أحد على أحد^(١). وقد ورد أنهم انهزموا مرتين مرة في بداية الحرب ومرة عند انكباب المسلمين على الغنائم^(٢).

تجسس هوازن

لقد أرسلت هذيل (هوازن) جاسوسا الى مكة لا يعرفه الا زعماء قريش وجواسيسها من المهاجرين يقال له ابن الأكوخ في أيام فتح مكة ليكون عينا على النبي ﷺ حتى علم علمه، فجاء إلى هذيل بالخبر من مكة ثم أسر هذا الجاسوس يوم حنين فخاف الجواسيس والقرشيون من افتضاح امرهم فارادوا قتله رغم المنع النبوي عن قتل الاسرى، فرّبه عمر بن الخطاب، فلما رآه أقبل على رجل من الأنصار وقال له: عدوّ الله الذي كان عينا علينا ها هو أسير فاقتله فضرب الأنصاري عنقه.

وبلغ ذلك النبي ﷺ فكرهه وقال: ألم أمركم ألا تقتلوا أسيراً؟ وقُتل بعده جميل بن معمر بن زهير وهو أسير، فبعث النبي ﷺ إلى الأنصار وهو مُغضب فقال: ما حملكم على قتله وقد قال الرسول لا تقتلوا أسيراً؟ فقالوا: إنما قتلنا بقول عمر.

فأعرض رسول الله ﷺ عنه بعد أن كلمه عمير بن وهب في الصفح عن ذلك^(٣). والسؤال هو كيف عرف عمر بن الخطاب جاسوس هوازن بين صفوف الأسرى قبل وصول رسول الله ﷺ إليهم وقتله له رغم الأمر النبوي بعدم قتل الاسرى؟ والجواب الذي لا يرقى إليه الشك أنه تعرّف عليه في مكة؟! وعليه فقد خاف عمر افتضاح قضية الاتفاق الحاصل بين هوازن وثقيف وقريش وبعض المهاجرين والأنصار في

(١) سيرة ابن دحلان ٢ / ٩٩.

(٢) سيرة الحلبي ٣ / ١٠٨.

(٣) الارشاد، المغيد ٢ / ١٤٥.

افتعال الهزيمة وقتل رسول الله ﷺ في أرض المعركة قتل جاسوس هوازن. تخلصاً من هذا المأزق، وقتل الجواسيس لبعضهم البعض أمر عادي.

وقد اعترف شيبه بن عثمان من بني عبد الدار بخطته في اغتيال النبي ﷺ بعد انهزام جيشه عنه في حنين فنبه الله تعالى من ذلك^(١). وهذا جزء من المؤامرة المذكورة.

ومن الطبيعي أن يكون زعماء المشروع وعلى رأسهم عمر بن الخطاب هم العارفون بشخص جاسوس هوازن، والأمر مقتصر على البعض لهروب زعماء هوازن وثقيف إلى حصن الطائف وغالباً ما يُقتل أصحاب الأسرار في العالم فقد قتل معاوية بن أبي سفيان محمد بن مسلمة المشارك في اغتالات خطيرة على رأسها اغتيال سعد بن عباد زعيم الأنصار^(٢).

مؤامرة الطلقاء والأعراب والجواسيس

لقد اتفق الطلقاء والأعراب والجواسيس وهوازن على قتل النبي ﷺ والمسلمين ويقال إن الطلقاء قال بعضهم لبعض أخذلوه هذا وقته، فانهزموا، فهم أول من انهزم وتبعهم الناس.

وكان بعض الطلقاء قد فرحوا بهزيمة المسلمين ومعركة خيالة هؤلاء تتبين من اقوالهم وافعالهم. فقال أبو سفيان: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر. والأزلام معه في كنانته^(٣).

وقال أخو صفوان بن أمية قد بطل السحر، وقال عكرمة بن أبي جهل: لا يجبرونها ابداً. وقال رجل من ثقيف في وصف عينة بن حصن: ليس منا أحد أشد على محمد منه وإن كان معه^(٤). وقال عينة: والله ما جئت معكم أقاتل ثقيفاً ولكن أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب جارية من ثقيف فأطأها لعلها تلد لي رجلاً فإن ثقيفاً قوم مباركون.

(١) تاريخ ابن الأثير ٢/ ٢٦٣.

(٢) الأرشاد ٢/ ١٤٥.

(٣) مغازي الذهبي ٥٧٦، سيرة ابن هشام ٤/ ١٢٤، مغازي الواقدي ٣/ ٨٩٨، تاريخ الطبري ٣/ ٨٤، عيون الأثر ٢/ ٢١٦.

(٤) مغازي الواقدي ٢/ ٩٣٢.

فقال النبي ﷺ عنه هذا الاحمق المطاع^(١).

وقال شيبه الحجبي (حاجب البيت): قلت أسير مع قريش إلى هوازن بحنين فعسى إن اختلطوا أن أصيب من محمد غرة فأقتله فأكون أنا الذي قتت بنأر قريش كلها (وكان أبوه وعمه قتلا في أحد) فلما اختلط الناس ونزل النبي ﷺ عن بغلته أصلت السيف ودنوت منه ورفعت السيف حتى كدت أوقع به الفعل فحال بيني وبينه خندق من نار وسور من حديد، فناداني النبي ﷺ: يا شيبه أدن مني فدنوت منه فالتفت إليّ وتبسم وعرف الذي أريد منه فمسح صدري، ثم قال: اللهم أعذه من الشيطان، قال شيبه فوالله هو الساعة أحب إليّ من سمعي وبصري ونفسي^(٢).

وقال الواقدي: خرج رجال من مكة مع النبي ﷺ ينظرون لمن تكون الدائرة فيصيبون من الغنائم ولا يكرهون أن تكون الضيمة لمحمد ﷺ^(٣). وصدق ما قاله عبد الله بن أبي حدر إذا قال استقبلت هوازن المسلمين بما لم ير مثله قط من السواد والكثرة في غبش الصبح وخرجت الكتائب المختفية في مضائق الوادي فحملوا حملة واحدة على المسلمين المستقرين في الوادي. فانكشفت خيل بني سليم مولية فتبعهم أهل مكة^(٤).

المنهزمون

وروى البخاري عن أبي قتادة الأنصاري، قائلاً: وانهزم المسلمون - يوم حنين - وانهزمت معهم، فإذا عمر بن الخطاب في الناس (المنهزمين)، فقلت له: ما شأن الناس؟ قال عمر: أمر الله^(٥).

(١) مغازي الواقدي ٢ / ٩٣٧.

(٢) السيرة الحلبية ٣ / ١١١، البداية والنهاية ٤ / ٣٨١، مغازي الذهبي ٥٧٧، سيرة ابن هشام ٤ / ١٢٤.

(٣) مغازي الواقدي ٢ / ٨٩٤.

(٤) سيرة ابن دحلان ٢ / ١٠٠.

(٥) صحيح البخاري ٣ / ٤٦، البداية والنهاية لابن كثير باب غزوة حنين ٤ / ٣٧٦، صحيح مسلم ٤ / ٣٢٩.

وروى الواقدي في مغازيه فرار المسلمين وفيهم عمر: «وكانت أم الحارث الأنصارية أخذت بخطام جمل أبي الحارث زوجها، وكان جملة يسمي المجسار.

فقالت: يا حارث أترك رسول الله ﷺ فأخذت بخطام الجمل، والجمل يريد أن يلحق بالآفة، والناس يؤلون منهزمين. وهي لا تفارقه.

وقالت أم الحارث: قرئ بي عمر بن الخطاب، فقلت: يا عمر ما هذا (الفرار)؟ فقال عمر: أمر الله.

وجعلت أم الحارث تقول: يا رسول الله من جاوز بعيري فاقتله، والله إن رأيت كالיום ما صنع هؤلاء القوم بنا! تعني بني سليم وأهل مكة الذين انهزموا بالناس»^(١).

وأجمل ما قرأت عن هزيمة الفارّين في معركة حنين ما ذكره أنس بن مالك: «إن أم سليم أمي ابنة ملحان جعلت تقول يا رسول الله، أرايت هؤلاء الذين أسلموك وفرّوا عنك وخذلوك! لا تغف عنهم إذا أمكنك الله منهم، فاقتلهم كما تقتل هؤلاء المشركين!

فقال النبي ﷺ: يا أم سليم قد كفى الله عافية الله أوسع!

ومعها يومئذ جمل أبي طلحة، قد خشيت أن يغلبها، فأدنت رأسه منها، فأدخلت يدها في خزامته مع الخطام، وهي شاذة وسطها برّذ لها، ومعها خنجر في يدها.

فقال لها أبو طلحة: ما هذا معك يا أم سليم؟

قالت: خنجر أخذته معي، إن دنا مني أحد من المشركين بعبثته به.

قال أبو طلحة: أما تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم»^(٢).

ومقابل صعود أم سليم انهزم أكابر الصحابة في يوم حنين بالرغم من كثرتهم، ومن هؤلاء أبو بكر وعمر وعثمان وابن الجراح والمغيرة والأشعري ومعاذ بن جبل وأسيد بن حضير وخالد بن الوليد وطلحة وسعد بن أبي وقاص.

وقد أيّد هذا الفرار البخاري ومسلم وابن كثير والبلاذري والواقدي والديار بكري

(١) مغازي الواقدي ٢/٩٠٤.

(٢) مغازي الواقدي ٢/٩٠٤.

واليعقوبي وآخرون، وقد بايع هؤلاء النبي ﷺ في الحديبية على أن لا يفروا! (١).

وجاء في تاريخ الخميس في رواية أنه لم يبق معه إلا أربعة، ثلاثة من بني هاشم وهم علي بن أبي طالب والعباس وأبو سفيان بن الحارث وكان قد أخذ بعنان بغلته والرابع عبد الله بن مسعود، وأضاف إلى ذلك أن علياً والعباس كانا يحفظانه من قبل وجهه، وعبد الله بن مسعود يحفظه من جانبه الأيسر، وكان كل من يقبل على رسول الله ﷺ يقتل (٢).

لقد حدث الهجوم على المسلمين في الصباح الباكر. وأول من انهزم بنو سليم وتبعهم أهل مكة ثم الناس (٣).

وقال عروة بن الزبير عن أهل مكة قائلاً: خرج أهل مكة لم يغادر منهم أحد، ركباً ومشاة حتى خرج النساء مشاة ينظرون ويرجون الغنائم، ولا يكرهون الصدمة برسول الله ﷺ وأصحابه وهم على غير دين! (٤).

واعترف معاوية بن أبي سفيان بفرار أمية قائلاً: لقيت أبي منهزماً مع بني أبيه من أهل مكة فصحت به: يا ابن حرب والله ما صبرت مع ابن عمك، ولا قاتلت عن دينك، ولا كفت هؤلاء الأعراب عن حريمك (٥).

ومما يضحك أن أبا سفيان جعل يجمع في حوزته كل ترس أو سيف يسقط من الصحابة (٦) مما يبين عدم اعتنائه بالإسلام وشدة اهتمامه بالدنيا وبخله الشديد.

وقال الذهبي: اعتزل أبو سفيان وابنه معاوية وصفوان بن أمية وحكيم بن حزام وراء تل ينظرون لمن تكون الدبيرة! فبينما هم على ذلك حمل المشركون عليهم حملة رجل واحد فقلوا مدبرين وحزر حارثة بن النعمان من بقي مع النبي ﷺ بمئة رجل (٧).

(١) جمل من أنساب الأشراف ١ / ٤٦٤.

(٢) تاريخ الخميس، للشيخ حسين الديار بكري ١٠٢، السيرة الحلبية، الشافعي ١٠٩/٣.

(٣) مغازي الذهبي ٥٧٤.

(٤) مغازي الذهبي ٥٧٧، مغازي عروة، مغازي الواقدي ٨٩٩/٣.

(٥) الأرشاد ٢ / ١٤٤.

(٦) مغازي الذهبي ٥٧٧.

(٧) مغازي عروة، مغازي الذهبي ٥٧٨ البداية والنهاية ٤ / ٣٧٧، دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ١٣٠.

ووصلت الهزيمة إلى مكة وسر بذلك قوم وأظهروا الشماتة فقال قائل منهم: ترجع العرب إلى دين آبائها وقد قُتل محمد وتفرّق أصحابه^(١).

وقال اليعقوبي: انهزم المسلمون عن رسول الله ﷺ حتى بقي في عشرة من بني هاشم وقيل تسعة وهم علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث، ونوفل بن الحارث، وربيع بن الحارث، وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب، والفضل بن العباس، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، وقيل أيمن بن أم أيمن^(٢).

فقال جابر بن عبد الله الانصاري: لم نبايع رسول الله ﷺ على الموت، إنما بايعناه على أن لا نفر^(٣).

وقال يزيد ابن أبي عبيد: قلت لسلمة بن الأكوع: على أي شيء بايعتم النبي ﷺ يوم الحديبية؟

قال: على الموت ولكن الناس انهزموا^(٤)! وقد انهزم عثمان في معركة بدر وانهزم أبو بكر وعمر وعثمان في معارك أحد والخندق وخيبر وحنين، وعصوا النبي ﷺ في حملة أسامة ولم يذهبوا فيها أبداً. ولم يقتلوا كافراً ولا يهودياً قط. وتمكّن خالد وضرار من قتل عمر في معركتي أحد والخندق فلم يقتلاه!

وبعد موت النبي ﷺ لم يشاركوا في أي حرب لا بصفة قائد ولا بصفة جندي، بينما كان النبي ﷺ وعلي عليه السلام قد حضرا في جبهات القتال وعمرهما يناهز الستين سنة. إذ شارك النبي ﷺ في فتح مكة وفي حرب حنين في السنة الثامنة من الهجرة، فيكون عمره الشريف ستين سنة، وفي هذه السن شارك علي عليه السلام في معركة صفين.

(١) سيرة ابن دحلان ٢ / ١٠٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٦٣، طبعة ليدن.

(٣) سنن النسائي ٣ / ٨٧١ حديث ٣٨٧٧.

(٤) سنن النسائي ٣ / ٨٧٢ حديث ٣٨٧٨.

النصر الإلهي في حنين

لقد لقن الله سبحانه المسلمين درساً في الحرب يتمثل في رجوع الأمر إلى النصر الإلهي أولاً وإلى قوانين السنن الحياتية ثانياً.

ولما ثبت ذلك ودعا رسول الله ﷺ بالنصر اللهم إني أنشدك ما وعدتني اللهم لا ينبغي لهم أن يظهروا علينا^(١) فقال الله تعالى:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾^(٢).

وحاربت الملائكة الكافرين إذ قال المشركون: أتانا رجال بيض على خيل بلقي فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى^(٣).



دور النبي ﷺ في المعركة

وما دور علي عليه السلام فيها؟

ونادى النبي ﷺ مخاطباً المسلمين: أين ما عاهدتم الله عليه؟

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب^(٤).

وأخذ النبي ﷺ يناديهم: أنا ابن العواتك والفواطم، أنا ابن عبد المطلب، فقال ﷺ: ناولني كفاً من تراب فناولته ثم استقبل بها وجوههم قائلاً: شأهت الوجوه، وفي رواية قال: حم لا ينصرون وفي رواية جمع بينها، فما خلف الله منهم إنساناً إلا ملأت عينيه وفمه، وقال: انهزموا ورب محمد، فولوا مدبرين^(٥).

(١) مغازي الذهبي ٥٧٨.

(٢) التوبة: ٢٥-٢٦.

(٣) مغازي الواقدي ٨٩٢/٣، تاريخ الطبري ٨٢/٣، سيرة ابن هشام ١٢٢/٤، مغازي الذهبي ٥٧٤.

(٤) تاريخ الطبري ٨٢/٢ - ٨٤، سيرة ابن هشام ١٢٢/٤، الأرشاد ١٤٢/٢.

(٥) السيرة الحلبية ١١٠/٣، مغازي الذهبي ٥٨١، سنن مسلم، كتاب الجهاد ٧٦/١٧٧٥، تاريخ البخاري ١٩/٤.

فكان تراب رسول الله أمضى من سلاح اثني عشر ألف مقاتل ساروا معه، وأمضى من عصا موسى عليه السلام. وقال الرسول كان علياً عليه السلام لي كالعصا السحرية لموسى عليه السلام (١). وأخذت عائشة ذلك من رسول الله ﷺ فقذفت تراباً في وجوه جيش علي عليه السلام في معركة الجمل قائمة شأهت الوجوه، فكانت النتيجة فرار جيشها وانتصار أعدائها. ونلاحظ أمراً عظيماً آخر ألا وهو ارجاع النبي ﷺ والمسلمين سبايا تلك القوات المعادية إليها إكراماً لأخته من الرضاعة وتشجيعاً منه لإسلامهم، فالهدف الإسلام ليس السبايا.

والذي يستفاد من معركة حنين أن الانتصار بالجهاد والدعم الإلهي لا بالزيادة البشرية وكثرة العدة الحربية ومصدق ذلك الانتصار الإسلامي في بدر وخيبر. والفائدة الأخرى اهتمام رسول الله ﷺ بدخول الناس في الإسلام لا قبض الغنائم، فعفا النبي ﷺ عن قائد هوازن مالك وأرسله لقيادة عملية حصار الطائف! أما دور الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في معركة حنين فكان في ثباته مع رسول الله ﷺ حين فر عنه المسلمون واقدامه على قتل حامل لواء المشركين وبطلهم في حنين أبي جرول. وكان أبو جرول بطل هوازن على جمل أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام القوم، إذا أدرك ظفراً من المسلمين أكب عليهم، وإذا فاته الناس رفعه لمن وراءه من المشركين فاتبعوه وهو يرتجز ويقول:

أنا أبو جَرول لا بَراح حتى تُبيح القوم أو تُباح

فصمد له أمير المؤمنين علي عليه السلام فضرب عجز بعيره فصرعه ثم ضربه فقطره ثم قال:

قد علم القوم لدى الصباح أنني في الهيجاء ذو نصاح

وقتل علي عليه السلام أربعين رجلاً من القوم فكانت هزيمة المشركين بقتل أبي جرول بطل الكافرين (٢).

(١) الفهرست لابن النديم ١٤٤.

(٢) الأرشاد ١٤٢ / ٢ سيرة أبي حاتم ٣٤٩ / ١ سيرة ابن دحلان ١٠٢ / ٢، مغازي الواقدي ٩٠٢ / ٢.

قال اليعقوبي: ولما انتصرت هوازن صاح العباس بأمر الرسول ﷺ: يا أهل بيعة الرضوان، يا أصحاب سورة البقرة. ومضى علي بن أبي طالب ﷺ إلى صاحب راية هوازن فقتله، وكانت الهزيمة^(١).

وتبين معركة حنين أن النصر من قبل الله تعالى وليس بكثرة المسلمين على أعدائهم ففي تلك المعركة كان المسلمون كثيرين فلم تنفعهم كثرتهم ولا عدتهم ففشلوا وهزموا. ولما بقيت القلة القليلة من المؤمنين بقيادة رسول الله ﷺ تحت لواء علي بن أبي طالب ﷺ جاء نصر الله تعالى فسقطت راية الكافرين وتفرقت فلولهم وانهمزمت جموعهم.

الغنائم والسبايا

وكانت الغنائم أربعة وعشرين ألف بعير والغنم أكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية فضة وستة آلاف امرأة وطفل^(٢) وأعطى رسول الله ﷺ كل واحدٍ من المهاجرين والأنصار أربعة من الأبل^(٣) وأربعين شاة. ومن كان فارساً أخذ سهمه وسهم فرسه، ثم أخذ رسول الله ﷺ وبرة من سنام بعيره ثم قال: أيها الناس إنني والله مالي من فيئكم ولا هذه البرة إلا الخمس والخمس مردود عليكم^(٤).

وقالوا: أعطى أبا سفيان مائة من الأبل وأربعين أوقية فضة فقال ابني يزيد فأعطوه أربعين أوقية فضة ومائة من الإبل قال ابني معاوية قال ﷺ: أعطوه أربعين أوقية فضة ومائة من الإبل وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل ثم سأله مائة أخرى فأعطاه إياها وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل وأعطى سهيل بن عمرو مائة من الإبل وأعطى

(١) تاريخ اليعقوبي ٦٣/٢.

(٢) طبقات ابن سعد ١٥٦/٢، سيرة ابن دحلان ١٠٤/٢، ١٠٨، تاريخ الطبري ٣٥٢/٢.

(٣) الأرشاد ١٤٨/٢.

(٤) سيرة أبي حاتم ٣٥٦/١، تاريخ الطبري ٣٥٨/٢، مغازي الواقدي ٩٤٣/٣.

حويطب بن عبد العزى مائة من الإبل وقد أعطى الرسول ﷺ هؤلاء المؤلفلة قلوبهم من الخمس^(١).

ووقف ذو الخويصرة في الجعرانة وقال للرسول ﷺ: إعدل فإنك لم تعدل^(٢). فقال الرسول ﷺ: ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون وقال ﷺ: سيخرج من ضئىء هذا الرجل قوم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية لا يجاوز إيمانهم تراقيهم فخرج منه حرقوص بن زهير البجلي المعروف بذي الثدية^(٣). وجاءت الشفاء بنت حليمة أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة اليه فحبها وأكرمها وبسط لها رداءه.

وكلمته في السبايا وقالت: إنما هنّ خالاتك وأخواتك. فقال ﷺ: ما كان لي ولبنى هاشم فقد وهبته لك، فوهب المسلمون ما كان في أيديهم من السبايا كما فعل إلا رئيس بني تميم الأقرع بن حابس ورئيس فزارة عيينة بن حصن، وقوم آخرون فأعطاهم النبي ﷺ إبلًا عوضاً عن السبايا. وكلمته في مالك بن عوف النضري رئيس جيش هوازن فرضي ﷺ عنه فجاء وأسلم في حصار الطائف فابقاه لحصار الطائف و بقيت غنائمهم الكثيرة للمسلمين^(٤). ولاحتياج هؤلاء إلى الملابس فقد أعطاهم النبي ﷺ قبطية قبطية^(٥). ورد عثمان بن عفان زينب بنت حيان التي أصابها من السبي وفي زمن حكمه جاءته مع زوجها وكان ساقطاً فقال لها عثمان: ويحك هذا كان أحب اليك مني؟ قالت: نعم زوجي وابن عمي^(٦).

(١) طبقات ابن سعد ٢ / ١٥٣.

(٢) المنتظم ٣ / ٢٣٩.

(٣) تاريخ أبي القداء ١ / ٢١٠.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٦٣، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٦١، الطبقات ٢ / ١٥٤، ١٥٥، جمل من انساب الاشراف ١ / ٤٦٨.

(٥) عيون الأثر ٢ / ٢٢٣.

(٦) دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ١٩٥.

موقف الانصار من توزيع الغنائم

وقال البخاري والطبري وابن سيد الناس وابن الوردي وأبو الفداء رحمهم الله إنه ﷺ لم يعطِ الأنصار شيئاً^(١). وقال المفيد أعطاهم شيئاً يسيراً.

وقيل لرسول الله ﷺ: أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة مائة وترك جعيل بن سراقة الضمري؟

فقال رسول الله ﷺ: أما والذي نفسي بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاع الأرض كلهم مثل عيينة بن حصن والأقرع بن حابس ولكني تألفتها ليسلما ووكلت جعيل بن سراقة لإسلامه^(٢).

وكان النبي ﷺ يعطي المؤلفه قلوبهم ليثبت إسلامهم ويدفع شرهم. وغضب قوم من الأنصار لطريقة توزيع الغنائم، وبلغ رسول الله ﷺ عنهم مقال سخطه، فنادى فيهم فاجتمعوا ثم قال لهم: «اجلسوا، ولا يقعد معكم أحد من غيركم» فلما قعدوا جاء النبي ﷺ يتبعه أمير المؤمنين عليه السلام حتى جلس وسطهم، فقال لهم: «إني سائلكم عن أمر فأجيبوني عنه» فقالوا: قل يا رسول الله، فقال: «ألستم كنتم ضالين فهداكم الله بي؟»

قالوا: بلى، فله المنة ورسوله. قال: «ألم تكونوا على شفا حفرة من النار، فأنقذكم الله بي؟» قالوا: بلى، فله المنة ورسوله. قال: «ألم تكونوا قليلاً فكثركم الله بي؟» قالوا: بلى، فله المنة ورسوله. قال: «ألم تكونوا أعداء فألف الله بين قلوبكم بي؟» قالوا: بلى، فله المنة ورسوله.

ثم سكت النبي ﷺ هنيئاً ثم قال: «ألا تحببوني بما عندكم؟» قالوا: بلى، نحببك فذاك آباؤنا وأمهاتنا، قد أجبنك بأن لك الفضل والمن والطول علينا. قال النبي ﷺ: «أم لو شئتم لقلتم: وأنت قد جئتنا طريداً فأويناك، وجئتنا خائفاً فأمنناك،

(١) عيون الأثر ٢ / ٢٢٠، تاريخ الطبري ٢ / ٣٦١، تاريخ ابن الوردي ٢ / ١٢٥، تاريخ أبي الفداء ١ / ٢٠٨، سنن البخاري ٥ / ٢٧٨.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٣٥٩.

وجئتنا مُكذِّباً فصدّقناك».

فارتفعت أصواتهم بالبكاء وقام شيوخهم وساداتهم إليه فقبلوا يديه ورجليه، ثم قالوا: رَضِينَا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَهَذِهِ أَمْوَالُنَا بَيْنَ يَدَيْكَ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَقْسِمْنَا عَلَى قَوْمِكَ، وَلَكَنَّهُمْ ظَنُّوا سُخْطاً عَلَيْهِمْ وَتَقْصِيراً بِهِمْ، وَقَدْ اسْتَغْفَرُوا اللَّهَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، فَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

فقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجِعَ غَيْرُكُمْ بِالْإِشَاءَةِ وَالنَّعَمِ، وَتَرْجِعُونَ أَنْتُمْ فِي سَهْمِكُمْ رَسُولَ اللَّهِ؟» قالوا له: رَضِينَا.

فقال النبي ﷺ: «الْأَنْصَارُ كَرَشِي وَعَيْتِي»^(١)، لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِياً وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْباً، لَسَلَكَتِ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ.

وقد كان رسول الله ﷺ أعطى العباس بن مرداس السلمي أربعاً من الإبل يومئذٍ فسخطها وهو رئيس قومه، وأنشأ يقول:

(أَتَجْعَلُنِي) وَنَهَبَ الْعَلْبِيدَ كَبِيرٍ ^(٢) بَيْنَ عُيَيْنَةٍ وَالْأَقْرَعِ

فَاكَانَ حِصْنٌ وَلَا حَاسِسٌ يَفُوقَانِ شَيْخِي فِي الْمَجْمَعِ

وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرٍ مِنْهَا وَمَنْ تَضَعُ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعُ

فقال رسول الله ﷺ: «لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ: «قُمْ - يَا عَلِيٌّ - إِلَيْهِ فَاقْطَعْ لِسَانَهُ».

فقال العباس بن مرداس: فوالله هذه الكلمة كانت أشدَّ عليٍّ من يوم خَتَمَ، حين أتونا في ديارنا. فأخذ بيدي عليٍّ بن أبي طالب فانطلق بي، ولو أَرَى أَحَدًا يُخَلِّصُنِي مِنْهُ لَدَعَوْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا عَلِيٌّ، إِنَّكَ لِقَاطِعُ لِسَانِي؟

قال عليٌّ ﷺ: «إِنِّي لَمُضِي فِيكَ مَا أَمَرْتُ».

قال: ثُمَّ مَضَى بِي، فَقُلْتُ: يَا عَلِيٌّ إِنَّكَ لِقَاطِعُ لِسَانِي؟

قال عليٌّ ﷺ: «إِنِّي لَمُضِي فِيكَ مَا أَمَرْتُ»، قال: فَمَا زَالَ بِي حَتَّى أَدْخَلَنِي الْحِطَّاتِرَ، فَقَالَ

(١) في الحديث: «الْأَنْصَارُ كَرَشِي وَعَيْتِي» أراد أنهم بطائفة وموضع سره وأمانته والذين يعتمد عليهم في أموره. النهاية

٤: ١٦٣.

(٢) العبيد: كزبير، فرس. «القاموس المحيط» - عبد - ١: ٣١١.

لي: «أعتد ما بين أربع إلى مائة من الابل»
 قلتُ بأبي أنتم وأمي، ما أكرمكم وأحلمكم وأعلمكم!
 فقال علي عليه السلام: «إن رسول الله ﷺ أعطاك أربعاً وجعلك مع المهاجرين، فإن شئتَ فخذها، وإن شئتَ فخذ المائة وكُن مع أهل المائة».
 قلتُ: أشر عليّ. قال علي عليه السلام: «فإني آمرك أن تأخذ ما أعطاك وترضى».
 قلتُ: فإني أفعل^(١).

ذكروا لما قال النبي ﷺ: «اقطعوا عني لسانه» قام عمر بن الخطاب فأهوى إلى شفرة كانت في وسطه ليسلها فيقطع بها لسانه، فقال النبي ﷺ لأُمير المؤمنين: «قم أنت فاقطع لسانه»^(٢).

الصراع بين قريش وهوازن

ذكرنا في بداية الكتاب موضوع الصراع بين حزب لعقة الدم وبين هوازن والحروب بينهما تسمى بحروب الفجار. ولم يكن بنو هاشم من حزب لعقة الدم.
 ورغم هذا الصراع الدامي تمّنى طلقاء مكّة انتصار هوازن على رسول الله ﷺ؛ وتحالفت القيادة القرشية مع قيادة هوازن في حرب حنين ممّا يكفي لبيان مدى الحقد القرشي على الإسلام.

ولو انتصرت قبيلة هوازن وغيرهم من قيس فهذا في غير صالح قريش سياسياً واجتماعياً، ولكن قريشاً تفرح بنجاح جبهة الكفر المنتمية إليها عقائدياً.
 وثانياً أن قريشاً كانت ستعلن للملأ العام وقوفها في الحرب في صفوف هوازن فتكون نتائج الحرب في صالحها.

ولما قضّى الله تعالى جمع المشركين بحنين، تفرّقوا إلى ثلاثة أقسام^(٣) فرقة منهم لحقت

(١) الارشاد ١٤٦/١ - ١٤٧، المغازي، الواقدي ٩٤٥/٣.

(٢) الارشاد ١٤٦/١ - ١٤٧، المغازي، الواقدي ٩٤٥/٣.

(٣) أوطاس: وادّ في ديار هوازن كانت فيه وقعة حنين. «معجم البلدان ١: ٢٨١.

بالبطائف وفرقة بنخلة وفرقة باوطاس^(١).

فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا عَامرَ الْأَشْعَرِيَّ إِلَى أَوْطَاسٍ فِي جَمَاعَةٍ وَوَجَّهَ أَبَا سَفْيَانَ إِلَى الطَّائِفِ.

أَمَّا أَبُو سَفْيَانَ فَإِنَّهُ لَقِيَتْهُ ثَقِيفٌ فَضَرَبُوهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَانْهَزَمَ وَرَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: بَعَثَنِي مَعَ قَوْمٍ لَا يُرْقِعُ بِهِمُ الدَّلَاءُ مِنْ هُذَيْلٍ وَالْأَعْرَابِ، فَمَا أَغْنَوْا عَنِّي شَيْئًا، فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ.

ثُمَّ وَجَّهَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيًّا ﷺ إِلَى خَيْلٍ مِنْ خَتَمِهِ: فَبَرَزَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ يُقَالُ لَهُ شِهَابٌ، فِي غَبَشٍ الصَّبْحِ، فَقَالَ: هَلْ مِنْ مَبَارِزٍ؟

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ: «مَنْ لَهُ؟» فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ، فَقَامَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ فَوَثَبَ أَبُو الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ زَوْجُ رَيْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: كُفَّاهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ.

فَقَالَ ﷺ: «لَا، وَلَكِنْ إِنْ قَتَلْتُ فَأَنْتَ عَلَى النَّاسِ» فَبَرَزَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «إِنْ عَلَى كُلِّ رَئِيسٍ حَقٌّ أَنْ يُرَوِّى الصَّعْدَةَ أَوْ تُدَقَّ»

ثُمَّ ضَرَبَهُ فَقَتَلَهُ، وَمَضَى فِي تِلْكَ الْخَيْلِ حَتَّى كَسَرَ الْأَصْنَامَ.

وَعَادَ عَلِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُحَاصِرٌ لِأَهْلِ الطَّائِفِ فَلَمَّا رَأَاهُ النَّبِيُّ ﷺ كَبَّرَ لِلْفَتْحِ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ فَخَلَّاهُ وَنَاجَاهُ طَوِيلًا^(٢).

فَرَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَيَّابَةَ وَالْأَجْلَحُ - جَمِيعاً - عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا خَلَا بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ يَوْمَ الطَّائِفِ، أَتَاهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ: أَتَنَاجِيهِ دُونَنَا وَتَخْلُوبُهُ دُونَنَا؟

فَقَالَ ﷺ: «يَا عُمَرُ، مَا أَنَا أَنْتَجِيئُهُ، بَلِ اللَّهُ أَنْتَجَاهُ»^(٣).

فَأَعْرَضَ عُمَرُ وَهُوَ يَقُولُ: هَذَا كَمَا قُلْتَ لَنَا قَبْلَ الْحَدِيثِ: (لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ

(١) سيرة ابن دحلان ٢ / ١٠٤.

(٢) الأرشاد ٢ / ١٤٨ - ١٥١، تاريخ يعقوبي ٢ / ٦٣.

(٣) روي باختلاف يسير في سنن الترمذي ٥: ٣٠٣، تاريخ بغداد ٧: ٤٠٢، مناقب المغازلي: ١٢٤، أسد الغابة ٤: ٢٧.

كفاية الطالب: ٣٢٧.

شاء الله آمين) ^(١) فلم ندخله وصددنا عنه.

فناداه النبي ﷺ: «لم أقل إنكم تدخلونه في ذلك العام!» ^(٢).

الشهداء والقتلى

واستشهد من المسلمين يوم حنين أمين بن عبيد ويزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب وسراقة بن الحارث بن عدي من الأنصار وأبو عامر الأشعري ^(٣). وقتل من المشركين وقت الحرب أكثر من سبعين وفي الانهزام أكثر من ثلاثمائة وأسر منهم خلق كثير ^(٤).

وقيل قُتل من هوازن في معركة حنين خلق عظيم، وسبي منها سبايا كثيرة، بلغت عدتهم ألف فارس، وبلغت الغنائم إثني عشر ألف ناقة بسوى الأسلاب، وقُتل دريد بن الصمة فأعظم الناس ذلك. فقال ﷺ: إلى النار وبئس المصير، إمام من أئمة الكفر، إن لم يكن يعين بيده فإنه يعين برأيه ^(٥).

ويعني قوله تعالى: ﴿وعذب الذين كفروا﴾ القتل والأسر وسلب الأموال والأولاد وذهاب الجاه.

وصارت السبايا والأموال في أيدي المسلمين وبلغت هزيمة المشركين الطائف ومعهم مالك بن عوف. ومّر النبي ﷺ بامرأة قتلها خالد بن الوليد والناس مزدحمون عليها فأرسل ﷺ إلى خالد أن النبي ينهك أن تقتل وليداً أو عسيفاً ^(٦).

(١) الفتح ٢٧.

(٢) أعلام الوري: ١٢٤، واظفر قطع منه في سنن الترمذي ٥: ٦٣٩ / ٣٧٢٦. جامع الاصول ٨: ٦٥٨ / ٦٥٠٥، تاريخ

بغداد ٧: ٤٠٢، مناقب المغازلي: ١٢٤ / ١٦٣، كفاية الطالب: ٣٢٧، أسد الغابة ٤: ٢٧، مصباح الانوار ٨٨، كنز العمال

١١: ٦٢٥ / ٣٣٠٩٨ عن الترمذي والطبراني.

(٣) الروض الأنف ٧ / ١٨٤، سيرة ابن دحلان ٢ / ١٠٤.

(٤) سيرة ابن دحلان ٢ / ١٠٤.

(٥) طبقات ابن سعد ٢ / ١٥٦، سيرة ابن دحلان ٢ / ١٠٤، تاريخ الطبري ٢ / ٣٥٢.

(٦) البداية والنهاية ٤ / ٣٨٦.

حصار الطائف

والطائف بلد كثير الأعناب والنخيل جنوب شرقي مكة على قمة جبل غزوان وارتفاعه ١٦٣٠ متراً. واهالي الطائف من المحاربين القدماء للإسلام ومن المشاركين في حرب الأحزاب. ولم يشترك عروة بن مسعود في حرب الطائف إذ كان في جرش يتعلم صنعة العرادة والمنجنيق والدبابة^(١).

ولما قدم المنهزمون من ثقيف ومن انضم إليهم من غيرهم إلى الطائف، وهم فلول معركة حنين أغلقوا عليهم مدينتهم واستحصروا وجمعوا ما يحتاجون إليه لسنة كاملة وقائد ثقيف كنانة بن عبد ياليل.

فسار إليهم النبي ﷺ، فلما كان ببحرة الرغاء قبل وصوله إلى الطائف أمر فيها بقتل رجل من بني ليت قصاصاً، كان قد قتل رجلاً من هذيل، وهو أول دم أقيد به في الإسلام^(٢).

وفي خلاصة السير أنه ﷺ كان في غزوة الطائف فيينا هو يسير ليلاً بوادٍ قرب الطائف إذ غشى سدره في سواد الليل وهو في سنة النوم فانفرجت السدره له نصفين فمر بين نصفها وبقيت منفرجة على حالتها^(٣).

وحاصر النبي ﷺ الطائف نيفاً وعشرين يوماً^(٤). واخرجت ثقيف امرأة ساحرة فاستقبلت الجيش الإسلامي بعورتها^(٥). وكان الكفار يعتمدون على الساحرات لرد كيد أعدائهم.

وأشار النبي ﷺ بنصب منجنيق عليهم، وقاتلهم قتالاً شديداً، حتى إذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من المسلمين تحت دبابة عملوها، ثم زحفوا بها إلى

(١) المنتظم ٣ / ٣٤٢.

(٢) مغازي الواقدي ٢ / ٩٢١.

(٣) تاريخ الخميس ٢ / ١١٢.

(٤) المنتظم ٣ / ٣٣٦، ٣٤١، البداية والنهاية ٤ / ٤٠٢، تاريخ أبي الفداء ٢ / ٢٠٩.

(٥) مغازي الواقدي ٢ / ٩٢١.

جدار الطائف، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد المحماة، فخرجوا من تحتها، فرماهم من بالطائف بالنبل فقتلوا رجالاً منهم^(١).

ثم خرج من حصن الطائف نافع بن غيلان بن مُعتب في خيلٍ من ثقيف، فلقى أمير المؤمنين عليه السلام بَظَنَ وَجَّ فقتله، وانهزم المشركون ولحق القوم الرعب فتوجه منهم جماعة إلى النبي ﷺ فأسلموا^(٢).

ونزل إلى رسول الله بضعة عشر رجلاً من رقيق أهل الطائف فأعتقهم، منهم أبو بكره بقيع بن الحارث بن كلدة، (وإنما قيل له أبو بكره ببكرة نزل فيها)، وغيره. فلما أسلم أهل الطائف تكلمت سادات أولئك العبيد في أن يردهم رسول الله ﷺ، إلى الرق.

فقال النبي ﷺ: لا أفعل، أولئك عتقاء الله. ونزل من الطائف مالك بن عوف زعيم هوازن فأتى رسول الله ﷺ ومدحه بشعر وأسلم فوهب له رسول الله ﷺ أهل بيته ومائة من الإبل واستعمله على من أسلم من قومه ومن حول الطائف^(٣) وقد أسلم وفد هوازن بعد أن أرجع لهم رسول الله ﷺ السبي^(٤).

ومن أعمال المناققين:

تسبب المغيرة بن شعبة في قتل مسلم عمداً إذ كان أبو محجن من ثقيف يرمي المسلمين من فوق الحصن فقال رجل من مزينة لصاحبه: إن افتتحنا الطائف فعليك بنساء بني قارب فإنهن أجمل إن أمسيت وأكثر فداءً إن فاديت.

فسمعه المغيرة بن شعبة فقال: يا أخا مزينة إرم أبا محجن. وإنما غار المغيرة حين ذكر المزني النساء، وعرف أن أبا محجن رجل رام لا يسقط له سهم.

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٦٣، طبقات، ابن سعد ٢ / ١٥٨، سيرة ابن دحلان ٢ / ١٠٦.

(٢) الإرشاد ٣ / ١٥٠ - ١٥٣، من أنساب الأشراف ١ / ٤٦٤.

(٣) جعل من أنساب الأشراف، ١ / ٤٦٨.

(٤) سيرة أبي حاتم ١ / ٣٥٦، تاريخ الطبري ٣ / ١٣٤، مغازي الواقدي ٣ / ٩٤٩، سيرة ابن هشام ٣ / ٢٦، المنتظم،

ابن الجوزي ٣ / ٣٤٢.

فرماه المزني فلم يصنع سهمة شيئاً، وفوّق له أبو محجن بمعبلة وقعت في نحره فقتله.
فقال عبد الله بن عمرو بن عوف للمغيرة قاتلك الله يا مغيرة أنت والله عرضته لهذا،
أنت والله منافق، والله لو لا الإسلام ما تركتك حتى أغتالك.

وقال المزني^(١): إن معنا الداهية وما نشعر، والله لا أكلّمك أبداً، فطلب المغيرة إلى المزني
أن يكتم ذلك له. قال: لا والله أبداً^(٢).

واستأذن عيينة بن حصن رسول الله ﷺ في أن يأتي أهل الطائف فيدعوهم إلى
الإسلام فأذن له، فجاءهم فأمرهم بالثبات في حصنهم وقال لهم: لا يهولنكم قطع ما قطع
من الأشجار في كلام طويل.

فلما رجع قال له رسول الله ﷺ ما قلت لهم؟

قال: دعوتهم إلى الإسلام وأنذرتهم النار وذكرتهم بالجنة.

فقال النبي ﷺ: كذبت بل قلت لهم كذا وكذا.

فقال عيينة: صدقت يا رسول الله ﷺ أتوب إلى الله وإليك من ذلك^(٣).

ولم يأذن الله تعالى لرسوله في فتح الطائف^(٤)، ثم إن خويلد بنت حكيم السلمية، وهي
امراة عثمان بن مظعون، قالت: يا رسول الله أعطني إن فتح الله عليك الطائف حلي بادية بنت
غيلان أو حلي الفارعة بنت عقيل، وكانتا من أكثر النساء حلياً.

فقال لها رسول الله ﷺ: أرايت إن كان لم يؤذن لي في ثقيف يا خويلد؟

فلما رأت ثقيف الناس قد رحلوا عنهم نادى سعيد بن عبيد الثقفي: ألا إن الحلي مستقيم.

فقال عيينة بن حصن: أجل والله مجدة كراماً.

فقال رجل من المسلمين: قاتلك الله يا عيينة أتمدحهم بالإمتناع من رسول الله ﷺ؟

قال عيينة: إنني والله ما جئت لأقاتل معكم ثقيفاً، ولكنني أردت أن أصيب من ثقيف جارية

(١) صاحب المزني الشهيد.

(٢) مناخي الواقدي ٢ / ٩٣٠.

(٣) دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ١٦٣، البداية والنهاية ٤ / ٣٩٩.

(٤) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٦٨، تاريخ خليفة بن خياط ٤٤.

لعلها تلد لي رجلاً، فإنّ ثقيفاً قوم مناكير.

وقيل: إنّ رسول الله ﷺ استشار نوفل بن معاوية الدؤلي في المقام عليهم، فقال: يا رسول الله ثعلب في جحر إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لم يضرّك، فأذن بالرحيل. فلما رجع الناس قال رجل: يا رسول الله ادعُ على ثقيف.

قال النبي ﷺ: اللهم اهد ثقيفاً وأت بهم.

واستشهد بالطائف اثنا عشر رجلاً، منهم عبدالله بن أبي أمية المخزومي.

وبعد عودته ﷺ من الطائف اعتمر من الجعرانة لخمس خلون من ذي القعدة ودخل مكة وطاف وسعى وحلق ورجع إلى الجعرانة التي تبعد عن مكة ثمانية عشر ميلاً^(١). وأيد هذه العمرة أصحاب المغازي والسير مثل عروة بن الزبير وموسى بن عقبة وابن إسحاق وابن هشام وابن حبان والواقدي.

اسلام أهالي الطائف

وفي سنة تسع هجرية قدم من الطائف على رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفي فأسلم، ورغب في العودة إلى الطائف لتبليغ الإسلام، فقال له الرسول ﷺ: إنهم قاتلوك وهذا من دلائل نبوة النبي ﷺ.

فقال عروة: أنا أحب إليهم من أبكارهم، وكان فيهم محبباً مطاعاً.

ولما دعاهم للإسلام رموه بالنبل وقتلوه^(٢).

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهراً ثم إنهم اتتمروا بينهم ألا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا.

فجاء وفد الطائف للمدينة فأنزلهم ﷺ في قبة في المسجد، في رمضان سنة تسع فكان خالد بن سعيد بن العاص يمشي بينهم وبين النبي ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يرسل إليهم ما يأكلونه مع خالد، وكانوا لا يأكلون طعاماً حتى يأكل خالد منه، حتى أسلموا^(٣).

(١) سيرة ابن دحلان ٢ / ١١٤.

(٢) تاريخ الطبري ٣٦٣ / ٢، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٨٣ - ٢٨٥، طبقات ابن سعد ٢ / ١٥٨.

(٣) جمل من أنساب الأشراف ١ / ٤٦٧، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٦٦.

وكان فيما سألوا رسول الله ﷺ، أن يدع الطاغية، وهي اللات، لا يهدمها ثلاث سنين، وكان قصد هم من ذلك أن يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم فأبى عليهم، فنزلوا إلى شهر فلم يجيبهم، وسألوه أن يُعفيهم من الصلاة.

فقال النبي ﷺ: لا خير في دين لا صلاة فيه، فأجابوا وأسلموا. وأمر عليهم رسول الله ﷺ، عثمان بن أبي العاص، وكان أصغرهم، لما رأى من حرصه على الإسلام والتفقه في الدين. ثم رجعوا إلى بلادهم^(١) واستأذنوه أن يسبقوا رسله إليهم،

فلما جاؤوا قومهم تلقوهم فسألوهم ما وراءكم فأظهروا الحزن وأنهم إنما جاؤوا من عند رجل فظ غليظ قد ظهر بالسيف بحكم ما يريد وقد دوخ العرب، قد حرم الربا والزنا والخمر، وأمر بهدم الربة، فنفرت ثقيف وقالوا لا نطيع لهذا أبداً.

قال فتأهبوا للقتال وأعدوا السلاح، فكثروا على ذلك يومين - أو ثلاثة - ثم ألقى الله في قلوبهم الرعب فرجعوا وأنابوا وقالوا: إرجعوا إليه قشارطوه على ذلك وصالحوه.

قالوا: فإننا قد فعلنا ذلك ووجدناه أتقى الناس وأوفاهم وأرحمهم وأصدقهم، وقد بورك لنا ولكم في مسيرنا إليه وفيما قضيناه، فافهموا القضية واقبلوا عافية الله.

قالوا: فلم كتمتمونا هذا أولاً؟ قالوا أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان، فأسلموا مكانهم ومكثوا أياماً ثم قدم عليهم رسل رسول الله ﷺ وقد أمر عليهم خالد بن الوليد، وفيهم المغيرة بن شعبة، فعمدوا إلى اللات، وقد استكفت ثقيف رجالها ونساءها والصبيان حتى خرج العواتق من الحجال ولا يرى عامة ثقيف أنها مهدومة ويظنون أنها ممتنعة، فقام المغيرة بن شعبة فأخذ الكرزين - يعني المعول - وقال لأصحابه: والله لأضحكنكم من ثقيف، فضرب بالكرزين ثم سقط يركض برجله فارحج أهل الطائف بصيحة واحدة وفرحوا وقالوا أبعده الله المغيرة قتلته الربة.

وقالوا لأولئك من شاء منكم فليقترب، فقام المغيرة فقال: والله يا معشر ثقيف إنما هي لكاع حجارة ومدر، فاقبلوا عافية الله واعبدوه، ثم إنه ضرب الباب فكسره. ثم علا سورها وعلا الرجال معه، فما زالوا يهدمونها حجراً حجراً حتى سووها بالأرض، وجعل

(١) راجع تاريخ ابن الأثير ٢/٢٦٦، ٢٨٣، ٢٨٤.

سادنها يقول: ليغضبن الأساس فليخسفن بهم، فلما سمع المغيرة قال لخالد: دعني أحفر أساسها فحفروه حتى أخرجوا ترابها وجمعوا ماءها وبناءها، وبهتت عند ذلك ثقيف، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فقسم أموالها من يومه وحمدوا الله تعالى على اعزاز دينه ونصرة رسوله^(١).

وكان كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب لهم: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي رسول الله ﷺ إلى المؤمنين: إن عضاة وج^(٢) وصيده لا يعضد من وجد يفعل شيئاً من ذلك فإنه يجلد وتنزع ثيابه، وإن تعدى ذلك يؤخذ فيبلغ به النبي محمداً وإن هذا أمر النبي محمد وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبد الله فلا يتعداه أحد، فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله ﷺ^(٣).

وهكذا أسلمت ثقيف بحكمة رسول الله ﷺ دون حروب، وحسن إسلامها. وأصبح عروة بن مسعود الثقفي قدوة لهم في إسلامه وشهادته وصدقه.

الذلائل والعبر

بعد فتح مكة لم يستقر رسول الله ﷺ طويلاً فيها بل سرعان ما جهز نفسه والمسلمين لغزو هوازن وثقيف وهو ما يدل على رغبته في فتح شبه جزيرة العرب بأسرع وقت ممكن لتخفق عالياً راية لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وأراد ﷺ أن يستخدم القبائل المسلمة الجديدة في الجهاد ليستقر الإسلام في قلوبها فنراه أخذ معه قبائل قريش وخزاعة وبني أسلم وتميماً وغيرها.

ولم يغفل رسول الله ﷺ عن دور العيون في كشف حقيقة الأعداء في عددهم وعدتهم وخططهم الحربية، فقام بذلك الدور المهم عبد الله بن أبي حدرد المنحدر من قبيلة هوازن والموثوق به من قبل سيد الرسل. وكان اعتماده ﷺ على ابن أبي حدرد إلى درجة أن

(١) البداية والنهاية ٥ / ٤٢، دلائل النبوة البيهقي ٥ / ٣٠٣.

(٢) عضاة: واحدته عضه، شجر له شوك، ووج أرض الطائف.

(٣) البداية والنهاية ٥ / ٤٣.

صدق رأيه وطرح قول عمر بن الخطاب.

ومن الأمور الملفتة للنظر ثبات رسول الله ﷺ في الحروب كلها اعتماداً على القوى الإلهية وعدم التفاتته للقوى المعادية. وذلك الثبات والتمركز هو الذي دعا لتراجع المسلمين إلى قواعدهم الأصلية والبدء بمحاربة قوى هوازن وثقيف.

فتمكن النبي ﷺ بتلك القوة الصامدة معه من الثبات أمام جيش هائج متشكل من آلاف مؤلفة.

واظهرت الحرب أنه لا يثبت في الحروب إلا المخلصون المتوكلون على الله تعالى، أما الفاسقون وضعيفو الإيمان فلا يجاهدون في ساحات القتال ولا يصعدون أمام سيوف الغزاة والمعادين. ففرت الجماعات ذاتها التي انهزمت في أحد وخيبر.

وأثبتت أعمال المعارضين لرسول الله ﷺ اتحادهم في ذلك الهدف فقد طالبوا بوضع شجرة لهم يعبدونها كما يعبد الكفار شجرة ذات أنواط، ورتبوا أمر الهزيمة في حنين بصورة جماعية بين زعامات قريش وبني سليم وأسلم وتميم.

وفرار ستة آلاف مقاتل من الأعراب وقريش من جيش الرسول ﷺ تسبب في فرار الأنصار والمهاجرين. فلم يكن هناك فائدة في جيوش أبي سفيان وعيينة بن الحصن وابن الأكوع بل كان فيهم ضرر. إذ تسببوا في فرار جيش المهاجرين والأنصار وإثارة نوع من الفوضى في صفوف المسلمين. وقال أبو سفيان: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر^(١).

وكان شيبه بن عثمان بن طلحة قد تعاهد هو وصفوان بن أمية إن رأيا على رسول الله ﷺ دائرة أن يكونا عليه وهما خلفه^(٢) قال شيبه فجئت محمداً ﷺ من خلفه فلم يبق إلا أسوره^(٣) بالسيف فوقع ما بيني وبينه شواظ من نار كأنه برق وخفت أن يحشني (يحرقني) ووضعت يدي على بصري ومشيت القهقري^(٤).

(١) مغازي الواقدي: ٩٠٩/٢.

(٢) مغازي الواقدي ٩٠٩/٢.

(٣) سوره أي علاه.

(٤) مغازي الواقدي ٩١٠/٢، عيون الأثر ٩١٠/٢.

وأخو صفوان الثاني كلدة بن حنبل نادى: اليوم بطل السحر وقال سهيل بن عمرو: لا يجبرها محمد وأصحابه^(١).

وهذا بين الاتفاق الحاصل بين قريش وهوازن.

وشجع عيينة بن الحصن بني ثقيف على الصمود في وجه خاتم الأنبياء في حين أرسله النبي ﷺ ليشجعهم على الاستسلام!

وحرك آخرون الناس ضد طريقة توزيع رسول الله ﷺ الغنائم وقاد تلك المحاولة ذو الخويصرة الخارجي وانضم الأنصار إلى المحتجين.

وبمجموع تلك الأفعال بين وجود تنظيم بين الطلقاء والأعراب والمنافقين في مواجهة الإسلام فلم يكن دخول هؤلاء في الدين إلا شكلياً، فهم بعيدون عن الاعتقادات الغيبية والطاعة للقيادة النبوية، فقال واحد: لا تغلب اليوم من قلّة وكذب الثاني المعلومات الخطيرة المقدمة من قبل عبد الله بن أبي حذرد وقاتل جاسوس هوازن الأسير في يد المسلمين، وفتك خالد بن الوليد بالنساء حقاً على الأمر النبوي في عدم قتل الأطفال والنساء والأسرى والعبيد لا تارتهم على معاداة الإسلام. وطلب ﷺ من أبي بكر وعمر قتل ذي الخويصرة فلم يقتلاه! ^(٢) فهذه الأعمال الكثيرة والمرتبة تبين شدة وسعة الهجمة على النبي ﷺ ولولا النصر الإلهي لأصبح الإسلام في خبر كان

﴿ثم أنزل سكنته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها﴾^(٣).

لذلك قالت أم سليم لرسول الله ﷺ: أرايت هؤلاء الذين أسلموك وفرّوا عنك وخذلوك لا تعف عنهم إذا أمكنك الله تعالى منهم فاقتلهم كما تقتل هؤلاء المشركين. فقال ﷺ: يا أم سليم قد كفى الله، عافية الله أوسع^(٤).

ومن الضروري بمكان اطلاع جاسوس هوازن على أسماء شبكة التآمر على رسول

(١) مغازي الواقدي ٢ / ٩١٠.

(٢) النص والاجتهاد ١٣٤ - ١٤٠.

(٣) التوبة ٢٦.

(٤) مغازي الواقدي ٢ / ٩٠٤.

الله ﷺ ومشاريعهم فتسبب الأمر في قتله ودفن المعلومات التي عنده. ولنفس الغرض كُذِّبَ عبدالله بن أبي حدرد الذي اطلع على معلومات مفيدة وخطيرة وصل إلينا بعضها. ولم يحصل ابن أبي حدرد عليها إلا لشجاعته وانتائه إلى قبيلة هوازن.

وقد قال حذيفة بن اليمان العارف بأسماء المنافقين لاحقاً: عندي أسرار لو قلتها لقتلوني قبل أن أضع يدي في في^(١)

ولما طلب بعض المسلمين أن تكون لهم شجرة يذبحون لها ويتعرون عندها يوماً تعظيماً لها! فقد جاء: «كان من حجّ منهم وضع رداءه عندها ويدخل بغير رداء تعظيماً لها^(٢)».

فقال رسوله ﷺ إنهم يسرون على سنن اليهود من أتباع موسى عليه السلام الذين قالوا: «اجعل لنا إلهاً كما لهم إلهة قال إنكم قوم تجهلون»^(٣) إنها لسنن من كان قبلكم.

وبسبب الحرية التي أوجدها رسول الله ﷺ فقد أبرز الكثير من الناس آراءهم بصراحة فالأقرع بن حابس رئيس تميم وعيينة بن الحصن رئيس فزارة والعباس بن مرداس رئيس بني سليم أعلنوا بصراحة مخالفتهم لارجاع السبايا إلى هوازن^(٤) وأعلن أبو سفيان وصفوان بن أمية وشيبة آراءهم في بغض النبي ﷺ ودينه واستنكر عمر مناجاة الرسول لعلي عليه السلام ورفض ذو الخويصرة طريقة رسول الله ﷺ في توزيع الأموال ورفض أبو بكر وعمر قتل ذي الخويصرة فكانت جبهة عريضة ضد رسول الله ﷺ.

إن هؤلاء المخالفين لرسول الله ﷺ كانوا يتشجعون على أفعالهم بكثرتهم ولولا ذلك لما جرأوا على أفعالهم، وثقيف لم تتقوا على صمودها إلا بدعم من عيينة بن الحصن وأبي سفيان والمغيرة بن شعبة الذين ذهبوا للتفاوض معها.

والأمر الآخر إن الله تعالى بين بعض شؤون معركة حنين في كتابه الكريم وبين البعض الآخر عبر جبرئيل عليه السلام.

فكشف جبرئيل حقيقة قول عيينة بن الحصن لثقيف ففضحه جماهيرياً وبين تعالى

(١) مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٢٥٩.

(٢) منازي الواقي ٢ / ٨٩١.

(٣) الأعراف ١٣٨.

(٤) عيون الأثر ٢ / ٢٢٣.

شخصية ذي الخويصرة والخوارج لرسوله ﷺ فأعلنها للناس.

وفي الجانب الآخر كان علي بن أبي طالب من الثابتين مع رسول الله ﷺ لم يفر أبداً يحمل لواءه عالياً لا خائفاً ولا وجلأً. ولما كان أبو جرول حامل لواء المعادين وأشجع فرسان هوازن وثقيف فقد صمد له علي ﷺ وقتله في جولة سريعة فسقطت راية المهاجرين واندحر عزهم فولوا مدبرين لا يلوون على شيء.

ولما أمر خاتم الأنبياء بقتل ذي الخويصرة حرقوص بن زهير حمل سيفه أمير المؤمنين واندفع لتنفيذ حكم الله تعالى فيه لكنه لم يعثر عليه وذلك بعد أن امتنع أبو بكر وعمر عن قتله. وبعد مرور ثلاثين سنة على ذلك التاريخ تمكن أبو الحسن ﷺ فقتله في معركة النهروان^(١).

ودفع رسول الله ﷺ أموالاً طائلة للمؤلفة قلوبهم من قريش وسائر قبائل العرب ليشجعهم على الثبات في الدين والاحتراس من وثباتهم الطائشة وليكن ﷺ شاهداً عليهم يوم القيامة لكنهم أصروا على غيهم وشرهم غير مهتدين ولا موقنين. وتعامل خاتم الأنبياء مع أعدائه بكل عطف واحترام فخيرهم بين أهلهم السبايا وبين أموالهم ففضلوا أهلهم فأرجعهم إليهم بكل رافة وغضب على خالد بن الوليد الذي قتل امرأة من السبايا.

ولم يأخذ لنفسه شيئاً من تلك الأموال والسبايا فرفع وبرة سنام بعير وقال: ليس لي من فيثكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس وهو مردود عليكم^(٢).

وأثبتت الأنصار استقامتها إذ رضيت بحرمانها من الغنائم واستمرت في تضحياتها. وكسب النبي ﷺ زعيم هوازن مالك بن عوف إلى الإسلام فأصبحت تلك القبيلة الكبيرة من الطوائف المسلمة المحاربة للمشركين.

والقارئ لهذا الموضوع يطمئن بأن هوازن وثقيف لا تجترئ على حرب رسول الله ﷺ لولا اقتراح قريش. ورغم الأعمال المخزية لبعض المسلمين من الطلقاء والأعراب

(١) أسد الغابة، ابن الأثير ٢ / ١٧٢.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٧١.

والمهاجرين وغيرهم لم يأمر النبي ﷺ بقتلهم. والشخص الوحيد الذي أمر ﷺ بقتله هو ذو الخويصرة. ولم يلح في حرب أهل الطائف ولم يدع عليهم بل دعا لهم بالهداية ولم يقطع نخلهم وكرومهم فلم تمض سنة إلا ودخلت ثقيف في الإسلام^(١).



(١) الروض الأنف ٧ / ١٦١ - ٢٠٠، الأرشاد ٢ / ١٤٠ - ١٥٥، مغازي الذهبي ٥٧١ - ٥٨٥، أنساب الأشراف ١ / ٤٦٣ - ٤٦٦، سيرة أبي حاتم ١ / ٣٤٦، تفسير الفخر الرازي ٦ / ١٨، البدء والتاريخ ٢ / ٩٩، المنتظم، ابن الجوزي ٣ / ٣٣٤، سيرة ابن دحلان ٢ / ٩٦ - ١٠٠، تاريخ الطبري ٢ / ٣٥٢، عيون الأثر ٢ / ٢١٣، تفسير القرطبي ٨ / ٩٦، البداية والنهاية ٤ / ٣٧٠ - ٣٧٩، تاريخ ابن الوردي ٢ / ١٢٥، حياة محمد ﷺ، هيكمل ٤٣٢، تاريخ أبي الفداء ٢٠٧، دلائل النبوة، البهقي ٥ / ١٢٥ - ٢٠٠، السيرة الحلبية ٣ / ١١٠ - ١٢٠، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٦٨، تفسير الزمخشري ٢ / ٢٦١، تاريخ خليفة بن خياط ٤٣ - ٤٥، تفسير الطبرسي ٣ / ١٧.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کلامی و علوم اسلامی

باب

قدوم وفود العرب

على رسول الله ﷺ





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

وفود العرب إلى رسول الله ﷺ

قدمت وفود العرب إلى خاتم الأنبياء لتعلن الإسلام في السنة الثامنة والتاسعة بعد سماعها بإسلام قريش.

فإذا كانت مكة قد منعها الله تعالى من إبرهة وجيشه ومنعها من سائر الطغاة فقد شاهد العرب سرعة استسلامها لجيش رسول الله الذي كان مدعاة لأن يدرك الناس أن الله تعالى في المحالين مع بني إسماعيل مرة في شخص عبد المطلب ومرة في شخص حفيده محمد ﷺ.

ولقد فتح جيش المسلمين مدن شبه جزيرة العرب الواحدة بعد الأخرى، وأصبحت المدينة المنورة وخيبر ومكة والطائف وقبائل عربية كبيرة تعيش في ظل حكومة رسول الله ﷺ. وأضحت الدولة الإسلامية سيدة للمنطقة بلا منازع يزهو عدوها ونظمها وأمنها وتكاملها الاجتماعي على مسلمي المقاطعة. فاضطر زعماء العشائر للرضوخ لضغوط الناس الداعية لقبول الإسلام.

ولما لم تكن تلك القبائل أقوى من قريش وهوازن وثقيف واليهود فكيف لها بالصمود في الظروف الحاكمة يومذاك أمام المسلمين. ثم إن القبائل أصبح حالها واقتصادها وأمنها أفضل مما كانت عليه زمن الكفر فلماذا ترفض القبائل التي لم تؤمن بعد الحالة الجديدة؟ خاصة وأن ملوك الدول المجاورة يتصفون بالقهر والاستبداد والاستغلال في حين لم يتصف رسول الله ﷺ إلا بالعفو والرحمة والعدل وبسط الحرية سيمًا وقد تحققت انتصارات

عظيمة للمسلمين نهاية السنة الثامنة؛ ففي شهر رمضان فتحوا مكة وظمّوا قريشاً إلى المسلمين، وفي شهر شوال هزموا هوازن وضمّوها إلى صفوف الموحدين.

واستمرت الانتصارات فتوجت بإسلام ثقيف في شهر رمضان في السنة التاسعة. ولما سمعت قبائل العرب بإسلام قريش وثقيف السلمي سارعت للحدو وحدوها فدخلت في دين الله أفواجاً دون حرب ولا عناء طبقاً للسورة المباركة:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

لقد نزلت هذه السورة في فتح مكة مبشرة بفتح الحرم المكي وسائر البلاد ودخول الناس في الدين أفواجاً أي جماعات كثيرة بعد أن كانوا يدخلون في الدين واحداً واحداً أو اثنين اثنين. فورد من اليمن سبعمائة إنسان مؤمنين طائعين بعضهم يؤذنون وبعضهم يقرأون القرآن وبعضهم يهللون فسرّ النبي ﷺ بذلك (١).

وسئل الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الناس؟ فقال ﷺ: نحن الناس وأشياعنا أشباه الناس وأعداؤنا النسناس، فقبله علي رضي الله عنه وعينه وقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته (٢).

وسورة النصر تبين ما فتح الله تعالى على المسلمين لاحقاً من أقطار جزيرة العرب ومن أمصار سائر الأمم حتى بلغوا المدائن والقسطنطينية (٣).

وقال رسول الله ﷺ: إن الناس دخلوا في الدين أفواجاً وسيخرجون منه أفواجاً (٤) ووعد الله تعالى رسوله بالتريية العظيمة بقوله ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ (٥). فدخل في الإسلام المخلصون لله تعالى والطامعون في الدنيا، وأدركت قبائل أخرى أن لا

(١) تفسير القرطبي ٢٢ / ٢٣٠.

(٢) تفسير الفخر الرازي ١١ / ٣٤٠.

(٣) تفسير القرطبي ٢٢ / ٢٣٠ - ٢٣٤، تفسير الفخر الرازي ١١ / ٣٤٠ - ٣٤٢، تفسير الطبرسي ٥ / ٥٥٤، تفسير

الزمخشري ٤ / ٨١٠.

(٤) تفسير القرطبي ٢٢ / ٢٣٠، تفسير الفخر الرازي ١١ / ٣٤١.

(٥) الضحى ٥.

قدرة عندها على مواجهة دولة رسول الله ﷺ الفتية والعظيمة فدخلت في دين الله تعالى. وكل تلك المجاميع نشطت لخدمة الدين بعد تعرفها على أصوله القويمة وأسسها الإنسانية وأخلاقه العالية. وهو مصداق للسورة المباركة:

وقدمت عليه وفود العرب، ولكل قبيلة رئيس يتقدمهم. فقدمت مزينة ورئيسهم خزاعي بن عبد نهم، وأشجع ورئيسهم عبدالله بن مالك، وأسلم ورئيسهم بريدة، وسليم ورئيسهم وقاص بن قامة، وبنو ليث ورئيسهم الصعب بن جثامة.

وجاءت زعامات بني تميم برئاسة عطاردة بن حاجب بن زرارة التيمي وفيهم الأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم والحباب بن يزيد ونعيم بن زيد. وجاء قيس بن عاصم في وفد عظيم من تميم فيهم عيينة بن حصن الفزاري. وكان الأقرع وعيينة شهدا مع رسول الله ﷺ حيناً والفتح والطائف.

وبعد ما فاخروا رسول الله ﷺ والمسلمين قال الأقرع بن حابس: إن هذا الرجل محمد ﷺ خطيبه أخطب من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا وأصواتهم أعلى من أصواتنا. ولما فرغوا أجازهم رسول الله ﷺ.

وجاء وفد صداة إلى رسول الله ﷺ معلناً إسلامه في السنة الثامنة^(١). فدعوا رسول الله في بئرهم فأعطاهم حصيات قد عركهن بيده فألقوها في البئر وقد سموا الله تعالى فلم ينقطع ماؤها^(٢).

وجاء وفد بني محارب وكانوا أغلظ العرب وأفظهم على رسول الله ﷺ أيام عرضه نفسه على القبائل يدعوهم إلى الله^(٣).

وجاء وفد غسان ثلاثة نفر في شهر رمضان سنة عشر معلنين إسلامهم وبعد عودتهم لم يستجب لهم قومهم^(٤).

(١) دلائل النبوة، البيهقي ٣١٥ / ٥.

(٢) عيون الأثر ٣١٤ / ٢.

(٣) عيون الأثر ٣١٦ / ٢، عيون الأثر ١٨١ / ٢.

(٤) عيون الأثر ٣١٤ / ٢، سيرة ابن دحلان ١٨١ / ٢.

(٥) عيون الأثر ٣١٦ / ٢، سيرة ابن دحلان ١٨٣ / ٢.

ثم وفد الجارود بن المعلّى فولّاه رسول الله على قومه، وأوفدت ملوك حمير بإسلامهم وفوداً وهم: الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل ذي رعين وكتبوا إليه بإسلامهم فبعث إليهم معاذ بن جبل، وعُكل ورئيسها خزيمه بن عاصم، وجذام ورئيسها قروة بن عمرو، وحضرموت ورئيسها وائل بن حجر الحضرمي، والضباب ورئيسها ذو الجوشن، وبنو أسد ورئيسها ضرار بن الأزور.

وجاء بنو الحارث بن كعب ورئيسهم يزيد بن عبدالمذّان، وبنو تميم وعليهم عطار بن حاجب والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم ومالك بن نويرة، وبنو نهد وعليهم أبو ليلى خالد بن الصقعب، وكنانة ورئيسهم قطن وأنس إنا حارثة من بني عليم. وهمدان ورئيسهم ضمام بن مالك، وثمانة والمذّان فخذ من الأزد ورئيسهم مسلمة بن هزّان المذّاني، وباهلة ورئيسهم مطرق بن كاهلة الباهلي الحنفي ومهرة ورئيسهم مهري بن الأبيض^(١).

وقدم وفد بني عذرة وقالوا: نحن بنو عذرة إخوة قصي لأمه نحن الذين عضدوا قصياً وازاحوا من بطن مكة خزاعة وبني بكر ولنا قرابات وأرحام. فقال رسول الله ﷺ مرحباً بكم وأهلاً فأسلموا وبشرهم ﷺ بفتح الشام وهرب هرقل إلى ممتنع بلاده وأجازهم رسول الله ﷺ^(٢).

وقدم وفد بني بلي ربيع الأوّل سنة تسع وقد أسلموا فأجازهم رسول الله ﷺ^(٣). وقدم وفد بني مرة ثلاثة عشر رجلاً رأسهم الحارث بن عوف فأجازهم رسول الله ﷺ عشر أواق لكل منهم وأعطى الحارث اثني عشرة أوقية ودعاهم ﷺ بالمطر فسقاهم الله تعالى^(٤).

وقدم وفد خولان وقد أسلموا وقالوا: قد فتننا صنمنا عم أنس فقد أكلنا الرمة لفقرنا واشترينا مائة ثور وذبحناها لعم أنس وتركناها للسباع ونحن أخوج إليها من السباع.

(١) راجع تاريخ اليعقوبي ٢ / ٨٤، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٣١٠.

(٢) عيون الأثر ٢ / ٣٠٩، سيرة ابن دحلان ٢ / ١٧٩.

(٣) عيون الأثر ٢ / ٣١٠، سيرة ابن دحلان ٢ / ١٨٠.

(٤) عيون الأثر ٢ / ٣١١.

فأوصاهم رسول الله ﷺ بالوفاء وبالعهد وأداء الأمانة وحسن الجوار وأن لا يظلموا أحداً، فأجازهم النبي ﷺ ورجعوا^(١).

وقدم وائل بن حجر من حضر موت وكان أبوه من ملوكهم وقد بشر به رسول الله ﷺ قبل مقدمه بثلاثة أيام^(٢).

وقدم زيد الخيل في وفد طيء فكلّموا رسول الله ﷺ وأسلموا، فسماه رسول الله ﷺ: زيد الخير^(٣).

وأسلم فروة بن مسبك المرادي مفارقاً للملوك كندة ومباعداً لهم، وقبيل الإسلام كانت هناك وقعة بين همدان ومراء انتصرت فيها همدان^(٤).

وفي شهر رمضان قدم الأزد ورأسهم صرد بن عبد الله في بضعة عشر رجلاً فأسلم وأمره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه وأمره أن يجاهد المشركين، فانتصر على أهل جرش^(٥).

وفي السنة التاسعة أسلم فروة بن عمرو الجذامي وبعث رسولاً إلى رسول الله ﷺ بإسلامه وأهدى له بغلة بيضاء.

وكان فروة عاملاً للروم على من يليهم من العرب، ومنزله معان في أرض الشام، ولما بلغ الروم إسلامه طلبوه حتى أسروه وحبسوه ولما قدّموه ليصلبوه قال:

بلغ سراة المسلمين بأنني سلم لربي أعظمي ومقامي^(٦).

وقد بعث إليه ذو يزن مالك بن مرة الرهاوي بإسلامهم ومفارقتهم الشرك وأهله وقدم وفد عبد القيس فقال لهم الرسول ﷺ: مرحباً بالوفد غير خزايا ولا ندامى ووضع النبي ﷺ يده على ظهر مجنونهم ودعا له فبرىء لحينه.

(١) عيون الأثر ٢ / ٣١٢، سيرة ابن دحلان ٢ / ١٨١.

(٢) دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٣٥٨.

(٣) الروض الأنف ٧ / ٤٠٣.

(٤) الروض الأنف ٦ / ٤٠٦.

(٥) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٩٥، الروض الأنف ٧ / ٤١١.

(٦) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٩٧.

وحذرهم المسكر قائلاً: إذا شربوا المسكر عمد أحدهم إلى ابن عمه فجرحه، وأشار إلى رجل قد جرحه ابن عمه في ذلك وكان يخفي جرحه ويكتمه فعجبوا من علم النبي ﷺ^(١). وبعث بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافداً على رسول الله ﷺ فقدم عليه وأناخ بعيـره على باب المسجد ثم عقله، ودخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه، وكان ضمام رجلاً جلدأ أشعر ذا غديرتين، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟

فقال رسول الله ﷺ: أنا ابن عبد المطلب.

قال: أحمد؟ قال نعم.

قال يابن عبد المطلب، إني سائلك ومُعَلِّظ عليك في المسألة، فهل تجدن في نفسك، قال لا أجد في نفسي، فسل عما بدا لك. قال: أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، أالله بعثك إلينا رسولاً؟

قال: اللهم نعم؛ قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، أالله أمرك أن تأمرنا أن نعبد وحده لا نشرك به شيئاً، وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدونها معه؟

قال: اللهم نعم، قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، أالله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة. الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها، ينشده عند كل فريضة منها كما ينشده في التي قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله؛ وسأؤدِّي هذه الفرائض؛ وأجتنب ما نهيتني عنه، لا ثم أزيد ولا أنقص. ثم انصرف إلى بعيـره راجعاً. فقال رسول الله ﷺ: إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة^(٢).

(١) الروض الأنف ٧ / ٤٢٨.

(٢) الروض الأنف ٧ / ٣٩٧.

وجاء وفد بني عامر فيهم ابن الطفيل وأربد بن قيس وخالد بن جعفر وحيان بن مسلم فكان هؤلاء نفر رؤساء القوم وشياطينهم، فقدم عامر بن الطفيل، فقال: تالله لقد كنت آليت أن لا أنتهي من تتبع العرب عقبي؛ أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش؟ ثم قال لأربد إذا قدمنا على الرجل فإني شاغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف^(١) فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال عامر: يا محمد خالني^(٢).

فقال ﷺ: «لا حتى تؤمن بالله وحده، لا شريك له».

فلما أبى عليه رسول الله ﷺ، قال: أما والله لأملأها عليك خيلاً حمراً، ورجالاً فلما ولى قال رسول الله ﷺ: «اللهم اكفني عامر بن الطفيل» فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ، قال عامر لأربد: ويحك يا أربد!! اين ما كنت أمرتك به؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل أخوف عندي على نفسي منك، وأيم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً. قال: لا أبالك لا تعجل علي فوالله ما هممت بالذي أمرتني به من مرة؛ إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف؟

ثم خرجوا راجعين إلى بلادهم، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله عز وجل على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله في بيت امرأة من بني سلول، ثم خرج أصحابه حين واروه حتى قدموا أرض بني عامر فأتاهم قومهم فقالوا ما وراك يا أربد فقال لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي فأرميه بالنبل هذه حتى أقتله.

وكان رسول الله ﷺ قد دعا على عامر بن الطفيل ثلاثين صباحاً، اللهم اكفني عامر بن الطفيل بما شئت وابعث عليه داء يقتله^(٣).

وقدم وفد بني الحارث بن كعب فيهم يزيد بن عبد المدان، وذكر فيهم أيضاً ذا الغصة وهو الحصين بن يزيد بن شداد الحارثي.

(١) «فاعله بالسيف» يريد: اقتله، ويروى: فاعله بالسيف: بالغين المعجمة، وهو من الغيلة وهي القتل خديعة وخفية.

(٢) (خالني): أي تفرد لي خالياً حتى أحدثك على انفراد، ومعناها الثاني: اتخذني خليلاً أي صاحباً.

(٣) دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٣٢٠.

وقال عمر بن الخطاب يوماً: لا تُزاد امرأة في صداقها كذا وكذا، ولو كانت بنت ذي الغصّة^(١).

وقدم وفد سلامان في السنة العاشرة معلّنين إسلامهم^(٢) وقدم وفد بني عبس معلّنين إسلامهم، وقدم وفد بني عامر معلّنين إسلامهم سنة عشر^(٣).

إن دخول قبائل عربية كثيرة في الإسلام دون حرب ساعد المسلمين على حفظ دمائهم وأموالهم وتطوير وحدتهم ونظمهم ممّا مكّن الدولة في التفكير في الغزو الخارجي للروم والفرس. ولما وجدت قبائل العراق والشام العربية التفاف قبائل جزيرة العرب حول رسول الله ﷺ سارعت الكثير منها للتفكير في دخول الإسلام ومحاربة الدولتين الرومية والفارسية.

وآخر وفد جاء إلى رسول الله ﷺ هو وفد النخع في النصف من محرم سنة إحدى عشرة في مائتي رجل^(٤).

مسيلمة الكذاب والاشعث

وجاء وفد بني حنيفة وأسلموا فأجازهم رسول الله ﷺ، ولما عادوا إلى اليمامة ارتد عدو الله مسيلمة وأعلن نبوّته المزيفة. ووضع عنهم الصلاة وأحلّ لهم الخمر والزنا. ومع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ بالنبوة. فأرسل له النبي ﷺ رسالة: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله ﷺ إلى مسيلمة الكذاب، سلام على من أتبع الهدى: أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. فأرسل له مسيلمة رسولين فقال لهما النبي ﷺ: أنتم تقولان بمثل ما يقول؟ قالوا: نعم.

(١) الروض الأثف ٧ / ٤٥٤.

(٢) عيون الأثر ٢ / ٣١٧.

(٣) عيون الأثر ٢ / ٣٢٠.

(٤) عيون الأثر ٢ / ٣٢٠، سيرة ابن دحلان ٢ / ١٩٢.

فقال ﷺ: أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما^(١).
ومن زيف كتاب مسيلمة: الطاحنات طحناً والعاجنات عجنناً والخابزات خبزاً
والتاردات ترداً واللاقات لقماً^(٢).

وقال كذباً: «لقد أنعم الله على الحبلى» أخرج منها نسمة تسعى بين صفاف وحشا»
وكانت آياته منكوسة: تفل في بئر قوم سألوه ذلك تبركاً فجف ماؤها، ومسح رأس
صبي فقرع قرعاً فاحشاً، ودعا لرجل في ابنين له بالبركة فرجع إلى منزله فوجد أحدهما قد
سقط في البئر والآخر قد أكله الذئب، ومسح على عيني رجل استشفى بمسحه فابيضت عيناه^(٣).

وانتهت حركة مسيلمة بالفشل والخذلان إذ قتل المسلمون وهزموا جيشه!
وقدم الأشعث بن قيس على رسول الله ﷺ مسلماً في ثمانين راكباً من كندة وقد رجّلوا
جمعهم وتكحلوا وعليهم جيب الحبرة قد كففوها بالحرير.

فقال لهم رسول الله ﷺ: ألم تسلموا؟
قالوا: بلى.

قال فما بال هذا الحرير في أعناقكم؟
فشقوه منها فألقوه^(٤).

ثم ارتد الأشعث في زمن رسول الله ﷺ وأصبح من حزب مسيلمة الكذاب.
وأذن الأشعث بن قيس لمسيلمة الكذاب وأذن شيث بن ربعي لسجاح المتنبئة ثم تزوج
مسيلمة من سجاح!

سفراء النبي إلى ملوك العالم

وبعث رسول الله ﷺ رسلاً من أصحابه إلى ملوك العالم وكتب معهم كتباً يدعوهم فيها
إلى الإسلام.

(١) دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٣٣٢، سيرة ابن هشام ٤ / ٢١٠.

(٢) دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٣٣٣.

(٣) الروض الأنف ٧ / ٤٤٤.

(٤) الروض الأنف ٧ / ٤١٠.

فبعث دحية الكلبي إلى قيصر ملك الروم، وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك فارس، وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة، وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية، وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى جيفر وعتياد الأزديين ملكي عمان، وبعث سليط بن عمرو واحد بني عامر بن لؤي إلى ثمامة بن أثال وهوذة بن علي الحنفين ملكي اليمامة، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي العبدي ملك البحرين، وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كلال الحميري ملك اليمن^(١).

الدلائل والعبر

كانت قبائل العرب الجاهلية تعيش على الغدر والإحتيال وتغير المواقف باستمرار وتعود نفسها على غزو الجار والأرحام والأعداء على السواء! وكان الطرف الآخر بقيادة النبي ﷺ وأجداده في استقامة دائمة لا غدر فيها ولا ختل ولا تذبذب في المواقف، ولا غزو للأصدقاء والأرحام. ويسعى هذا الخط الإلهي لفرض الأمن في البلاد والعافية للناس والتكامل الاجتماعي للبشر، ويطمح لتوفير الحريات والعدالة الاجتماعية. وهذه الأمور تسببت في دخول القبائل في الإسلام برغبة ورهبة فالخلصون من الناس دخلوا رغبة في الأهداف السامية والطالحون دخلوا خوفاً من العدالة وطمعاً في الأمور الدنيوية.

والملاحظ على سيرة دخول الناس في الإسلام يلحظ المدة الزمنية القصيرة، فبعد مرور ثلاث وعشرين سنة دخلت شبه جزيرة العرب كلها في الإسلام. إن كبر مساحة هذه المنطقة واختلاف أهداف الناس وعقائدهم يجعل من الصعوبة دخولهم في فكر جديد إلا إذا كان كاملاً.

(١) الروض الأنف ٧ / ٤٦٥.

والأخطر في ذلك أن قبائل شبه جزيرة العرب قد تعودوا على التحلل السياسي والعيش بعيداً عن حكومة مركزية فكيف تمكن رسول الله ﷺ من جمعهم في دولة قوية وربطهم بسلطة مركزية.

فالناس في العراق يختلفون آنذاك عن الناس في الحجاز ونجد فسكان الحجاز ونجد لا يوجد في ذهنهم وذهن آبائهم تبعية لقدرة سياسية والتزام بقوانين أمنية. ورغم ذلك فقد حاول رسول الله ﷺ الاستفادة من تلك التناقضات لكسب الناس إلى الإسلام فنجح نجاحاً باهراً.

والقضية الثالثة التي أهتم بها رسول الله ﷺ بعد استقباله لوفود العرب واهتمامه بدول العالم تمثل في إرساله السفراء إلى ملوك الأرض لدعوتهم إلى الإسلام وهذه خطوة مهمة وضرورية فعلها الأنبياء من قبل، إذ أرسل عيسى عليه السلام حواريه إلى ملوك العالم لدعوتهم إلى النصرانية^(١).

لقد لاحظ الناس هذه الأمور فأقبلوا على الإسلام:

شريعة سمحة وكاملة لا تغفل عن الأمور السياسية والاقتصادية والاجتماعية وأخلاق نبوية فاضلة يعلو بها على سائر البشر ويرقى بها على أهل النظر.

وإن رسول الله ﷺ مصداق لتطابق كلامه وعمله فلم يجمع أموال الدنيا، ولم يتجبر على سائر الناس، ولم يركب أهواءه، ولم يظلم أحداً، وكلما اطلع الناس على خفايا أسرارهم ازدادوا حباً وتعلقاً به.

فقد كان يفرش رداءه لأي أعرابي مغمور يقدم عليه المدينة ويجلسه مكانه في أرض المسجد وإذا تكلم محدثه لا يقطع عليه كلامه.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کلام و فقه اسلامی

باب

ازواج رسول الله ﷺ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

نساء الرسول

كان في نساء الأنبياء الصالحات والطالحات ومن الطالحات زوجتا نوح ولوط قال تعالى: ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما﴾^(١)

وقال تعالى عن ابن نوح: ﴿إنه عمل غير صالح﴾^(٢) أي خرج من أهلك بكفره. ودافعت زوجة لوط عن قومها وأفعالهم المخزية فقالت: واقوماء فأدركها حجر فقتلها^(٣). وكذلك كانت نساء رسول الله ﷺ فيهن الصالحات والطالحات. ومعظم آباء أزواج الرسول من الكافرين والمنافقين واليهود فسودة أبوها من الكافرين وام حبيبة وعائشة وحفصة آبأؤهم أبو سفيان وأبو بكر وعمر وصفية وريحانة أبوها يهوديان.

قال الصادق عليه السلام: إن النبي ﷺ تزوج خمس عشرة امرأة، ودخل بثلاث عشرة، وجمع بين إحدى عشرة، ومات ﷺ عن تسع^(٤).

١ - أولهنّ خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي وولدت أولاده أجمعين خلا إبراهيم عليه السلام، ولم يتزوج عليها حتى ماتت. وتزوجها عذراء، روى ذلك البلاذري وأبو قاسم الكوفي في كتابيهما، والمرضى في

(١) التحريم ١٠.

(٢) هود ٤٦.

(٣) تاريخ أبي الفداء ٣١/١.

(٤) تاريخ ابن الأثير ٣٠٧/٢.

الشافي وأبو جعفر في التلخيص^(١).

٢ - سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، تزوجها بمكة، وكانت كبيرة في السن.

وحزنت سودة بانتصار المسلمين في بدر ومجئهم بأشراف قريش أسرى فقالت لهم: أعطيتكم بأيديكم كما تفعل النساء ألا ممت كراماً؟

فقال رسول الله ﷺ لها: أعلیٰ الله ورسوله تحرضين؟^(٢).

وكانت خديجة تتمتع بأخلاق فاضلة، وسودة معروفة بعكس ذلك فأعلنت عائشة أنها تقتدي بسودة إذ قالت: رأيت أحب إليّ أن أكون في مسلاخها^(٣).

وسودة بنت زمعة امرأة فيها حدة^(٤). وسودة وعائشة وحفصة تأمرن على رسول الله ﷺ لأكله العسل في بيت أم سلمة فقلن له فيك رائحة كريهة أأكلت المغافير^(٥) فقال ﷺ: لا^(٦).

فطلقها رسول الله ﷺ وعاد إليها فخشيت سودة أن يطلقها رسول الله ﷺ ثانية من أعمالها المشينة في حقّه فقالت له لا تطلقني وأجلسني مع نسائك ولا تقسم لي^(٧) فنزلت آية: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما والصلح خير﴾^(٨).

٣ - عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة، تزوجها النبي وكانت ثيباً ودخل بها بالمدينة. ثم طلقها وراجعها^(٩).

(١) البحار ٢٢ / ١٩١، الإستانة ١ / ٧٠.

(٢) تاريخ ابن الاثير ٢ / ١٣١.

(٣) أي في مثل هديها وطريقها، كتاب النهاية لابن الاثير كلمة سلخ.

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢ / ٢٧٧.

(٥) والمغافير صمغ العرطف كريه الرائحة.

(٦) تفسير الطبرسي ١٠ / ٥٥، أسباب النزول، الواحدي ٢٩١، تفسير القرطبي ٥ / ٤٠٣.

(٧) تفسير الطبرسي ٣ / ٢٠٦.

(٨) النساء ١٢٨.

(٩) المستدرک ٤ ح ١٧٥١٦.

- ٤ - حفصة بنت عمر بن الخطاب ثم طلقها النبي ﷺ وراجعها ثم هم بطلاقها^(١).
- ٥ - زينب بنت عميس^(٢).
- ٦ - زينب بنت خزيمة بن الحارث من بني عامر بن صعصعة، وهي أم المساكين؛ ولم يمت من نسائه عنده غيرها وغير خديجة.
- ٧ - أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.
- ٨ - زينب بنت جحش بن رثاب بن قيس بن يعمر بن صبرة من بني أسد بن خزيمة.
- ٩ - أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم^(٣).
- ١٠ - جويرة واسمها برة بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية من خزاعة^(٤).
- ١١ - ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بحير الهلالي^(٥).
- هؤلاء اللاقي دخل بهن ﷺ ومن سراريهن، مارية أم إبراهيم وريحانة القريظية وصفية بنت حيي بن أخطب من بني النجار من سبط هارون النبي ﷺ.
- والنسوة اللاقي لم يدخل بهن رسول الله ﷺ: *سيرة علي بن أبي طالب*
- ١ - خولة بنت الهذيل بن هبيرة الثعلبية، هلك في الطريق قبل وصولها إليه^(٦).
- ٢ - شراف أخت دحية بن خليفة الكلبي، حملت إليه فهلك قبل دخولها عليه^(٧).
- ٣ - سنا بنت الصلت بن حبيب بن حارثة السلمي، ماتت قبل أن يصل إليها^(٨).
- ٤ - قتيلة بنت قيس بن معدي كرب، وهي أخت الأشعث بن قيس بن فلان، قبض

(١) عيون الأثر ٢ / ٢٨٤، أنساب الأشراف ٢ / ٥٦١، فطلق النبي ﷺ عائشة وحفصة وسودة بسبب اخلاقهن السيئة وكان لا يحبهن ثم راجعن لحكمة أرادها الله تعالى.

(٢) البحار ٢٢ / ١٩٤.

(٣) البحار ٢٢ / ١٩١.

(٤) البحار ٢٢ / ١٨١.

(٥) البحار ٢٢ / ١٩١.

(٦) طبقات ابن سعد ٨ / ١٦٠.

(٧) طبقات ابن سعد ٨ / ١٦٠.

(٨) طبقات ابن سعد ٨ / ١٤٩، البحار ٢٢ / ١٩٢.

رسول الله قبل خروجها إليه من اليمن، وارتدت مع الأشعث، فخلف عليها عكرمة بن أبي جهل^(١).

٥ - العالية بنت ظبيان بن عمرو الكلابي، طلقها.

٦ - ليلي بنت الحطيم الأوسي^(٢).

قالت: أنا بنت الحطيم، وأبي مطعم الطير، وقد جئتكم أعرض نفسي عليكم. قال: قد قبلتك. فأنت نساءها فقلن لها: بئس ما صنعت! أنت امرأة غيور ورسول الله كثير الضرائر، إنا نخاف أن تغاري فيدعو عليك فتهلكي، إستقيليه، فأنته فاستقالته، فأقالها^(٣).

٧ - صفية بنت بشامة العنبرية، عرض عليها المقام عنده أو ردّها إلى أهلها فاختارت أهلها فردّها.

اسباب تعدد زوجات الرسول

من الدواعي الرئيسية لهذا رغبة الأبناء والنساء في مصاهرة رسول الله ﷺ فنقدم أبو بكر وعمر والأشعث بن قيس على عرض عائشة وحفصة وقتيلة على الرسول فوافق على الزواج منهن. وبعض النساء عرضن أنفسهن مباشرة على النبي ﷺ فوافق على الزواج منهن مثل غزية بنت دودان وام حبيبة بنت أبي سفيان وزينب بنت جحش.

وعندما طلق الرسول سودة طلبت منه أن لا يطلقها وترضى أن لا يقسم لها^(٤).

والملاحظ في نسائه أن الكثير منهن من المسنات مثل سودة، أو من اللواتي ليس هنّ معيل يعيلهن بعد مقتل أزواجهنّ فضمّهن رسول الله ﷺ إلى نسائه.

فكانت خديجة باكرة فقط، والأخريات ثيبات، بينما كان بإمكانه الزواج من العشرات من النساء الباكرات.

(١) طبقات ابن سعد ٨ / ١٤٧.

(٢) البحار ٢٢ / ١٩٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٨ / ١٥٠، ١٥١.

(٤) تفسير الطبرسي ٢ / ٢٠٦.

ولا يغيب عن بالنا كثرة الحروب التي شنتها الكفار على المسلمين وكثرة الفتوحات الإسلامية تسببت في زيادة نسبة النساء على الرجال، فأصبح شائعاً زواج الرجل من عدة نساء وامتلاكه مجموعة من الجواري.

وزواج الرجل من عدة نساء كان عادياً في الجاهلية والإسلام لكن اليهود والأمويين وسائر أعداء الإسلام سلطوا الضوء على زيجات النبي ﷺ وافترضوا كثيراً في هذا المجال. كما أن النبي ﷺ اعتزل بعض نساءه (عائشة وحفصة) فترة من الزمن، وبين الحاكم ذلك الحديث بصورة واضحة قائلاً: كان النبي قد طلق عائشة وحفصة ثم راجعهما^(١). وبعض زيجاته كانت سياسية واجتماعية ودينية مثل زواجه بريحانة القرظية وصفية النضيرية.

وسبباً للحروب من النساء كن كثيرات يقعن في سهم كل مسلم.

كم زوجة للنبي ﷺ طلقت بخديعة؟

مركز بحوث الدراسات الإسلامية

ومن طلقن بخديعة عائشة وحفصة:

١ - غزيرة بنت دودان بن عوف بن جابر بن ضباب من بني عامر بن لؤي، وهي أمّ شريك التي وهبت نفسها للنبي ﷺ. فاستعادت من النبي ﷺ بنصيحة عائشة وحفصة فطلقها ﷺ^(٢).

٢ - أسماء بنت النعمان الكندي، من بني آكل المرار، كانت من أجمل نسائه وأتمهنّ فقالت لها عائشة وحفصة: إن أردت أن تحظي عنده فتعوّذي بالله منه إذا دخلت عليه. فلما دخل وأرخى الستر، قالت: أعوذ بالله منك! فصرف وجهه عنها.

ثمّ قال ﷺ: أمني عائذة بالله! الحق بأهلك فخرج النبي ﷺ والغضب يُعرف في وجهه^(٣).

(١) صحيح البخاري ٧٠/٦ طبعة دار الفكر - بيروت، المستدرك ٤/١٧٥١٦.

(٢) طبقات ابن سعد: ٨/١٤٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٨/١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، البحار ٢٢/١٩٢، ٢٠٤، ٢١٠، مختصر تاريخ دمشق ٢/٢٨٧.

٣ - عمرة بنت يزيد بن عبيد بن روااس الكلابي، علّمتها عائشة نصيحتها الخطيرة! بالتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، والرجيم أقبح شياطين الجن.

فقال رسول الله ﷺ أعوذ بالله منك فطلقها^(١).

٤ - الجونية امرأة من كندة وهي زينب بنت أبي الجون وليست بأسماء، كان أبو أسيد الساعدي قدم بها عليه في السنة التاسعة، فوليت عائشة وحفصة مشطها وإصلاح أمرها، فقالت إحداهما لها: إن رسول الله يعجبه من المرأة إذا دخل عليها ومدّ يده إليها أن قالت: أعوذ بالله منك.

ففعلت ذلك فوضع ﷺ يده على وجهه واستتر بها وقال ﷺ: عدت، فعادت ثلاث مرّات. ثم خرج وأمر أبا أسيد الساعدي أن يمتعها برازقيتين ويلحقها بأهلها؛ فسَمّت نفسها الشقية وماتت كمدًا^(٢).

فقال النبي ﷺ عن عائشة وحفصة: إنهن صواحب يوسف وكيدهن عظيم^(٣).

٥ - فاطمة بنت الضحّاك بن سفيان استعادت من النبي ﷺ بنصيحة عائشة وحفصة! فطلقها النبي ﷺ فقالت أنا الشقية إنما خُذْتُ^(٤).

٦ - امرأة من بلجون علّمتها عائشة وحفصة ومكرن بها فقالت للنبي ﷺ أعوذ بالله منك فطلقها ﷺ.

فقال لأهلها خُذْتُ، فسَجَنَتْ نفسها في بيتها حتى ماتت كمدًا^(٥).

٧ - مُليكة بنت كعب الليثي وكانت تذكر بجمال بارع فخدعتها عائشة فقالت لرسول الله ﷺ أعوذ بالله منك فطلقها النبي ﷺ^(٦) وقتل خالد بن الوليد أباها بعد فتح مكّة في حادثة بني جذيمة^(٧).

١

(١) المستدرك الحاكم ٤ / ٣٨ طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) المستدرك الحاكم ٤ / ٥٨، جمل من أنساب الاشراف ٢ / ٩٦، طبقات ابن سعد ٨ / ١٤٥، أنساب الاشراف ٢ / ٥٩٧.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢ / ٢٨٧، طبقات ابن سعد ٨ / ١٤٥، البحار ٢٢ / ٢٠٩.

(٤) طبقات ابن سعد ٨ / ١٤٢.

(٥) طبقات ابن سعد ٨ / ١٤٦، أنساب الاشراف ٢ / ٥٩٧.

(٦) طبقات ابن سعد ٨ / ١٤٨، مختصر تاريخ دمشق ٢ / ٢٨٩، طبعة دار صادر - بيروت.

(٧) مختصر تاريخ دمشق ٢ / ٢٨٧، أنساب الاشراف ٢ / ٥٩٩، طبعة دار الفكر.

وكان إصرار عائشة وحفصة على الاستمرار في خداع زوجات رسول الله ﷺ الجدد عجباً رغم الغضب النبوي الشديد تجاههما، والحالة النفسية الخطيرة لتلك المطلقات! والنتيجة بالموت لبعضهن.

٨- وضباعة بنت عامر القيسية، كانت عند عبدالله بن جدعان فطلقها ثم تزوجها هشام بن المغيرة فأولدها سلمة، وطلقها فخطبها رسول الله ﷺ إلى سلمة. فقال: استأمرها.

فقلت: أفي رسول الله! قد رضيت^(١).

والظاهر أنها طلقت بخديعة عائشة وحفصة إذ ماتت كمدأ وحزناً^(٢). ونسب إليها رجال الحزب القرشي طوافها بالكعبة عارية وقولها في الجاهلية: اليوم يبدو بعضه أو كله^(٣) وهذا من كذب الحزب القرشي لحبها رسول الله ﷺ.



من أذت رسول الله ﷺ؟

وكانت عائشة وحفصة تؤذيان رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان كما قال البخاري^(٤).

وقالت حفصة للنبي ﷺ أمام عمر: تكلم ولا تقل إلا حقاً فضر بها عمر^(٥). ومن صور أذاها تشكيك عائشة في نسب إبراهيم بن رسول الله ﷺ^(٦) أي وصمت مارية بالزنا! واتهمت إبراهيم بأنه لقيط! فأنزل الله تعالى براءتها في كتابه الكريم. في آيات الإفك. وقد غير الأمويون آيات الإفك لاحقاً لصالح عائشة بدل مارية^(٧)! فهل تعتبر عائشة وحفصة من جملة نساء رسول الله ﷺ المنتعم بهما؟

(١) عيون الأثر ٢/٣٩٢-٣٩٤، تاريخ يعقوبي ٢/٨٤، ٨٥، تاريخ ابن الأثير ٢/٣٠٧.

(٢) تاريخ ابن عساكر ٢/٢٩٤، الروض الأنف ٢/٢٩١.

(٣) الروض الأنف ٢/٢٩١، جمل من أنساب الأشراف ٢/٩٩.

(٤) صحيح البخاري ٦/٦٩، الطبقات ٨/٥٦.

(٥) البحار ٢٢/١٧٤.

(٦) المستدرک الحاكم ٤/٤٢ طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

(٧) راجع كتاب الإفك للسيد جعفر مرتضى.

ومن مصاديق كذب عائشة على رسول الله ﷺ أنه أرسلها إلى امرأة من كلب لتنظر إليها فذهبت ثم رجعت.

فقال ﷺ لها: ما رأيت؟

قالت: لم أر طائلاً^(١).

فقال ﷺ: لقد رأيت خالاً بخدّها اقشعرت له كل شعرة منك^(٢).

فقالت عائشة: يا رسول الله ما دونك ستر^(٣).

وكانت أم حبيبة بنت أبي سفيان تبغض علياً^(٤) مثل عائشة وحفصة وقد قال رسول

الله ﷺ: يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق^(٥).

وورد أن رسول الله ﷺ فوض أمر نسائه بعد موته إلى علي^(٦) وجعل رسول الله له أن

يقطع عصمة أيتهن قائلاً: إذا عصت الله بعدي بالخروج عليك فاطلق لها في الأزواج

وأسقطها من شرف أمومة المؤمنين أي يقطع عصمة أيتهن شاء، وله من الصحابة جماعة

يشهدون بذلك^(٧).

ولم يعتن طلحة بن عبد الله ابن عم عائشة برسول الله ﷺ فأعلن رغبته في الزواج من

عائشة وأعلن عثمان رغبته في الزواج من أم سلمة^(٨) فنزل قوله تعالى:

﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم

كان عند الله عظيماً﴾^(٩).

وقد قال النبي ﷺ في صلاة الجمعة في المسجد النبوي عن منزل عائشة: ها هنا الفتنة،

(١) أي ليس فيها فائدة.

(٢) أطلع جبرائيل^(١) رسول الله ﷺ على جمالها وغضبت عائشة عند رؤيتها.

(٣) أنساب الأشراف ٢ / ٦٠١.

(٤) البحار ٣٣ / ١٢٣.

(٥) مستدرک الحاکم ٣ / ١٢٧، الرياض النضرة ٢ / ١٦٦.

(٦) البحار ٣٣ / ١٢٣، سفينة البحار ٢ / ٩٣، ٩ / ٢٧٧، المناقب، ابن شهر آشوب ١ / ٣٣١ طبعة طهران الأولى

١٣١٧، الدرجات الرفيعة ٣٠٣.

(٧) تفسير الحميري في تفسير الآية المذكورة وتفسير الدر المنثور للسيوطي في تفسير الآية السابقة.

(٨) سورة الأحزاب ٥٣، البحار ٣١ / ٢٣٨، الأمالي، المفيد ٦٢.

ها هنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان^(١).

وممن كذب على رسول الله ﷺ أيضاً الحارث ذلك إنه ﷺ خطب جمرة بنت الحارث ابن عوف فقال أبوها: إن بها برصاً وهو كاذب فبرصت. وهي أم شبيب بن البرصاء الشاعر^(٢).

زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش

في المدينة ساعد النبي ﷺ المسلمين على الزواج ومنهم زيد بن حارثة إذ ساعده على الزواج من زينب بنت جحش، (ابنة عمته أمانة بنت عبدالمطلب). وكان زيد بن حارثة عبداً لحديجة فوهبته لرسول الله ﷺ فحرره ورباه.

وكان الناس في الجاهلية يتبنون من أحبوا من ممالिकهم وغير مماليكهم، وعلى هذا الأساس تكون علاقتها ببعض مثل علاقة سائر الآباء بالأبناء من حرمة زواج الأب من زوجة ابنه، ولما لم يكن للنبي ﷺ أبناء فقد اعتقد بعض الناس أنه تبنى زيد بن حارثة. وفي المدينة كانت هناك مشكلتان تتعلق بزيد بن حارثة: الأولى: علاقته غير الجيدة مع زوجته زينب بنت جحش.

الثانية: إعتقاد الكثير من الناس بنوة زيد لرسول الله ﷺ، وحرمة زواج النبي ﷺ من زوجة ابنه بالتبني زيد، وكان يسمى زيد بن محمد ﷺ^(٣).

وهاتان المشكلتان حلها الوحيد يتمثل في طلاق زيد لزينب وزواج النبي ﷺ منها. بعد أن حاول النبي ﷺ أولاً إصلاح العلاقة الزوجية بينهما فلم ينفع ذلك. وكان ﷺ في ذهنه أن يتزوج زينب إن طلقها زيد، لأنها ابنة عمته ومهاجرة غريبة في المدينة، وإنه ﷺ هو الذي زوجها من زيد الذي لا تريده الآن.

وكان زواجه ﷺ منها نهاية للإشاعة الجاهلية المنتشرة بين الناس والمتمثلة في بنوة

(١) صحيح البخاري، كتاب اللباس ٤ / ٢٣ وقد محا النسخ والناشرون اسم عائشة من الحديث في بعض طبعات صحيح البخاري، البحار ٢ / ٣ / ٢٨٧.

(٢) أنساب الاشراف، ٢ / ٦٠٢.

(٣) المستدرک، الحاكم ٤ / ٢٥.

زيد لرسول الله ﷺ. فحصل ذلك الأمر بطلاق زيد لزینب ثمّ زواج النبي ﷺ منها. وعندها تكلم المنافقون الفضوليون في هذه القضية للانتقام من النبي محمد ﷺ. وزاد الأمويون في أيام ملوكيتهم في القضية لتكون موضوعاً جيداً لكلّ معارض من محاربي الإسلام.

فصنعوا روايات معادية لرسول الله ﷺ على خطى روايات اليهود ضدّ النبي داود وسائر الأنبياء.

ومن ضمن موضوعاتهم زيارة النبي ﷺ بيت زيد ورؤيته زينب دون حجاب وتعلّق قلبه بها! ولا نعلم كيف اطلعوا على قلب النبي ﷺ في تلك اللحظة وهم يروون أنّه كان وحده!

وكيف شاهدوا زينب بلا حجاب وغير ذلك من الافتراءات. لقد كان النبي مطلقاً على مفاتن زينب الباكراً قبل زواجها فلم يرغب في الزواج منها، وزوّجها من زيد فكيف يرغب في الزواج منها بعد سنوات من ذلك التاريخ. الأقرب للعقل أنّ زينب هي التي كانت تبغض زيدا، وترغب في الزواج من ابن خالها محمد ﷺ.

فعطف عليها النبي ﷺ وضمّها إلى نسائه إضافة إلى المصلحة الأكيدة في الزواج منها والمتتملة في نفي أبوته لزيد.

إنّ اليهود الذين بهتوا النبي داود عليه السلام في علاقته بـزوجة تلميذه أوريا لهم اليد الطولى في نشر افتراءهم في قضية زواج النبي ﷺ من زينب^(١). ووصموا النبي ﷺ وموسى عليه السلام بالتعري اعتداءً على الساحة النبوية^(٢).

ومن غير المنطقي توجّه رسول الله ﷺ وعمره قريب من الستين على زواج غرامي مع ابنة عمّته التي لم يرغب بها سابقاً. وقد نزل في الحادثة قوله تعالى:

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ

(١) راجع تفسير الفخر الرازي ٢٥/٢١٢، ١١٣.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩/١٢٩.

وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴿١﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (١).

فالتبني يريد الإصلاح بينهما دون جدوى، واضعاً في نفسه زواجه منها إن طَلَّقَتْ.

وكان رجال الجاهلية لا يتزوجون نساء أبنائهم بالتبني، في حين هنَّ حلال عليهم.

فسنَّها القرآن واضحة المعالم بيّنة. ولولا هذا الزواج لنسبوا اسامة بن زيد إلى النبي ﷺ.

ولادة إبراهيم بن رسول الله ﷺ

كان النبي ﷺ مشتاقاً للحصول على ابن مثل سائر الناس، وكان طغاة الجاهلية ومنهم

العاص بن وائل والد عمرو بن العاص بالتبني يصف النبي ﷺ بالأبتر فنزلت في العاص ابن وائل: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (٢).

وولد إبراهيم بن رسول الله ﷺ وأمه مارية القبطية في ذي الحجة سنة ٨ هجرية، ولما

وُلد هبط جبرئيل على رسول الله فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم!

وتنافست فيه نساء الأنصار أيهنَّ ترضعه، فدفعه رسول الله إلى أمّ بردة بنت المنذر بن

زيد من بني النجّار، وعقّ رسول الله عنه بكبش.

وكانت قابلهته سلمى مولاة رسول الله امرأة أبي رافع، فجاء أبو رافع إلى رسول الله

فأخبره فوهب له عبداً.

وغارت بعض نساء رسول الله واشتدّ عليهنَّ حيث رزق منها ولداً فروى الزهري عن

عروة عن عائشة أنها قالت: دخل عليّ رسول الله ومعه ابنه إبراهيم يحمله، فقال

النبي ﷺ: أنظري إلى شبهه بي.

قالت عائشة: أرى شبهها.

قال ﷺ: أما ترين بياضه ولحمه؟

(١) الأحزاب ٣٧.

(٢) الكوثر ٣.

قالت: من قصر عليه اللقاح أبيضٌ وسمن^(١).

فشككت عائشة في نسب إبراهيم عليه السلام وهي رأس من أتهم مارية افتراءً بأبن عمها^(٢). فنزل في عائشة وعصبتها ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾^(٣). حيث رمت عائشة مارية القبطية بالزنا، وقالت للنبي ﷺ بأن ابنك إبراهيم من مارية لا يشبهك!

وانزل الله تعالى حينها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا...﴾^(٤). وفي قول إنها قالت لرسول الله ﷺ: ما يحزنك عليه فما هو إلا ابن جريح القبطي. فأمر رسول الله ﷺ علياً عليه السلام بقتله فذهب في أثر جريح الذي خاف من غضب علي عليه السلام فصعد فوق نخلة ووقع على الأرض فبدت عورته فإذا ليس له ما للرجال ولا ما للنساء فانصرف علي عليه السلام إلى النبي وأخبره.

فقال النبي ﷺ: الحمد لله الذي صرف عنا سوء أهل البيت^(٥).

ونزل في حق عائشة قوله تعالى: ﴿الَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾. فهي نكثت إيمانها^(٦).

وهي التي سمّت رسول الله بالشيطان الرجيم عندما رغبّت النساء في القول له: أعود بالله منك.

والرجيم هو أخبث الشياطين لأنه يرجم^(٧).

فقضية الإفك في اتهام عائشة لمارية بالزنا ينسجم مع أخلاق عائشة المعروفة بالشدة والغلظة في معالجة الأحداث.

(١) تاريخ اليعقوبي ٨٧/٢.

(٢) راجع المستدرک، الحاكم ٤٢/٤ طبعة دار الكتب العلمية - بيروت.

(٣) النور ١١.

(٤) الحجرات ٦، تفسير القمي ٣١٨/٢.

(٥) تفسير القمي ١٠٠/٢.

(٦) تفسير العياشي ٢/٢٧٠، تفسير البرهان ٢/٣٨٣، البحار ٧/٤٥٤.

(٧) تفسير البرهان ٢/٣٨٤، البحار ١٤/٦٢٨، الصافي ١/٩٣٩.

فكان تشكيكها بولده الوحيد أصدع لقلبه من تخرصات العاص بن وائل!
وسارع الحزب القرشي لنفي قضية افتراء عائشة على مارية وتحريف آية براءة مارية
منها إلى عائشة أنظر كتاب حديث الإفك للسيد جعفر مرتضى العاملي.
وتوفي إبراهيم في سنة ١٠ هجرية وله سنة وعشرة أشهر، وكُسفت الشمس ساعتين من
النهار، فقال الناس: كسفت لموت إبراهيم.
وقال رسول الله: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يكسفان لموت أحد ولا
لحياته، فإذا رأيتم فافزعوا إلى مساجدكم.
وقال النبي ﷺ: إن العين تدمع والقلب يخشع وأنا بك يا إبراهيم لمحزونون ولكننا لا
نقول ما يسخط الرب^(١).

القرآن ونساء النبي ﷺ

ونزلت في عائشة وحفصة ما جاء في القرآن الكريم في سورة التحريم فتكون هذه
السورة مفتاح معرفة شخصية عائشة وحفصة وأمراتي نوح ولوط
﴿وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف
بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنباك هذا قال نبأني العليم الخبير،
إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبرئيل
وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهيرا، عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً
خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً﴾^(٢).
ثم قال سبحانه في سورة التحريم:

﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا
صالحين فخانتهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾^(٣).

(١) تاريخ البقوي ٨٧/٢

(٢) التحريم ٢ - ٥.

(٣) التحريم: ١٠.

وقال عمر بن الخطاب لابن عباس إن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ هما عائشة وحفصة^(١).

وكانت عائشة وحفصة تؤذيان رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان^(٢). فقال عمر بن الخطاب لحفصة: لقد علمت إن رسول الله ﷺ لا يحبك^(٣). وهما اللتان صوّرتا وعرفنا رسول الله ﷺ بالشيطان لنسائه الأخريات فقالت بعض نسائه الجدد الغافلات له: نعوذ بالله تعالى منك^(٤).

وعارضت عائشة رسول الله ﷺ في علاقة الرجال بالنساء فأجازت لأي رجل الدخول على أي امرأة باسم الرضاعة منها! فأدخلت سالم بن عبد الله بن عمر لحبها لجدّه على أختها أم كلثوم بنت أبي بكر ليرضع منها، فوضع منها ثلاث مرّات! ليحل له الدخول عليها!^(٥) وأهم موضع أنثوي جنسي عند المرأة هما الثديان.

وكانت عائشة صاحبة الفتوى في زمن أبي بكر وعمر وعثمان، وعبر فتواها المذكورة تمكن الكثير من الرجال الدخول على النساء الراضيات بتلك الفتوى الغريبة!

رأى عائشة في القرآن

أما رأي عائشة في القرآن فعجيب ومدهش إذ كانت تعتقد بأن رسول الله ﷺ يكتّم بعض آيات القرآن الكريم!

فقد قالت عائشة لأم المؤمنين زينب بنت جحش ابنة عمّة النبي ﷺ بعد مقتل النبي ﷺ: يقال إن عندكم شيئاً من كتاب الله عز وجل لم تظهروه؟ فقالت زينب: لو كنتم محمد ﷺ ممّا أنزل الله عز وجل عليه لكنتم هذه الآية:

(١) صحيح البخاري ٢/ ٢٠٦ ط، مصر سنة ١٩٣٢، كنز العمال ٢/ ٥٣٢ ح ٤٦٦٦، مسند أحمد ١/ ٤٨.

(٢) صحيح البخاري ٦/ ٦٩، طبقات ابن سعد ٨/ ٥٦.

(٣) صحيح مسلم ٤/ ١٨٨.

(٤) طبقات ابن سعد ٨/ ١٤٥، ١٦٠، المحرر ٩٤، مستدرک الحاكم ٤/ ٣٧، الإستهجاب ٢/ ٧٠٣، الإصابة ٣/ ٥٣٠، ترجمة

نعمان بن أبي الجون، البحار ٢٢/ ١٩١، أنساب الأشراف ٢/ ٥٦١.

(٥) طبقات ابن سعد ٨/ ٤٦٢ ترجمة أم كلثوم بنت أبي بكر.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾^(١).

من هن المخالفات لرسول الله ﷺ؟

خالفت عائشة قول الله سبحانه وتعالى

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَةِ الْأُولَى﴾^(٢).

وقالت أم سلمة لعائشة : وحذر رسول الله ﷺ نساءه من الانحراف عن الصراط؟
فقلنا نعوذ بالله وبرسوله من ذلك فضرب على ظهره فقال: إِيَّاكَ أَنْ تَكُونِيهَا يَا حَمِيرَاءُ^(٣).

وحينئذ كتبت أم المؤمنين أم سلمة إلى علي عليه السلام من مكة: أما بعد فإن طلحة والزبير وأشياعهم أشياع الضلالة يريدون أن يخرجوا بعائشة ومعهم عبدالله بن عامر، يذكرون أن عثمان قُتل مظلوماً، والله كافيههم بحوله وقوته ولو لا ما نهانا الله سبحانه عن الخروج وأنت لم ترضَ به لم أدع الخروج إليك والنصرة لك، ولكنني باعثة إليك بابني وهو عدل نفسي عمر ابن أبي سلمة، يشهد مشاهدك فاستوص به يا أمير المؤمنين خيراً، فلما قدم عمر على علي عليه السلام أكرمه ولم يزل معه حتى شهد مشاهدته كلها^(٤).

وقد أرسلت عائشة إلى حفصة وغيرها من أمهات المؤمنين تسألن الخروج معها إلى البصرة فما أجابها إلى ذلك منهم إلا حفصة، لكن أخاها عبدالله أتاها فعزم عليها بترك الخروج فحطت رحلها بعد أن همّت^(٥).

ثم فرحت عائشة بمقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام^(٦) رغم معرفتها بحب رسول

(١) الأحزاب ٣٧، مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٢ / ٢٧٢.

(٢) الأحزاب ٣٣ / ٣٣.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ٢ / ٧٨، ٧٩، ٢١٨ / ٦، معجم البلدان ٢ / ٣٦٢، الروض المعطار ص ٢٠٦، تطهير الجنان، ابن حجر بهامش الصواعق المحرقة ص ١٠٨.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ٢ / ٨٠، تاريخ الطبري ٣ / ٤٧٧، معجم البلدان ٢ / ٣٦٢، الروض المعطار، ابن حجر بهامش الصواعق المحرقة ١٠٨.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ٢ / ٨٠، تاريخ الطبري ٣ / ٤٧٧، معجم البلدان ٢ / ٣٦٢، الروض المعطار، ابن حجر بهامش الصواعق المحرقة ١٠٨.

(٦) مقاتل الطالبين، أبو الفرج الاصفهاني ٤٣.

الله ﷺ له إذ قالت: ما رأيت رجلاً أحب إلى رسول الله ﷺ منه (علياً عليه السلام) ولا رأيت امرأة كانت أحب إليه من امرأته^(١).

وسبب فرح عائشة بمقتل عليٍّ عليه السلام يتمثل في قولها: قُتِلَ عليٌّ لتصنع العرب ما شاءت، فليس أحدٌ ينهّاها^(٢).

أي لتعبد العرب من شاءت، ولتخالف شريعة محمد ﷺ متى أرادت، فقد قتل حامي الدين ومخيف الطغاة ومعظم الأصنام.

ولم تسمح فاطمة رضي الله عنها لعائشة وأبيها وعمر من حضور مراسم دفنها. وقد قال رسول الله ﷺ يا فاطمة إن الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضائك^(٣).

وفي حين قال النبي ﷺ: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة منعت عائشة من دفن الحسن عليه السلام جنب جثمان جده رسول الله ﷺ^(٤) المدفون في بيت أمه فاطمة رضي الله عنها.

وكانت زبيدة زوجة هارون الرشيد أفضل من عائشة إذ جاء:

«لما قُتِلَ محمد الأمين دخل إلى السيدة زبيدة أمه أحد خدمها، وقال لها ما يجلسك وقد قُتِلَ أمير المؤمنين؟

فقالت: ويلك ماذا أصنع؟

قال: تخرجين فتطلبين بثأره، كما خرجت عائشة تطلب بدم عثمان.

فقالت: إحصاً لا أم لك، ما للنساء وطلب الثأر ومنازلة الرجال؟

ثم أمرت بثيابها فسوِّدت، ولبست مسحاً من شعر»^(٥).

وقال رسول الله ﷺ لعائشة يوماً: أفأخذكِ شيطانكِ^(٦).

(١) المقد الفريد ٤ / ٢٩٢.

(٢) الاستيعاب ٣ / ٢١٨.

(٣) كنز العمال ١٢ / ٣٤٢٣٨، وراجع كتاب السقيفة للمؤلف.

(٤) طبقات ابن سعد ٨ / ١٧٥، مختصر تاريخ دمشق، ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، أنساب الأشراف ترجمة

الإمام الحسن عليه السلام، مقاتل الطالبين ٧٤.

(٥) مروج الذهب ٢ / ٣٢٧.

(٦) مسند أحمد ٦ / ٢٢١.

وعن قضية إلحاق زياد بن أبيه بأبي سفيان قال سعيد بن المسيّب: أول قضية رُدّت من قضاء رسول الله ﷺ علانية قضاء فلان (معاوية) في زياد^(١).
وقال ابن أبي نجيح: أوّل حكم رُدّ من حكم رسول الله ﷺ علانية الحكم في زياد^(٢). إذ أعلنها معاوية وكتبها عائشة: من عائشة أم المؤمنين إلى زياد بن أبي سفيان^(٣).
في حين قال النبي ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر^(٤).

من هي التي ضربها رسول الله ﷺ ؟

لقد تعرضت عائشة للضرب من قبل رسول الله ﷺ وأبي بكر لأفعالها الكثيرة والمستمرة في مخالفة النبي ﷺ وظلم سائر نساءه ﷺ.
إذ تابعت عائشة رسول الله ﷺ ليلاً إلى البقيع دون إذنه أولاً وللتجسس عليه ثانياً
فشاهدها النبي ﷺ فلحقها جارياً إلى منزلها فقال لها: أنت السواد الذي رأيته أمامي؟
قالت: نعم.

قالت عائشة فلهزني^(٥) لهزة في صدري أوجعتني^(٦)

وقالت عائشة: خاصمت النبي ﷺ إلى أبي بكر فقلت: يا رسول الله ﷺ أقصد (اعدل).

فلطم أبو بكر خدي وسال الدم على ثيابي^(٧)

وبينما كانت عائشة المرأة الوحيدة القائلة لرسول الله ﷺ اعدل كان ذو الحويصرة

(١) تاريخ ابن عساکر ٩ / ٧٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٩ / ٧٨.

(٤) الاستبصار، الطوسي ٤ / ١٨٣.

(٥) يقال لهزه لهزة إذا ضربه بجمع كفه في صدره، عمدة الاخبار ١٢٤.

(٦) تاريخ المدينة المنورة ١ / ٨٩.

(٧) تفسير القرطبي ١٨ / ١٦١، تاريخ بغداد ترجمة محمد بن أبي بكر، كنز العمال ٧ / ١١٦ ح ١٠٢٠ ط. حيدر آباد.

احياء علوم الدين، الفزالي، كتاب آداب النكاح الباب الثالث ج ٢ ص ٢٩ ط. مصر

زعيم الخوارج الرجل الوحيد القائل لرسول الله ﷺ اعدل^(١).

وقالت عائشة للنبي ﷺ أنت الذي تزعم أنك نبي الله؟^(٢).

وفي أواخر أيام عمرها جلست عائشة تراقب مسلسل تاريخ حياتها وما يستحق يوم القيامة فبكت كثيراً وقالت: ياليتني كنت ورقة من هذه الشجرة^(٣).
وبذلك توضح رأي عائشة في رسول الله ﷺ وأهل بيته مبنياً على عدم اطاعتهم ومحبتهم.

صفات نساء النبي ﷺ

كانت معظم نساء النبي ﷺ من الشيبات والعجائز والدميمات المنظر فقد كانت عائشة بنت أبي بكر سوداء دميعة في وجهها أثر مرض الجدري، والحجاب هو الذي أنقذها. وبقي رسول الله ﷺ يكابد ألم النظر إليها وتحمل أخلاقها لحكمة يريد بها الله تعالى فطلقها رسول الله ﷺ مع حفصة وسودة ولكن الحكمة الإلهية أوجبت أن لا يطلق واحدة من نسائه في حياته وأجاز له ذلك بعد مماته.

وقد طلق الرسول عائشة وحفصة وسودة^(٤) باعتراف جميع العلماء لكن الكثير منهم حذفوا شيئاً من الرواية لتحريف الموضوع والاساءة لرسول الله والكلمة المحذوفة من الرواية هي بعض؛ فالاصل طلق النبي ﷺ بعض نسائه فأصبح طلق النبي ﷺ نساءه لتصويره بالمجنون والعياذ بالله تعالى.

جاء في تاريخ يحيى بن معين ومصنفات الشيخ المفيد عن عبادة: قلنا لسهيل بن ذكوان هل رأيت عائشة أم المؤمنين؟

(١) سليم بن قيس ٢٤٧، العمدة، ابن البطريق ٤٥٨ البحار ١٨ / ١١٣.

(٢) احياء علوم الدين للغزالي، كتاب النكاح الباب الثالث ٢ / ٢٩ ط. مصر.

(٣) طبقات ابن سعد ٨ / ٧٤، ٧٥، سيرة اعلام النبلاء ١٧٩ / ٢.

(٤) المستدرک ٤ ح ١٧٥١٦، عيون الأثر ٢ / ٣٨٤، أنساب الاشراف ٢ / ٥٦١، فطلق النبي ﷺ عائشة وحفصة وسودة بسبب اخلاقهن السيئة وكان لا يعيهن ثم راجعهن لحكمة ارادها الله تعالى.

قال: نعم

قلنا: صفها

قال: كانت سوداء^(١).

وقال ابن حجر العسقلاني: إنها كانت أدماء (أي سوداء)^(٢)

وقال البخاري وابن حبان وابن حجر العسقلاني: بوجهها أثر جدري^(٣).

ومن المتصفين بنفس الصفة كان عثمان بن عفان ويزيد بن معاوية^(٤) أي صفة الأسود بوجهه أثر الجدري ولنقص الدواء سابقاً كان مرض الجدري يؤثر في الوجه تأثيراً خطيراً يجعله دميماً بالكاد تستطيع النظر إليه.

وروى الزبير بن بكار: أن الضحّاك بن أبي سفيان الكلبي كان رجلاً دميماً قبيحاً، فلما بايعه النبي ﷺ قال للنبي: إنّ عندي امرأتين أحسن من هذه الحميراء (أي عائشة قبل نزول آية الحجاب)، أفلا أنزل لك عن إحداهما فتزوجها؟ (وعائشة جالسة تسمع).

فقلت (عائشة): أهي أحسن أم أنت؟

فقال: بل أنا أحسن وأكرم.

فضحك النبي ﷺ من سؤالها إياه!^(٥)

الدلائل والعبر

من الأسباب المهمة الداعية لرسول الله ﷺ للزواج من عدّة نساء ومن قبائل وعشائر شتى هي كسب تلك القبائل والعوائل إلى صفوف المسلمين وتقوية أواصر العلاقة معها مثل بني أسد، وبني عامر بن لؤي، وبني عدي، وبني أمية، وبني مخزوم، وبني خزاعة، وبني هلال،

(١) تاريخ يعقوب بن معين ٣ / ٥٠٩، مصنفات الشيخ المفيد ١ / ٣٦٩.

(٢) لسان الميزان، ابن حجر ٣ / ١٣٤، ٤ / ١٢٥ طبعة مجلس المعارف النظامية في الهند.

(٣) لسان الميزان، ابن حجر ٤ / ١٣٦ طبعة حيدر آباد - الهند.

(٤) تاريخ أبي الفداء ١ / ٢٦٧، تاريخ ابن الوردي ١ / ١٤٦.

(٥) السميع المهدّب ٢ / ٨ - ٩.

وبني آكل المرار، وبني كندة، وبني كلب.

فتحققت بعض تلك الزيجات وفشلت أخرى بفعل دسائس بعض نساءه وكلنا يعلم إنَّ الناس في ذلك الوقت يلتزمون بالقبلية ويطيعون قوانينها وأعرافها.

فقد وقفت قبيلة بني النجار في المدينة مواقف مشرفة مع بني عبد المطلب في صراعاتهم لزواجهم فيها لأنَّهم أخوانهم.

وكان رسول الله ﷺ لا يرد طلب امرأة متقدمة للزواج منه فاستغل البعض ذلك للتقرب إلى جاه وشرف النبوة.

فقد قدّم عمر بن الخطاب ابنته حفصة الثيب للنبى فرضي رسول الله ﷺ بالزواج منها^(١)، والظاهر أنَّه تعلّم ذلك من أبي بكر.

وقدّم الأشعث بن قيس زعيم كندة أخته فتيلة لرسول الله ﷺ فرضي ﷺ بالزواج منها^(٢)، ثمّ ارتدّ وأخته.

والمسألة الأخرى إنَّ زواج الرجال في الجاهلية والإسلام بأكثر من واحدة كان عادياً ومألوفاً فلم ينكره الناس في ذلك الزمن.

وفي أيامنا هذه وبفعل تأثير الناس بالحياة الغربية استنكر البعض الزواج بأكثر من امرأة. وكانت الحروب تؤثر تأثيراً كبيراً على هذه القضية الاجتماعية فأصبحت من مشاكل المسلمين كثرة عدد النساء على الرجال إذ تعرّض آلاف من الناس للقتل في تلك المعارك. فتزوج رسول الله ﷺ بأُم سلمة المقتول زوجها وأُم حبيبة المنتصر زوجها ليأوي أمثال هذه النساء في ديار الغربة .

ومن القضايا الحساسة المحتاجة للالتفات في ذلك الزمن كثرة سبايا المشركين من النساء.

فنكح المسلمون هذه النساء بالملك أو أنَّهم حرّروهن ثم تزوّجنَّ وقد خير رسول

(١) مجمع الزوائد، الهيثمي ٤ / ٢٧٧، فتح الباري ٧ / ٨٥

(٢) طبقات ابن سعد ٨ / ١٤٧.

الله ﷺ صفية بنت حيي بن أخطب بين نكاحها بملك اليمين أو الزواج منها^(١) وكذلك خير ربحانه القرظية^(٢).

والشيء المهم الملحوظ أنَّ الناس لم تتبع فتوى عائشة في الرضاعة ولو اتبعوها لساءت الحالة الاجتماعية وكثر الفساد مثلما لم تتبع الناس اعتقاد عمر بنقص القرآن الكريم^(٣).



(١) الخصال، الصدوق ٤١٩.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢ / ٢٩١.

(٣) الدر المنثور ١ / ١٠٦، صحيح البخاري ١٠ / ٤٣، الاتقان، أبو عبيدة ٢ / ٤٢.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کلام و علوم اسلامی

باب

ﷺ
قاله وسلمه

محاوالت اغتيال النبي في المدينة





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

محاولة أبي سفيان اغتيال النبي ﷺ

كان أبو سفيان على رأس الرجال الظلمة الكفرة الساعين لإطفاء نور الإسلام قبل وبعد فتح مكة ولكن وسائله وطرقه لقتل الناس وإشاعة الكفر قد تغيرت بعد إعلانه الإسلام، إذ أصبح متوسلاً بالسرية والكتمان بعد أن كان متوسلاً بالصراحة والإعلان.

ومحاولته قتل رسول الله ﷺ وهو في مكة، واغتياله وهو في المدينة يؤيد ضلوع أبي سفيان في المحاولات اللاحقة لقتل رسول الله ﷺ في العقبة والمدينة، وضلوعه في عملية اغتيال أبي بكر لصالح عثمان.

وفعلًا نجح المشروع الأموي في اغتيال أبي بكر وإيصال عثمان بن عفان إلى الخلافة بدلاً عن أبي عبيدة بن الجراح المرشح لها بعد خلافة عمر بن الخطاب^(١).

ذكر البيهقي: «كان أبو سفيان بن حرب قد قال لنفر من قريش بمكة: ما أحد يغتال محمداً، فإنه يمشي في الأسواق فندرك ثأرنا، فأتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله، وقال له: إن أنت قويتني^(٢) خرجت إليه حتى اغتاله، فإني هادٍ بالطريق خريث، ومعني خنجر مثل خافية النسر.

قال: أنت صاحبنا، فأعطاه بغيراً ونفقة، وقال: إطو أمرك، فإني لا آمن أن يسمع هذا أحدٌ فتنمه إلى محمد.

(١) راجع كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة، للمؤلف.

(٢) في البداية والنهاية لابن كثير ٧٩/٤ «ان وفيتني».

قال الأعرابي: لا يعلم به أحد.

فخرج ليلاً على راحلته فسار خمساً وصَبَّحَ ظَهَرَ الْحَرَّةِ، صُبْحُ^(١) سَادِسِهِ، ثم أقبل يسأل عن رسول الله ﷺ حتى أتى المصلى، فقال له قائل: قد تَوَجَّهَ إلى بني عبد الأشهل، فخرج يقود راحلته حتى انتهى إلى بني عبد الأشهل، فعقل راحلته، ثم أقبل يؤمُّ رسول الله ﷺ فوجده في جماعة من أصحابه يُحَدِّثُ في مسجدهم.

فدخل، فلما رآه رسول الله ﷺ قال لأصحابه: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ يَرِيدُ غَدْرًا، والله حائل بينه وبين ما يريد. وهذا من دلائل النبوة.

فوقف، فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟

فقال رسول الله ﷺ: أنا ابن عبد المطلب، فذهب ينحني على رسول الله ﷺ، كأنه يُسَارُّه، فَجَذَبَهُ أَسِيدُ بْنُ حَضِيرٍ، وقال له: تَنَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَجَبَدَ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ، فَإِذَا الْخَنْجَرُ.

فقال رسول الله ﷺ: هَذَا عَادِيٌّ، وَسُقُطٌ فِي يَدَيِ الْأَعْرَابِيِّ، وقال: دمي دمي يا محمد، وأخذ أَسِيدٌ يَلْبُبُ.

فقال رسول الله ﷺ: إصْدَقْنِي: مَا أَنْتَ؟ وَمَا أَقْدَمَكَ؟ فَإِنْ صَدَقْتَنِي نَفَعَكَ الصَّدَقُ، وَإِنْ كَذَبْتَنِي فَقَدْ أَطْلَعْتُ عَلَى مَا هَمَمْتُ بِهِ.

قال الأعرابي: فأنا آمن؟

قال: فأنت آمن.

فأخبره بخبر أبي سفيان وما جَعَلَ لَهُ.

فأمر به فَحُبِسَ عِنْدَ أَسِيدٍ، ثم دعا به من الغد فقال ﷺ: قَدْ أَمْنَتْكَ فَأَذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ، أَوْ خَيْرٌ لَكَ مِنْ ذَلِكَ.

قال: وما هو؟ قال ﷺ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ.

قال: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَاللَّهُ يَا مُحَمَّدُ مَا كُنْتُ أَفْرُقُ الرِّجَالَ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُكَ فَذَهَبَ عَقْلِي، وَضَعُفَتْ نَفْسِي، ثُمَّ أَطْلَعْتَ عَلَى مَا هَمَمْتُ بِهِ مِمَّا سَبَقْتُ بِهِ

(١) في البداية والنهاية يوم سادسه.

الركبان، ولم يعلمه أحد، فعرفت أنك ممنوع، وأنتك على حق، وأن حزب أبي سفيان حزب الشيطان، فجعل النبي ﷺ يتبسّم.

وأقام أياماً ثم استأذن النبي ﷺ فخرج من عنده فلم يسمع له بذكر.

فقال رسول الله ﷺ لعمر بن أمية الضمري ولسلمة بن أسلم بن حريش: أخرجنا حتى تأتيا أبا سفيان بن حرب، فإن أصبنا منه غيرة فاقتلناه، قال عمرو: فخرجنا أنا وصاحبي حتى أتينا بطن (يأجج) (١).

فقيدنا بعيرنا، فقال لي صاحبي: يا عمرو هل لك في أن تأتي مكة ونطوف بالبيت سبعا، ونصلي ركعتين؟

فقلت: إني أعرف بمكة من الفرس الابلق، وإنهم إن رأوني عرفوني، وأنا أعرف أهل مكة أنهم إذا أمسوا انفجعوا بأفنيّتهم، فأبى أن يطيعني، فأتينا مكة فطفنا سبعا، وصلينا ركعتين، فلما خرجت لقيني معاوية بن أبي سفيان فعرفني وقال: عمرو بن أمية (وا حزناه) (٢) فأخبر أباه فبيد بنا أهل مكة.

فقالوا: ما جاء عمرو في خير - وكان عمرو رجلاً فاتكاً في الجاهلية - فحشد أهل مكة رجالهم وتجمعوا، فهرب عمرو وسلمة.

وخرجوا في طلبهما، واشتدوا في الجبل. قال عمرو: فدخلت غاراً، فتغيبت عنهم، حتى أصبحت، وباتوا يطلبون في الجبل، وعمى الله (سبحانه) عليهم طريق المدينة أن يهتدوا لراحلتنا.

فلما كان الغد ضحوة أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التيمي يختلي لفرسه حشيشاً، فقلت لسلمة بن أسلم: إن أبصرنا أشعر بنا أهل مكة، وقد أقصروا عنا، فلم يزل يدنو من باب الغار حتى أشرف علينا وخرجت قطعته طعنة تحت الثدي، فسقط وصاح، وأسمع أهل مكة فأقبلوا بعد تفرقهم، ودخلت الغار فقلت لصاحبي: لا تتحرك وأقبلوا حتى أتوا عثمان بن مالك، فقالوا: من قتلك؟

(١) الزيادة من البداية والنهاية.

(٢) الزيادة من البداية والنهاية.

قال: عمرو بن أمية.

قال أبو سفيان: قد علمنا أنه لم يأت بعمرٍ وخير، ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا، كان بآخر رمقٍ ومات، وشغلوا عن طلبنا بصاحبهم يعملونه»^(١).

محاولة صفوان بن أمية اغتيال النبي ﷺ

قال رسول الله ﷺ عن أهل البيت ﷺ لا يحبهم إلا سعيد الجد طيب المولد، ولا يبغضهم إلا شقي الجد رديء الولادة^(٢). وهذا القول الإلهي يصدق فيمن حاول اغتيال رسول الله ﷺ وأهل بيته.

واستمرت مؤامرات قريش ضد خاتم الأنبياء كما كان عليه الحال في مكة وكما كان الحال قبل حرب بدر، واشترك في تلك المؤامرات طغاة قريش جميعاً.

وقال كاتب السيرة محمد بن إسحاق: «جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر من قريش في الحجر بيسير».

وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش، وممن يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه، ويلقون منه عناء وهو بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر. أسره رفاعه بن رافع أحد بني زريق.

فذكر عمير أصحاب القلب ومصابهم.

فقال صفوان^(٣): والله لا خير في العيش بعدهم.

قال له عمير: صدقت والله، أما والله لو لا دين عليّ ليس له عندي قضاء، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي، لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي قبلهم علة، إني أسير في أيديهم. فاغتنمها صفوان وقال: عليّ دينك، أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا.

(١) دلائل النبوة، البيهقي ٣/ ٣٢٣ - ٣٣٧ طبع دار الكتب العلمية، بيروت، تاريخ الطبري ٢/ ٢١٧، طبع مؤسسة الأعلمي - بيروت، البداية والنهاية ٤/ ٧٩ - ٨١، طبع مؤسسة التاريخ العربي - بيروت.

(٢) مقتل الحسين ٢/ ١٦.

(٣) كان صفوان بن أمية من أعمدة الكفر في مكة وهو نظير أبي سفيان.

لا يسعني شيء ويعجز عنهم.

فقال له عمير: فاكم عني شأني وشأنك، قال صفوان: أفعل.

ثم أمر عمير بسيفه، فشحذ له وسماً، ثم انطلق حتى قدم المدينة.

فدنا عمير من النبي ﷺ ثم قال: انعموا صباحاً، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم.

فقال رسول الله ﷺ: قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية أهل

الجنة.

فقال عمير: أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد.

قال النبي ﷺ: فما جاء بك يا عمير؟

قال عمير: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه.

قال النبي ﷺ: فما بال السيف في عنقك؟

قال عمير: قبحها الله من سيوف! وهل أغنت عنا شيئاً!

قال النبي ﷺ: إصدقتني، ما الذي جئت له؟

قال عمير: ما جئت إلا لذلك.

قال النبي ﷺ: بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرنا أصحاب القليب من

قريش، ثم قلت: لولا دين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمل لك صفوان

بدينك وعيالك، على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك.

قال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر

السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما

أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق.

فقال رسول الله ﷺ: فقهوا أخاكم في دينه، وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره، ففعلوا.

ثم قال عمير: يا رسول الله، إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان

على دين الله عز وجل، وأنا أحب أن تأذن لي، فأقدم مكة، فأدعوهم إلى الله تعالى، وإلى

رسوله ﷺ، وإلى الإسلام، لعل الله يهديهم، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك

في دينهم.

فأذن له رسول الله ﷺ، فلحق بمكة.

وكان صفوان بن أمية - حين خرج عمير بن وهب - يقول: أبشروا بوقعة تأتاكم الآن في أيام، تنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل عنه الركبان، حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه، فحلف أن لا يكلمه أبداً، ولا ينفعه بنفع أبداً.

فلما قدم عمير مكة، أقام بها يدعو إلى الإسلام، ويؤذي من خالفه أذى شديداً، فأسلم على يديه ناس كثير.

قال ابن إسحاق: وعمير بن وهب هو الذي رأى إبليس حين نكص (فرّ) على عقيبه يوم بدر، فقال: أين أي سراق؟ فأنزل الله تعالى فيه:

﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنْ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾^(١) فذكر استدراج إبليس إياهم، وتشبهه بسراقته بن مالك^(٢).

وبقي صفوان بن أمية محارباً لله ولرسوله إلى أن أسلم كرهاً في فتح مكة مثل أبي سفيان ومعاوية وحكيم بن حزام وغيرهم.

وقد سعى الأمويون إلى إضفاء الفضائل على قادة الحزب القرشي الكفرة وتفضيلهم على المسلمين المهاجرين فذكروا روايات عديدة في فضائلهم لا أساس لها من الصحة، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣)

وهؤلاء أقدموا بعد إسلامهم على جر المسلمين إلى الهزيمة في معركة حنين!^(٤)

محاولات أخرى لقتل النبي ﷺ

ومن المحاولات الأخرى خروج عتبة بن أبي لهب من مكة إلى المدينة مستخفياً لقتل رسول الله ﷺ فقتله أسد في الطريق^(٥).

(١) الأنفال: ٤٨.

(٢) سيرة ابن هشام ٣١٦/٢ - ٣١٩، مطبعة الحلبي، التبيان في تفسير القرآن، الطوسي ٤٦٣/٣، حلية الأبرار، البحراني ١١٣/١.

(٣) الأنعام: ١٤٤.

(٤) تاريخ يعقوبي ٦٢/٢ ط. ليدن.

(٥) البحار ١٧/ ٤١٢.

وفي السنة الخامسة للهجرة طلب رجل من غطفان سيف النبي ﷺ فأعطاه له فأراد الرجل قتل رسول الله ﷺ فكبته الله تعالى فأنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُروا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا أَيْدِيَهُمْ فَكَفَ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾^(١)

ومن المحاولات الأخرى جاء في القرآن الكريم:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾^(٢)

قال أبو بكر الأصبم في سبب النزول: «إِنَّ قَوْمًا اصْطَلَحُوا عَلَى كَيْدٍ فِي حَقِّ الرَّسُولِ ﷺ، ثُمَّ دَخَلُوا عَلَيْهِ لِأَجْلِ ذَلِكَ الْغَرَضِ، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرَهُ بِهِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ قَوْمًا دَخَلُوا يَرِيدُونَ أَمْرًا لَا يَنَالُونَهُ فَلْيَقُومُوا وَلْيَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ حَتَّى أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ، فَلَمْ يَقُومُوا.



فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَلَا تَقُومُونَ، فَلَمْ يَفْعَلُوا.

فَقَالَ ﷺ: قُمْ يَا فُلَانُ، قُمْ يَا فُلَانُ حَتَّى عَدَّ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنْهُمْ.

فَقَامُوا وَقَالُوا: كُنَّا عَزَمْنَا عَلَى مَا قُلْتَ، وَنَحْنُ نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ ظُلْمِنَا أَنْفُسَنَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الْآنَ اخْرُجُوا، أَنَا كُنْتُ فِي بَدْءِ الْأَمْرِ أَقْرَبُ إِلَى الْإِسْتِغْفَارِ، وَكَانَ اللَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْإِجَابَةِ، أَخْرَجُوا عَنِّي»^(٣).

الواضح من هذا النص أن الذين اشتركوا في محاولة قتل النبي ﷺ هنا من أعمدة الحزب القرشي، بحيث أبدل الراوي أو الناسخ أو الناشر اسمهم إلى فلان وفلان. وهذه المجموعة قد كررت محاولاتها لقتل الرسول ﷺ.

محاولة شيبه بن عثمان اغتيال النبي ﷺ

وفي معركة حنين أراد البعض من الطلقاء اغتيال النبي ﷺ فلم يفلحوا منهم شيبه بن

(١) المائدة ١١، أسباب النزول، الواحدى ١٢٨.

(٢) النساء: ٦٤.

(٣) تفسير الفخر الرازي ١٢٦/٤، طبعة دار احياء التراث العربي - بيروت.

عثمان بن أبي طلحة أخو بني عبد الدار، وكان أبوه قد قتلته علي عليه السلام في معركة أحد^(١).
فقد كاد كفار قريش الإسلام مرة أخرى رغم إعلانهم الدخول في الإسلام قال
اليقوبي:

«وأبدى بعض قريش ما كان في نفسه. فقال أبو سفيان: لا تنتهي والله هزيمتهم دون
البحر، وقال كلدة بن حنبل: اليوم بطل السحر، وقال شيبة بن عثمان: اليوم أقتل محمداً.
فأراد رسول الله أن يقتله فأخذ الحربه منه فأشعرها فؤاده.

والظاهر هنا أن النبي ﷺ قد أخذ الحربه من شيبة بن عثمان بالقوة وأن شيبة قد هجم
عليه بالفعل، فاضطر النبي ﷺ إلى أخذها منه ثم خطب بها قلبه.

فقال رسول الله للعباس: صبح يا لأنصار، وصبح يا أهل بيعة الرضوان، صبح يا أصحاب
سورة البقرة، يا أصحاب السُّمرة. ثم انفض الناس وفتح الله على نبيه وأيده بجنود من
الملائكة، ومضى علي بن أبي طالب إلى صاحب راية هوازن فقتله، وكانت الهزيمة^(٢).

وتكررت محاولات قريش لقتل رسول الله ﷺ في مكة والمدينة وبعد إسلامهم في
حنين والعقبة والمدينة!

ثم نجح الحزب القرشي في قتل النبي ﷺ وابنته فاطمة رضي الله عنها وابنهما الحسن والحسين رضي الله
عنه كما سترى بعض ذلك في الفصول القادمة.

(١) تاريخ الخميس ١٠٣/٢، ١٠٤، تهذيب الكمال، المزي ٦٠٤/١٢، طبقات ابن سعد ٤٤٨/٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٦٢/٢، ٦٣، طبعة ليدن.



مرکز تحقیقات و پژوهش در علوم اسلامی

باب

غزوة تبوك



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

من هو بمنزلة هارون من موسى ﷺ ؟

قال أحمد بن حنبل والبلاذري واليعقوبي والبيهقي: خرج رسول الله ﷺ غرة رجب سنة ٩ هجرية واستخلف علياً ﷺ على المدينة (١).

فكان علي ﷺ خليفة محمد ﷺ كما خلف موسى ﷺ هارون ﷺ عند ذهابه إلى الطور لقوله تعالى: ﴿واخلفني في قومي﴾ (٢).

وتثبت لعلي ﷺ جميع منازل هارون ﷺ الثابتة في الآية سوى النبوة ومن منازل الإمامة المراد بقوله: وأشرکه في أمري.

لما خلف النبي ﷺ علياً ﷺ على المدينة قال له علي ﷺ: أتخلفني في النساء والأطفال؟ فقال النبي ﷺ: إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى. إلا أنه لا نبي من بعدي ولا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي، وانت ولي كل مؤمن ومؤمنة من بعدي (٣).

وكان البعض يخاف أشد الخوف من وصول الإمام علي ﷺ إلى خلافة النبي ﷺ، لأن ذلك يعني سيطرة بني هاشم على الحكم، وحرمان قريش من الخلافة، وعُرفت خلافة علي ﷺ الإلهية أكثر عندما تركه الرسول ﷺ على المدينة المنورة خليفة له ليحفظها واصفاً إياه بهارون من موسى. وكان موسى ﷺ قد قال:

(١) تاريخ اليعقوبي ٦٧/٢، دلائل النبوة، البيهقي ٢١٢/٥، مسند أحمد ١٧٧/١، كشف النعمة، الاربلي ٣٨/١، البحار

٣٦٣/٢٨، مناقب الإمام علي، ابن الدمشقي ٧٨/١، الإسلام، ابن حزم ٩٨٢/٧، التنبيه والاشراف، المسعودي ٣٢٦.

(٢) الاعراف: ١٤٢.

(٣) مستدرك الحاكم ٣/ ١٤٤، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت، الأرشاد ١٥٦/١.

﴿قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشد به ازري واشركه في أمري﴾^(١).
 ﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾^(٢).

من الأمور الغريبة أن شياطين بني أمية كانوا يسعون لطمس وإخفاء فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام، ولما كانت تلك الفضيلة متواترة ومنتشرة في الآفاق اندفعوا لافراغها من محتواها وتحريف دلالتها وهدفها وتزوير شواهد الموضوع وقرائنه.

أو إيجاد فضيلة مشابهة لهذه الفضيلة لشخص آخر، مثلما فعلوا في قضية سد أبواب المسجد إذ أمر رسول الله ﷺ بسد الأبواب إلا بابه وباب علي عليه السلام فصنعوا حديثاً مزوراً: سدوا كل خوخة في المسجد غير خوخة أبي بكر^(٣). ونسوا خوخة عمر وعثمان!

وفي قضية غزوة تبوك صححوا حديث النبي ﷺ أنت مني مثل هارون من موسى إلا أنهم كذبوا بتولية النبي ﷺ لمحمد بن مسلمة (اليهودي السابق) أو سباع بن عرفطة^(٤) على المدينة.

وقال الواقدي في مغازيه^(٥) قائلاً: «إنما كانت أخبار الشام عند المسلمين كل يوم لكثرة من يقدم عليهم من الأنباط، فقدمت سنة فذكروا أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام، وأن هيرقل قد رزق أصحابه لسنة، وأجلب معه لحَم وجُذام وغسان وعاملة. وزحفوا وقدّموا مقدّماتهم إلى اللقاء وعسكروا بها، وتخلّف هيرقل بمُحص.

ولم يكن ذلك، إنما ذلك شيء قيل لهم فقالوه. ولم يكن عدوّ أخوف عند المسلمين منهم، وذلك لما عاينوا منهم (إذ كانوا يقدمون عليهم تجاراً) من العُدَد والغُدّة والكُراع. وكان رسول الله قد غزا غزوة تبوك في حرٍّ شديد».

(١) طه ٢٥، ٣٢.

(٢) الأعراف ١٤٢.

(٣) مسند أحمد ١ / ٢٧٠، الكافي ٨ / ٦١، الاحتجاج ١ / ١٨١ سنن الترمذي ٥ / ٢٧٠.

(٤) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٧٨، جمل من أنساب الأشراف ١ / ٤٧١.

(٥) المغازي ٢ / ٩٨٩.

بعد عودة رسول الله ﷺ من الطائف أقام في المدينة ما بين ذي الحجة إلى رجب ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم وذلك في زمن عسرة من الناس وشدة من الحر وجذب من البلاد وحين طابت الثمار وأحيت الظلال. فالناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشفوص عنها على الحال من الزمان الذي هم عليه، وخرج رسول الله ﷺ إلى الشام للمطالبة بدم جعفر بن أبي طالب والرغبة في نشر الإسلام فحضر أهل الغنا على النفقة فأتوا بنفقات وقووا الضعفاء.

وسمي هذا الجيش بجيش العسرة لقلة النفقات وسميت الغزوة بغزوة الروم. وتبوك موضع بين وادي القرى والشام^(١). والمسلمون في ثلاثين ألفاً من الناس والخيول عشرة آلاف فرس^(٢).

وكان رسول الله ﷺ قلماً يخرج في غزوة إلا كنى عنها وأخبر أنه يريد غير الذي يصمد له إلا ما كان من غزوة تبوك فإنه يئنها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يصمد له ليتأهب الناس لذلك، وأمر الناس بالجهاز وأخبرهم أنه يريد الروم فتجهز الناس على ما في أنفسهم من الكره لذلك الوجه وقد عظموا ذكر الروم وغزوهم.

ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ وهم البكاؤون وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم فاستحملوا رسول الله ﷺ وكانوا أهل حاجة فقال:

«لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون»^(٣) قال فبلغني أن يامين بن عمير بن كعب النضري لقي أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مغل وهما يكيان فقال لهما ما يُكيكما.

قالا جئنا رسول الله ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه فأعطاهما ناضحاً فارتحلاه وزودهما من تمر فخرجا مع رسول الله ﷺ.

وجاء المعذرون من الأعراب فاعتذروا إليه فلم يعذرهم الله عز وجل وكانوا من بني

(١) معجم البلدان ٢ / ١٤.

(٢) عيون الأثر ٢ / ٢٥٤.

(٣) التوبة ٩٢.

غفار منهم خفاف بن أيماء بن رحضة ثم استتب رسول الله ﷺ سفره وأجمع السير .
 وخرج رسول الله ﷺ يوم الخميس إلى غزوة تبوك وخرجوا في تبوك الرجلان والثلاثة
 على بعير وخرجوا في حر شديد فأصابهم يوماً عطش شديد حتى جعلوا ينحرون إبلهم
 فيعصرون أكراشها ويشربون ماءها فكان ذلك عسرة من الماء وعسرة من الظهر وعسرة
 من النفقة^(١).

ثم إن أبا خيثمة أخا بني سالم رجع بعد أن سار رسول الله ﷺ أياماً إلى أهله في يوم
 حار فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائط قد رشت كل واحدة منها عريشها وبردت
 له فيه ماءً وهيات له فيه طعاماً فلما دخل قام على باب العريشين فنظر إلى امرأته وما
 صنعتا له قال رسول الله ﷺ: في الضح والريح وأبو خيثمة في ظلال باردة وماء بارد وطعام
 مهياً وامرأة حسناء في ماله مقيم ما هذا بالنصف ثم قال والله لا أدخل عريش واحدة منكما
 حتى ألحق برسول الله ﷺ فهيتا لي زاداً ففعلتا ثم قدم ناضحه فارتحله ثم خرج في طلب رسول
 الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك.

وأدرك أبو خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق بطلب رسول الله ﷺ فترافقا
 حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب إن لي ذنباً فلا عليك أن تخلف عني
 حتى آتي رسول الله ﷺ ففعل ثم سار حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك
 قال الناس: يا رسول الله هو والله أبو خيثمة فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ فقال
 له رسول الله: أولى لك يا أبا خيثمة ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر فقال له رسول الله ﷺ خيراً
 ودعا له بخير^(٢).

وكان رسول الله ﷺ حين مر بالحجر (مساكن ثمود) نزها واستقى الناس من بئرها فلما
 راحوا منها قال رسول الله ﷺ: لا تشربوا من مائها شيئاً ولا تتوضأوا منها للصلاة وما
 كان من عجين عجنتموه فاعلقوا الإبل ولا تأكلوا منه شيئاً

(١) طبقات ابن سعد ٢ / ١٦٧، مغازي الذهبي ٦٣٤.

(٢) مغازي الذهبي ٦٣٣، سيرة أبي حاتم ١ / ٣٧٠، دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٢٢٣.

ولا يخرجن أحد منكم الليلة لهبوب ربح شديدة إلا ومعه صاحب له وقال ﷺ:
لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم
وتقنع ﷺ بردائه وهو على الرحل^(١).

وكانوا قد استقوا الماء من آبار ثمود فأراقها رسول الله ﷺ ورحل بهم إلى البئر التي
كانت تشرب منها الناقة^(٢).

ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ إلا رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما
لحاجته وخرج الآخر يطلب بعيراً له فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خُنق على مذهبه وأما
الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته في جبل طيء فأخبر بذلك رسول
الله ﷺ فقال: ألم أنهيكم أن لا يخرج أحد إلا ومعه صاحب له ثم دعا الذي أصيب على
مذهبه فشنى وأما الآخر الذي وقع بجبل طيء فإن طيأً أهدته لرسول الله ﷺ حين قدم
المدينة.



مرکز تحقیقات و پژوهش
من دلائل النبوة

وجاء أبو ذر على بعيره فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره ثم خرج يتبع أثر
رسول الله ماشياً ونزل رسول الله في بعض منازلهم فنظر ناظر من المسلمين فقال يا رسول
الله إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده فقال رسول الله ﷺ كن أبا ذر فلما تأمله القوم
قالوا: يا رسول الله هو أبو ذر، فقال رسول الله ﷺ يرحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت
وحده ويُبعث وحده.

ولما نفى عثمان أبا ذر إلى الربرة أصابه بها قدره ولم يكن معه أحد إلا امرأته وغلّامه
فأوصاهما أن يغسلاني وكفّاني ثم ضعاني على قارعة الطريق فأول ركب يمر بكم قولوا: هذا
أبو ذر صاحب رسول الله فاعينونا على دفنه فلما مات فعلا ذلك به ثم وضعاه على قارعة

(١) البداية والنهاية ٥ / ١٤.

(٢) البداية والنهاية ٥ / ١٥، دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٢٣٤.

الطريق فأقبل عبد الله بن مسعود ورهط من أهل العراق عُمَّاراً فلم يرعهم إلا بجنازة على الطريق قد كادت الإبل تطأها، وقام إليهم الغلام فقال هذا أبو ذر صاحب رسول الله فأعينونا على دفنه.

فاستهلَّ عبد الله بن مسعود يبكي ويقول: صدق رسول الله تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ثم نزل هو وأصحابه فواروه^(١).

اعمال المنافقين في حملة تبوك

فقال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في جهازه للجد بن قيس أخي بني سلمة هل لك يا جد العام في جلاد بني الأصفر؟

فقال يا رسول الله أو تأذن لي ولا تفتني فوالله لقد عرف قومي ما رجل أشد عجباً بالنساء مني وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن.

فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال قد أذنت لك في الجد بن قيس نزلت هذه الآية: ﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني﴾^(٢) والرغبة بنفسه عن نفسه ﷺ أعظم وإن جهنم لمن ورائه^(٣).

وقال قائل من المنافقين لبعض لا تنفروا في الحرز هادة في الجهاد وشكاً في الحق وإرجافاً بالرسول فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم ﴿وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون - إلى قوله - جزاء بما كانوا يكسبون﴾^(٤).

ثم إن رسول الله صلى عليه وآله وسلم جدَّ في سفره فأمر الناس بالجهاز والانكماش وخصَّ أهل الغنى فاحتسبوا.

وتخلف كعب بن مالك بن أبي أخو بني سلمة (وكعب بن مالك لم يسابع علياً عليه السلام في

(١) مغازي الذهبي ٦٣٣، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٨٠، تاريخ الطبري ٢ / ٣٧١، دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٣٢١.

(٢) التوبة ٤٩.

(٣) تاريخ الطبري ٢ / ٣٦٧، دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٢١٤.

(٤) التوبة ٨١، ٨٢.

خلافته) ومرارة بن الربيع أخو بني عمرو بن عوف وهلال بن أمية أخو بني واقف وأبو خيثمة أخو بني سالم بن عوف.

فلما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن أبي بن سلول عسكره على جدة أسفل منه بحذاء ذباب جبل بالجبانة أسفل من ثنية الوداع وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب وكان عبد الله ابن أبي أخا بني عوف بن الحزرج وعبد الله بن نبتل أخا بني عمرو بن عوف ورفاعة بن زيد بن التابوت أخا بني قَيْنُقَاع وكانوا من عظماء المنافقين وكانوا ممن يكيدون الإسلام وأهله وفيهم أنزل الله عز وجل:

﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور﴾^(١).

فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فدعا الله فأرسل الله سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء وكان الرجل ليعرف النفاق من أخيه ومن أبيه ومن عمه ومن عشيرته ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلك ثم قال محمود بن لبيد: لقد أخبرني رجال من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه كان يسير مع رسول الله ﷺ حيث سار فلما كان من أمر الماء بالحجر ما كان ودعا رسول الله ﷺ حين دعا فأرسل الله السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس أقبلنا عليه نقول ويحك هل بعد هذا شيء.

قال أوس بن قيثي^(٢): سحابة مارة.

ثم إن رسول الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلّت ناقته فخرج أصحابه في طلبها، وقال زيد بن اللصيب القينقاعي وكان منافقاً: أليس يزعم محمد أنه نبي يخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته.

فقال رسول الله ﷺ: إني والله ما أعلم إلا ما علّمني الله وقد دلني عليها وهي في الوادي

(١) التوبة ٤٨.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٧٩، تاريخ الطبري ٢ / ٣٧٠.

من شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوا بها. فذهبوا فجاءوا بها. فرجع عمار بن حزم إلى أهله فقال والله لعجب من شيء حدثناه رسول الله ﷺ آنفاً عن مقالة زيد بن اللصيب فقال رجل ممن كان في رحل عمار ولم يحضر رسول الله: زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي فأقبل عمار على زيد في عنقه يقول يا عباد الله والله إن في رحلي لداهية وما أدري، أخرج يا عدو الله من رحلي فلا تصحبنى فزعم بعض الناس أن زيدا تاب عن ذلك وقال بعض لم يزل متهاً بشراً حتى هلك^(١).

ثم مضى رسول الله ﷺ سائراً فجعل يتخلف عنه الرجل فيقولون يا رسول الله تخلف فلان فيقول دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه.

وقد كان رهط من المنافقين منهم وداعة بن ثابت أخو بني عمرو بن عوف ومنهم رجل من أشجع حليف لبني سلمة يقال له مخشي بن حنبل يسيرون مع رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك فقال بعضهم لبعض: أتحسبون قتال بني الأصفر كقتال غيرهم والله لكأني بكم غداً مقرنين في الجبال أرجافاً وترهيباً للمؤمنين فقال مخشي بن حنبل والله لو ددت أني أقاضي على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة وأنا تنفلت أن ينزل الله فينا قرآناً لمقاتلتكم هذه.

فقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر أدرك القوم فإنهم قد احترقوا فسلهم عما قالوا فإن أنكروا فقل بلى قد قلت كذا وكذا فانطلق إليهم عمار فقال لهم ذلك.

فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه. فقال وداعة بن ثابت: يا رسول الله كنا نخوض ونلعب. وأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة ولم يجاوزها ثم أنصرف قافلاً إلى المدينة فكان في الطريق ماء يخرج من وشل ما يروي الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له وادي المشفق فقال رسول الله ﷺ من سبقنا إلى ذلك الماء فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه فسبقه إليه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه.

(١) مغازي الذهبي ٦٤١، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٨٠، تاريخ الطبري ٢ / ٣٧١.

فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقف عليه فلم يرفيه شيئاً فقال: من سبقنا إلى هذا الماء فليل له يا رسول الله: فلان وفلان.

فقال ﷺ أو لم تنههم أن يستقوا منه شيئاً حتى نأتيه ثم لعنهم رسول الله ودعا عليهم ثم نزل ﷺ فوضع يده تحت الوشل فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب ثم نضجه به ومسحه بيده.

ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما شاء الله أن يدعو فأنحرق من الماء كما يقول من سمعه إن له حساً كحس الصواعق فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه فقال رسول الله ﷺ: من بقي منكم ليسمعن بهذا الوادي وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه^(١).

علاقة الرسول ﷺ بهرقل وأهالي الشام

وبعث رسول الله ﷺ رسالته إلى هرقل من تبوك بيد دحية الكلبي فلما وصله الكتاب دعا قيسي الروم وبطارقتها ثم أغلق عليه وعليهم الدار. فقال: قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم وقد أرسل إلي يدعوني إلى ثلاث خصال: يدعوني أن أتبعه على دينه، أو نعطيه مالنا على أرضنا والأرض أرضنا، أو نلقاه في حرب. والله لقد عرفتم فيما تقرأون من الكتب ليأخذن ما تحت قدمي فهلن تتبعه على دينه أو نعطيه مالنا على أرضنا.

فنخروا نخرة رجل واحد حتى خرجوا من برانسهم وقالوا: تدعونا إلى أن نذر النصرانية ونكون عبيداً لأعرابي جاء من الحجاز؟ فلما ظن أنهم إن خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم رقاهم (سكنهم) ولم يكد. وقال: إنما قلت ذلك لأعلم صلابتكم على أمركم^(٢).

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه يحنه بن رؤبة صاحب أيلة فصالح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأعطاه الجزية وصالحه أهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية وكتب رسول

(١) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٨٠، تاريخ الطبري ٢ / ٣٧٣.

(٢) البداية والنهاية ٥ / ٢٠.

الله صلى الله عليه وسلم لكل كتاباً.

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه يحته بن رؤبة صاحب أيلة فصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية وصالحه أهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل كتاباً.

أما عن علاقة اليهود بحملة تبوك فقد جاء في تفسير قوله تعالى «وإن كادوا ليستفزوك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلاً»^(١).

بأنها نزلت في اليهود الذين قالوا لرسول الله: إن الأنبياء إنما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر إبراهيم عليه السلام فلو خرجت إلى الشام لآمن بك واتبعناك وقد علمنا إنه لا يمنعك من الخروج إلا خوف الروم، فإن كنت رسول الله فالله مانعك منهم. فغزا النبي ﷺ غزوة تبوك لا يريد إلا الشام فلما بلغ تبوك أنزل الله تعالى آياته في ذلك وأمره بالرجوع إلى المدينة ففها محيّا ومماته ومنها يبعث^(٢).

مركز تحقيقات كميّة وعلوم إسلاميّة

محاولة اغتيال النبي ﷺ في العقبة

لما رجع رسول الله ﷺ قافلاً من تبوك إلى المدينة، حتى إذا كان ببعض الطريق، مكر به ناس من أصحابه، وتأمروا أن يطرحوه في العقبة^(٣) وأرادوا أن يسلكوها معه لهذه الغاية، فأخبر رسول الله ﷺ خبرهم، فقال لأصحابه من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإِنَّه أوسع لكم.

فأخذ النبي ﷺ العقبة، وأخذ الناس بطن الوادي إلا نفر الذين أرادوا المكر به، فقد استعدوا وتلثموا، وأمر رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر فمشيا معه مشياً، وأمر عماراً أن يأخذ بزمام الناقة، وحذيفة يسوقها، فبينما هم يسيرون، إذ سمعوا وكزة القوم

(١) الإسراء ٧٦.

(٢) الروض الأنف، السهلي، موضوع غزوة تبوك، دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٢٥٤.

(٣) العقبة: مرقى صعب من الجبال، والطريق في أعلاها، والجمع عقاب وعقبات وواحد العقاب. أقرب الموارد

من ورائهم، قد غشوههم.

فغضب رسول الله ﷺ، وأمر حذيفة أن يراهم، ويتعرف عليهم، فرجع ومعه محجن، فاستقبل وجوه رواحله، وضربها بالمحجن، وأبصر القوم وهم متلثمون، فأرعبوا حين أبصروا حذيفة، وظنوا أن مكرهم قد ظهر، فأسرعوا حتى خالطوا الناس.

وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله، فلما أدركه، قال ﷺ: إضرب الناقة يا حذيفة، وامش أنت يا عمار، فأسرعوا وخرجوا من العقبة، ينتظرون الناس.

فقال النبي ﷺ يا حذيفة هل عرفت أحدا منهم؟

فقال حذيفة: عرفت راحلة فلان وفلان، وكانت ظلمة الليل قد غشيتهم وهم متلثمون.

فقال رسول الله ﷺ: هل عرفت ما شأنهم وما يريدون؟

قال حذيفة: لا يا رسول الله.

قال ﷺ: فإنهم فكروا أن يسيروا معي، حتى إذا صرت في العقبة طرحتوني فيها!

فقال حذيفة: فلا ترأف بهم إذا جاءك الناس.

قال: أكره أن يتحدث الناس، ويقولوا: إن محمداً قتل أصحابه، ثم ساءهم بأسائهم^(١).

وفي كتاب أبان بن عثمان بن عفان، قال الأعمش: وكانوا اثني عشر، سبعة من قریش.

قال حذيفة: لو حدثتكم بحديث لكذبني ثلاثة أثلاثكم.

فقطن له شاب، فقال: من يصدقك إذا كذبك ثلاثة أثلاثنا! فقال: إن أصحاب محمد ﷺ

كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر.

فقيل له: ما حملك على ذلك؟

فقال حذيفة: إنه من عرف الشر، وقع في الخير^(٢).

وقال الحسن بن علي عليه السلام: «يوم أوقفوا الرسول ﷺ في العقبة ليستنفروا ناقتهم كانوا

اثني عشر رجلاً منهم أبو سفيان»^(٣).

(١) السيرة الحلبية ١٤٣/٣ طبعة دار احياء التراث العربي - بيروت، ودلائل النبوة لابي بكر أحمد البيهقي ٥/٢٦٠ - ٢٦٢

طبع دار الكتب العلمية - بيروت، وأخرجه مسلم في ص ٥٠ كتاب صفات المنافقين واحكامهم، كتاب أبان بن عثمان.

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ابن منظور ٦/٢٥٩.

(٣) كتاب المفاهرات، الزبير بن بكار، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢/١٠٣ ط. دار الفكر ١٣٨٨ هـ.

وذكر ابن عبد البر الأندلسي في كتابه الاستيعاب: كان أبو سفيان كهفًا للمنافقين منذ أسلم^(١).

وروى مسلم في صحيحه عن الوليد بن جميع عن أبي الطفيل: قال: وفي مسند حذيفة بن اليمان عن أبي الطفيل «كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس، فقال: أنشدك الله، كم كان أصحاب العقبة؟ فقال له القوم أخبره إذ سألك؟

فقال حذيفة: كنا نخبر أنهم أربعة عشر، فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر^(٢). لقد أخفى ناشر كتاب مسلم ذكر اسم ذلك الرجل وهو أبو موسى الأشعري، وذكره صاحب كتاب كنز العمال^(٣) ولو كان من الأنصار لذكر اسمه حفظاً للأمانة؟!

ووفق رواية حذيفة بن اليمان كان في هؤلاء الرجال أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة وسعد بن أبي وقاص^(٤). إضافة للأشعري وأبي سفيان اللذين ذكرناهم. وذكر البيهقي عن عروة بن الزبير قائلاً:

ورجع رسول الله ﷺ قافلاً من تبوك إلى المدينة، حتى إذا كان ببعض الطريق مَكَرَ برسول الله ﷺ ناسٌ من أصحابه فتآمروا [عليه] أن يطرحوه في عَقْبَةٍ في الطريق فلما بلغوا العقبة أرادوا أن يسلكوها معه، فلما غَشِيَهُمْ رسول الله ﷺ أَخْبَرَ خبرهم. فقال: من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنه أَوْسَعُ لكم، وأخذ النبي ﷺ العقبة، وأخذ الناس بطن الوادي إِلَّا النَّفَرَ الَّذِينَ مَكَرُوا برسول الله ﷺ لما سمعوا بذلك استعدُّوا وتَلَثَّمُوا، وقد هَمُّوا بأمرٍ عظيم.

وأمر رسول الله ﷺ حُذَيْفَةَ بن اليمان، وَعَمَّارَ بن ياسر، فَمَشِيَا معه مشياً، وأمر عماراً أَنْ يأخذ بزمامِ الناقة، وأمر حذيفة أَنْ يسوقها فيينا هم يسرون إذ سمعوا بالقوم من ورائهم قد

(١) الاستيعاب ٢/ ٦٩٠.

المغازي النبوية ٣/ ١٠٤٢، مجمع البيان ٣/ ٤٦، امتاع الأسماع ١/ ٤٧٧.

تفسير ابن كثير ٢/ ٦٠٢، ٦٠٥، طبع دار احياء التراث العربي - بيروت.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٦٠٥، كنز العمال، المتقي الهندي ١٤/ ٨٦.

(٣) كنز العمال، ١٤/ ٨٦ طبع مؤسسة الرسالة - بيروت.

(٤) المحلي، ابن حزم الأندلسي ١١/ ٢٢٥ طبع دار الفكر، وابن حزم قد توفي سنة ٤٥٦ هجرية.

غشوهم فغضب رسول الله ﷺ، وأمر حذيفة أن يرددهم.

وأبصر حذيفة غضب رسول الله ﷺ، فرجع ومعه محجن، فاستقبل وجوه رواحلهم، فضربها ضرباً بالمحجن، وأبصر القوم وهم متلثمون، لا يشعرون إنما ذلك فعل المسافر، فرعَّبهم الله عز وجل حين أبصروا حذيفة، وظنوا أن مكرهم قد ظهر عليه، فأسرعوا حتى خالطوا الناس.

وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله ﷺ، فلما أذركه قال: إضرب الراحلة يا حذيفة، وامش أنت يا عمَّار، فأسرعوا حتى استوى بأعلاها فخرجوا من العقبة ينتظرون الناس.

فقال النبي ﷺ: لحذيفة: هل عرفت من هؤلاء الرهط أو الركب، أحداً منهم؟

قال حذيفة: عرفت راحلة فلان وفلان، وكانت ظلمة الليل، قد غشيتهم وهم متلثمون. والمقطع الصحيح ذكره اليعقوبي أن حذيفة قال: إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وقبائلهم^(١) والظاهر أن الناسخ هو الذي يحا اسمائهم لأن القضية كانت شائعة إلى درجة

إقدام ابن حزم الناصبي على ذكر اسمائهم.

فقال النبي ﷺ: هل علمتم ما كان شأن الركب وما أرادوا؟

قالوا: لا والله يا رسول الله.

قال النبي ﷺ: فإنهم مكروا ليسيروا معي حتى إذا أظلمت في العقبة طرحتني منها.

قالوا: أفلا تأمر بهم يا رسول الله إذا جاءك الناس فتضرب أعناقهم؟

قال النبي ﷺ: أكره أن يتحدث الناس ويقولوا إن محمداً قد وضع يده في أصحابه، فسماهم لها، وقال: أكتاهم^(٢). إذن كان حذيفة وعمار يعرفان أسماء المنافقين.

وقد عودنا الرواة والنساخ والناشرون على وضع كلمتي فلان وفلان بدل أبي بكر

وعمر.

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٦٨.

(٢) نقله الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٥: ١٩)، عن المصنف، وقد روى الخبر الإمام أحمد عن أبي الطفيل، وابن

سعد عن جبير بن مطعم.

دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٢٥٦، ٢٥٧ طبعة دار الكتب العلمية - بيروت.

وقد ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي عمر وعثمان بدل فلان عند ذكر المنهزمين من معركة أحد^(١).

رواية ابن حزم الأندلسي

وكشف حذيفة بن اليمان العبسي (صاحب سر النبي ﷺ كما وصفه الخليفة عمر)^(٢) محاولة بعض الصحابة قتل النبي ﷺ في غزوة تبوك، وذلك بالقائه من العقبة^(٣) في الوادي. وقد ذكر ابن حزم الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ هذه الحادثة في كتابه المحلى قائلاً:

«وأما حديث حذيفة فساقط، لأنه من طريق الوليد بن جميع، وهو هالك، ولا نراه يعلم من وضع الحديث، فإنه قد روى أخباراً فيها أن أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة وسعد بن أبي وقاص أرادوا قتل النبي ﷺ، وإلقاءه من العقبة في تبوك، ولو صحَّت لكانت بلا شك على ما بيننا من أنهم صحَّ نفاقهم، وعاذوا بالتوبة، ولم يقطع حذيفة ولا غيره على باطن أمرهم، فتورَّع عن الصلاة عليهم»^(٤).

والوليد بن جميع هو الوليد بن عبد الله بن جميع. جاء في كتاب ميزان الاعتدال للذهبي: الوليد بن جميع وثقه ابن معين، والعجلي، وقال أحمد، وأبو زرعة ليس به بأس، وقال أبو حاتم: صالح الحديث^(٥).

وجاء في كتاب الجرح والتعديل للرازي^(٦): عن إسحاق بن منصور، عن يحيى بن معين، الوليد بن جميع ثقة.

وذكره ابن حجر العسقلاني في الإصابة في جملة رواة^(٧).

(١) نظريات الخليفين، المؤلف ٢/٢٦٦، شرح النهج، المعتزلي ٣/٣٩٠ طبع دار الكتب العلمية - مصر.

(٢) اسد الغابة، ابن الاثير، ترجمة حذيفة ١/٤٦٨، طبعة دار احياء التراث العربي - بيروت.

(٣) العقبة: الجبل الطويل يترصُّ للطريق فيأخذ فيه وهو طويل صعب شديد، لسان العرب لابن منظور ١/٦٢١.

(٤) المحلى، ابن حزم الأندلسي ١١/٢٢٥.

(٥) ميزان الاعتدال ٤/٣٣٧ رقم ٩٣٦٢ طبع دار المعرفة - بيروت.

(٦) الجرح والتعديل ج ٩/٨ طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

(٧) الإصابة ج ١/٤٥٤.

وذكره ابن كثير في جملة رواة الثقات^(١).

وذكره مسلم في صحيحه في جملة رواة الثقات^(٢).

ولما كان الحاكم قد اطلع على حديث حذيفة المذكور بواسطة الوليد بن عبد الله بن جميع، فقد قال: «لو لم يذكره مسلم في صحيحه لكان أولى»^(٣).

وهذا يعني أن الوليد بن جميع ثقة في نظر الحاكم ولكنه منزعج منه لذكره الحديث المذكور. فالحاكم يريد منه أن يذكر بعض الأحاديث ويكتفم البعض الآخر الفاضح لزعماء السياسة!

إذن وفق رأي مسلم، والذهبي، وابن معين، والعجلي، وأبي زرعة، وأبي حاتم، والرازي والحاكم وابن حجر يكون سند الحديث صحيحاً، فهو لا يؤثّقون حذيفة بن اليمان، والوليد بن جميع.

وقطع ابن حزم الأندلسي بعدم صلاة حذيفة على أبي بكر وعمر وعثمان إذ قال:

«ولم يقطع حذيفة ولا غيره على باطن أمرهم فتورّع عن الصلاة عليهم»^(٤).

حذيفة صاحب سر النبي ﷺ، وكان عمر يسأله إذا مات ميت، فإن حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر، وإن لم يحضر حذيفة الصلاة عليه لم يحضر عمر^(٥). لتحريم الصلاة على المنافقين ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾^(٦).

إن الذي مات في زمن عمر وحذيفة هو أبو بكر. وقطع ابن حزم الأندلسي بعدم صلاة حذيفة عليه، طاعة للآية القرآنية. ولم يصل المسلمون على جثمان عثمان إلا أربعة^(٧).

وذكر ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق أيضاً، أن حذيفة لم يصل على فلان^(٨) أي أبا

(١) البداية والنهاية ٤/٣٦٢، ٥/٣١٠، ٦/٢٢٥.

(٢) صحيح مسلم ٣/١٤١٤ حديث ٩٨ - ١٧٨٧ طبعة دار احياء التراث العربي - بيروت.

(٣) المحلى لابن حزم ١١/٢٢٥.

(٤) المحلى، ابن حزم الأندلسي ١١/٢٥٥.

(٥) الاستيعاب، ابن عبد البر ١/٢٧٨ بهامش الإصابة وأسد الغابة، ابن الأثير ١/٤٦٨، السيرة الحلبية ٣/١٤٣، ١٤٤.

(٦) التوبة: ٨٤. ولم يصل عليهم أمير المؤمنين علي عليه السلام.

(٧) تاريخ يعقوبي ٢/١٧٦.

(٨) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٦/٢٥٣، طبعة دار الفكر الأولى - دمشق.

بكر وهذه عادة معروفة مع الشيخين أبي بكر وعمر. والظاهر أن ابن عساكر ذكره والناسخ أو الناشر أبدله بفلان!

وقد صرح النبي ﷺ^(١) وعلي عليه السلام وعمر^(٢) بمعرفة حذيفة بن اليمان بأسماء المنافقين، فقد قال علي عليه السلام: ذاك امرؤ علم العضلات والمفصلات، وعلم أسماء المنافقين، إن تسألوه عنها تجدوه بها عالماً^(٣).

وحذيفة لم يخبر أحداً بأسماء المنافقين، لكنه لم يصل عليهم! والمقصود بهم هنا مجموعة المهاجرين للنبي في العقبة.

قال حذيفة: مرّ بي عمر بن الخطاب وأنا جالس في المسجد فقال لي: يا حذيفة! إن فلاناً^(٤) قد مات فاشهده.

ثم مضى، إذ كاد أن يخرج من المسجد، التفت إليّ فرآني وأنا جالس فعرف، فرجع إليّ فقال: يا حذيفة أنشدك الله أمن القوم أنا؟

قلت: اللهم لا ولن أبرئ أحداً بعدك.

قال: فرأيت عيني عمر جاء تا^(٥).

أي عرف عمر عدم رغبة حذيفة بإسالة عليّ جثمان أبي بكر. ولو صرح حذيفة باسم عمر لقتله.

واستمر عمر وأصحابه في التجسس على الشاهدين والعارفين بأسماء منافقي العقبة لتصفيتهم وهذه عادة معروفة في حوادث التاريخ. فروى ابن عساكر: «دخل عبدالرحمن

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٥٣/٦، المستدرك، الحاكم ٣/٣٨١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ابن منظور ٢٥٢/٦، أسد الغابة، ابن الأثير ترجمة حذيفة ٤٦٨/١ طبعة دار احياء التراث العربي - بيروت، تاريخ دول الإسلام، شمس الدين الذهبي ص ٢٢.

(٤) أي أبا بكر.

(٥) مختصر تاريخ دمشق ٢٥٣/٦، طبعة دار الفكر الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، وكان عمر إذا مات ميت سأل عن حذيفة، فإن حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر، وإن لم يحضر حذيفة الصلاة عليه لم يحضر عمر، الاستيعاب، ابن عبد البر الأندلسي ٢٧٨/١ بهامش الإصابة، أسد الغابة، ابن الأثير ٤٦٨/١، السيرة الحلبية ١٤٣/٣.

على أم سلمة رضي الله عنها، فقالت:

سمعت النبي ﷺ يقول: إنَّ من أصحابي لمن لا يراني بعد أن أموت أبداً. فخرج عبد الرحمن من عندها مذعوراً، حتى دخل على عمر، فقال له: إسمع ما تقول أمك.

فقام عمر حتى دخل عليها، فسأها، ثم قال أنشدك الله أمنهم أنا؟

قالت: لا ولن أبرئ بعدك أحداً^(١). وكان ابن عوف وعمر من رجال العقبة^(٢). لذلك ذعرا من قول أم سلمة وتركها شغلها وجاءا لها يسألانها.

والظاهر أنَّ عمر كان خائفاً جداً من هذا الموضوع بحيث سأل عنه حذيفة وأم سلمة! ولقد وقع حذيفة وأم سلمة في حرج شديد من سؤال عمر الخطير لهما وأنَّ هذا الحرج يتضح من قولها: لن أبرئ بعدك أحداً.

وقد خاف نافع بن جبير بن مطعم القرشي (الذي أمره أبوه بقتل حمزة): من افتضاح أمر المنافقين فقال «لم يخبر رسول الله ﷺ بأساء المنافقين، الذين يخسوا به ليلة العقبة بتبوك غير حذيفة، وهم اثنا عشر رجلاً»^(٣). مركز تحقيق التراث

ولقد أضافوا إلى حديث ابن عساكر شيئاً لم يكن موجوداً في أصله، وهو: ليس فيهم قرشي، وكلهم من الأنصار أو من حلفائهم! ليبعدوا الشبهة عن قريش، ويضعوها على عاتق الأنصار، كما فعلوا ذلك في حوادث عديدة! ومنها السقيفة! إذ اتهموا زوراً سعد بن عباداً بمحاولة اغتصاب السلطة، وادعوا قيام العباس بن عبدالمطلب بسقي النبي ﷺ شرباً^(٤)، في حين قاموا هم باغتصاب السلطة وسقي النبي ﷺ الشراب القاتل^(٥).

وقال حذيفة: لو كنت على شاطئ نهر، وقد مددت يدي لأغرف، فحدثتكم بكل ما أعلم، ما وصلت يدي إلى في، حتى أقتل^(٦).

(١) مختصر تاريخ دمشق ٣٣٤/١٩. ولو اعترفت لقتلت والحقت بفاطمة رضي الله عنها وسعد بن عباد.

(٢) منتخب التواريخ ص ٦٣.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٥٣/٦، المستدرک الحاكم ٣٨١/٣.

(٤) صحيح البخاري ١٧/٧، صحيح مسلم ٢٤/٧، ١٩٨، معجم ما استعجم، عبد الله الأندلسي ص ١٤٢.

(٥) راجع كتاب السقيفة وكتاب هل اغتيل النبي محمد ﷺ للمؤلف.

(٦) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٥٩/٦.

أي لو أخبر حذيفة بأسماء المنافقين الأحياء منهم والأموات، لقتلوه بسرعة، لذلك لم يخبر بأسمائهم في زمن حكم أبي بكر وعمر وعثمان ولكنه كان لا يصلي عليهم وهذه إشارة ذلك، وفي بداية زمن حكم أمير المؤمنين علي عليه السلام صرح بأسمائهم فقتله أبو موسى الأشعري والي عثمان على الكوفة!

وقال حذيفة: خذوا عنا فإننا لكم ثقة، ثم خذوا عن الذين يأخذون عنا، فإنهم لكم ثقة، ولا تأخذوا عن الذين يلونهم.

قالوا: لم؟

قال: لأنهم يأخذون حلو الحديث ويدعون مرءه، ولا يصلح خلوه إلا بمرءه^(١).
وقال حذيفة: لقد حدثني رسول الله ﷺ بما يكون حتى تقوم الساعة، غير أنني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة منها^(٢).

وكانت سيرة أبي موسى الأشعري غير مرضية بالعمل والقول وقد اتهمه أعظم الصحابة بالنفاق. فقد ذكره حذيفة في جملة منافقي ليلة العقبة:

إذ جاء في الرواية: أن عماراً سُئِلَ عن أبي موسى فقال: سمعت فيه من حذيفة قولاً عظيماً، سمعته يقول: صاحب البرنس^(٣) الأسود، ثم كلح كلوحاً علمت منه أنه كان ليلة العقبة بين ذلك الرهط^(٤). ولكن هل يصح عدم معرفة عمار باسمه؟ ستجد في رواية قادمة معرفة عمار باسم الأشعري من لسان النبي ﷺ مباشرة!

وذكرت كتب السيرة أن المنافقين المذكورين كانوا حرباً لله ورسوله^(٥).

وأخرج ابن عدي في الكامل وابن عساكر في التاريخ على ما في منتخب كنز العمال بالإسناد عن أبي نجاء حكيم قال: كنت جالساً مع عمار فجاء أبو موسى فقال: مالي ولك؟

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٥٩/٦.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٤٩/٦.

(٣) البرنس: قلنسوة طويلة وكان النساك يلبسونها في صدر الإسلام قال الجوهري: هو كل ثوب رأسه منه ملتزق به من دراعة أو جبة # المختار ٣٧ ب.

(٤) كنز العمال ٦٨ / ١٤.

(٥) تفسير ابن كثير ٦٠٥/٢ طبعة دار احياء التراث العربي - بيروت.

الست أخاك؟

قال (عمار): فما أدري ولكن سمعت رسول الله ﷺ يلعنك ليلة الجبل (العقبة).
قال: إنه استغفر لي.

قال عمار: قد شهدت اللعن ولم اشهد الاستغفار^(١).

فاعترف الأشعري باشتراكه في هجوم العقبة، وأقرّ بلعن رسول الله ﷺ له، وهو اعتراف بمشاركة سائر رجال قريش الذين ذكرهم ابن حزم في المحلّ في الهجوم، وتثبيت للعن رسول الله ﷺ لهم جميعاً. وصرّح أبو هريرة بقبول النبي ﷺ لعن أبي بكر^(٢).
ونزل في المنافقين المحيطين بالنبي :

وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم^(٣).



ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى نزل بذي أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار وكان أصحاب مسجد خرار قد أتوه وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه فقال صلى الله عليه وآله وسلم إنّي على جناح سفر وحال شغل ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه، فلما نزل ﷺ بذي أوان أتاه خبر المسجد فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف ومعن بن عدي أخا بني العجلان فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرّقاه، فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم، فقال مالك لمعن أنظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي فدخل إلى أهله فأخذ سعفاً من النخل فأشعل فيه ناراً ثم خرجا يشتدان حتى دخلا المسجد

(١) منتخب كنز العمال ٢٣٤/٥. وقد حذف الناسخ أو الناسر هذه الرواية من تاريخ ابن عساكر القيم رعاية لحفظ الأمانة الشرعية! وطاعة للزعامة السياسية.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٢ / ٤٣٦ وراجع كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر وعائشة للمؤلف ص ٨٣.

(٣) التوبة ١٠١.

وفيه أهله فحرّقاه وهدماه، وتفرقوا عنه ونزل فيهم من القرآن ما نزل:

﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين﴾^(١) إلى آخر القصة

وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً^(٢).

ذلك أن المنافقين بنوا مسجداً قريباً من مسجد قباء وأرادوا أن يصلي لهم رسول الله فيه حتى يروج لهم ما أرادوا من الفساد والكفر والعناد فعصم الله سبحانه رسوله من الصلاة فيه لأنه كان على جناح سفر إلى تبوك، فلما رجع ونزل ذا أوان مكان بينه وبين المدينة ساعة نزل عليه الوحي في شأن هذا المسجد. فقوله تعالى ضراراً فلاّتهم أرادوا مضاهاة مسجد قباء وكفراً بالله لا للإيمان به، وتفريقاً للجماعة عن مسجد قباء.

وهذا المسجد مقر لأعوان أبي عامر الراهب الفاسق^(٣) الذي قال لهم: ابنوا مسجدكم واستمدوا ما استطعتم من قوة ومن سلاح فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فأتاكم بجند من الروم، فأخرج محمداً وأصحابه^(٤).

ولما عاد من الشام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يكلمن أحدٌ منكم هؤلاء الثلاثة المتخلفين كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية.

وأتاه من تخلف عنه من المنافقين فجعلوا يحلفون له ويعتذرون فصفح عنهم رسول الله ولم يعذرهم الله ولا رسوله واعتزل المسلمون كلام هؤلاء الثلاثة نفر حتى أنزل الله عز وجل قوله

﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار - إلى قوله - وكونوا مع الصادقين﴾.

فتاب الله عليهم.

وقدم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك في شهر رمضان وقدم عليه في ذلك الشهر وفد

(١) التوبة ١٠٧.

(٢) منازل الذهبية ٦٤٧.

(٣) البداية والنهاية ٥ / ٢٧.

(٤) دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٢٦٣.

ثقيف، ولما عادوا من تبوك جعل بعض المسلمين يبيعون أسلحتهم ويقولون: قد انقطع الجهاد. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنهاهم قائلاً: لا تزال عصابة من أمتي يجاهدون على الحق حتى يخرج الدجال^(١).

وأكثر الأمويون في الأكاذيب في غزوة تبوك فقالوا: إن عثمان بن عفان الأموي أنفق نفقة عظيمة لم ينفق أحد أعظم منها قيل كانت ثلاثمائة بعير وألف دينار^(٢).

والرواية عن الوليد بن أبي هشام وهو مولى عثمان بن عفان وهو الذي روى مناقب في صالح عثمان مقابل أموال بني أمية ومن رواياته المزيفة: ما على عثمان ما فعل بعد هذا اليوم^(٣). وقال علماء الحديث عن الحديث غريب^(٤).

وقالوا عن الراوي الآخر للرواية فرقد أبي طلحة: لا يُعرف^(٥) أي أن فرقد رجل مختلق من مختلقات السياسة الأموية!

وقد كذب الأمويون في هذه الغزوة كثيراً للتغطية على دور عثمان في عملية العقبة. وللإطلاع أكثر راجع المصادر المثبتة في الهامش^(٦).

مركزية في تاريخ الإسلام

غزوة دومة الجندل

وأرسل رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في أربعين وأربعين فارساً في رجب سنة تسع إلى أكيدر بن عبد الملك بدوحة الجندل وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة وكان أكيدر

(١) طبقات ابن سعد ٢ / ١٦٧.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٧٧.

(٣) تهذيب الكمال، العزى ١٧ / ٨١.

(٤) المصدر السابق.

(٥) من له رواية في كتب الستة، الذهبي ٢ / ١٢٠.

(٦) عيون الأثر ٢ / ٢٥٣ - ٢٦٠، تاريخ الطبري ٢٦٧ - ٢٧٣، طبقات ابن سعد ٢ / ١٦٥ مغازي الذهبي ٦٢٨، تاريخ

ابن الأثير ٢ / ٢٧٧ - ٢٨٤، تاريخ يعقوبي ٢ / ٦٦، الوفا بأحوال المصطفى ابن الحوزي ٧٢٥، جمل من أنساب

الاشراف ١ / ٤٧١، سيرة أبي حاتم ١ / ٣٦٦، البداية والنهاية ٥ / ٥ - ٤٧، السيرة الشامية ٥ / ٦٢٦، شرح المواهب

اللدنية، الزرقاني ٣ / ٦٢، تاريخ أبي الفداء ١ / ٢١٠، تاريخ خليفة ٤٤، المنتظم، ابن الجوزي ٢ / ٣٦٢ - ٣٧١،

دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٢١٢، صحيح البخاري، كتاب الجهاد ١٩٦، فتح الباري ٦ / ١٩١، سنن أبي داود ٣ / ٩٠.

من كندة قد ملكهم وكان نصرانياً. وقال النبي ﷺ لخالد : ستجد ملكهم يصيد البقر.
وفي تلك الليلة المقمرة الصائفة كان الملك على سطح له ومعه امرأته فباتت البقر تحك
بقرونها باب القصر.

فقالت امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟

قال : لا والله.

قالت: فمن يترك هذا

قال: لا أحد فنزل فأمر بفرسه فأسرج له وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يقال له
حسان، فركب وخرجوا معه بمطاردهم فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله ﷺ فأخذته
وقتلوا أخاه حسان، وقد كان عليه قباء له من ديباج مخوص بالذهب فاستلبه خالد وبعث
به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه عليه.

ودخل المسلمون الحصن وأجار خالد أكيدر من القتل حتى يأتي به رسول الله ﷺ
على أن يفتح له دومة الجندل ففعل وصالحه على مالي^(١).

مركز تحقيقات كميته بر عهد رسول الله ﷺ

الدلائل والعبر

كانت معركة بدر أول غزوة عظمى يقودها رسول الله ﷺ ضد الكافرين وكانت غزوة
تبوك آخر غزوة كبرى يقودها النبي ﷺ.

والفرق بين الإثنين أن دولة رسول الله ﷺ يوم معركة بدر كانت منحصرة في المدينة
أما في زمن غزوة تبوك فهي دولة كبرى تشتمل على أغلب أراضي شبه جزيرة العرب.

وثانياً إن حامل لواء رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب كان بطل الميدان في معركة
بدر حيث قتل نصف رجالهم فنادى جبرئيل باسمه.

لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار

وفي غزوة تبوك بقي علي عليه السلام على المدينة خليفة لرسول الله ﷺ.

ووجود أمير المؤمنين في جيش النبي ﷺ كان يرهب العدو الخارجي والداخلي، فهو

(١) طبقات ابن سعد ٢ / ١٦٦ تاريخ الطبري ٢ / ٣٧٢، مغازي الذهبي ٦٤٥، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٨١.

يقتل أبطال وقادة العدو الخارجي ويرهب العدو الداخلي.

ولما وجد العدو الداخلي ذلك الفراغ فقد أقدم على محاولة اغتيال رسول الله ﷺ في العقبة!

وشهدت غزوة تبوك اجتماع خطير للمنافقين بكافة أصنافهم من قريش بزعامة أبي سفيان ومن الأنصار بزعامة عبد الله بن أبي يشاركهم في ذلك سائر المنافقين من الأعراب والمندسين في صفوف المهاجرين.

وكان جيش عبد الله بن أبي قريباً في العدد من جيش رسول الله ﷺ لكنه انسحب من الميدان إلى المدينة.

ولوجود هذا العدد الهائل من المنافقين واليهود في المدينة وأطرافها فقد كانت الحكمة تقتضي إبقاء الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام خليفة عليها.

وفعلاً خاف الأعداء ومنهم المنافقون من الهجوم على المدينة وعلي عليه السلام فيها. وفي غزوة تبوك نضجت أفكار المنافقين وتكثفت جهودهم فبينما كان قرارهم السابق يتمثل بالإنهزام من معركة حنين ومحاولة رجل منهم قتله فقد تمخض اجتماعهم الجديد عن الهجوم الجماعي لقيادة المنافقين على شخص الرسول ﷺ في معركة تبوك وقتله.

وافترض دور المتخلفين عن الغزوة وعلي رأسهم كعب بن مالك ورغم العقوبة الإلهية له استمر هذا الرجل متزلفاً للهمال وللسلطة مبتعداً عن الحق والعدالة إلى أواخر أيام حياته.

وكانت جهود رسول الله ﷺ والمنافقين متضادة، فرسول الله ﷺ يريد تعيين علياً عليه السلام خليفة له، والمنافقون يخططون وينفذون عملية الاستحواذ على خلافة رسول الله ﷺ.

وفي ذلك الزمن خلف النبي محمد ﷺ علياً عليه السلام على المدينة معلناً أمام المسلمين: علي مني بمنزلة هارون من موسى عليه السلام.

مما يستلزم الخلافة العظمى له مثلما كانت الخلافة العظمى لهارون عليه السلام لذا وقف المؤمنون إلى جنب هارون في صراعه مع قارون، ووقف أكثرية اليهود مع قارون!

ولما قال النبي ﷺ لعلي عليه السلام أنت مني بمنزلة هارون من موسى عليه السلام سألت المخلصون أنفسهم مع من سيقف المسلمون بعد النبي ﷺ مع هارون أم مع قارون؟

وقال رسول الله ﷺ: ستتبعون سنن من قبلنا حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة فلو دخلوا جحر ضب لدخلتموه^(١).

واتسعت هجمة المنافقين لتشمل مساجد الله تعالى فلأول مرة بنوا مسجداً ليكون قلعة لأبي عامر الفاسق المرتبط بالروم، فنع الله سبحانه رسوله ﷺ من الصلاة فيه مرتين، مرة في طريقه إلى تبوك ومرة في عودته من تبوك.

ولما كانت صلاة النبي في ذلك المسجد ستكون حتمية فقد بين تعالى له واقع ذلك المكان قائلاً:

﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين﴾^(٢)

ولأول مرة صدر الأمر النبوي بإحراق وتحطيم ذلك المسجد المعادي للإسلام فياترى كم من المساجد بنيت بعد النبي ﷺ لمحاربة الله ورسوله؟

وكم من مدرسة دينية أنشأت لهذا الغرض؟ ومن الأمور المدهشة في هذه الجملة إقدام الرسول ﷺ عليها رغم الحر والعطش والفاقة وبعد المسافة وقوة العدو الخارجي (الروم) واستفحال أمر العدو الداخلي (المنافقون) وعمره ﷺ إحدى وستون سنة!

وذلك الغزو النبوي للشام أثبت وجوب الفتح الخارجي لنشر الإسلام والعدل والحق في العالم، وعلى هذا المبدأ سار المسلمون ففتحوا كاشغر في سنة ٩٤ هجرية وفتحوا الأندلس في سنة ٩٦ هجرية.

وفي هذه الغزوة (تبوك) كثرت المعجزات الإلهية: إستجاب الله تعالى لرسوله ﷺ. فنزل المطر على المسلمين غزيراً فشربوا منه وملأوا قريتهم.

وأعلم عز وجل رسوله بمكان ناقته الضائعة جواباً لاشكال المنافقين.

(١) تفسير العسكري ٤٨١، تفسير العياشي ٣٠٤/١، تفسير الصافي ٧٦/٤، أسباب النزول، الواحدي ٢٧، شواهد التنزيل الحسكاني ١٩/١، تفسير القرطبي ٣٤٥/١٠، الدر المنثور، السيوطي ٥/٥، فتح القدير، الشوكاني ٣٤٨/١.

(٢) التوبة ١٠٧.

وأخبر النبي ﷺ المسلمين بقرب هبوب رياح شديدة في الليل فحصل ذلك. وأنعم تعالى على رسوله مرة أخرى في الماء فنبعت العين التي كانت قد نشفت بأيدي المنافقين.

وواصل تعالى نعمه على خاتم رسله فحذره من مؤامرة العقبة فتجاوزها النبي الأعظم ﷺ بسلام ولولا ذلك لقتله المهاجمون في وادي العقبة. ومع استمرار تلك المعجزات كان يقين المؤمنين يتصلب وانحراف الفاسقين يزداد.

وبعد عودة المسلمين من تبوك ظافرين معززين سطع نجمهم ليس في شبه الجزيرة العربية فقط بل في العالم أجمع وأصبحوا في مستوى القوتين العظيمتين الروم والفرس. فاضطرت ثقيف للتنازل عن صمودها وعصيانها والدخول في الدين الإسلامي. والثمرة الثانية: اسلام عدي بن حاتم الطائي. وكان حاتم نصرانيا.

والثمرة الثالثة دخول أهل اليمن في الإسلام أثناء غزو علي بن أبي طالب عليه السلام. فهؤلاء وجدوا أنفسهم لا شيء أمام جيوش المسلمين التي هابها الروم فدخلوا في الدين من دون حرب ولا تضحيات. مركزية كبرى في علوم الحديث



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کلامی و فقهی اسلامی

باب

حوادث اخری

فی السنة التاسعة





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

تحريم المسكر ونادي الخمر الشهير

كان الخمر محرماً في الأديان السماوية السابقة للإسلام فقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ: ما بعث الله عز وجل نبياً قط إلا وفي علم الله عز وجل أنه إذا أكمل له دينه كان فيه تحريم الخمر، ولم تزل الخمرة حراماً ^(١).
وقد سار قصي (رض) جد النبي ﷺ على شريعة إبراهيم عليه السلام فحرّمها على نفسه وعلى أهله وصحبه ^(٢).

ومثنى عبد المطلب (رض) المسمى بإبراهيم الثاني على دين الأنبياء فحرّم الخمر على نفسه ^(٣).

وقال تعالى ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر﴾ ^(٤) وقال تعالى ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس﴾ ^(٥).

وتحريم الخمر والقمار (الميسر) في هذه الآية واضح.

(١) الكافي الكليني ٦ / ٣٩٥.

(٢) السيرة الحلبية ١ / ١٣.

(٣) السيرة الحلبية ١ / ٤.

(٤) المائدة ٩١.

(٥) البقرة ٢١٩.

قال معاذ بن جبل: إن أول ما نهى عنه النبي ﷺ حين بُعث شرب الخمر^(١).

وقال الصادق عليه السلام أيضاً: شرب الخمر مفتاح كل شر^(٢).

وجاء في الحديث إنما حرّمها لفعالها وفسادها^(٣).

وقال رسول الله ﷺ أيضاً: كل مسكر حرام^(٤).

وكان رسول الله ﷺ قد قال: أول شيء نهاني عنه ربي بعد عبادة الأوثان شرب الخمر^(٥).

فيدخل في الحرمة كل أنواع المخدرات التي تهتك بالبشرية حالياً وخطرها أعظم من

الخمر. وقد حرّمها الفقهاء!

فقال الحزب القرشي خوفاً على رجاله الشاربين للخمر: قد حرّمت في سنة ثلاث

للهجرة^(٦).

وقال: حرمت سنة أربع للهجرة^(٧). وقالوا زيفاً إنّ تحريمها كان تدريجياً.

إذن كان الخمر محرماً في مكة قبل هجرة المسلمين إلى الحبشة والمدينة وما تلك

الروايات التي ذكروها عن تحريم الخمر في المدينة إلّا لتبرئة ساحة الذين شربوها متأخراً

من المسلمين متأخراً وعلى رأسهم أبو بكر وعمر.

المدّهش والعجيب أن الأمويين وأذنابهم فعلوا المنكر وقالوا الكذب لإبعاد قضية شرب

الخمر عن رجال الحزب القرشي ولو بالافتراء على حمزة وعلي عليه السلام وتحريف تفسير آيات

القرآن.

وكان علي عليه السلام تلميذ محمد ﷺ قد عرف حرمة شرب الخمر في مكة قبل البعثة سائراً

على خطى سيده ﷺ الذي تربى في حضنه فلم يقربها في الجاهلية والإسلام.

(١) البحار ٢ / ١٢٧، الغدير ٧ / ١٠١، أوائل السيوطي ٩٠.

(٢) الكافي الكليني ٦ / ٤٠٣.

(٣) الكافي، الكليني ٦ / ٤١٢.

(٤) الكافي، الكليني ٦ / ٤٠٧.

(٥) تفسير الطباطبائي ١٦ / ١٦٣، البحار ٢ / ١٢٧، مجمع الزوائد ٥ / ٥٣.

(٦) تاريخ الخميس ٢ / ٢٦، تفسير القرطبي ٦ / ٢٨٥، السيرة العلوية ١ / ٢٦١.

(٧) سيرة ابن هشام ٣ / ٢٠٠، فتح الباري ١٠ / ٢٥، الغدير ٧ / ١٠١، السيرة العلوية ٢ / ٢٦١. وقال البعض إنها

حرمت سنة ست وستة ثمان للهجرة.

فهذا واضح في حرمة الخمر في بداية البعثة في مكة، فأين فقهاء المسلمين عن هذا؟
جاء في النصوص الصحيحة: وكان المعروف عن أبي بكر لعب القمار وشرب الخمر في
الجاهلية، وبعد معركة بدر شربها مع عمر، وقالوا هذا الشعر في رثاء قتلى المشركين:

وكائن بالقلب^(١) قلب بدر من الفتيان والعرب الكرام
أيوعدنا ابن كبشة أن سنحيا وكيف حياة أصدقاء وهام
أبعجز أن يرد الموت عني . وينشرني إذا بليت عظامي
فقل لله يمنعي شرابي - وقل لله يمنعي طعامي^(٢)

فضرب رسول الله عمر .

فقال عمر: أعوذ بالله من غضبه ومن غضب رسوله، إنتهينا، إنتهينا^(٣).

ثم شربها أبو بكر وعمر وأصحابهما في نادي الخمر قبل وبعد فتح مكة، ثم شربها أبو بكر
في شهر رمضان بعد التحريم وقال شعراً منه:

ذريني أصطبح يا أم بكتر فإن الموت نقب عن هشام
ونقب عن أهلك وكان قرماً رحيب الباع شريب المدام
ألا من مبلغ الرحمن عني بأنني تارك شهر الصيام
وتارك كلما يوحى إلينا محمد من أساطير الكلام
ولكن الحكيم رأى حميراً فألجمها فتاهت باللجام^(٤)

وكان سن أبي بكر عند شربه الخمر في ذلك النادي ٥٨ سنة، وكان سن عمر ٤٥ سنة

(١) القبر وأصله البئر.

(٢) أسباب النزول، الواحدى وأخرجه الطبري في تفسيرهما لآية «لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى» ٢٠٣، ٢١١، ربيع
الأبرار، الزمخشري.

(٣) المستطرف، الابشيهي، ربيع الأبرار، الزمخشري.

(٤) الأنوار العلوية ص ٢١٧، مجمع الزوائد ٥١/٥، نوادر الأصول، الحكيم الترمذي، الإصابة، ابن حجر، عمدة القارئ،
العيني ٨٢/١٠، المستطرف، شهاب الدين الابشيهي ٢٩١/٢، سنن أبي داود ١٢٨/٢، مسند أحمد ٥٢/٢، رسائل
الجاحظ ص ٣٤، كتاب مكة، الفاكهي، سنن النسائي ٢٨٧/٨، المستدرك، الحاكم ٢٧٨/٢، تفسير القرطبي ٥/٢٠٠،
تفسير ابن كثير ١/٢٥٥، تفسير الخازن ١/٥١٣، تفسير الرازي ٣/٤٥٨، تهذيب التهذيب ٨/٢١٦، الحلية، أبو نعيم
في ترجمة شعبة، عمدة القارئ، العيني ٨٤/٢٠، تفسير ابن مردويه، وفتح الباري على صحيح البخاري ١٠/٣٠.

وسن أبي عبيدة بن الجراح ٤٨ سنة، وكان سن أنس بن مالك ١٨ سنة. ذكرت كتب الحديث المعتبرة شيئاً عن نادي الخمر وأفصحت عن أسماء أعضائه قائلة: كان أبو بكر وعمر من أعضاء نادي الخمر الشهير، بينما كان أنس بن مالك ساقى القوم في ذلك النادي الذي يضم أيضاً أبا عبيدة بن الجراح وأبا طلحة زيد بن سهل صاحب النادي وسهيل بن بيضاء وأبي بن كعب وأبا دجانة سماك بن خرشة وأبا أيوب الأنصاري وأبا بكر بن شغوب، ومعاذ بن جبل^(١).

وعظم على الطبري ذلك فأبدل اسم أبي بكر برجل وأبدل اسم أم بكر بأم عمرو، وأم عمرو كنية عائشة. إذ قال عبدالله بن الزبير عن مقتل عائشة بيد معاوية: لقد ذهب الحمار بأم عمرو - فلا رجعت ولا رجع الحمار^(٢) والرواة والكتاب الآخرون أيدوا صحة سند الرواية؛ ومنهم ابن حجر العسقلاني^(٣). واستمر عمر في شربها في أيام حكمه^(٤).

مركز توثيق وتحرير علوم إسلامي

غزوة قبيلة طي وإسلام عدي بن حاتم الطائي

بعد انتشار الإسلام في مكة والطائف بدأ رسول الله ﷺ يفكر في نشر الإسلام في سائر مناطق جزيرة العرب. ومن هذه المناطق جبل طي، وقبيلة طيء أول قبيلة تعلمت الخط العربي من الحيرة وقالوا: أول من تعلم الخط العربي اسماعيل عليه السلام.

وفي السنة التاسعة من شهر ربيع الآخر أرسل النبي ﷺ، علي بن أبي طالب عليه السلام في سرية إلى ديار طيء وأمره أن يهدم صنمهم الفلّس، فسار إليهم وأغار عليهم، فغنم وسبي وكسر الصنم المقلد بسيفين يقال لأحدهما مخذم وللآخر رسوب، فأخذهما علي عليه السلام وحملهما

(١) فتح الباري على صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني ٣٠/١٠، صحيح مسلم ٨٨/٦.

(٢) الصراط المستقيم ٣ باب ١٢ / ٤٦، اغتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة للمؤلف.

(٣) فتح الباري ٣٠ / ١٠.

(٤) العقد الفريد ٤١٦/٣، السنن الكبرى، البيهقي ٢٩٩/٨، كنز العمال ١٠٩/٣، طب ١٥٦/٦، محاضرات الراغب

٣١٩/١، جامع مسانيد أبي حنيفة ١٩٢/٢، سنن النسائي ٣٢٦/٨، الآثار، القاضي أبو يوسف ص ٢٢٦، سنن

الدارمي ١١٣/٢.

إلى رسول الله ﷺ، وكان الحارث بن أبي شمر أهدى السيفين للصنم، فعلقا عليه. وأسر الإمام علي بن أبي طالب بنتاً لحاتم الطائي، أخذها إلى رسول الله ﷺ، بالمدينة.

وأما إسلام عدي بن حاتم فقال عدي: جاءت خيل رسول الله ﷺ، فأخذوا أختي وناساً فأتوا بهم رسول الله ﷺ.

فقلت أختي: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي من الله عليك.

فقال النبي ﷺ: ومن وافدك؟

قالت: عدي بن حاتم. قال النبي ﷺ: الذي فر من الله ورسوله! فمن عليها، وإلى جانبه رجل قائم وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سليه حُمَلاًناً. فسألتها، فأمر لها به وكساها وأعطاه نفقة.

وكان حاتم الطائي نصرانيا وعليه فقد عرف بمكارم الاخلاق وعلى رأسها الكرم بالمال والطعام وتربى عدي في هذا البيت الكريم.

قال عدي: وكنت ملك طيء أخذ منهم المربع وأنا نصراني، فلما قدمت خيل رسول الله ﷺ، هربت إلى الشام من الإسلام وقلت أكون عند أهل ديني.

فبينما أنا بالشام إذ جاءت أختي وأخذت تلومني قائلة: فعلت فعلة ما كان أبوك يفعلها، ثم قالت لي: أرى أن تلحق بمحمد سريعاً فإن كان نبياً كان للسابق فضله، وإن كان ملكاً كنت في عزٍّ وأنت أنت.

قال: فقدمت على رسول الله ﷺ، فسلمت عليه وعرفته نفسي، فانطلق بي إلى بيته، فلقيته امرأة ضعيفة فاستوقفتها، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها.

فقلت: ما هذا بملك، ثم دخلت بيته فأجلسني على وسادة وجلس على الأرض، فقلت في نفسي: ما هذا ملك.

فقال لي: يا عدي إنك تأخذ المربع وهو لا يحل في دينك، ولعلك إنما يمنعك الإسلام ما ترى من حاجتنا وكثرة عدونا، والله ليفيضن المال فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، والله لتسمعن بالمرأة تسير من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف إلا الله، والله لتسمعن بالقصور البيض من بابل قد فتحت.

قال عدي: فأسلمت، ورأيت القصور البيض وقد فتحت، ورأيت المرأة تخرج إلى البيت لا تخاف إلا الله، والله لتكونن الثالثة لفيضن المال حتى لا يقبله أحد^(١).

فأخلاق رسول الله ﷺ المتمثلة في حديثه مع امرأة فقيرة وجلسه على الأرض هي التي جذبت عدي بن حاتم الطائي للإسلام. وبمثل هذه الأخلاق تخلق النبي سليمان عليه السلام الذي جالس الفقراء وقال: مسكين مع المساكين.

ولا ننس تأثير فعل النبي ﷺ في فكّه أسر بنت حاتم الطائي ونفقتة عليها وإيصالها إلى الشام^(٢).

وأصبح عدي من اصحاب رسول الله ﷺ ومن اتباع علي عليه السلام وقد أراد معاوية النيل من علي عليه السلام فقال لعدي أين الطرفات؟ يعني بنيه طريفا وطارفا وطرفة.

قال عدي قتلوا يوم صفين بين يدي علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقال معاوية: بما أنصفك ابن أبي طالب إذ قدّم بنيك وأخر بنيه.

قال عدي: بل ما أنصفت أنا علياً إذ قُتل وبني^(٣).

من ذهب أميراً على الحج في السنة التاسعة؟

في السنة التاسعة للهجرة بعث النبي ﷺ أبا بكر أميراً على الحج وقراءة سورة براءة ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ، فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾^(٤).

﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تَبَتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ

(١) راجع تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٨٥، تاريخ الطبري ٢ / ٣٧٥ - ٣٧٧.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٨٥، تاريخ الطبري ٢ / ٣٧٥ - ٣٧٧.

(٣) الكنى واللقاب لعباس القمي ١١٥ / ٢.

(٤) التوبة: ١، ٢.

يظاهروا عليكم أحداً فأتَمُوا إليهم عهدهم إلى مدتهم إنَّ الله يحبُّ المتّقين، فإذا انسَلَخَ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كلّ مرصدٍ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة فخلّوا سبيلهم إنَّ الله غفورٌ رحيم»^(١).

و بلغ عدد المسلمين الراغبين في الحج ثلاثمائة مسلم وبعث رسول الله ﷺ معهم عشرين بدنة ولما وصل المسلمون إلى ذي الحليفة وهو الميقات المعروف بمسجد الشجرة^(٢) نزل جبرئيل على النبي ﷺ يخبره: لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك. فقال النبي ﷺ: عليّ مني وأنا منه، ولا يؤدي إلا أنا أو علي^(٣).

وقد روى أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي بكر أن النبي ﷺ بعثه ببراءة لأهل مكّة: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا تدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فأجله إلى مدته، والله بُرئ من المشركين ورسوله، قال: فسار بها (أبو بكر) ثلاثاً ثم قال النبي ﷺ لعليّ: الحقه فرد عليّ أبا بكر وبلغها أنت، ففعل.

فلما قدم أبو بكر على النبي ﷺ بكى وقال: يا رسول الله هل حدث في شيء؟ قال النبي ﷺ: ما حدث فيك إلا خير، ولكن أمرت أن لا يبلغها إلا أنا أو رجل مني^(٤)، وحكاه في الكنز في تفسير سورة التوبة^(٥).

وروى أحمد بن حنبل بسنده عن عليّ عليه السلام قال: لما نزلت عشر آيات من سورة براءة على النبي ﷺ، دعا النبي ﷺ أبا بكر فبعثه بها، ثم دعاني النبي ﷺ فقال لي: أدرك أبا بكر، فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه، فاذهب به إلى مكّة، فاقرأه عليهم، فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه.

(١) التوبة ٣ - ٥.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٣٨٢.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٤ / ١٦٤، كنز العمال ٦ / ١٥٣.

(٤) تاريخ أبي زرعة ص ٢٩٨، مسند أحمد بن حنبل ١ / ٢، ذخائر العقبى ٩٦.

(٥) كنز العمال ١ / ٢٤٦.

ورجع أبو بكر إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله هل نزل في شيء؟
قال النبي ﷺ: لا، ولكن جبرئيل جاءني فقال: لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك،
ونقله في الكنز عن أبي الشيخ وابن مردويه، ونحوه في الكشف أيضاً^(١).
وروى الحاكم عن ابن عمر من حديث قال فيه: أن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر وعمر
ببراءة إلى أهل مكة فانطلقا، فإذا هما براكب فقال: من هذا؟
قال: أنا علي يا أبا بكر، هات الكتاب الذي معك، فأخذ علي الكتاب فذهب به، ورجع
أبو بكر وعمر إلى المدينة فقالا: ما لنا يا رسول الله؟
قال النبي ﷺ: ما لكما إلا خير، ولكن قيل لي لا يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك^(٢).
وقد روى عودة أبي بكر وبكاءه وذهاب علي بن أبي طالب أميراً على الحج أحمد بن
حنبل وأبو يعلى من رواية أبي إسحاق عن يزيد بن منبغ عن أبي بكر^(٣). وحرف ابن هشام
سيرة ابن إسحاق حفظاً للأمانة الشرعية^(٤).
وأخرج ابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص: أن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر ببراءة
إلى أهل مكة ثم بعث علياً عليه السلام على أثره، فأخذها منه، فكان أبا بكر وجد في نفسه، فقال
النبي ﷺ: يا أبا بكر إنه لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني.
وجاء في تفسير البرهان عن ابن شهر آشوب أنه رواه الطبرسي والبلاذري والترمذي
والواقدي والشعبي والسدي والثعلبي والواحدي والقرطبي والقشيري والسمعاني وأحمد
بن حنبل وابن بطة ومحمد بن إسحاق وأبو يعلى الموصلي والأعمش وسماك بن حرب في
كتبهم عن عروة بن الزبير وأبي هريرة وأنس وأبي رافع وزيد بن نفع وابن عمر وابن
عباس واللفظ له: إنه لما نزل ﴿براءة من الله ورسوله﴾ إلى تسع آيات أنفذ النبي ﷺ أبا
بكر إلى مكة لأدائها.

فنزل جبرئيل وقال: إنه لا يؤديها إلا أنت أو رجل منك، فقال النبي ﷺ لأمير

(١) مستند أحمد بن حنبل ١١/١٥١، كنز العمال ١/٢٤٧، تفسير ابن كثير ٢/٥٤٣، ٥٤٤.

(٢) المستدرک، الحاكم ٣/٥١.

(٣) حاشية الشيخ محمد عليان المرزوقي على تفسير الزمخشري ٢/٢٤٣.

(٤) سيرة ابن هشام ٤/١٩٠.

المؤمنين: اركب ناقتي العضباء والحق أبا بكر، وخذ براءة من يده.
ولما رجع أبو بكر إلى النبي ﷺ جزع. وقال: يا رسول الله إنك أهلتني لأمر طالت
الأعناق إليه، فلما توجهت إليه رددتني منه؟
فقال النبي ﷺ: الأمين هبط إليّ عن الله تعالى: إنه لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل
منك، وعلي مني ولا يؤدي عني إلا علي.
وكلام الله تعالى: لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك مطلقة تسمح لعلي عليه السلام. بتبليغ
الأحكام الابتدائية مثل تلك التي جاءت في سورة براءة بمنع طواف العريان، ومنع دخول
المشركين البيت الحرام.

ووجد أتباع الخط الأموي في ذلك الفعل الإلهي تضعيف لخطهم فتحركوا لتحريف ذلك
النهج الإلهي فقالوا كذباً: بأن أبا بكر استمر في أمارة الحج وعلي عليه السلام مأمور تحت إمارته.
وقالوا: إن أمر الله هذا جاء وفق عادة العرب الجاهلية أن لا يبلغ في العهود إلا شخص
من قبيلته.

لقد أراد ابن شهاب الزهري الأموي إرضاء الحكم الأموي عنه فقال: إنما أمر النبي
عليه السلام بتبليغ براءة دون غيره لأن عادة العرب أن لا يتولى العهود إلا سيّد القبيلة
وزعيمها أو رجل من أهل بيته يقوم مقامه كأخيه أو ابن عمه فأجراهم على عادتهم^(١).
وهذا من أكاذيب الزهري التي ليس لها دليل إذ كان الوكيل عند العرب كالأصيل!
أقول أن النبي ﷺ كان رسولاً لله وزعيماً للبشرية وليس مثل رئيس قبيلة صغيرة! ولم
تكن في عادة الجاهلية أن لا يبلغ عن زعيم القبيلة إلا فرد منها بل يمكن ذلك لكل حليف أو
صديق. والأخطر من ذلك أن سورة براءة قول الله تعالى وليس قول رئيس قبيلة كما
يزعمون، وقول الله سبحانه لا يبلغه إلا المطهرون من أفراد أهل البيت عليه السلام من الذين
قرنهم الله تعالى مع القرآن في قوله ﷺ:

إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي.

ولماذا هذا التضعيف للقول الإلهي بأنه جاء وفقاً لمعايير الجاهلية! ولو كان الأمر هكذا

(١) تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي ٤٢.

لما جاء الله بشريعة وقوانين مخالفة لتعاليم وعادات الجاهلية!

وقد كذب أبو بكر هؤلاء الكتاب بما فعله بعد رجوعه من بكائه وجزعه وكآبته وإنه وجد في نفسه وما قاله للرسول ﷺ: هل نزل في شيء؟ ولو بقي أبو بكر أميراً لما فعل هذا. وقد كان أبو بكر وعمر في مرّات عديدة مأمورين، مرّة في حملة ذات السلاسل تحت قيادة عمرو بن العاص وقيادة علي رضي الله عنه ومرّة تحت قيادة أبي عبيدة بن الجراح، ومرّة في السنة العاشرة عندما استعمل النبي ﷺ سباع بن عرفة الغفاري على ما في سيرة ابن هشام ورواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم. ومرّة تحت قيادة أسامة بن زيد إلى الشام فبقي أبو بكر وعمر يناديان أسامة بالأمير طول مدة حياتهما^(١).

وبذلك يكون عمرو بن العاص وأبو عبيدة بن الجراح وأسامة بن زيد قد ترأسوا على جيوش من جنودها أبو بكر وعمر، وهذا يثبت أنها مع عثمان بن عفان من عامّة أصحاب النبي ﷺ، لم يميزهم عن غيرهم سوى السلطة السياسية التي سيطروا عليها في انقلاب السقيفة.

بينما لم يتزعم شخص على رسول الله ﷺ ووصيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأيد علي بن إبراهيم القمي رجوع أبي بكر إلى المدينة وذهاب علي رضي الله عنه أميراً على الحج^(٢) وقال النبي ﷺ: لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي.

فقال صاحب المنار إن قوله ﷺ أو رجل مني في رواية السدي قد فسرتها الروايات الأخرى عند الطبري وغيره بقوله ﷺ أو رجل من أهل بيتي وهذا النص الصريح يثبت تأويل كلمة مني بأن معناها أن نفس علي كنفس رسول الله ﷺ وإنه مثله وإنه أفضل من كل أصحابه^(٣) وهذا واضح في أن علياً رضي الله عنه لا يكون مأموراً أبداً.

وفي كتاب المستجد للعلامة الحلي أن النبي محمد ﷺ أبلغ علياً رضي الله عنه أن يخير أبا بكر بين

(١) البداية والنهاية ٧٣/٨.

(٢) تفسير القمي ١ / ٢٨٢، ١٥٨.

(٣) تفسير الميزان ٩ / ١٧٦.

الذهاب معه أي (مأموراً) أو الرجوع فرجع أبو بكر^(١).

وأيد السهيلي رجوع أبي بكر إلى المدينة وذهب علي بن أبي طالب^(٢) براءة^(٣).

وصحح سبط ابن الجوزي ذهب علي بن أبي طالب^(٤) أميراً على الحج ورجوع أبي بكر إلى المدينة قائلاً: ودفع النبي^(ﷺ) ناقته العضباء فأدرك أبا بكر بذي الحليفة فأخذ منه الآيات فرجع أبو بكر إلى رسول الله فقال: بأبي أنت وأمي هل نزل في شيء؟

فقال النبي^(ﷺ): لا ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل مني^(٥).

وهناك مئات المصادر الأخرى تذكر رواية أخذ علي بن أبي طالب^(٦) سورة براءة من أبي بكر ورجوع أبي بكر إلى المدينة وخوفه من نزول قرآن فيه أو وجده من ذلك، ومن الذين ذكروا تبليغ علي^(٧) لسورة براءة وأذانه وحججه بالناس: أبو محمد أسماعيل السدي الكوفي المتوفى سنة ١٢٨ هـ ومحمد بن اسحاق المتوفى سنة ١٥١ هـ، وإمام الحنابلة أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ هـ، وأبو محمد عبد الله الدارمي صاحب السنن المتوفى سنة ٢٥٥ هـ، وأبو عبد الله بن ماجة القزويني صاحب السنن المتوفى سنة ٢٧٣ هـ وأبو عيسى الترمذي صاحب الصحيح المتوفى سنة ٢٧٩ هـ، واليعقوبي المتوفى سنة ٢٩٢ هـ^(٨) والمحافظ أبو عبد الرحمن أحمد النسائي صاحب السنن المتوفى سنة ٣٠٣ هـ، وعبد الله البغوي صاحب المصابيح المتوفى سنة ٣١٧ هـ، وسليمان بن أحمد الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠ هـ، وعلي بن عمر الدارقطني المتوفى سنة ٣٨٥ هـ، والحاكم النيسابوري صاحب المستدرک المتوفى سنة ٤٠٥ هـ، وجار الله الزمخشري وإبن أبي الحديد والسخاوي وجلال الدين السيوطي والقسطلاني وابن حجر الهيتمي.

وأثبت الطبري رجوع أبي بكر إلى المدينة^(٩) وأضيف إلى الكتاب عودته مرة أخرى

(١) المستجد من الأرشاد، الحلبي ٥٧، البحار ٢٢ / ١١.

(٢) الروض الأنف ٦ / ٣٧٤، خصائص النسائي ٢٠، سنن الترمذي ٢ / ١٨٣، مسند أحمد ٢ / ٢٨٣، الدر المنثور، السيوطي ١٠ / ٤٦، مستدرک الصحيحين ٣ / ٥١، وراجع فضائل الخمسة في الصحاح الستة ٢ / ٣٨٣.

(٣) تذكرة الخواص سبط ابن الجوزي، ٤٣، سبط ابن الجوزي، ٤٢.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٧٦.

(٥) تاريخ الطبري ٢ / ٣٨٢.

أميراً على الحج! الأمر الذي يرفضه العقل. لأن أبا بكر إذا عاد إلى المدينة ورجع مرة أخرى إلى مكة لاحتاج إلى عشرة أيام على الأقل. ولا يوجد دليل أصلاً على أن النبي ﷺ بعثه مرة أخرى أميراً على الحج. كما لم ينقل لنا أي راوٍ وجود محادثة ثانية بين علي عليه السلام وأبي بكر: هل جئت يا أبا بكر أميراً أو مأموراً؟

لقد قال رسول الله ﷺ مرتين: علي مني وأنا منه مرة في معركة أحد يوم فرّ عنه أصحابه وبقي علي بن أبي طالب عليه السلام فقال جبريل: وأنا منكما.

فقال محمد بن إسحاق في المغازي قال الزهري: إنما قال جبرئيل إن هذه هي المواساة لأن الناس فروا عن رسول الله ﷺ يوم أحد حتى عثمان بن عفان فإنه أول من فرّ ودخل المدينة وفيه نزل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا يَوْمَ التَّنْجِ الْجُمُعَانَ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾^(١)
ومرة أخرى قال الرسول ﷺ: علي مني وأنا منه عندما أرسل علياً عليه السلام أميراً على الحج في السنة التاسعة^(٢).

ووجب بسورة براءة ستر العورة أي لا يخرج بعد هذا العام عريان ولا يقرب المسجد بعد هذا العام مشرك وكان الكفار يطوفون بالبيت عراة.

وقال تعالى ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾^(٣) مما يلزم ستر العورة وكان الرجال يطوفون عراة ليس على رجل منهم ثوب بالليل يعظمون بذلك الحرمة ويقول بعضهم: أطوف بالبيت كما ولدتني أمي ليس علي شيء من الدنيا خالطه الظلم فكره رسول الله ﷺ أن يحج ذلك العام^(٤).

وكان المشركون يحجون مع المسلمين ويعارضهم المشركون بإعلاء أصواتهم ليغلطوهم بذلك بقولهم لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك^(٥).

(١) آل عمران ١٥٥.

(٢) تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي ٤٣.

(٣) الأعراف ٣١.

(٤) عيون الأثر ٢ / ٢٧٥.

(٥) عيون الأثر ٢ / ٢٧٥.

وحدد لهم علي بن أبي طالب عليه السلام المدة قائلاً: ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فأجله مدته.

فقال بعض الكفار: نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك.

فقال علي عليه السلام: لو لا أن رسول الله ﷺ أمرني أن لا أحدث شيئاً حتى آتية لقتلتك فلما عادوا أرعب الله تعالى المشركين فدخلوا في الإسلام طوعاً وكرهاً^(١).

وكان العهد بين رسول الله ﷺ والمشركين عاماً وخاصاً فالعام أن لا يصد أحد عن البيت جاءه، ولا يخاف أحد في الأشهر الحرم، فانتقض ذلك بسورة براءة. والخاص بين رسول الله ﷺ وبين قبائل من العرب إلى آجال مسماة^(٢).

الدلائل والعبر

من الأمور الفقهية البيّنة تحريم الخمر في بداية البعثة في مكة ولأن مجموعة من الصحابة استمرت في شربها فقد غير وعاظ السلاطين زمن التحريم وأخروه عشرين سنة إلى الورا.

وتأثر العلماء الآخرون بهذا فأخذوا يبحثون مع أولئك عن التحريم إن كان في السنة الرابعة أم في السنة السابعة. وقد قيل: إكذب إكذب حتى يصدقك عدوك فالناس على دين ملوكها تتأثر بهم ولو كانوا في صراع معهم.

لقد سعى ملوك آل أمية إلى ضرب أحاديث التحريم في بداية البعثة وتحريمها في سائر الأديان السابقة عرض الحائط.

واتهموا أناساً آخرين بشرب الخمر في المدينة وعلى رأسهم علي بن أبي طالب عليه السلام وحمزة، وهدفهم خلط روايات صحيحة وأخرى كاذبة لذر الرماد في العيون.

من الملفت للنظر أن مجاميع عديدة من المسلمين كانت تعارض رسول الله ﷺ في السنوات الأخيرة من عمره الشريف.

(١) تذكرة الخواص ٤٣، عيون الأثر ٢ / ٢٧٦.

(٢) عيون الأثر ٢ / ٢٧٦.

فواحد يقول له إعدل، وآخر يشاهد استجابة الله تعالى لدعاء رسوله بنزول المطر فيقول سحابة مارة، وآخر يسمع طلب رسول الله ﷺ بالمحجيء بصحيفة ودواة ليكتب وصيته فيتهمه بالهجر، فيلتحق به أصحابه ينادون بهجر بهجر يتهمون النبي ﷺ بالجنون في بيته!

وهذه المجموعة هي عصبة قريش الذين شربوا الخمر في ناديمهم الشهير وقد قال تعالى عن المتهمين لخاتم الأنبياء بالجنون:

﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون وما هو إلا ذكر للعالمين﴾^(١).

وهناك أمر عقائدي مهم في بعث رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام بسورة براءة ذلك أنه ﷺ أرسل أبا بكر أميراً على الحج ولما نزلت سورة براءة عزله الله تعالى وعين علياً عليه السلام مبلغاً لسورة براءة، باتفاق الروايات على ذلك.

ومن يعينه الله تعالى أفضل ممن يعزله، أليس كذلك؟
واتفقت الروايات على قوله ﷺ لا بي بكر إن جبرئيل قال لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك.

وجاء مثل هذا في القرآن الكريم ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾ فعلي عليه السلام نفس محمد ﷺ. وإذا ثبت هذا فكيف يجوز لأبي بكر أن يكون أميراً وزعياً على نفس محمد ﷺ هل يجوز ذلك؟

ولأول مرة يبلغ شخص سورة قرآنية بدل رسول الله ﷺ ولم يكن ذلك الرجل إلا علي عليه السلام. وليس لإنسان آخر هذه المنقبة فعلي عليه السلام نفس محمد ﷺ إلا النبوة. ومن المسائل السياسية في هذه الواقعة أن أبا بكر جزع وبكى وأصابته الكآبة إثر عزله، والمسؤولية السياسية لا تستحق ذلك لأنها خدمة ومسؤولية في عنق المسلم ومتى زاغ الإنسان عن هذه النظرة يبدأ الانحراف ويحصل له ما فعله طلحة والزبير في معركة الجمل لامتناع علي عليه السلام من توليتها على الكوفة والبصرة.

واستمر أبو بكر في نظرتة للمسؤولية من هذا الباب فدفعه جزعه للامتناع عن المشاركة في مراسم دفن رسول البشرية. وسلب فاطمة فداً وأمر بالهجوم على بيتها. وبعد ما فعل هذا كله ندم أبو بكر قائلاً: وددت أني لم أكشف بيت فاطمة^(١).



مركز تحقيقات کتب و پژوهش در علوم اسلامی

(١) لسان الميزان ٨ / ١٨٩ في ترجمة علوان.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کلامی و پژوهش‌های اسلامی

باب

غزوة الیمن وحجة الوداع



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

غزوة علي بن أبي طالب عليه السلام إلى اليمن

اليمن دولة كبيرة في شبه جزيرة العرب ولكثرة المياه فقد نشأت فيها حضارات راقية وبنيت السدود وعلى رأسها سد مأرب:

وبعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام إلى اليمن مرتين؛ مرة إلى قبيلة همدان في السنة الثامنة للهجرة ومرة إلى قبيلة مذحج في السنة العاشرة للهجرة. ^(١)

والبعث الأول في أواخر سنة ثمان إلى همدان وأما الثاني فكان في رمضان سنة عشر إلى مذحج ^(٢).

مركز تقيتكم بيزنيس

الغزوة الاولى

ودعا رسول الله ﷺ علياً عليه السلام ان يعسكر بقاء حتى يجتمع أصحابه، فعقد رسول الله ﷺ لواءه وأخذ عمامة فلفها مشية مربعة فجعلها في رأس ربح ثم دفعها إليه، وعممه عمامة ثلاثة أكوار وجعل ذراعاً بين يديه وشبراً من ورائه ^(٣).

وقال النبي محمد ﷺ لعلي عليه السلام: إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك، فإن قاتلوك فلا تقاتلهم حتى يقتلوا منكم قليلاً، فإن قتلوا منكم قليلاً فلا تقاتلهم، تلومهم ترهم أناة ثم تقول لهم:

هل لكم إلى أن تقولوا لا إله إلا الله؟ فإن قالوا نعم فقل هل لكم أن تصلوا؟
فإن قالوا نعم فقل: هل لكم أن تخرجوا من أموالكم صدقة تردونها على فقراءكم؟

(١) طبقات ابن سعد ٢ / ١٦٩.

(٢) سيرة ابن دحلان ٢ / ١٥٢، عيون الأثر ٢ / ١٥٢.

(٣) مغازي الواقدي ٢ / ١٠٧٩، السيرة الحلبية ٣ / ٢٠٦، تاريخ الخميس ٢ / ١٤٤.

فإن قالوا نعم فلا تبغ منهم غير ذلك، والله لأن يهدي الله على يدك رجلاً واحداً خيراً لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت.^(١)

وقال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام مر أصحاب خالد بن الوليد من شاء منهم يعقب معك فليعقب ومن شاء فليقبل.^(٢)

وقال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: أن التقيتُ فالأمير علي عليه السلام.

وكان النبي ﷺ قد بعث أولاً خالد بن الوليد إلى اليمن فبقي يدعوهم إلى الإسلام ستة أشهر فلم يجيبوه.^(٣)

ولما قرأ علي بن أبي طالب عليه السلام رسالة النبي ﷺ لقبيلة همدان أسلموا جميعاً في يوم واحد فكتب علي عليه السلام بذلك إلى رسول الله ﷺ فسجد شكراً لله^(٤) وقال السلام على همدان ثلاثاً ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام.

وفي اليمن خطب علي بن أبي طالب عليه السلام الناس وفيهم كعب الأحبار قائلاً:

إن من الناس من يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار وفيهم من لا يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار، ومن يعط باليد القصيرة يُعط باليد الطويلة.

فسألوا كعباً فقال: من الناس من يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار فهو المؤمن بالكتاب الأول ولا يؤمن بالكتاب الآخر وأما قوله منهم من لا يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار فهو الذي لا يؤمن بالكتاب الأول ولا الآخر وأما قوله: من يُعط باليد القصيرة يُعط باليد الطويلة فهو ما يقبل الله من الصدقات.^(٥)

وبعد ما وزع علي بن أبي طالب عليه السلام الغنائم على المقاتلين من نساء وأموال اصطفى لنفسه جارية منهن:

(١) مغازي الواقدي ٢ / ١٠٧٩.

(٢) سيرة ابن دحلان ٢ / ١٥٢.

(٣) مغازي الذهبي ٦٩٠، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٣٠٠، دلائل النبوة البيهقي ٥ / ٣٩٦، تاريخ الخميس ٢ / ١٤٥.

(٤) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٣٠٠، صحيح البخاري، كتاب المغازي ٥ / ١١٠، دلائل النبوة البيهقي ٥ / ٣٦٩، فتح الباري ٨ / ٦٥، السيرة الحلبية ٣ / ٢٠٦، الأرشاد، المفيد ١ / ١٦١، عيون الأثر ٢ / ٣٤٠.

(٥) مغازي الواقدي ٢ / ١٠٨٢.

فبعث خالد بن الوليد بريدة الأسلمي إلى النبي ﷺ ليخبره بذلك ويوقع في علي ولما وصل بريدة إلى المدينة قال له: إمض لما جئت له فإنه سيغضب لابنته مما صنع علي. فدخل بريدة على النبي ﷺ ومعه كتاب خالد، فجعل يقرأه ووجه رسول الله يتغير. فقال بريدة: يا رسول الله ﷺ إنك إن رخصت للناس في مثل هذا ذهب فيؤهم. فقال له النبي ﷺ:

ويحك يا بريدة أحدثت نفاقاً إن علي بن أبي طالب ﷺ يحلُّ له من الفـيء ما يحلُّ لي إن علي بن أبي طالب ﷺ خيرُ الناس لك ولقومك، وخير من أخلف من بعدي لكافة أمتي يا بريدة إحذر أن تبغض علياً فيبغضك الله.

قال بريدة: فتمنيت أن الأرض انشقت بي فسخت فيها، وقلت: أعود بالله من سخط الله وسخط رسوله، يا رسول الله استغفر لي فلن أبغض علياً أبداً ولا أقول فيه إلا خيراً، فاستغفر له النبي ﷺ^(١) وفي الروايات الصحيحة أن علي بن أبي طالب ﷺ لم ينكح امرأة أخرى في حياة سيدة نساء العالمين فاطمة ﷺ. فالظاهر بأنه ﷺ أعطى الجارية لأحد المسلمين.

وقال عمرو بن شاس الأسلمي وهو من أصحاب الحديث:

كنت مع علي بن أبي طالب ﷺ في خيله التي بعثه فيها رسول الله ﷺ إلى اليمن فجفاني علي بعض الجفاء، فوجدت في نفسي، فلما قدمت المدينة اشتكيت في مجالس المدينة وأقبلت يوماً ورسول الله جالس، فلما جلست قال ﷺ: إنه والله يا عمرو بن شاس لقد آذيتني! فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون أعود بالله والإسلام أن أؤذي رسول الله ﷺ. فقال النبي ﷺ: من آذى علياً فقد آذاني^(٢).

وبعد عودة علي ﷺ وجيشه من اليمن قال له بعض جنوده: أن نركب إبل الصدقة ونريح إبلنا فأبى علينا قائلاً: إنما لكم منها سهم كما للمسلمين^(٣).

(١) الأرشاد، المفيد ١ / ١٦١، صحيح البخاري كتاب المغازي الحديث ٣٤٥٠، فتح الباري ٨ / ٦٦، دلائل النبوة البيهقي ٥ / ٣٩٧، البداية والنهاية ٥ / ١٢٠.

(٢) دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٣٩٥.

(٣) دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٣٩٨.

وهذه العدالة الإسلامية التي أجراها علي عليه السلام لم ترق لبعض المسلمين المستغلين لبيت المال . وهؤلاء هم الذين استمروا في بغضهم لعلي عليه السلام والميل نحو السائرين على أهوائهم ك معاوية بن أبي سفيان .

الغزوة الثانية

ولما عاد رسول الله ﷺ من تبوك إلى المدينة قدم عليه عمرو بن معدي كرب فقال له النبي ﷺ: «أسلم - يا عمرو - يؤمنك الله من الفرع الأكبر» .

فقال: يا محمد، وما الفرع الأكبر، فإني لا أفزع؟

فقال النبي ﷺ: «يا عمرو، إنه ليس مما تحسب وتظن إن الناس يصاح بهم صيحة واحدة، فلا يبقى ميت إلا نشر ولا حي إلا مات، إلا ما شاء الله، ثم يصاح بهم صيحة أخرى، فينشرون ولا حي إلا مات، إلا ما شاء الله، ثم يصاح صيحة أخرى، فينشر من مات ويصفون جميعاً، وتنشق السماء وتهدئ الأرض وتخر الجبال، وتزفر النيران وترمي بمثل الجبال شرراً، فلا يبقى ذو روح إلا انخلع قلبه وذكر ذنبه وشغل بنفسه، إلا ما شاء الله، فأين أنت - يا عمرو - من هذا؟»

قال عمرو: ألا إني أسمع أمراً عظيماً، فأمن بالله ورسوله، وآمن معه من قومه ناس، ورجعوا إلى قومهم.

ثم إن عمرو بن معدي كرب نظر إلى أبي بن عثمة الحثمي فأخذ برقبته، ثم جاء به إلى النبي ﷺ: أعديني على هذا الفاجر الذي قتل والدي.

فقال رسول الله ﷺ: «أهدر الإسلام ما كان في الجاهلية»

فانصرف عمرو مرتداً فأغار على قوم من بني الحارث بن كعب ومضى إلى قومه، فاستدعى رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام فأمره على المهاجرين، وأنفذه إلى بني زيد، وأرسل خالد بن الوليد في طائفة من الأعراب وأمره أن يقصد الجعفي فإذا التقيا فأمر الناس علي بن أبي طالب عليه السلام. فسار أمير المؤمنين واستعمل على مقدمته خالد بن سعيد بن العاص واستعمل خالد على مقدمته أبا موسى الأشعري.

فأما جعفي فإنها لما سمعت بالجيش افترقت فرقتين؛ فذهبت فرقة إلى اليمن، وانضمت

الفرقة الاخرى إلى بني زبيد، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فكتب إلى خالد بن الوليد: أن قف حيث أدركك رسولي.

فلم يقف، فكتب إلى خالد بن سعيد: تعرّض له حتى تحبسه.

فاعترض له خالد حتى حبسه، وأدركه أمير المؤمنين عليه السلام فعنّفه على خلافه، ثمّ سار حتى لقي بني زبيد بوادٍ يقال له كُشْر^(١).

فلما رآه بنو زبيد قالوا لعمرو: كيف أنت - يا أبا ثور - إذا لقيك هذا الغلام القرشي فأخذ منك الأتاوة؟^(٢).

قال: سيعلم إنّ لقيني.

وخرج عمرو فقال: هل من مبارز؟

فنهض إليه أمير المؤمنين عليه السلام فقام خالد بن سعيد فقال له: دَعْنِي يا أبا الحسن بأبي أنت وأمي أبارزه.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «إن كنت ترى أنّ لي عليك طاعةً فقف مكانك فوقف، ثمّ برز إليه أمير المؤمنين عليه السلام فصاح به صيحةً فانهزم عمرو وقتل أخوه وابن أخيه وأخذت امرأته رُكَّانة بنت سلامة، وسُبي منهم نسوان، وانصرف أمير المؤمنين عليه السلام وخلف على بني زبيد خالد بن سعيد ليقبض صدقاتهم، ويؤمن من عاد إليه من هُراهم مسلماً.

وجاء أيضاً: كان عمرو فارس العرب مشهوراً بالشجاعة وكان شاعراً محسناً فقال: دعوني حتى آتي هؤلاء القوم فإنّي لم أسمّ لأحد قط إلّا هابني فلما دنا منها نادى أنا أبو ثور أنا عمرو بن معدي كرب.

فابتدره علي عليه السلام وخالد وكلاهما يقول لصاحبه خلّني وإيّاه ويفديه بإيه وأمه.

فقال عمرو (إذ سمع قولهما): العرب تفرّغ مني وأراني لهؤلاء جزرة، فانصرف عنها (انهزم)^(٣).

(١) كُشْر: بوزن زُفْر: من نواحي صنعاء اليمن. «معجم البلدان ٤: ٤٦٢».

(٢) الأتاوة: الخراج «لسان العرب - اتى - ١٤: ١٧».

(٣) مناقب آل أبي طالب ٢/ ٣٢٤، الفصول المختارة، المفيد ٢٨٩.

فرجع عمرو بن معدي كرب واستأذن على خالد بن سعيد، فأذن له فعاد إلى الإسلام، وكلمه في امرأته وولده، فوهبهم له.

وقد كان عمرو لما وقف بباب خالد بن سعيد وجدّ جزوراً قد نُحِرَتْ، فجمع قوائمها ثم ضربها بسيفه فقطعها جميعاً، وكان يُسمّى سيفه الصمصامة.

والظاهر بأن الصمصامة أخذها علي رضي الله عنه من ابن معدي كرب إذ قال علي رضي الله عنه في صفين:

أنا علي صاحب الصمصامة وصاحب الحوض لدى القيامة

أخو نبي الله ذي العلامة قد قال إذ عَمَّني العمامة

أنت أخي ومعدن الكرامة ومن له من بعدي الإمامة^(١).

وفي المرة الثانية في السنة العاشرة خرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه لغزو مذحج في اليمن فخرج علي رضي الله عنه في ثلاثمائة فارس، فكانت خيلهم أول خيل دخلت بلاد مذحج ومروا على نجران فأخذ منهم ما اتفقوا على دفعه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي اليمن لقي جمعاً من الناس فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا في أصحابه ثم حمل عليهم علي رضي الله عنه بأصحابه فقتل منهم عشرين رجلاً فنفروا وانهزموا وتركوا لواءهم قائماً، فكف عن طلبهم ودعاهم إلى الإسلام فسارعوا وأجابوا، وتقدم نفر من رؤسائهم فبايعوه علي الإسلام قائلين: نحن علي من والانا من قومنا وهذه صدقتنا فخذ منها حق الله^(٢).

وأخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخمس معه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليرى فيه رأيه وعندما وصل إلى قرية قرب الطائف تسمى الفتق تعجل علي رضي الله عنه وخلف علي أصحابه أبا رافع ليقدم علي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع^(٣).

فسأل أصحاب علي رضي الله عنه أبا رافع أن يكسوهم من ثياب الصدقة فكساهم ثوبين ثوبين فلما كانوا بالسدرة داخلين مكة خرج علي رضي الله عنه ليتلقاهم ليقدم بهم فينزلهم فرأى علي أصحابه ثوبين ثوبين، فقال لأبي رافع: ما هذا؟

(١) مناقب آل أبي طالب ٢/ ٣٢٤، الفصول المختارة، المفيد ٢٨٩.

(٢) مغازي الواقدي ٢ / ١٠٨٠.

(٣) مغازي الذهبي ٦٩١، صحيح البخاري كتاب المغازي ٥ / ١١٠.

قال: كلموني ففرقت من شكائيتهم. وظننت أن هذا يسهل عليك، وكان من قبلك يفعل هذا بهم
فقال علي رضي الله عنه رأيت إياي عليهم ذلك وقد أعطيتهم، وقد أمرتك أن تحتفظ بما خلّفت،
فتعطيتهم^(١).

حديثا الثقـلين والإمامة في حجة الوداع

حديث الثقـلين في حصار الطائف (٨هـ)

بعد فتح مكة ذهب الرسول ﷺ وجيشه إلى حنين ومن هناك إلى الطائف، وبعد
انصراف الرسول ﷺ وجيشه عن الطائف سنة ٨ هجرية قال ﷺ:
«إني تارك فيكم الثقـلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وأحدهما أكبر من الآخر، وإني لئن
يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة»^(٢).
أي قال الرسول ﷺ ذلك الحديث مبكراً وأكدّه في حجة الوداع في السنة العاشرة
للهجرة. ولأهميته فقد كرّره النبي ﷺ في مرّات عديدة وأماكن مختلفة.
وعلى خطى حديث الثقـلين قال الرسول ﷺ في حصار الطائف: «علي مع القرآن
والقرآن مع علي»^(٣).

وهذا الحديث مثل حديث الثقـلين يفصح فيه النبي ﷺ عن عصمة علي رضي الله عنه وعن
خلافة أهل البيت في المسلمين.

قال ابن حجر: لا تنافي في أن رسول الله ﷺ قد قال حديث الثقـلين في حجة الوداع في
عرفة وفي الطائف وفي الغدير وفي المدينة في مرض موته ﷺ^(٤).

(١) مغازي الواقدي ٢ / ١٠٨١، السيرة الحلبية ٣ / ٦-٢، البداية والنهاية ٥ / ١٢٠.

(٢) الصواعق المحرقة، ص ٨٩، وقد حاصروا الطائف اثنين وعشرين يوماً.

(٣) المستدرک، الحاكم ٣ / ١٢٤ باب علي مع القرآن والقرآن مع علي، الصواعق المحرقة ٧٥ المعجم الصغير، الطبراني

٥٥ / ١، المناقب، الخوارزمي ١١٠، مجمع الزوائد ٩ / ١٣٤.

(٤) الصواعق المحرقة، ابن حجر ٨٩.

والسؤال المهم الذي راود أذهان الناس في حجة الوداع؛ ماذا سيوصي رسول الله ﷺ في حجته الأخيرة؟
ومن يخلف في منصب زعامة المسلمين؟

حديث الثقلين في حجة الوداع (١٠ هـ)

وقال رسول الله ﷺ حديث الثقلين أيضاً في مكة المكرمة في يوم ٧ ذي الحجة في حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة^(١)، وقد ذكر ذلك الكثير من العلماء وأهل السير والتاريخ. وسبب تكرار رسول الله ﷺ ذلك الحديث لأهميته وخطورته في الإسلام. وكان مجموع المشاركين في حجة الوداع من المسلمين مئة ألف إلى مئة وعشرين ألفاً، وكرر الرسول ذكر الثقلين في مواقف عرفة ومنى وغدير خم والمدينة لمعرفة بآن الكثير من المسلمين الذين حضروا معه في عرفة سوف لا يحضرون معه في غدير خم أو المدينة. لأنهم من سائر أنحاء جزيرة العرب، الذين سيعودون إلى بلادهم في يوم ١٢ ذي الحجة و١٣ ذي الحجة، بينما كان موقفه في غدير خم في يوم ١٨ ذي الحجة. وعلم النبي ﷺ بأن بعض المسلمين الذين حضروا حصار الطائف في سنة ٨ هجرية سوف لا يحضرون حجة الوداع في سنة ١٠ هجرية، فأخبرهم رسول الله ﷺ بخلافة الثقلين في ذلك الوقت.

وقد قال الحلبي: خطب رسول الله ﷺ في الحج (حجة الوداع الخطيرة) خمس خطب: الأولى يوم السابع من ذي الحجة بمكة. والثانية يوم عرفة.

والثالثة يوم النحر بمنى.

والرابعة يوم النحر بمنى أيضاً.

والخامسة يوم النفور الأول بمنى أيضاً^(٢).

(١) أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو رية ٤٤، يناير المودة، الحنفى القندوزي ٥٣٦/٢.

(٢) السيرة الحلبية ٣٣٣/٣.

وقال أحمد بن حنبل: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب عليه السلام^(١).

حديث الثقلين في عرفة ١٠ هـ

عن جابر بن عبد الله الأنصاري وأبي سعيد الخدري قال: رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة وهو على ناقته العضباء يخطب فسمعتة يقول:

«يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به ولا تضلوا، والآخرة عترتي، وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، وسألت ذلك لهما ربي، فلا تقدموهما فتهلکوا، ولا تقصروا عنهما فتهلکوا، ولا تعلموهما فإني أعلم منكم^(٢)».

وعن جابر بن سمرة قال النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع في عرفات:

«يكون اثنا عشر أميراً كلهم من قريش»^(٣).

: ولا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش»^(٤).

والحديث الكامل والصحيح قوله ﷺ: يكون اثنا عشر أميراً كلهم من أهل بيتي، من قريش فهو يوافق حديثه ﷺ الثاني إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي. لذا قال رسول الله ﷺ: الأئمة من قريش من هاشم^(٥).

(١) مستدرک الحاكم ١١٦/٣ طبعة دار الكتب المصرية - بيروت.

(٢) المشكاة، الخطيب التبريزي، المعجم الكبير، الطبراني ١٨٦/٥، جامع الأصول، ابن الأثير ٢٧٧/١، مسند أحمد ١٤/٣، ١٧/٣، ٥٩/٣، ١٤٨/٣، أضواء على السنة المحمدية، أبو رية ٤٠٤، صحيح الترمذي ٣٢٨/٥.

صحيح النسائي ١٣٠/٥ ح ٨٤٦٤، الصواعق المحرقة، ابن حجر ٨٩.

(٣) صحيح البخاري ١٢٧/٨، مسند أحمد ٩٣/٥، سنن الترمذي ٣٤٠/٣.

(٤) صحيح مسلم ٣/٦.

(٥) شرح النهج، المعتزلي ٨٤/٩، ينابيع المودة، الحنفي القندوزي ٥٣٣/٢، الخصال ٢٠٧.

حديث الثقلين في منى

قال الحلبي: خطب النبي ﷺ في منى ثلاث مرّات (١).

وقال المقدسي في حديثه: سمعت رسول الله ﷺ يخطب بمنى فسمعتة يقول: «لن يزال هذا الأمر عزيزاً ظاهراً حتى يملك اثنا عشر خليفة كلهم من قريش ثم لغط القوم وتكلموا» (٢).

والحديث الصحيح والكامل عن خطبة حجة الوداع في منى جاء عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة: كنت مع أبي عند النبي ﷺ فسمعتة يقول:

بعد اثني عشر خليفة ثم أخفى صوته، فقلت لأبي ما الذي أخفى صوته؟

قال: قال ﷺ: كلهم من بني هاشم (٣).

وذكر سماك بن حرب مثل ذلك الحديث (٤).

وحديث كلهم من بني هاشم يوافق قوله ﷺ: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله

وعترتي أهل بيتي.

ولا يوافق حديث الثقلين حديث كلهم من قريش فقط! ففي قريش أربع وعشرون

قبيلة!

وروى الحافظ أبو نعيم أحد أعظم حفاظ أهل السنة بسنده عن ابن عباس قال: قال

رسول الله ﷺ:

«من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربي فليوال علياً من

بعدي، وليوال وليه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنهم عترتي خلقوا من طينتي، رزقوا فهما

وعلماء، وويل للمكذبين بفضلهم من أمتي القاطعين فيهم صلتى، لا أنا لهم الله شفاعتي» (٥).

(١) السيرة الحلبية، الحلبي ٢/٣٣٣.

(٢) مسند أحمد ٥/١٠٠.

(٣) ينابيع المودة الحنفية القندوزي ٢/٥٣٣ طبعة المكتبة الحيدرية، النجف.

(٤) المصدر السابق.

(٥) حلية الاولياء ٣/٨٦.

وقد قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: إِنَّ الْأُئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غَرَسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ، لَا تَصْلَحُ عَلَى سِوَاهُمْ وَلَا تَصْلَحُ الْوَلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ»^(١).

وقد أيد الحاكم تلك الأحاديث بالقول النبوي الشريف: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»^(٢).

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٣).

قد يتصور المبطلون كون نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أهل بيته، ولكن خابوا إذ ردَّهم مسلم في كتابه قائلاً:

فقلنا من أهل بيته، نساؤه؟

قال: لا وأيم الله تعالى، إِنَّ الْمَرْأَةَ تَكُونُ مَعَ الرَّجُلِ الْعَصْرَ مِنَ الدَّهْرِ، ثُمَّ يَطْلُقُهَا فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته، الذين حرموا الصدقة بعده^(٤).

فيتوضح من القرآن والسنة أن الأئمَّة والخلفاء هم أهل البيت عليهم السلام سادة قریش وسفينة نوح.

إخبار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالأئمة الإثني عشر عليهم السلام

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برواية انس بن مالك: عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب عليه السلام^(٥).

وأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخلافة اثني عشر خليفة له قائلاً: «يكون بعدي اثنا عشر

(١) شرح النهج، المعتزلي ٨٤/٩.

(٢) المستدرک، الحاكم ٣٤٣/٢، ١٥٠/٣ وهذا الحديث صحيح على شرط مسلم. كنز العمال ٢١٦/٦، مجمع الزوائد ١٦٨/٩، تاريخ بغداد ١٩/٢، حلية الاولياء ٣٠٦/٤، الصواعق المحرقة ٢٨٢.

(٣) الأحزاب ٣٣.

(٤) صحيح مسلم ١٨١/٥.

(٥) مختصر تاريخ دمشق ١/٢٣٤.

خليفة» وقرأ آية: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾^(١).
وقال رسول الله ﷺ: «الأئمة من بعدي اثنا عشر تسعة من صلب الحسين والتاسع مهديهم»^(٢).

وجاء عن جابر بن سمرة أنه لم يسمع ما قاله الرسول ﷺ بعد ذلك فسأل أباه، فقال: إنه يقول: كلهم من قريش^(٣)

وعندها كثر الصخب من طلقاء قريش والمنافقين في منى^(٤).

والحقيقة أن الصخب قد حدث لقوله ﷺ: كلهم من قريش من بني هاشم. كما قال جابر بن سمرة^(٥)، فذكروا قوله ﷺ كلهم من قريش فقط.

وقد عمل الحزب الأموي نفس الأمر في قضية الوصية في يوم الخميس إذ جاء: قال رسول الله ﷺ «أوصيكم بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم وسكت عن الثالثة أوقاها فنسيتها»^(٦).

فعندما يصل الأمر إلى الوصية لعلي عليه السلام أو الخلافة للأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليه السلام ينسى الراوي! ويحرف الناسخ أو الناشر أو أنه لم يسمع الكلمة جيداً وغير ذلك!!

وهذا يعود إلى النظرية التي قالها الحزب القرشي في يوم الخميس بحضور الرسول ﷺ: حسبنا كتاب الله^(٧)، والقانون الذي سنّه أبو بكر وعمر وعثمان وكتبه معاوية لاحقاً في المنع من ذكر الحديث وتدوينه والامتناع عن ذكر فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل بيته^(٨).

(١) سورة التوبة ٣٦، صحيح البخاري ١٢٦/٥، مجمع الزوائد ٢٦٥/٣، الخصال، الصدوق ٤٦٦ - ٤٦٧، كمال الدين ٢٧١، مسند أحمد ٩٢/٥، صحيح مسلم ٢٠٢/١٢.

(٢) كمال الدين ٧٣.

(٣) سنن الترمذي ٣٤٠/٣، مسند أحمد ١٠٠/٥، ١٠٧، مجمع الطبراني ٢٧٧/٢ ح ٢٠٤٤ المستدرک، الحاكم ٦١٧/٣، ٦١٨.

(٤) مسند أحمد ١٠٠/٥، سنن أبي داود ٣٠٩.

(٥) يتابع المودة، الكنجي الشافعي ٤٤٦.

(٦) صحيح مسلم ١٢٥٨/٣ ح ١٦٣٧.

(٧) صحيح البخاري ٣٧/١، الملل والنحل، الشهرستاني ٢٣/١.

(٨) الإستهباب ٦٥/١، الإصابة ١٥٤/١، الكامل، ابن الأثير ١٦٢/٣.

وقال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «إني وإثني عشر من ولدي وأنت يا علي زرُّ الأرض، يعني أوتادها وجبالها، بنا أوتد الله الأرض أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الإثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها ولم ينظروا»^(١).

وقال جعفر الصادق عليه السلام: «لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت»^(٢).

وجاء في رواية أبي نعيم قول رسول الله ﷺ: من سرّه أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن فليوال علياً عليه السلام بعدي ويقتد بالائمة من بعدي فإنهم عترتي خلقوا من طينتي ورزقوا فهماً وعلماً وويل للمكذبين بفضلهم من أمتي القاطعين فيهم صلتى لا أناهم الله شفاعتي^(٣).

وعن عبدالله بن مسعود قال رسول الله ﷺ: الخلفاء بعدي اثنا عشر كعدد نقباء بني إسرائيل^(٤).

وهذا الحديث يفصح عن أن خلافة النبي ﷺ دينية وسياسية وليست سياسية فقط متلها يدعي البعض، فيضعون ضمن الخلفاء كل من جاءت به السياسة ومنهم معاوية ويزيد بن معاوية ومروان^(٥).

ولقد كان أول الخلفاء علي بن أبي طالب عليه السلام. الذي قال فيه الرسول ﷺ: من كنت مولاه فهذا علي مولاه^(٦).

وبالاتفاق لم يكن أبو بكر وعمر وغيرهم خلفاء دينيين بل سياسيين وقد قال عمر عن بيعة أبي بكر: كانت فلتة ومن عاد إليها فاقتلوه^(٧).

وندم أبو بكر في أواخر عمره (بعدما سُم من قبل حلفائه) على استلامه السلطة، قائلاً:

(١) الكافي ١/١٧٩، ٥٣٤.

(٢) الكافي ١/١٧٩، ٥٣٤.

(٣) حلية الاولياء ١/٨٦.

(٤) كمال الدين ٢٧١.

(٥) راجع البداية والنهاية ٣/٢٤٨.

(٦) سنن الترمذي ٥/٥٩١، سنن النسائي ٥/١٣٠ ح ٨٤٦٤، المستدرک، الحاكم ٣/١٠٩، مسند أحمد ٤/٢٧٠.

(٧) شرح النهج، المعتزلي ٦/٤٧، الامامة والسياسة ١/٦١.

وددت أني يوم سقيفة بني ساعدة قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين عمر أو أبي عبيدة^(١).

ولو كانت خلافته دينية لما ندم على ذلك ولما قال: ياليتني كنت بعراً ولم أك بشراً^(٢).
وقال الكنجي الشافعي:

«إنَّ الأحاديث الدالة على كون الخلفاء بعده عليه السلام اثنا عشر قد اشتهرت من طرق كثيرة... فبشرح الزمان وتعريف الكون والمكان، علم أنَّ مراد رسول الله صلى الله عليه وآله من حديثه هذا الأئمة الإثنا عشر من أهل بيته وعترته، إذ لا يمكن أن يحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه لقلتهم عن اثني عشر.

ولا يمكن أن نحمله على الملوك الأمويين لزيادتهم على اثني عشر وظلمهم الفاحش إلا عمر بن عبد العزيز، ولكونهم من غير بني هاشم، لأن النبي صلى الله عليه وآله قال: كلهم من بني هاشم في رواية عبد الملك، عن جابو وإخفاء صوته عليه السلام في هذا القول يرجح هذه الرواية، لأنَّهم لا يحبون خلافة بني هاشم.

ولا يمكن أن نحمله على الملوك العباسيين، لزيادتهم على العدد المذكور، ولقلة رعايتهم الآية: قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى وحديث الكساء.

فلا بدَّ من أن يحمل هذا الحديث على الأئمة الإثني عشر من أهل بيته وعترته عليهم السلام، لأنَّهم كانوا أعلم أهل زمانهم وأجلهم وأورعهم وأتقاهم وأعلاهم نسباً، وأفضلهم حسباً، وأكرمهم عند الله...

ويؤيد هذا المعنى، أي أن مراد النبي صلى الله عليه وآله الأئمة الإثني عشر من أهل بيته، ويشهد له ويرجحه: حديث الثقلين، والأحاديث المتكررة المذكورة في هذا الكتاب، وغيرها...^(٣).
وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهج البلاغة من خطبته: أيمن الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا، أن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم.. بنا يستعطي الهدى وبنا يستجلى العمى.

(١) الإمامة والسياسة ١/١٤.

(٢) منتخب كنز العمال ٣٦١/٤.

(٣) ينابيع المودة، الكنجي الشافعي ٤٤٦.

وإنه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق، ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله ﷺ، وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته، ولا أنفق منه إذا حرف عن مواضعه، ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف، ولا أعرف من المنكر.

وقال الرسول ﷺ عن علي عليه السلام: «إنه أبو سبطي، والأئمة من صلبه، يخرج الله تعالى الأئمة الراشدين منه، ومنهم مهدي هذه الأمة»^(١).

وعن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: «إن وصيي علي بن أبي طالب عليه السلام وبعده سبطاي الحسن والحسين تتلوه تسعة أئمة من صلب الحسين.

قال: يا محمد قسمهم لي.

قال ﷺ: إذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي فهؤلاء إثنا عشر»^(٢).

إذن حديث الأئمة الاثني عشر بأسمائهم قد ورد من طرق السنة والشيعة^(٣)؛ قالها رسول الله ﷺ في حجة الوداع وفي أماكن أخرى. فهم الأئمة الذين أشار الرسول إليهم وحاول الطغاة الحلول محلهم.

لماذا عصت قريش في عرفة ومنى سنة ١٠ هـ؟

بعد ذكر رسول الله ﷺ لخلافة الثقلين له وعدّدَ وسمّى خلفاءه من أهل البيت عليه السلام في عرفة ومنى ثارت قريش الطلقاء على قوله ﷺ، وعصت أوامره في هذا الموضوع لكرهها آل محمد ﷺ، ورغبتها في تناوب خلافة الرسول ﷺ بين قبائلها.

(١) الغصّال ١١٣.

(٢) ينابيع المودة الحنفية، القندوزي ٥٢٩/٢، السقيفة، سليم بن قيس ١٠٦.

(٣) البحار ١٥٨/٩ الاختصاص، المفيد ٢٠٨، ٢٢٤.

نقل الشعبي عن الصحابي الشهير جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال:
 خطبنا رسول الله ﷺ في حجة الوداع بعرفات^(١) فقال: لا يزال هذا الأمر عزيزاً منيعاً
 ظاهراً على من ناواه حتى يملك اثنا عشر كلهم من قريش، فجعل الناس يقومون
 ويقعدون! ^(٢) أي جعل المنافقون يلغطون ويهيجون.
 وقال أحمد بن حنبل زعيم المذهب الحنبلي وأبو داود أحد أصحاب السنن: فكبر الناس
 وضجوا^(٣). والذي عنده القدرة على إثارة الضجة هو الحزب القرشي.
 وقال أحمد بن حنبل: ثم لغط القوم وتكلموا^(٤).

وفي سنن أبي داود عن جابر بن سمرة قال:
 سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»، قال:
 فكبر الناس وضجوا، ثم قال كلمة خفية، قلت لأبي يا أبة ما قال؟ قال: كلهم من قريش^(٥).
 الملاحظ من هذه النصوص المذكورة في مسند أحمد وسنن أبي داود أن قريشاً الطلقاء
 ومن لف لفهم من الأعراب والمنافقين قد أعلنوا العصيان وضجوا ولغطوا وأخذوا يقومون
 ويقعدون احتجاجاً على ولاية أهل البيت ﷺ وخلافتهم!!

وهذا الاحتجاج يشكل ثاني معارضة لرسول الله ﷺ منذ إسلامهم القهري في فتح
 مكة ويثبت استمرار كفرهم الباطني وإسلامهم العلني، ومعارضتهم الأولى كانت في
 هزيمتهم المدبرة في معركة حنين!

وهذا العصيان الكافر هو الذي دعاهم للامتناع عن ذكر أسماء خلفاء رسول الله من أهل
 البيت ﷺ وحذف عبارة كلهم من أهل بيتي وذكر كلهم من قريش!

وهو منحى قبائل قريش للقبض على السلطة وتناوبها بينهم، ذكره عمر بن الخطاب

(١) مسند أحمد ٩٩/٥.

(٢) مسند أحمد ٨٧/٥، ٩٤، ٩٧، ٩٩، ١٠٠.

(٣) مسند أحمد ٩٨/٥، سنن أبي داود ٣٠٩/٢.

(٤) مسند أحمد ١٠٠/٥.

(٥) سنن أبي داود ٣٠٩/٢.

قائلاً: إن قريشاً تحسد اجتماع النبوة والخلافة في بني هاشم^(١)، وهذه الرواية تثبت الخلافة في بني هاشم وحسد قريش لهم.

وموقف قريش جاء رداً على حديث الرسول ﷺ في حجة الوداع وغدير خم ومجلس يوم الخميس بقوله ﷺ: كلهم من قريش من بني هاشم^(٢).

ثم سعى رموز قريش بعدها إلى التآمر للقضاء على تلك الأطروحة بقتل رسول الله ﷺ أولاً والاستحواذ على السلطة ثانياً. وفعلاً نجحت خطة قريش المذكورة على أرض الواقع!

وكرههم لآل البيت وعلى رأسهم علي عليه السلام وضحه النبي ﷺ قائلاً: يا علي إن فيك مثلاً من عيسى ابن مريم إن اليهود أبغضوه حتى بهتوه، وإن النصارى أحبوه حتى جعلوه إلهاً، ويهلك فيك رجلان يحب مفرط ومبغض مفتر، قال المنافقون ما قالوا: رفع بضبع ابن عمه، جعله مثلاً لعيسى ابن مريم وكيف يكون هذا؟ وضجوا ما قالوا^(٣).

وذكر الطبراني والهيثمي ذلك العصيان الكافر للطلاق والمنافقين في حجة الوداع: لخط قوم قرب النبي ﷺ فقال أصحابه: يا رسول الله لو بعثت إلى هؤلاء بعض من ينههم عن هذا.

فقال رسول الله ﷺ: لو بعثت إليهم فنهيتهم أن يأتوا الحجون لأتاه بعضهم وإن لم يكن له به حاجة^(٤).

وتعليق رسول الله ﷺ على قول أصحابه يبين شدة عصيان المنافقين من الطلقاء وغيرهم له بحيث أنهم يفعلون عكس ما يقوله الرسول دائماً!!

وامتداداً لذلك المنحى فقد فعل رجال قريش نفس العمل في المدينة عندما دعا رسول الله ﷺ بصحيفة ودواة ليكتب الوصية لعلي بن أبي طالب عليه السلام إذ جاء.

(١) الكامل ابن الاثير ٢/٢٤، شرح النهج، المعتزلي ٣/١٠٧.

(٢) الخصال ٢٠٧، يتابع المودة، العنفي القندوزي ٢/٥٣٣.

(٣) تفسير فرائد الكوفي ٤٠٤.

(٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ابن حجر ١/١٧٧ ورجال رجال الصحيح.

عن جابر بن عبد الله الانصاري أن رسول الله ﷺ دعا عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتاباً لا يضلون بعده، وكان في البيت لفظ فتكلم عمر بن الخطاب...^(١)

الملاحظ من نصوص معارضة زعماء قريش للنبي ﷺ في عرفة ومنى والمدينة أن عصيانهم يتركز حول خلافة رسول الله ﷺ، ففي الموقف الأول والثاني ذكر رسول الله ﷺ خلافة الثقلين له وهوية الخلفاء وعددهم، وفي الموقف الثاني أراد كتابة الوصية لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

فارتكب العصاة لله ورسوله لغطاً وضجيجاً، وقالوا ألقوا قبيحة للرسول ﷺ مثل يهجر، مما يكشف عن كون القيادة للعصيان واحدة في الموقفين!! بزعامة أبي بكر وعمر وأبي سفيان وابن الجراح.

ولم تسنح الفرصة أمام الطلقاء لإعلان كفرهم في حياة الرسول ﷺ وبعد موته ﷺ جاءت الفرصة فضج أهل مكة وارتدوا عن الإسلام!!

ففي سنة ١١ هجرية ضج أهل مكة مثلما ضجوا في منى في سنة ١٠ هجرية، فهرب والي مكة عتاب بن أسيد خوفاً منهم^(٢).

وظاهر الأمر من الروايات أن عدّة العاصين كانت كثيرة بحيث أنهم أحدثوا ضجيجاً عالياً لم يمكن الآخرين من سماع خطبة النبي ﷺ في عرفة ومنى!

وآية البلاغ التي نزلت بعد ذلك بأيام في غدير خم أوضحت قوتهم الكبيرة بقوله تعالى:

﴿يُلَِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٣)

فالناس يقصد بهم الله تعالى أولئك الذين أحدثوا ضجيجاً ولغطاً في منى كما جاء في الرواية فكبر الناس وضجوا^(٤) ثم قالوا للنبي ﷺ: يهجر في المدينة، وهؤلاء هم الذين منعوا دفن النبي ﷺ ريثما يرتبوا قضية السقيفة والاستحواذ على السلطة، ووطأوا صدر سعد بن عباد (رئيس الأنصار)، ووضعوا التراب في فم الحباب بن المنذر (الرئيس الثاني

(١) مجمع الزوائد، ابن حجر ٢١٥/٤، واللغة أصوات مبهم لا تفهم، كتاب العين، الفراهيدي ٢٨٧/٤.

(٢) كنز العمال ٤٣٠/١٣.

(٣) المائدة ٦٧.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ١٠٠/٥ سنن أبي داود ٣٠٩/٢.

للأنصار^(١).

ولو كانت قوى الكفر والنفاق المذكورة قليلة لما قال الله سبحانه لرسوله ﷺ:

﴿والله يعصمك من الناس﴾

والناس عبارة عن جماعة عظيمة فنقول: جمع الناس إذا شهدوا الجمعة^(٢).

وأراد بهم سبحانه وتعالى كل المعارضين لله ورسوله ﷺ وكان عدد المنافقين مع عبدالله بن أبي مثل عدد جيش رسول الله ﷺ أي ثلاثين ألفاً^(٣) وكان عدد المحاربين لأهل البيت ﷺ بعد حادثة السقيفة أربعة آلاف رجل^(٤) والآخرين معارضة متفرقون.

ولم يقتصر عمل رسول الله ﷺ على ذكر حديثي الثقلين وأسماء الأئمة الإثني عشر وولاية علي عليه السلام بل أمر الناس بالتسليم بإمرة المؤمنين علي عليه السلام في حجة الوداع. إذ قال أبو ذر: إن النبي ﷺ قد أمرهم قبل وبعد حجة الوداع بالتسليم بإمرة المؤمنين^(٥) علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولكن أهل السقيفة قد صمموا على سلب الخلافة من أهل البيت ﷺ في حجة الوداع^(٦). أي أنهم واجهوا مشروع النبي ﷺ السياسي بمشروعهم القرشي في تناوب الخلافة.

حديث الثقلين والخلافة في سنة ١٠ هـ

عند وصول النبي ﷺ والمسلمين إلى غدير خم في ١٨ ذي الحجة سنة ١٠ هجرية نزل من الله تعالى:

﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله

(١) راجع نظريات الخلفيتين للمؤلف ١/١١٠، ١٢١، ١٥٤، صحيح البخاري ٤/٤٩٠ باب جوائز الوفد، صحيح مسلم ١١/٨٩، الطبقات، ابن سعد ٢/٢٤٢ تاريخ يعقوبي ٢/١٢٣ الإصابة ١/٣٢٥، تاريخ الطبري ٢/٤٥٨ شرح النهج، المعتزلي ٣/٢٨٧.

(٢) كتاب العين، الفراهيدي ١/٢٤٠.

(٣) راجع حادثة معركة حنين في هذا الكتاب.

(٤) البحار ٢٨/٢-٢.

(٥) إرشاد القلوب، الديلمي ٣٢٤.

(٦) السقيفة، سليم بن قيس ١٦٨.

يعصمك من الناس»^(١).

فقام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خماً (غدير خم) بين مكة والمدينة، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال:

«أما بعد أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، اذكركم الله في أهل بيتي»^(٢).

وقال الرسول ﷺ: ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم والي من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، وأخذل من خذله»^(٣).

وأعقب ذلك بيعة المسلمين الحاضرين لعلي بن أبي طالب عليه السلام بإمرة المسلمين وقال أبو بكر وعمر:

بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أمست مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة»^(٤).

وأعقب ذلك نزول آية قرآنية أخرى وهي:

(اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)^(٥).

وإستناداً لهذا الحديث فقد وصف معاوية بن يزيد بن معاوية الإمام علياً عليه السلام عند انتخابه خليفة لآبيه يزيد) قائلاً:

(١) المائدة ٦٧.

(٢) صحيح مسلم ٢٢/٥ - ٦٦ ح ٢٤٠٨، الدر المنثور، السيوطي ٣٤٩/٧، مسند أحمد بن حنبل ٤٩٢/٥ ح ١٨٧٨٠، المعجم الكبير، الطبراني ١٨٦/٥، تهذيب الكمال، ٥١/١٠، تفسير القرآن، ابن كثير ١١٥/٩، كنز العمال ٤٨/١، نوادر الأصول، الحكيم الترمذي ٦٨، مجمع الزوائد ١٧٠/١، سنن الدارمي ٤٣١/٢، المستدرک، الحاكم ١٠٩/٣، السنن الكبرى، البيهقي ٣٠/٧، ١١٤/١٠.

(٣) تفسير الفخر الرازي ٦٣٦/٢، الصواعق المحرقة، ابن حجر ٢٦، التنبيه والاشراف ٢٢١.

(٤) تاريخ الخطيب البغدادي ٢٣٢ مسند أحمد ٤ / ٢٨١.

(٥) المائدة ٣.

«إنَّ جدِّي معاوية قد نازع في هذا الأمر من كان أولى منه ومن غيره لقرابته من رسول الله ﷺ وعظم فضيلته وسابقته، أعظم المهاجرين قدراً وأشجعهم قلباً وأكثرهم علماً وأولهم إيماناً وأشرفهم منزلة وأقدمهم صحبة، ابن عم رسول الله ﷺ وأفضل هذه الأمة وصهره وأخوه، وزوجه ﷺ ابنته فاطمة وجعله لها بعلاً باختياره لها وجعلها له زوجة باختيارها له، أبو سبطيه سيدي شباب أهل الجنة، وابني فاطمة البتول من الشجرة الطيبة الطاهرة الزكية. فركب جدِّي منه ما تعلمون وركبتم معه ما لا تجهلون حتى انتظمت لجدِّي الأمور»^(١).

فقال بنو أمية لمعلمه عمر المقصوص أنت علّمته هذا ولقنته إياه وصددته عن الخلافة، وزيّنت له حب علي وأولاده وحملته على ما وسمنابه من الظلم وحسّنت له البدع حتى نطق بما نطق وقال ما قال.

فقال عمر المقصوص: والله ما فعلته ولكنه مجبول ومطبوع على حب علي عليه السلام.

فلم يقبلوا منه ذلك وأخذوه ودفنوه حياً حتى مات^(٢).

ومعاوية الثاني أول خليفة مسلم طالب بإرجاع الخلافة إلى أهل البيت عليه السلام للنص عليهم واستقال من منصبه، ممّا دفع الأمويين إلى قتله بالسّم^(٣).

نزول آيتي البلاغ وإكمال الدين

أيّد الكثير من العلماء نزول آيتي البلاغ وإكمال الدين في الغدير قال السيوطي: نزلت هذه الآية:

﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾^(٤)

(١) حياة الحيوان الكبرى، الدميري ٢ / ٨٩، مروج الذهب، المسعودي ٣ / ٧٢ - ٧٣، تاريخ الخلفاء، السيوطي ص ٢٤٦، البداية والنهاية ٨ / ٢٦١، تاريخ يعقوبي ٢ / ٢٥٤.

(٢) تاريخ الخميس ٢ / ٣٠١.

(٣) مروج الذهب، ٣ / ٧٢، ٧٣، تاريخ الخلفاء، السيوطي ٢٤٦، تاريخ يعقوبي ٢ / ٢٥٤، تاريخ الخميس ٢ / ٣٠١.

(٤) المائدة ٦٧.

على رسول الله ﷺ يوم غدير خم في علي بن أبي طالب.^(١)
وقال عبدالله بن مسعود: كنا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل
إليك من ربك - إنَّ علياً مولى المؤمنين - وإن لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من
الناس.^(٢)

وعن جابر بن عبدالله وعبدالله بن العباس الصحابين قالا: أمر الله محمداً أن ينصب
علياً للناس ويخبرهم بولايته، فتخوف رسول الله أن يقولوا حابي ابن عمه، وأن يطعنوا في
ذلك عليه، فأوحى الله إليه: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾^(٣)
فقال رسول الله بولايته يوم غدير خم.

وقالت فاطمة بنت محمد ﷺ: وهل ترك أبي يوم غدير خم لأحدٍ عذراً^(٤).
وروى السيوطي في الدر المنثور: لما نصب رسول الله ﷺ علياً يوم غدير خم ونادى
له بالولاية هبط جبرئيل عليه هذه الآية: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم...﴾^(٥)
راجع حديث الغدير للطبري المفسر والمؤرخ الشهير، وحديث الغدير للحافظ
الدارقطني، والذهبي، وعبيدالله الحسكاني، ومسعود السجستاني وكتاب الغدير للأميني،
وحديث الغدير في كتاب عبقات الأنوار.

وفي تفسير الثعلبي قال جعفر بن محمد ﷺ في معنى قوله: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل
إليك من ربك﴾، في فضل علي، فلما نزلت هذه أخذ النبي ﷺ بيد علي فقال: من كنت
مولاه فعلي مولاه.

وعن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في هذه الآية قال: نزلت في علي بن أبي طالب
إذ أمر الله النبي ﷺ أن يبلغ فيه فأخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال

(١) الدر المنثور ٢/٢٩٨.

(٢) الدر المنثور، السيوطي ٢/٢٩٨.

(٣) المائدة: ٦٧.

(٤) الخصال ١٧٣.

(٥) المعيار والموازنة ٢١٣، الحافظ الحسكاني في الحديث ٢١١ وتوابعه من شواهد التنزيل ١/١٥٧، وابن عساكر في
الحديث (٥٨٥ - ٥٨٦) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام تاريخ دمشق ٢/٩٥ الطبعة الأولى.

من والاه وعاد من عاداه^(١).

قال الأُميئي: نزلت هذه الآية الشريفة يوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة حجة الوداع (١٠ هـ) لما بلغ النبي ﷺ غدير خم، فأتاه جبرئيل بها على خمس ساعات مضت من النهار فقال: يا محمد إن الله يقرؤك السلام ويقول لك:

﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - في علي - وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ وكان أوائل القوم وهم مائة ألف أو يزيدون قريباً من المحقة فأمر أن يرد من تقدم منهم، ويحبس من تأخر عنهم في ذلك المكان، وأن يقيم علياً عليه السلام علماً للناس، ويبلغهم ما أنزل الله فيه، وأخبره بأن الله عز وجل قد عصمه من الناس.

وما ذكرناه من المتسالم عليه عند أصحابنا الإمامية، غير إننا نحتج في المقام بأحاديث أهل السنة في ذلك. وقد ذكر الأُميئي عليه السلام ثلاثين مؤلفاً من السنين رَوَوْا أن الآية نزلت في ولاية علي عليه السلام نذكر عدداً منهم باختصار:

١- المحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هجرية، أخرج بإسناده في كتاب (الولاية) في طرق حديث الغدير، عن زيد بن أرقم قال:

لما نزل النبي ﷺ بغدير خم في رجوعه من حجة الوداع، وكان في وقت ضحى وحر شديد، أمر بالدوحات فأقيمت، ونادى الصلاة جامعة فاجتمعنا فخطب خطبة بالغة ثم قال: إن الله تعالى أنزل إلي:

﴿بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس...﴾

٢- المحافظ ابن أبي حاتم أبو محمد الحنظلي الرازي المتوفى ٣٢٧ هـ.

٣- المحافظ أبو عبدالله المحاملي المتوفى ٣٣٠ هـ، أخرج في أماليه بإسناده عن ابن عباس...

٤- المحافظ أبو بكر الفارسي الشيرازي المتوفى ٤٠٧ هـ، روى في كتابه ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين، بالإسناد عن ابن عباس...

٥- الحافظ ابن مردويه المولود ٣٢٣ هـ والمتوفى ٤١٦ هـ، أخرج بإسناده عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت يوم غدیر خم في علي بن أبي طالب وبإسناد آخر عن ابن مسعود أنه قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - أن علياً مولى المؤمنين -...»

٦- أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٧ هـ، في تفسيره الكشف والبيان.
٧- الحافظ أبو نعيم الاصبهاني المتوفى سنة ٤٤٣ هـ، روى في تأليفه: ما نزل من القرآن في علي...

٨- أبو الحسن الواحدی النيسابوري المتوفى سنة ٤٦٨ هـ، روى في أسباب النزول / ١٥٠...

٩- الحافظ أبو سعيد السجستاني المتوفى سنة ٤٧٧ هـ، في كتاب الولاية بإسناده من عدة طرق عن ابن عباس...

١٠- الحافظ الحاكم الحسكاني أبو القاسم روى في شواهد التنزيل لقواعد التفصيل والتأويل، بإسناده عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وجابر...

١١- الحافظ أبو القاسم ابن عساكر الشافعي المتوفى سنة ٥٧١ هـ، أخرج بإسناده عن أبي سعيد الخدري...

١٢- أبو الفتح النطنزي أخرج في الخصائص العلوية، بإسناده عن الإمامين محمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

١٣- أبو عبدالله فخر الدين الرازي الشافعي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ، قال في تفسيره الكبير ٣/٣٦٣: نزلت الآية في فضل علي عليه السلام، ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه...

١٤- أبو سالم النصيبي الشافعي المتوفى سنة ٦٥٢ هـ، في مطالب السؤول / ١٦...
١٥- الحافظ عز الدين الرسعني الموصلی الحنبلي المولود ٥٨٩ هـ...

١٦- شيخ الإسلام أبو إسحاق الحموي المتوفى سنة ٧٢٢ هـ، أخرج في فرائد السمطين عن مشايخه الثلاثة: السيد برهان الدين إبراهيم بن عمر الحسيني المدني، والشيخ الإمام

محمد الدين عبدالله بن محمود الموصلي، وبدر الدين محمد بن محمد بن أسعد البخاري بإسنادهم عن أبي هريرة: إن الآية نزلت في علي عليه السلام.

١٧ - السيد علي الهمداني المتوفى سنة ٧٨٦ هـ، قال في مودة القربى: عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أقبلت مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع، فلما كان بغدير خم نوذي الصلاة جامعة، فجلس رسول الله ﷺ تحت شجرة وأخذ بيد علي عليه السلام، وقال: أأستأوى بالمؤمنين من أنفسهم؟

قالوا: بلى: يا رسول الله.

فقال: ألا من كنت مولاه فعلي مولاه. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه.

فلقيه عمر فقال: هنيئاً لك يا علي بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. وفيه نزلت: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك.

١٨ - بدر الدين بن العيني الحنفي المولود ٧٦٢ هـ والمتوفى سنة ٨٥٥ هـ ذكره في عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ٨/٥٨٤ في قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل) عن المحافظ الواحدي...^(١)

وعن ابن عباس وجابر بن عبدالله قالا: أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أن ينصب علياً عليه السلام علماً للناس، ويخبرهم بولايته، فتخوف رسول الله ﷺ أن يقولوا حاكي ابن عمه، وأن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله إليه: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس...﴾^(٢)

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: فرض الله عز وجل على العباد خمساً، أخذوا أربعاً وتركوا واحدة، قلت: أأسميهم لي جعلت فداك؟

فقال: الصلاة وكان الناس لا يدرون كيف يصلون، فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد أخبرهم بمواقيت صلاتهم.

ثم نزلت الزكاة فقال: يا محمد أخبرهم من زكاتهم ما أخبرتهم من صلاتهم.

(١) الغدير ١/٢١٤.

(٢) تفسير العياشي ١/٣٣١.

ثم نزل الصوم، فكان رسول الله ﷺ إذا كان يوم عاشورا بعث إلى ما حوله من القرى فصاموا ذلك اليوم، فنزل شهر رمضان بين شعبان وشوال.

ثم نزل الحج فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: أخبرهم من حجهم ما أخبرتهم من صلاتهم وزكاتهم وصومهم.

ثم نزلت الولاية... وكان كمال الدين بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام فقال عند ذلك رسول الله ﷺ:

أمتي حديثو عهدٍ بالجاهلية، ومتى أخبرتهم بهذا يقول قائل ويقول قائل، فقلت في نفسي من غير أن ينطق به لساني، فأتتني عزيمة من الله عز وجل بتلة^(١)، أوعدني إن لم أبلغ أن يعذبني، فنزلت:

﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾، فأخذ رسول الله ﷺ بيد علي عليه السلام فقال: أيها الناس إنه لم يكن نبي من الأنبياء ممن كان قبلي إلا وقد عمّره الله ثم دعاه فأجابه، فأوشك أن أدعى فأجيب، وأنا مسؤول وأنتم مسؤولون، فإذا أنتم قائلون؟ فقالوا: نشهد إنك قد بلغت ونصحت وأديت ما عليك، فجزاك الله أفضل جزاء المرسلين.

فقال الرسول: اللهم اشهد، ثلاث مرات.

ثم قال: يا معشر المسلمين هذا وليكم من بعدي، فليبلغ الشاهد منكم الغائب^(٢). وقال جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال لمن حضره من مواليه وشيعته: أتعرفون يوماً شيد الله به الإسلام، وأظهر به منار الدين، وجعله عيداً لنا ولموالينا وشيعتنا؟

فقالوا: الله ورسوله أعلم، أيوم الفطر هو يا سيدنا؟

قال عليه السلام: لا.

قالوا: أفيوم الأضحى هو؟

(١) أي مقطوعة.

(٢) الكافي ١/٢٩٠.

قال: لا، وهذان يومان جليلان شريفان، ويوم منار الدين أشرف منهما وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة.

وإن رسول الله ﷺ لما انصرف من حجة الوداع، وصار بغدير خم، أمر الله عز وجل جبرئيل عليه السلام أن يهبط على النبي وقت قيام الظهر من ذلك اليوم وأمره أن يقوم بولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأن ينصبه علماً للناس بعده، وأن يستخلفه في أمته، فهبط إليه وقال له: حبيبي محمد إن الله يقرؤك السلام ويقول لك: قم في هذا اليوم بولاية علي ليكون علماً لأمتك بعدك يرجعون إليه، ويكون لهم كانت.

فقال النبي ﷺ: حبيبي جبرئيل إني أخاف تغير أصحابي لما قد وترهم، وإن يبدوا ما يضمرون فيه،

فخرج وما لبث أن هبط بأمر الله فقال له: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾

فقام رسول الله ﷺ ذِعْراً مرعوباً خائفاً من شدة الرمضاء وقدماء تشويان وأمر بأن ينظف الموضع ويقم ما تحت الدوح من الشوك وغيره ففعل ذلك، ثم نادى بالصلاة جامعة فاجتمع المسلمون، وفيمن اجتمع أبو بكر وعمر وعثمان وسائر المهاجرين والأنصار، ثم قام خطيباً، وذكر الولاية فألزمها للناس جميعاً، فأعلمهم أمر الله بذلك^(١).

وقال رجل للإمام محمد بن علي بن الحسين عليه السلام يابن رسول الله إن الحسن البصري حدثنا أن رسول الله ﷺ قال: إن الله أرسلني برسالة فضاق بها صدري، وخشيت أن يكذبني الناس، فتواعدني إن لم أبلغها أن يعذبني.

قال له أبو جعفر: فهل حدثكم بالرسالة؟

قال: لا.

قال عليه السلام: أما والله إنه ليعلم ما هي، ولكنه كتبها متعمداً!

قال الرجل: يابن رسول الله جعلني الله فداك وما هي؟

فقال ﷺ إن الله تبارك وتعالى أمر المؤمنين بالصلاة في كتابه، فلم يدروا ما الصلاة ولا كيف يصلون، فأمر الله عز وجل محمداً نبيه ﷺ أن يبين لهم كيف يصلون. فأخبرهم بكل ما افترض الله عليهم من الصلاة مفسراً.

وأمر بالزكاة، فلم يدروا ما هي، ففسرها رسول الله ﷺ وأعلمهم بما يؤخذ من الذهب والفضة والابل والبقر والغنم والزرع، ولم يدع شيئاً مما فرض الله من الزكاة إلا فسر له لأتمته، وبينه لهم.

وفرض عليهم الصوم، فلم يدروا ما الصوم ولا كيف يصومون، ففسره لهم رسول الله ﷺ وبين لهم ما يتقون في الصوم، وكيف يصومون.

وأمر بالحج فأمر الله نبيه ﷺ أن يفسر لهم كيف يحجّون، حتى أوضح لهم ذلك في سنته. وأمر الله عز وجل بالولاية فقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، ففرض الله ولاية ولادة الأمر فلم يدروا ما هي، فأمر الله نبيه ﷺ أن يفسر لهم ما الولاية، مثلما فسر لهم الصلاة والزكاة والصوم والحج، فلما أتاه ذلك من الله عز وجل ضاق به رسول الله ذرعاً، وتخوف أن يرتدوا عن دينه وأن يكذبوه، فضاق صدره وراجع ربه فأوحى إليه:

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، فصعد بأمر الله وقام بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوم غدیر خم، ونادى لذلك الصلاة جامعة، وأمر أن يبلغ الشاهد الغائب^(١).

وكانت الفرائض ينزل منها شيء بعد شيء، تنزل الفريضة ثم تنزل الفريضة الأخرى وكانت الولاية آخر الفرائض، فأنزل الله عز وجل: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام: يقول الله عز وجل: لا أنزل عليكم بعد هذه الفريضة فريضة، قد أكملت لكم هذه الفرائض.

وقال رسول الله ﷺ: أوصي من آمن بالله وبني وصدقني: بولاية علي بن أبي طالب،

فإن ولاءه ولائي، أمر أمرني به ربي، وعهد عهده إليّ، وأمرني أن أبلغكموه عنه^(١).
وقال رسول الله ﷺ: يا جبرئيل أمّتي حديثه عهدٌ بجاهلية، وأخاف عليهم أن يرتدوا، فأنزل الله عزّ وجلّ: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - في علي - فإن لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس.

فلم يجد رسول الله ﷺ بداً من أن يجمع الناس بغدير خم فقال: أيها الناس إن الله عزّ وجلّ بعثني برسالة فضقت بها ذرعاً فتواعدني إن لم أبلغها أن يعذبني، أفلستم تعلمون إن الله عزّ وجلّ مولاي وأنا مولى المسلمين وولاهم وأولى بهم من أنفسهم؟
قالوا: بلى.

فأخذ بيد علي عليه السلام فأقامه ورفع يده بيده وقال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، ومن كنت وليه فهذا علي وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه وانصر من نصره، وأخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار.

ثم قال أبو جعفر عليه السلام: فوجبت ولاية علي عليه السلام على كل مسلم ومسلمة^(٢).
وقد أيد الكثير بأن سورة المائدة آخر سورة في القرآن الكريم إضافة لما ذكرناه مثل:
ابن عباس^(٣) وعبدالله بن عمر^(٤). وقد ذكر الأئمة بعضاً منهم:

- ١- الحافظ أبو سعيد السجستاني المتوفى سنة ٤٧٧ هـ.
- ٢- أبو الحسن ابن المغازلي الشافعي المتوفى سنة ٤٨٣ هـ.
- ٣- الحافظ أبو القاسم الحسكاني عن أبي سعيد الخدري.
- ٤- الحافظ أبو القاسم بن عساكر الشافعي الدمشقي المتوفى سنة ٥٧١ هـ.
- ٥- أخطب خوارزم المتوفى سنة ٥٦٨ هـ في المناقب ص ٨٠.
- ٦- شيخ الإسلام الحموي الحنفي المتوفى سنة ٧٢٢ هـ.

(١) دعائم الاسلام: النعمان المغربي ١٤/١.

(٢) شرح الاخبار ١/١٠١، ٢/٢٧٦.

(٣) شعب الايمان، البيهقي ٢/٢٥٧، ابن حزم الأندلسي، المحلى ٩/٣٨٩، ٤٠٧.

(٤) تفسير ابن كثير ٢/٢، ابن حجر، مجمع الزوائد ١/٢٥٦، ورواه الطبراني في الاوسط وتفسير التبيان ٣/١٣، ٤.

حديث الثقلين في المدينة سنة ١١ هـ

واستمر النبي ﷺ في ذكر حديث الثقلين حتى في ساعات حياته الأخيرة، ففي أيام مرضه وقبل موته قال رسول الله ﷺ وقد امتلأت الحجرة بأصحابه في المدينة: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ثم أخذ بيد علي عليه السلام فقال: هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض»^(١).

وقال ﷺ: انتوني بورقة ودواة لأكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً^(٢).

أي فعل الرسول ﷺ ما فعله سابقاً في خطب حجة الوداع وفي غدير خم، فثارت عليه قريش مرة أخرى بقيادة عمر بن الخطاب وقالوا: يهجر يهجر وتنازعوا^(٣). ومنعوا أصحابه من المجيء، بورقة ودواة ليكتب وصيته إلى خليفته علي بن أبي طالب عليه السلام وانقسم نساء النبي ﷺ إلى قسمين الأكثرية إلى جانب الرسول ﷺ في المطالبة بإحضار ورقة ودواة للرسول ﷺ ليكتب وصيته، والأقلية في جانب عمر تمنع ذلك وهن عائشة وحفصة وسودة وام حبيبة بنت أبي سفيان.

فغضب عمر على المؤيدات لرسول الله ﷺ ووصفهن بصويحبات يوسف قائلاً: أسكنن فانكن صواحبه.

فزجره الرسول ﷺ قائلاً: هن خير منكم^(٤).

ثم قال النبي ﷺ لعائشة وحفصة وسودة وام حبيبة: إنكن لأنتن صواحب يوسف^(٥). وغضب رسول الله ﷺ على المتمردين على أوامر الله تعالى قائلاً: قوموا عني^(٦).

(١) الصواعق المحرقة ٨٩، كشف الاستار عن زوائد البزار ٢٢١/٢ عن مسند أبي بكر البزار، تهذيب اللغة، العلامة الأزهري ١٧٨/٩.

(٢) صحيح البخاري ٩ / ٧ باب قول المريض قوموا عني.

(٣) تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي ٢٦، تاريخ ابن الوردي ١٢٩/١، مسند أحمد ٣٥٥/١ صحيح البخاري ٩/٧ باب قول المريض قوموا عني.

(٤) منتخب كنز العمال ١١٤/٣، تاريخ الطبري ٤٣٩/٢، سيرة ابن هشام ٣٠١/٤.

(٥) تاريخ الطبري ٤٣٩/٢، سيرة ابن هشام ٣٠١/٤، تثبيت الإمامة ٢٣.

(٦) صحيح البخاري ٩ / ٧ باب قول المريض قوموا عني، مسند أحمد ٥١ / ١، فتح الباري ٨ / ١٠٣، السنن الكبرى النسائي ٤ / ٢٦٠.

مصير المخالفين لحديث الثقلين ؟

ذكر الله تعالى انحراف أعداء أهل البيت عليهم السلام عن الحق قائلاً:

﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾^(١)

وقد علم رسول الله ﷺ بارتداد أكثر الصحابة من بعده وانغماسهم في الدنيا قائلاً:

«لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم»^(٣).

ولا ينجو من هؤلاء الصحابة إلا القليل، إذ قال رسول الله ﷺ: «فلم يفلت منهم إلا

كمثل همل النعم».

قال الجوهرى: والهمل، الإبل التي ترعى بلا راع مثل النفس إلا أن النفس لا يكون إلا

ليلاً والهمل يكون ليلاً ونهاراً^(٤).

وقد طرح الرسول ﷺ قضية ارتداد الصحابة من بعده في حجة الوداع مترابطة مع

طرحه ضرورة التمسك بالثقلين.

مركز تحقيقات كميته برقم ١٥٥٥

حوادث الحارث الفهري وأصحابه

لقد نزلت العقوبة الإلهية على عدة رجال مخالفين لولاية علي بن أبي طالب عليه السلام كالتي

نزلت على جيش إبرهة الحبشي الذي جاء لهدم الكعبة.

وقد ذكر القرآن الكريم الحادثة ولولا ذلك لطمستها طغاة بني أمية واعوانهم.

اذغضب الحارث الفهري من تنصيب الرسول ﷺ لعلي عليه السلام في منصب الولاية العظمى

وسأل الرسول: هذا منك أم من الله؟ فقال الرسول ﷺ: من الله تعالى.

فقال الحارث اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا

(١) آل عمران ١٤٤.

(٢) سنن ابن ماجه ٢/١٣٠٠.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٣٢.

(٤) الصحاح، الجوهرى ٥/١٨٥٤.

بعذاب اليم فأصابته حجارة من السماء فسقطت في رأسه وخرجت من دبره وسقط ميتا. ونزل ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾^(١).

ونزل ايضا قوله تعالى أقبعدابنا يستعجلون^(٢).

ومن هؤلاء الرجال: جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدي وعامر بن الحارث الفهري. والحارث بن النعمان الفهري^(٣). وعمرو بن الحارث الفهري مع اثني عشر رجلاً من الكفار^(٤). وعمرو بن عتبة المخزومي. والنعمان بن الحارث اليهودي. والنعمان بن المنذر الفهري. ورجل من بني تيم. ورجل أعرجي من أهل نجد من ولد جعفر بن كلاب بن ربيعة، وآخرون^(٥).

ولما أمر رسول الله ﷺ الناس بالتسليم على علي عليه السلام بإمرة المؤمنين قال أبو بكر وعمر للنبي ﷺ: أعن أمر الله وأمر رسوله؟ قال ﷺ: نعم^(٦).

وهذا يبين كثرة المخالفين لولاية علي عليه السلام من المسلمين ومنهم أبو بكر وعمر!

الدلائل والعبر

إن معظم الاختلافات الحاصلة في الدنيا منبعاها الأهواء الدنيوية وقد قال خاتم الرسل ﷺ: حب الدنيا رأس كل خطيئة.

فالأنصار بذلوا أموالهم للمسلمين وضحوا بالغالي والرخيص في سبيل رفعة الدين

(١) المعارج ١.

(٢) الشعراء ٢٠٤، شرح الاخبار للقاضي النعمان المغربي ٢٣٠، والبحار ١٧٦/٢٧.

(٣) تفسير فرات الكوفي ٥٠٦.

(٤) تفسير فرات الكوفي ٥٠٤.

(٥) وذكر الحادثة: الحافظ أبو عبيد الهروي المتوفى بمكة سنة ٢٢٣ في تفسيره غريب القرآن، تفسير أبي بكر النقاش

الموصلي المتوفى سنة ٣٥١ هـ، أبو اسحاق الثعلبي النيشابوري المتوفى سنة ٤٢٧ هـ، في تفسيره الكشف والبيان،

الحاكم أبو القاسم الحسكاني في كتاب أداء حق الموالاة، أبو بكر يحيى القرطبي المتوفى سنة ٥٦٧ هـ في تفسيره،

شمس الدين أبو المظفر سبط ابن الجوزي الحنفي المتوفى سنة ٦٤٥ هـ، الشيخ برهان الدين علي الحلبي الشافعي.

(٦) السقيفة، سليم بن قيس ٥٩٣/٢ تحقيق محمد باقر الأنصاري.

الإسلامي ولما منعهم رسول الله ﷺ الغنائم في معركة حنين تكلموا واحتجوا فأخبر سعد بن عبادة رسول الله ﷺ بالحالة الخطيرة فخطب فيهم وأرضاهم. فتيقن الأنصار بعدالة رسول الله ﷺ لأنه بذل الأموال لأعدائه لإرضائهم ولم ينفقها في أهله لإغنائهم.

ولما وزع أبو بكر بعض المال في النساء بعد السقيفة ردته امرأة من بني عدي قائلة: تراشونني عن ديني^(١).

ولما وزع عثمان بن عفان الأموال في عشيرته وأعطى مروان بن الحكم خمس أفريقيا^(٢) البالغ وقتها اثني عشر مليون دينار ذهباً ثار المسلمون واستقال زيد بن أرقم وعبدالله بن مسعود من وظيفتهما كأمني بيت مال المسلمين.

وقال عثمان: إن أبا بكر وعمر كانا يحتسبان في منع قرابتهما وأنا أحتسب في إعطاء قرابتي. قالوا: فهديهما أحب إلينا من هديك^(٣). وفي غزوة علي بن أبي طالب عليه السلام إلى اليمن ركب أتباعه إبل الصدقة ولبسوا ثياب الخمس المتعلقة بكل المسلمين بعد أخذهم حصصهم من الغنائم اجحافاً بحق الآخرين وسرقة لبيت المال.

ولما استرجعها علي عليه السلام منهم قتلوا وغضبوا محتجين بعمل سائر قيادات العساكر مثل خالد بن الوليد.

ولكن علياً عليه السلام صمد في وجههم دفاعاً عن الحق والعدالة.

ولما كثرت الأموال واتسعت الدولة الإسلامية ازدادت المشاكل المالية والسياسية. فرغم الأموال العظيمة التي حصل عليها المسلمون في تلك السنوات كان البعض منهم يطالب بالمزيد لانحراف الناس نحو مباهج الدنيا وطلباتها الكثيرة؛ فأسامه بن زيد طالب أمير المؤمنين علياً عليه السلام بمزيد من المال فواعده بإعطائه من حصته السنوية المساوية لحصص

(١) شرح النهج ٢ / ٥٢.

(٢) كنز العمال ٥ / ٢٨٤.

(٣) شرح النهج ٣ / ٣٥.

أهالي بدر، ولم يعطه من بيت المال.

وطالبه أخوه عقيل بن أبي طالب بحصة أكثر مما حصل عليها المسلمون فوضع علي عليه السلام
جمرة نار في يديه.

وأعلن علي عليه السلام قائلاً: كل قطيعة أقطعها عثمان وكل مال أعطاه من مال الله فهو مردود في
بيت المال^(١).

فتار عليه المنتفعون الآخذون مال الله بالباطل من بني أمية وغيرهم وشاركوا في
محاربتة في الجمل وصفين!

قال الحسين بن علي عليه السلام: الناس عبيد الدنيا والدين لعق علي السنتهم.

ولما تعرفت قبيلة همدان على خصال علي بن أبي طالب عليه السلام الحميدة أحبوه رغم
اسلامهم المتأخر وحاربوا معه في صفين دفاعاً عن المبادئ الرشيدة.

أما المطالبون بالأموال الكثيرة دون رعاية للعدالة فقد استمروا في هذا المنحنى مثل
حكيم بن حزام (الطلق) الذي حصل على مائة ناقة في حرب حنين باعتباره من المؤلفة
قلوبهم فطالب بالمزيد فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مائة أخرى^(٢).

وفي زمن عثمان حصل على أموال كثيرة باعتباره من جهاز السلطة السياسي ولم يكتف
فالتحق بمعاوية بن أبي سفيان وحارب علياً عليه السلام مثلما حاربه في بدر وأحد والخندق فكسب
من معاوية مالاً لا يعد ولا يحصى وذلك هو الخسران المبين.

وتكرار الرسول لحديث الثقلين في حجة الوداع نابع من أهميته البالغة عليه فهو
يوجد في كل الكتب الإسلامية.

ولاهمية حديث الولاية فقد قال الله تعالى آيتين في خصوصه وذكره النبي صلى الله عليه وآله وسلم امام
مائة وعشرين ألف مسلم في غدير خم. ليسأل الناس عنه يوم القيامة.

(١) شرح النهج ١ / ٢٢٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٢ / ١٥٣، تاريخ الطبري ٣ / ٣٥٨، مغازي الواقدي ٣ / ٩٤٣، سيرة أبي حاتم ١ / ٣٥٦.



مرکز تحقیقات کلام و علوم اسلامی

باب

من الوقائع المهمة





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

حديث الطائر

قال انس بن مالك: كنت أخدم رسول الله ﷺ فقدم لرسول الله ﷺ فرخ مشوي فقال:

اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير فجاء علي بن أبي طالب عليه السلام ثلاث مرات وأنس يرده فسمع صوته رسول الله ﷺ فدعاه واعتذر أنس بأنه أراد أن يكون من قومه وأكل مع رسول الله ﷺ (١) والذين افردوا قصة الطائر في كتاب منفصل هم الحاكم وابن جرير الطبري وابن عقدة وأبو نعيم الاصبهاني وابن مردويه والذهبي.

وقد حارب المعادون لأهل البيت ﷺ الحاكم لتصحيحه رواية الطائر المشوي.

وقال علي عليه السلام يوم الشورى انا صاحب الطائر المشوي (٢).

وقال رسول الله ﷺ: النظر إلى علي عليه السلام عبادة (٣).

(١) مستدرك الحاكم ١٤٢/٣ طبعة دار الكتب العلمية - بيروت، الذريعة ١٥/١٦٢، اعلام الوري، الطبرسي ١/٣١٦، سير اعلام النبلاء ١٦ / ٣٥٢، الانساب، السمعاني ١ / ٤٣٣، كنز العمال ٦ / ٤٠٦، الاحتجاج ١ / ٢٠٠، الصراط المستقيم ١ / ١٩٣ والصواعق المحرقة لابن حجر ٧٣ ح ١٣ واحقاق الحق ٥ / ٣٢٠ وفضائل الصحابة لاحمد بن حنبل ٢ / ٥٦٠ والبحار ٣١ / ٣٦٣ وتاريخ ابن عساكر في ترجمة علي ٢ / ١٠٥ - ١٢٤ ومناقب ابن المغازلي ١٥٦. وصحيح الترمذي ٥ / ٥٩٥ ح ٣٧٢١ ومجمع الزوائد ٩ / ١٢٥ وعيون اخبار الرضا ٢ / ١٨٧ وامالي الصدوق ٥٢١ والخصال ٥٥١.

(٢) عيون الحكم للواسطي ١٦٧.

(٣) مستدرك الحاكم ٣ / ١٥٠.

صحيفة المعارضة

لقد تعودت قبائل قريش على كتابة صحيفة معارضة لبني هاشم وأول صحيفة قرشية معارضة لرسول الله ﷺ وقبيلته هي صحيفة المقاطعة المعلقة في جوف الكعبة وقد سارت قريش الكافرة على بنود تلك المعاهدة الظالمة فترة ثلاث سنين^(١).

وكتبوا الصحيفة بينهم في حجة الوداع على أخذ الخلافة من علي عليه السلام وتناوبها بينهم منهم أبو بكر وعمر ومعاذ وأبو عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة.

ثم اتفق ذلك الجمع على أن ينفروا ناقة رسول الله ﷺ ويقتلوه في عقبة الهرشي عند منصرفه من حجة الوداع وهم أربعة عشر نفرًا.

فلما دخلوا المدينة اجتمعوا جميعاً في دار أبي بكر وكتبوا صحيفة بينهم على ذكر ما تعاهدوا عليه في هذا الأمر. وكان أول ما في الصحيفة التكت لولاية علي بن أبي طالب عليه السلام وأن الأمر إلى أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسالم ومعاذ.

وشهد بذلك أربعة وثلاثون رجلاً: هؤلاء أصحاب العقبة وعشرون رجلاً آخر منهم أبو سفيان، عكرمة بن أبي جهل، صفوان بن أمية بن خلف، سعيد بن العاص، خالد بن الوليد، عياش بن أبي ربيعة، بشير بن سعد، سهيل بن عمرو، حكيم بن حزام، صهيب بن سنان، أبو الأعور الأسلمي (زعيم قبيلة أسلم الاعرابية)، ومطيع بن الأسود المدري. وكاتب الصحيفة سعيد بن العاص.

ومع كل واحد من هؤلاء جمع من الناس وأمين الصحيفة أبو عبيدة بن الجراح فسموه بالأمين^(٢).

وأفراد هذه المجموعة بقوا إلى أواخر حياتهم معارضين ومبغضين لأهل البيت عليهم السلام وسير الأحداث اللاحقة لهذه الوثيقة يؤيدها، فهؤلاء كانوا يداً واحدة في قيادة الحزب القرشي للوصول إلى السلطة.

قال حذيفة بن اليمان: إن أول من تعاقد على غصب الخلافة هو أبو بكر وعمر.

(١) راجع موضوع شعب أبي طالب في هذا الكتاب.

(٢) راجع البحار، المجلسي ٩٦/٢٨ - ١١١، السقيفة، سليم بن قيس ١٦٨.

والأساس الذي تعاقدوا عليه هو «إن مات محمد أو قُتل نزوي هذا الأمر عن أهل بيته فلا يصل أحد منهم الخلافة ما بقينا»^(١).

وكانت عائشة وحفصة عينيْن لأبويهما في منزل رسول الله ﷺ في جميع القضايا.

صحيفتا المقاطعة عند بني لؤي وبني فهر

لقد حارب الحزب القرشي الاسلام حرباً لا هوادة فيها بكل الوسائل المتاحة لديه وكتب صحفاً في ذلك موقعه في داخل الكعبة باسمائهم ومحفوظة فيها. وكانت قريش الكافرة تحترم الكعبة والعهود الموقعة فيها اكراماً لها ولهذا الغرض حُفظت صحيفة المقاطعة فيها.

فقد ذكرت النصوص حفظ قبائل قريش صحيفة المقاطعة في جوف الكعبة، وذكرت نصوص أخرى بأنها حُفظت عند زمعة بن الاسود بن عامر من بني عامر بن لؤي. والجمع بين هذه الروايات يثبت بأنها حُفظت في جوف الكعبة وأمينها زمعة بن الاسود، ووظيفة الأمين تهيئة الحرس المسؤولين عنها.

ولما كتب رجال الحزب القرشي صحيفتهم الثانية المعارضة لخلافة علي عليه السلام واهل بيته ساروا على نفس المنهج السابق:

اذ كتبوا الصحيفة ووقعوها في الكعبة ثم دفنوها فيها لتكون مقدسة في نظر الموقعين عليها. وكانت الصحيفة الاولى حازمة في كل الامور والصحيفة الثانية حازمة في الامر السياسي.

ولما كان زمعة بن الاسود من بني فهر فقد لزمهم (في نظرهم) ان يكون امين الصحيفة الثانية من قريش ايضاً، فاعطوا الامانة الى ابي عبيدة بن الجراح، وهو عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري من بني فهر. وتركوا المغيرة بن شعبة وابا موسى الاشعري لعدم انتسابهما لقريش.

وبينا كان زمعة وابن الجراح امينين لصحيفتي قريش كان رسول الله ﷺ أميناً حقاً لدين

(١) السقيفة، سليم بن قيس ١٦٨.

الله تعالى.

اذ لما سألو أبا جهل: اترى محمداً يكذب؟

قال ابو جهل: كيف يكذب على الله، وقد كنّا نسميه الأمين لأنه ما كذب قط^(١).

ولخدمات زمعة للكفر فقد اطراه الامويون ونسبوا اليه فضيلة شق صحيفة المقاطعة
لأمرين:

تكذيب المعجزة الالهية في أكل الأرضة لصحيفة المقاطعة بأن الذي مزّقها هو زمعة.

وتحسين صورة زمعة بين صفوف المسلمين لتفضيله على المسلمين السابقين.

ونفس تلك القبائل القرشية شاركت في الصحيفة الثانية لعزل الخلافة عن بني هاشم.

فكان هدف الصحيفة الاولى محاربة نبوة محمد الهاشمي ﷺ وهدف الصحيفة الثانية

محاربة خلافة علي الهاشمي عليه السلام، ففشلت الاولى ونجحت الثانية لحكمة أرادها الله سبحانه
وتعالى.

وفي امضاء وتنفيذ بنود الصحيفة شاركت ابو بكر وعمر وابو سفيان وعمر بن العاص
وخالد بن الوليد ومعاوية.

ومعظم قبائل قريش الموقعة على هاتين الصحيفةتين كانت قد شاركت في معاهدة لعقة

الدم (حلف الظلمة) لمعارضة حلف المطيبين (انتصار المظلومين) بقيادة عبد المطلب.

وكانت الصحيفة الاولى علنية والصحيفة الثانية سرية.

ورموز الصحيفة الاولى من الحاكمين ورموز الصحيفة الثانية من المحكومين.

ومن دلائل النبوة ما قاله رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: إِنَّ الْأُمَّةَ سَتَغْدِرُ بِكَ مِنْ بَعْدِي^(٢).

هل أخبر النبي ﷺ بمقتله الوشيك؟

لقد أخبر رسول الله ﷺ بموته الوشيك في سنة ١١ هجرية، وإليك أدلة ذلك:

١ - نعى رسول الله ﷺ نفسه قبل موته بشهر^(٣).

(١) السيرة العلية ١ / ٤٦١.

(٢) مستدرك الحاكم ٣ / ١٥٠.

(٣) لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني ١ / ٥٥٦.

٢- دخل أبو سفيان على النبي ﷺ يوماً فقال: يا رسول الله أريد أن أسألك عن شيء.
فقال ﷺ: إن شئت أخبرتك قبل أن تسألني.

قال: إفعل.

قال ﷺ: أردت أن تسأل عن مبلغ عمري.

فقال أبو سفيان: نعم يا رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ: إني أعيش ثلاثاً وستين سنة.

فقال: أشهد إنك صادق.

فقال ﷺ: بلسانك دون قلبك^(١).

٣- وصعد رسول الله ﷺ المنبر مودعاً أهل الدين والدنيا منادياً: ألا من كانت له
ظلمة قبل محمد ﷺ إلا قام فليقتص منه^(٢). ولم يظلم النبي ﷺ أحداً قط.

٤- وقال الرسول ﷺ قبل موته ليلة لأبي موسى: إني قد أوتيت مفاتيح خزائن
لدنيا والخلد فيها ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة... لا والله يا أبا موسى
لقد اخترت لقاء ربي^(٣).

٥- وقال رسول الله ﷺ في حجة الوداع أمام مسلمي ذلك الزمان: إن جبرئيل كان
يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة، وإنه عارضني هذا العام مرتين، وما أراه إلا قد حضر
أجلي^(٤).

٦- وقال الرسول ﷺ أمام ملأ المسلمين في غدير خم: أيها الناس يوشك أن أدعى
فأجيب، وإني مسؤول وإنكم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟^(٥)

٧- «وقد رأى العباس ذات ليلة في منامه أن القمر قد رفع من الأرض إلى السماء.

(١) قصص الأنبياء، البحار ٢٢/ ٥٠٤.

(٢) تاريخ الطبري، حوادث سنة ١١ هجرية ٤٣٣/ ٢، ٤٣٤.

(٣) دلائل النبوة، البيهقي ١٦٢/ ٧، البداية والنهاية، ابن كثير ٢٢٤/ ٥.

(٤) صحيح البخاري باب كان جبرئيل يعرض القرآن على النبي ﷺ، الطبقات لابن سعد ١٩٤/ ٢.

(٥) سنن الترمذي ٢٩٨/ ٢، سنن ابن ماجه ص ١٢، الطبقات ١٩٤/ ٢.

فقال النبي ﷺ له: هو ابن أخيك.

وقال العباس: عرفنا أن بقاء رسول الله ﷺ فينا قليل»^(١).

٨- وقال رسول الله ﷺ: أتزعمون أنني من آخركم وفاةً، ألا وإني من أولكم وفاةً^(٢).

إذا المسلمون وخاصة أهل المدينة المنورة عالمون بوفاة النبي ﷺ القريبة، وهذه النقطة يجب أن لا ينساها من يقرأ أو يفكر في أحداث السقيفة وما قبلها وما بعدها.

٩- وأخبر رسول الله ﷺ عائشة بوفاته القريبة قائلاً: ولا تؤذوني بياكية ولا برنة ولا

بصيحة^(٣).

١٠- وذكر عبد الله بن مسعود قائلاً: «نعمي إلينا نبينا وحبيبنا نفسه قبل موته بشهر، فلما

دنا الفراق جمعنا في بيت أمنا عائشة، فنظر إلينا وشدد قدمعت عينه وقال:

مرحباً بكم رحمكم الله آواكم الله حفظكم الله، رفعكم الله، نفعمكم الله، وفقكم الله، نصركم الله، سلمكم الله، قبلكم الله، أوصيكم بتقوى الله، وأوصي الله بكم، وأستخلفه عليكم، وأوديكُم إليه إني لكم نذير وبشير، لا تعلموا على الله في عباده وبلاده، فإنه قال لي ولكم:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ

لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٤)

وقال ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾^(٥)

فقلنا متى أجلك؟

قال ﷺ: قد دنا الفراق والمنقلب إلى الله وإلى سِدْرَةِ المنتهى.

قلنا: فمن يغسلك يا نبي الله؟

قال ﷺ: علي بن أبي طالب.

(١) الطبقات ١٩٣/٢.

(٢) الطبقات، ابن سعد ١٩٣/٢.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ٣٧١/٢.

(٤) القصص: ٢٨.

(٥) الزمر: ٦٠.

قلنا: ففيم نكفك يا نبي الله؟

قال ﷺ: في ثيابي هذه إن شئتم، أو في بياض مصر أو حلة يمانية.

قلنا: فمن يصلي عليك يا نبي الله؟

قال ﷺ: مهلاً غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيراً. فبكينا وبكى النبي ﷺ وقال: إذا غسلتموني وكفتموني فضعوني على سرير في بيتي هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة، فإن أول من يصلي عليّ جليسي وخليلي جبرئيل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة من الملائكة بأجمعها، ثم ادخلوا عليّ فوجاً فوجاً فصلوا عليّ وسلّموا تسليماً، ولا تؤذوني بياكية ولا برنة ولا صيحة، وليبدأ بالصلاة عليّ رجال أهل بيتي ثم نساؤهم ثم أنتم...»^(١).

١١ - وأخبر ﷺ فاطمة رضي الله عنها بوفاته في وجعة^(٢). وقال لها إنها أول أهل بيته لحوقاً به.

وجاء في القرآن الكريم آيات تؤيد وفاة النبي ﷺ منها: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ...﴾^(٣)

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٤)

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٥)

فهل يمكن بعد كل هذه الأدلة القرآنية والحديثية أن ينفي عمر بن الخطاب وعثمان الموت عن النبي محمد ﷺ؟! أم أنهم أرادوا منع دفن رسول الله ﷺ إلى حين ترتيب قضية السقيفة للاستحواذ على السلطة. وفرارهم من مراسم دفن رسول الله ﷺ يؤيد ذلك ويدعمه قولهم للنبي قبل موته إنه يهجر.

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٣٥، الكامل في التاريخ ٢/٣٢٠.

(٢) صحيح البخاري، باب منقبة فاطمة رضي الله عنها ٥/٦٥، صحيح مسلم، فضائل فاطمة، الطبقات ٢/١٩٣.

(٣) آل عمران: ١٤٤.

(٤) آل عمران: ١٤٤، ١٨٥.

(٥) الزمر: ٣٠.

الدلائل والعبر

لقد حجّ رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة حجة الوداع وفي تلك الحجة الأخيرة أوصى رسول الله ﷺ بأمرين: القرآن وأهل البيت ﷺ وكان خاتم الأنبياء قد ذكر ذلك أيضاً في الطائف بعد فتح مكة.

وبين فتح مكة وحجة الوداع كانت السنة التاسعة وفيها أرسل النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه أميراً على الحج ومبلغاً لسورة براءة فاجتمع الثقلان في تلك السنة في مكة. وهذا الذكر المتعمد من الله ورسوله لأهل البيت والقرآن لم يأت إلا لأهميته الفائقة في حياة المسلمين. ولو كان هناك موضوع آخر مهم إلى درجة خطيرة لذكره نبي البشرية أليس كذلك؟ بل لأصبح لازماً عليه ذكره.

والنكتة الأخرى المستوحاة من حجة الوداع هي ثبات المنافقين وعنادهم في معارضة القرآن وأهل البيت، فقد أحدثوا ضجة عظيمة في أثناء خطبة رسول الله ﷺ. فالمنافقون من الطلقاء والأنصار والمهاجرين قد أسلموا جزئياً ولم يسلموا أمورهم كلياً لله ورسوله فرضوا ببعض عقائد الإسلام وعارضوا معظمها.

فنفهم من ذلك تحوّل المعاندين من الكفار إلى صفوف المنافقين وخُلُوّ ساحة الكفار منهم فأصبح الحزب القرشي مأوى لكل الفئات من المنافقين في مكة والمدينة وسائر المناطق. ونجح حزب المنافقين في جمع شتات أفرادهم وتنظيم وتوقيع زعمائهم على وثيقة سياسية لاستلام السلطة فضحّتها أسماء بنت عميس^(١).

وهؤلاء المنافقون هم الذين قتلوا رسول الله ﷺ وأخروا دفنه انتظاراً لمجيء أعوانهم من خارج المدينة، واستلموا حكومة المسلمين.

وبقيت أطروحة المنافقين مجهولة عند الكثير من الموحدين رغم كشف الكثير من هؤلاء عن كفرهم فقد قال يزيد من معاوية وهو أحد زعمائهم:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل^(٢)

(١) البحار ٩٦/٢٨ - ١١١، السيفة، سليم بن قيس: ١٦٨.

(٢) مناقب آل أبي طالب ابن شهر آشوب ٣/ ٣٦١.

بعد أن فضح أبوه معاوية كفر نفسه مرّات عديدة^(١).

فأصبح حزب المنافقين هو الحزب الأقوى في الساحة السياسيّة الإسلاميّة يدير دفة الأمور في البلدان الإسلاميّة ويقتل كل مخلص يقف في طريقة وهو مطابق لما جاء في كتاب الله عزّ وجل:

﴿وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾^(٢).

﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾^(٣).

﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾^(٤).

أي جاء هؤلاء بالفتنة كما أخبر رسول البشرية عن الله عزّ وجل، أضلتكم الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضاً لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً وضحكتم قليلاً^(٥).

لتتبعن سنن من كان قبلكم من اليهود والنصارى حذو القذة بالقذة فلو دخلوا جحر ضب لدخلتموه^(٦).

وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: أنتم أشبه الناس سماً وهدياً ببني إسرائيل لتسلكن طريقهم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل^(٧).

(١) راجع كتاب نظريات الخلفيتين للمؤلف باب معاوية بن أبي سفيان.

(٢) الأعراف ١٠٢.

(٣) يوسف ١٠٦.

(٤) الأعراف ١٧.

(٥) مسند أحمد ٢ / ٣٠٤، ٦ / ٨١، سنن الدارمي ١ / ٣٧، سنن مسلم ١ / ٧٦.

(٦) فيض القدير ٥ / ٣٧٦.

(٧) كنز العمال ١١ / ٢٥٣.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کلامی و علوم اسلامی

باب

حملة أسامة

والأحداث المرتبطة بها





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

إنتداب عصابة قريش لحملة أسامة

بعد عودة الرسول ﷺ من حجة الوداع وصل إلى غدير خم وهناك أوصى لعلي بن أبي طالب عليه السلام بالخلافة، وعيَّنه إماماً للأمة فبايعوه وفي المدينة دعا الناس للتوجه لحرب الروم، وفي ذلك الجيش معظم الصحابة.

وهناك سؤالان: هل كان أبو بكر وعمر وعثمان جنوداً في تلك الحملة؟

ولماذا عُيِّنَ أسامة قائداً على شيوخ قريش والأنصار؟

وذكرت أمهات الكتب الحديثية والتاريخية وجود أبي بكر وعمر وعثمان وابن الجراح

فيمُن انتدب إلى حملة الشام، فقد ذكر ابن سعد:

«فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواءاً بيده ثم قال: أغزُ بسم الله وفي سبيل الله،

فقاتل من كفر بالله، فخرج وعسكر بالجرف، فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار

إلا انتدب في تلك الغزوة، فيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن

أبي وقاص وسعيد بن زيد وغيره^(١).

إذن ثبت بالدليل القاطع والنص المتواتر وجود أبي بكر وعمر وعثمان وأبي عبيدة بن

الجراح في جيش أسامة.

لقد عيَّن رسول الله ﷺ أسامة قائداً على مشايخ المسلمين وعمره ١٩ سنة ليثبت بطلان

دعوى أبي بكر باستحقاقه الخلافة لانه أكبر سنّاً من الآخرين وهذه من معجزات

(١) البداية والنهاية ٧٣/٨، الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢٤٩/٢، عيون الأثر، ابن سيد الناس ٢٨١/٢، السيرة النبوية

بهاشم السيرة الحلبية، أحمد زيني دحلان ٣٣٩/٢، شرح نهج البلاغة، المعتزلي ٥٢/٦، منتخب كنز العمال بهامش

مسند أحمد بن حنبل ١٨٠/٤، الكامل في التاريخ ٦٦/٤.

النبي ﷺ في معرفته بالغيب، وقد رفض أبو قحافة هذه الدعوى قائلاً: إن كانت الخلافة بالسن فأنا أكبر سناً من أبي بكر.

وكانت عند أسامة القدرة على القيادة، وهو ابن زيد بن حارثة القائد الذي استشهد في معركة مؤتة فهو أولى بالتأثر من غيره.

معارضة عصابة قريش لحملة أسامة

بعد أن أثبتنا انتداب عصابة قريش في حملة أسامة بن زيد، وفيهم أبو بكر وعمر وعثمان وأبو عبيدة بن الجراح، نبين هنا عصيان هؤلاء لهذه الحملة، ومعارضتهم لها، وامتناعهم عن الانضواء تحت لوائها في زمن حياة النبي ﷺ وفي زمن خلافة أبي بكر.

وإثبات هذا الأمر يبين أن عصابة قريش كانت تتمنى موت رسول الله ﷺ سريعاً لرفضها الذهاب في حملة أسامة إلى الشام، فهي تخاف الذهاب إلى حرب الروم في الشام وتخشى انتقال الخلافة إلى علي عليه السلام.

وذكريات معركة مؤتة ما زالت عالقة في أذهانهم حيث استشهد فيها جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة.

وقد استدعى الرسول ﷺ أبا بكر وعمر وجماعة ممن حضر المسجد من المسلمين (يوم الإثنين) ثم قال ﷺ: ألم أمر أن تنفذوا جيش أسامة؟ فقالوا: بلى يا رسول الله.

قال رسول الله ﷺ: فلم تأخرتم عن أمري؟

قال أبو بكر: إني خرجت ثم رجعت لأجدد بك عهداً.

وقال عمر: يا رسول الله إني لم أخرج لأنني لم أحب أن أسأل عنك الركب.

فقال النبي ﷺ: انفذوا جيش أسامة يكررها ثلاثاً^(١).

واستمر عمر في معارضة حملة أسامة في زمن خلافة أبي بكر إذ قال لأبي بكر: «إن الأنصار أمروني أن أبلغك، وانهم يطلبون إليك أن تولي رجلاً أقدم سناً من أسامة.

فوثب أبو بكر وكان جالساً فأخذ بلحية عمر فقال له: ثكلتك أمك يا بن الخطاب، استعمله رسول الله ﷺ وتأمري أن أنزعه»^(١).

ولكن أبا بكر لم يقل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه رسول الله ﷺ خليفة ونزعناه نحن؟ واستمر عمر في مخالفته للحملة بالرغم مما قاله رسول الله ﷺ ممتنعاً عن الذهاب في حملة أسامة فأخذ أبو بكر له إذناً من أسامة بالبقاء في المدينة إذ جاء:

«أمر أبو بكر أسامة بن زيد أن ينفذ في جيشه وسأله أن يترك له عمر يستعين به على أمره، فقال أسامة: فما تقول في نفسك؟»^(٢) (أبو بكر ما زال إسماً جندياً في تلك الحملة).

فقال أبو بكر: يا بن أخي فعل الناس ما ترى فدع لي عمر وأنفذ لوجهك، فخرج أسامة بالناس»^(٣). وامتنع عبد الرحمن بن عوف من الذهاب في الحملة؛^(٤) ولم يذهب أيضاً سائر زعماء الحزب القرشي.

وهكذا امتنع أبو بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من الذهاب في حملة أسامة في زمن حياة رسول الله ﷺ وفي زمن حكم أبي بكر.

وهذا يبين إصرار عصابة قريش على عصيان أمر رسول الله ﷺ، وخوفهم من مقابلة الروم في حرب دامية.

ومن صفات أفراد الحزب القرشي في زمن رسول الله ﷺ وفي زمن الخلفاء الامتناع عن المشاركة في الحروب والهروب منها بشتى الوسائل المتاحة^(٥).

(١) تاريخ الطبري ٤٦٢/٢، تاريخ أبي الفداء ٢٢٠/١.

(٢) عيون الأثر، ابن سيد الناس ٢٨٢/٢، تاريخ اليعقوبي ١٢٧/٢، تاريخ الطبري ٤٦٢/٢، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣٣٥/٢، مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٥١/٤، ١٥٢، الخلفاء ص ١١، الطبقات ١٩١/٢.

(٣) البداية والنهاية ٧٣/٨.

(٤) مختصر تاريخ دمشق ١ / ١٧١ طبعة دار الفكر ولم يذهب عثمان بن عفان وأبو سفيان وسائر رجال الحزب القرشي في الحملة.

(٥) راجع كتاب نظريات الخلفيتين، للمؤلف ٢٥٥/١ - ٢٩٣.

المخالفون لحملة أسامة ؟

لقد حاول عمر وأبو بكر وجماعة آخرون، عدم الانخراط في حملة أسامة بن زيد وتأخيرها، وقد كان أبو بكر وعمر وأبو عبيدة فعلاً من أفراد الحملة، كما جاء ذلك في تأريخ أحمد زيني دحلان:

« فلما أصبح يوم الخميس عقد الرسول ﷺ لأسامة لواء أبيده ﷺ، ثم قال: أغز باسم الله، وفي سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، فخرج بلوائه معقوداً، فدفعه إلى بريدة، وعسكر بالجرف، فلم يبق من المهاجرين الأولين والأَنْصار إلا اشتدَّ لذلك، ونهياً للخروج، منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص^(١).

وذكر في شرح نهج البلاغة أن جلة المهاجرين والأَنْصار كانوا في الحملة ومنهم أبو بكر، عمر، أبو عبيدة بن الجراح، عبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير^(٢). وقد جاء في كتاب كنز العمال: « وفي ذلك البعث أبو بكر وعمر^(٣)، وجاء في طبقات ابن سعد: أخبرنا العمري عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ بعث سرية فهم أبو بكر وعمر فاستعمل عليهم أسامة بن زيد^(٤)».

وقال ابن الأثير: وأوعب مع أسامة المهاجرون الأوَّلون، منهم: أبو بكر وعمر، فسينا الناس على ذلك ابتدئ برسول الله ﷺ مرضه^(٥). ولو أردنا معرفة تأريخ أمر رسول الله ﷺ بحملة أسامة بن زيد، نراجع مغازي الواقدي: فقد جاء في يوم الثلاثاء، لثلاث بقين من صفر، وعقد ﷺ له اللواء في يوم الخميس، الليلة بقيت من صفر، ثم مرض الرسول ﷺ. أي حدثت هذه الأحداث، بعد حوالي شهرين على حجة الوداع وبيعة غدير خم الشهيرة ونزول آية:

(١) السيرة النبوية بهامش السيرة الحلبية أحمد زيني دحلان ٢/٣٣٩.

(٢) شرح نهج البلاغة، المعتزلي ٦/٥٢.

(٣) منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد بن حنبل للمثقي الهندي ٤/١٨٠، الطبقات لابن سعد ٤/٦٦.

(٤) طبقات ابن سعد ٤/٦٦.

(٥) الكامل في التاريخ ٢/٣١٧، ذكر أحداث سنة إحدى عشرة، تثبيت الإمامة، يحيى بن الحسين ص ٣ - ٢٠.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١)
وعن عصيان البعض لهذه الحملة بحجج شتى، فقد ألقوا (الرواة الأمويون) بنبهه الأمر
على المنافقين وأخفوا أسماء كبار الصحابة.

ذكر الطبري: وقد أكثر المنافقون في تأمير أسامة، حتى بلغه، فخرج النبي ﷺ على
الناس، عاصباً رأسه من الصداع، فقال: قد بلغني إن أقواماً يقولون في إمارة أسامة،
ولعمري لئن قالوا في إمارته، لقد قالوا في إمارة أبيه من قبله، وإن كان أبوه لخليقاً للإمارة،
وإنه لخليق لها، فأنفذوا بعث أسامة^(٢).

وعلى رواية الواقدي التي تقول: إن الرسول ﷺ أمر بالحملة في تاريخ ثلاث بقين من
صفر، وتوفي في يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول، يكون عصيان حملة أسامة
قد استمر أسبوعين من الزمن!

وقد غضب الرسول ﷺ لذلك العصيان، والفيل والقال في زعامة أسامة، فخرج وقد
عصَّب على رأسه عصابة، وعليه قطيفة، ثم صعد المنبر، وقال ﷺ:

يا أيها الناس، فما مقالة بلغتني عن بعضكم، في تأميري أسامة بن زيد؟

والله لئن طعنتم في إمارة أسامة، لقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله، إن كان
للإمارة لخليقاً وإن إينه من بعده لخليق للإمارة.

وقد قالوا في أسامة: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين والأنصار، وكان عمره ثمان
عشرة سنة، وقيل تسع عشرة سنة^(٣).

وذكر الواقدي شيئاً غامضاً عن المخالفين لحملة أسامة فقال: وكان أشدهم قولاً عيَّاش
ابن أبي ربيعة القائل: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين^(٤).

وقال الشهرستاني: الخلاف الثاني في مرضه إنه قال: جهَّزوا جيش أسامة، لعن الله من

(١) المائدة: ٣.

(٢) تاريخ الطبري ٤٣١/٢.

(٣) تاريخ الطبري ١٨٨/٣، السيرة الحلبية ٢٠٧/٣.

(٤) مغازي الواقدي ١١١٨/٢.

تخلف عنه. فقال قوم: يجب علينا امتثال أمره، وأسامة قد برز من المدينة. وقال قوم: قد اشتد مرض النبي ﷺ، فلا تسع قلوبنا مفارقتة والحالة هذه، فنصبر حتى نبصر أي شيء يكون من أمره^(١).

وكان النبي ﷺ قد رضي بلعن أبي بكر الفار من جيش أسامة إذ جاء: قال أبو هريرة: «إن رجلاً شتم أبا بكر، والنبي ﷺ جالس فجعل النبي ﷺ يعجب ويتسم»^(٢).

إذاً التخلف عن حملة أسامة كان يعتمد على عذرين: الأول: التشكيك في قيادة أسامة. والثاني: اشتداد مرض النبي ﷺ، وعدم قدرة العاصين على مفارقة الرسول ﷺ! كما يدعون.

أمّا الشق الأول، فقد أجاب عنه الرسول ﷺ، بتركيزه على قوة وقابلية أسامة، وفعلاً أثبت ذلك في حربه هناك.

وأمّا الشق الثاني، فقد انتهى وانحلت أركانه بلعن النبي ﷺ المتخلفين عن حملة أسامة، ولا يمكن أن يكون العاصي والملعون على لسان النبي ﷺ محباً له.

وقد أثبتت النصوص الأوامر النبوية لأبي بكر وعمر بالانضمام في حملة أسامة^(٣). وقال ابن سعد: إن سرية أسامة بن زيد بن حارثة إلى أهل أُنْثَى، وهي أرض السرات، ناحية البلقاء، فلما كان يوم الأربعاء بدأ برسول الله ﷺ المرض فحمّ وصدع. فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواءاً بيده، ثم قال: أغز بسم الله، في سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، فخرج وعسكر بالجرف، فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلا انتدب في تلك الغزوة، فيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وغيره.

(١) الملل والنحل، الشهرستاني ٢٢/١ طبعة القاهرة، تحقيق محمد سيد كيلاني، تاريخ الطبري ١٨٨/٣ طبعة الحسينية بصرفي حوادث سنة ١١ هجرية.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٤٣٦/٢.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٦٦/٤، المواهب اللدنية، القسطلاني ٣٥٩/١ ط. طار الكتب العلمية، بيروت، السيرة النبوية، ابن دحلان ١٤٥/٢.

فتكلم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين. فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً، فخرج وقد عصب على رأسه عصابة، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد أيها الناس، فما مقالة بلغتني عن بعضكم، في إمارة أسامة، ولئن طعنتم في إمارة أسامة، لقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وأيم الله إنه كان للإمارة خليفاً، وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة^(١).

وهناك أدلة أخرى تثبت وتبين، أن عمر وأبا بكر من حملة هؤلاء المعارضين لقيادة أسامة، إن لم يكونوا زعامتهم، إذ عاد أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح من الحملة إلى المدينة^(٢).

وإن أبا بكر والآخرين، الذين عصوا النبي ﷺ في أمره بحملة أسامة، هم ذاتهم الذين عصوا النبي ﷺ في رزية يوم الخميس. لما طلب النبي ﷺ كنفاً ودواة ليكتب كتاباً لن تضل أمته من بعده.

قال عمر وأبو بكر وأتباعهم: لقد اشتد مرض النبي ﷺ أو قالوا: إنه يهجر (والعياذ بالله) وعندكم كتاب الله، حسبنا كتاب الله^(٣).

إذا تلك المجموعة قد جاءت بحجة وعذر لرد أوامر النبي ﷺ في الذهاب للحرب والغزو، وفي جلب قرطاس ودواة لكتابة وصيته. إذ قالت أولاً: قد اشتد مرض النبي ﷺ فلا تسع قلوبنا مفارقتة.

وقالوا ثانياً: قد اشتد مرض النبي ﷺ حسبنا كتاب الله. أو إن النبي ﷺ يهجر حسبنا كتاب الله.

ولا يمكن تقديم الأعذار الواهية لرد كلام الرسول ﷺ، وتبرير عصيانه، لأن النبي ﷺ في حملة أسامة لعن المتخلفين عنها، وغضب لذلك غضباً شديداً، حتى أنه خرج مخاطباً المسلمين في مرضه، معصوب الرأس، دلالة على وجوب الأمر، لاعتنا المتخلفين عن

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢/٢٤٩، ٤/٦٦.

(٢) تثبيت الإمامة ص ١٩.

(٣) صحيح البخاري ٤/٤٩٠، صحيح مسلم ١١/٨٩.

الحملة^(١).

وفي يوم الخميس غضب عليهم النبي ﷺ ثانية، وطردهم من بيته، فاجتمع في حقهم اللعن والطرْد النبوي من بيته ﷺ^(٢).

والدليل الثاني على أن أبا بكر وعمر من العاصين لحملة أسامة: هو ذهاب أبي بكر إلى زوجته في السنع^(٣)، بعد خطبة النبي ﷺ وغضبه وإحاحه عليهم للخروج، ولعنه المتخلفين عن الحملة.

وفعلًا لما مات النبي ﷺ، كان أبو بكر موجوداً في السنع عند زوجته، عاصياً أمر النبي ﷺ في الغزو. وقد التفتت رجالات الأمويين إلى هذا فجعلوا لأبي بكر إذناً نبوياً بالذهاب إلى السنع، بعد خطبة النبي ﷺ وإحاحه، في خروج المقاتلين، ولعن المتخلفين!^(٤)

ولا أدري كيف يعطيه النبي ﷺ إذناً بالذهاب إلى السنع بعد غضبه ولعنه المتخلفين عن الحملة. وأبو بكر جندي من جنود أسامة، وعدالة النبي ﷺ تأبى أن يسمح لواحد منهم بالذهاب إلى إحدى زوجاته، لأنه يومها وحصتها.. أليس كذلك؟

وأوجد بعض الأعراب عذراً آخر لأبي بكر لتبرير عصيانه لحملة أسامة يتمثل في طلب النبي ﷺ إليه البقاء في المدينة للصلاة بالناس وظاهر الأمر أن هذا التبرير من اختلاق الكتاب المتأخرين، وهو معارض للتبرير الأول، بالذهاب إلى السنع.

فقد قال ابن دحلان: «فلا منافاة بين ما روي أن أبا بكر كان من ذلك الجيش، ومن روى أنه تخلف، لأنه كان من الجيش أولاً، ثم تخلف لما استثناءه ﷺ وأمره بالصلاة بالناس^(٥)».

(١) شرح نهج البلاغة، المعتزلي ٥٢/٦.

(٢) الملل والنحل، الشهرستاني ٢٢/١، سنن البخاري ٤٩٠/٤ باب جوائز الوفد ح ١٢٢٩، سنن مسلم ٨٩/١١.

(٣) تاريخ الطبري ٤٤١/٢ ط. مؤسسة الأعلمي، كثر العمال ٢٣٢/٧ ط. مؤسسة الرسالة، أسد الغابة، ابن الأثير ٣١٠/٢.

(٤) الملل والنحل، الشهرستاني ٢٣/١.

(٥) السيرة النبوية، ابن دحلان ١٤٥/٢ ط. دار احياء التراث.

فلم يكتفِ ابن دحلان بتبرير قضية عصيان أبي بكر لحملة أسامة، فقال: إِنَّ تَخَلُّفَهُ (أبا بكر) كان بأمر منه ﷺ، لأجل صلاته بالناس، وفيه إشارة إلى أنه خليفة بعده^(١).

إِنَّ أبا بكر لم يذهب إلى معسكر أسامة في الجرف، ولم يبق في المدينة عند النبي المريض ﷺ، بل ذهب إلى زوجته في السنع (خارج المدينة)!

ووجوده في السنع ينفي قضية صلاته بالناس، ويؤكد عصيانه لحملة أسامة. ولولا مبعوث عمر لأبي بكر بموت الرسول ﷺ، لبقى هناك مدة أطول.

وكتب أسامة إلى أبي بكر: اعلم أي ومن معي من المهاجرين والأنصار وجميع المسلمين ما رضيناك ولا ولىناك، فاتق الله ربك وإذا قرأت كتابي هذا فاقدم إلى ديوانك الذي بعثك فيه النبي ﷺ ولا تعصه، وأن ترفع الحق إلى أهله فإنهم أحقُّ به منك^(٢).

والدليل الثالث: إِنَّ عمر بن الخطاب استمرَّ في معارضته لقيادة أسامة بن زيد تلك الحملة بعد تولي أبي بكر السلطة، بالرغم من الغضب النبوي الشديد، وتأكيده ﷺ على صلاحية أسامة للقيادة!

إذ قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: «إِنَّ الْأَنْصَارَ أَمْرُوهُ أَنْ أَبْلُغَكَ، وَإِنَّهُمْ يَطْلُبُونَ إِلَيْكَ أَنْ تَوَلِّيَ رَجُلًا أَقْدَمَ سَنًا مِنْ أُسَامَةَ. فَوَيْبَ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ جَالِسًا فَأَخَذَ بِلَحْيَةِ عُمَرَ، فَقَالَ لَهُ: ثَكَلْتُكَ أُمُّكَ وَعَدَمْتُكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، اسْتَغْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَأْمَرَنِي أَنْ أَنْزِعَهُ»^(٣).

وهكذا توضَّح أَنَّ مخالفة الجماعة لقيادة أسامة، لم تكن إلا عذراً، الهدف منه البقاء في المدينة إلى ما بعد وفاة الرسول ﷺ للسيطرة على الحكم... وهؤلاء قد أدركوا قصد النبي ﷺ، وأهدافه في بيعة الغدير، وفي طلبه كتابة الوصية لعلي عليه السلام وأمره بإخلاء المدينة من وجوه المهاجرين والأنصار.

ولمَّا تَمَّ لأبي بكر السيطرة على الحكم لم يبق موجب لمعارضة تلك الحملة وقيادتها! وفعلاً سيرها أبو بكر إلى الشام بقيادة أسامة بن زيد.

(١) المصدر السابق.

(٢) تنبئت الامامة ص ٢٠، يحيى بن الحسين بن القاسم اليمني المتوفى سنة ٢٩٨ هجرية.

(٣) تاريخ الطبري ٤٦٢/٢، تاريخ أبي الفداء ٢٢٠/١.

الدليل الرابع: لم يرغب أبو بكر وعمر بالسير في تلك الحملة في زمن حكومة أبي بكر، فطلبوا إذناً من أسامة بن زيد فأعطاهما، ولكن استمرّا في مناداته بالأمر في مدّة خلافتهما، أي استمرّا في رغبتها السابقة في عصيان الانخراط في تلك الغزوة للتمكّن من إدارة الحكومة.

وبذلك فقد ذهب أسامة بن زيد في حملته، دون مجموعة السقيفة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وأبو سفيان وابن الجراح وابن عوف. فقد قال أبو بكر لأُسامة: إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل، فأذن له^(١).

حادثة يوم الاثنين وكتابة الوصية

قال ابن سعد في طبقاته بأن حادثة كتابة الوصية كانت يوم الاثنين وهو يوم موته ﷺ.

ولقد استمرّ عصيان المخالفين لحملة أسامة مدّة إسبوعين كما ذكر الواقدي، وفي هذه الفترة طلب النبي ﷺ من المسلمين بالتحاق بغزوة أسامة، فلم ينفع معهم. فخطب بهم ثانية ولعن العاصين منهم فلم ينفع ذلك.

فطلب منهم في الثالثة المجيء بلوح ودواة ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً.

فقالوا: النبي ﷺ مهجر، حسبنا كتاب الله !

إن تلك المجموعة العاصية لحملة أسامة، والملعونة من قبل النبي ﷺ^(٢)، هي التي منعت دفن النبي ﷺ ثلاثة أيام، وأسست السقيفة. وهاجمت بيت علي وفاطمة رضي الله عنهما، ونجحت في فرض خلافة دورية لقبائل قريش، دون بني هاشم والأنصار.

وذكر الشهرستاني في كتابه الملل والنحل: فأول تنازع وقع في مرضه عليه الصلاة والسلام، ما رواه الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: لما اشتدّ بالنبي ﷺ

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣٣٤/٢، تاريخ أبي الفداء ٢٢٠/١، تاريخ يعقوبي ١٢٧/٢.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ٢٣/١.

مرضه الذي مات فيه، قال: ائتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً، لا تضلّوا بعده.
فقال عمر: إنّ رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله. وكثر اللغط، فقال
النبي ﷺ: قوموا عني، لا ينبغي عندي التنازع. قال ابن عباس: الرزية ما حال بيننا وبين
كتاب رسول الله ﷺ^(١).

وأخرج البخاري، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه قال: «يوم الخميس، وما
يوم الخميس، ثم بكى حتى خضب دمه الحصباء، فقال:
إشتدّ برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس، فقال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن
تضلّوا بعده أبداً. فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع.

فقالوا: هجر رسول الله ﷺ. قال ﷺ: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه»^(٢).
وفي رواية قال عمر: إنّ النبي ﷺ غلبه الوجع، وعندكم القرآن، فحسبنا كتاب الله،
واختلف من في البيت واختصموا، فمنهم من يقول:
قربوا يكتب لكم رسول الله كتاباً، لن تضلّوا بعده، ومنهم من يقول ما قاله عمر.
فلما أكثروا اللغط والأختلاف عند النبي ﷺ، قال خاتم الأنبياء ﷺ: قوموا عني^(٣) أي
أخرجهم ﷺ من بيته غاضباً عليهم.

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: اشتكى النبي ﷺ يوم الخميس، فجعل يعني
ابن عباس ييكى، ويقول: يوم الخميس وما يوم الخميس إشتدّ بالنبي ﷺ وجعه، فقال:
إئتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً، لا تضلون بعده أبداً. فقال بعض من كان عنده:
إن نبي الله لينهجر.

ف قيل له: ألا نأتيك بما طلبت؟ قال ﷺ: أو بعد ماذا. قال: فلم يدع به^(٤).

(١) الملل والنحل للشهرستاني ٢٢/١.

(٢) صحيح البخاري ٤٩٠/٤ باب جوائز الوفاء، ح ١٢٢٩، صحيح مسلم ٨٩/١١، طبقات ابن سعد ٢/٢٦، المصباح
المنير ٦٣٤.

(٣) صحيح البخاري باب قول المريض قوموا عني ٩/٧، صحيح مسلم، آخر كتاب الوصية ٧٥/٥، مسند الإمام
أحمد ٤/٣٥٦ ح ٢٩٩٢.

(٤) طبقات ابن سعد ٢/٢٤٢.

وأخرج الإمام أحمد بن حنبل، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قال: يوم الخميس، وما يوم الخميس ثم نظرت إلى دموعه على خديه تحدر، كأنها نظام اللؤلؤ. قال رسول الله ﷺ: إئتوني باللوح والدواة أو الكتف أكتب لكم كتاباً، لا تضلّون بعده أبداً فقالوا: رسول الله يهجر^(١).

بينما قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٢) و﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ...﴾^(٣)

وذكر سبط بن الجوزي: ولما مات رسول الله ﷺ قال قبل وفاته بيسير: إئتوني بدواة وبياض، لأكتب لكم كتاباً، لا تختلفون فيه بعدي. فقال عمر: دعوا الرجل فإنه ليهجر^(٤). واعترف عمر في أيام حكمه بمعارضته للرسول في يوم الخميس، قائلاً: إن رسول الله ﷺ أراد أن يذكره للأمر في مرضه، فصددته عنه الخ^(٥).

أي أراد الرسول ﷺ أن يذكر الإمام علياً عليه السلام لأمر الخلافة. فكان اعتراف عمر واضحاً في أيام خلافته قائلاً بأن النبي أراد أن يصرح باسمه (علي عليه السلام) فنعتته !

وسألوا عمر: ماذا أراد أن يكتب ﷺ في يوم الخميس ؟

قال عمر: تعيين الخليفة علي^(٦).

فعمر فهم هدف النبي ﷺ بطلبه دواة وصحيفة، أنه يريد كتابة الوصية، وفهم من قوله: لأكتب كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام.

لأن النبي ﷺ في غدير خم وعندما بايع علياً عليه السلام ذكر ذلك النص: من كنت مولاه فهذا

(١) مسند أحمد بن حنبل ٣٥٥/١.

(٢) آل عمران: ١٣٢.

(٣) النساء: ٨٠.

(٤) تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي ٦٢، وسر العالمين وكشف ما في الدارين لابن حامد الغزالي ٢١، تاريخ ابن الوردي ١٢٩/١.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١١٤/٣.

(٦) فتح الباري على صحيح البخاري، ابن حجر ١٣٢/٨.

علي مولاه، أَلْهِمِ وَالٍ مِّنْ وَالَاهِ، وَعَادَ مِّنْ عَادَاهِ، وَانصَرَ مِّنْ نَّصْرِهِ، وَأَخْذَلَ مِّنْ خِذْلِهِ، إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا.

وقال ﷺ أيضاً: «وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ، كِتَابَ اللَّهِ وَعِترتي أَهْلَ بَيْتِي، مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا، لَنْ تَضَلُّوا أَبَدًا»^(١).

فأصبح معروفاً تلازم أهل البيت ﷺ مع عدم الضلال، وتلازم علي عليه السلام مع عدم الضلال. لذلك اعترف عمر لابن عباس قائلاً: أراد الرسول ﷺ أن يصرِّح باسمه في يوم الخميس، فمنعته^(٢).

وعمر الذي قال كلمة بهجر لرسول الله ﷺ في يوم الخميس كرَّرها ثانية عند مخاطبة طلحة لعثمان إذ كان بين عثمان وطلحة تلاحٍ في مسجد رسول الله ﷺ، فبلغ عمر فأتاهم وقد ذهب عثمان، فقال:

أفي مسجد رسول الله ﷺ، تقولان الهُجر وما لا يَصْلُحُ مِنَ الْقَوْلِ؟^(٣)

فجنا طلحة على ركبتيه وقال: إني والله لأنا المظلوم المشتوم!

فقال: أفي مسجد رسول الله ﷺ تقولان الهُجر، وما لا يَصْلُحُ مِنَ الْقَوْلِ؟ ما أنت مني بناج.

فقال: الله الله يا أمير المؤمنين، فوالله إني لأنا المظلوم المشتوم.

فقالت أم سلمة من حجرتها: والله إنَّ طلحة هو المظلوم المشتوم^(٤).

الملاحظ من هذا النص أن عمر أراد ضرب طلحة بدِرَّتِه لأنه هجر في المسجد وقال ما

لا يليق به. فهل يليق بعمر الصحابي أن يقول للنبي محمد ﷺ بهجر وهو يريد كتابة الوصية الإلهية للبشرية جمعاء؟!!

ولكن هل أوصى النبي ﷺ أم لا؟ الجواب أن الوصية واجبة على المسلمين وقد أوصى

الرسول قائلاً: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وقال علي مع القرآن

(١) مسند أحمد ٤/٢٨١، تفسير الفخر الرازي ٣/٦٣٦، الصواعق المحرقة، ابن حجر ٢٦، التنبيه والاشراف،

المعصومي ٢٢١، صحيح الترمذي ٥/٦٢١.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣/١١٤.

(٣) تاريخ المدينة المنورة، ابن شعبة ١/٣٣.

(٤) تاريخ المدينة المنورة، ابن شعبة ١/٣٣.

والقرآن مع علي لا يفرقان حتى يردا علي الحوض يوم القيامة^(١).

إمامة الصلاة في صبيحة يوم الإثنين

روى الزهري زيفاً: قال النبي ﷺ لعبد الله بن زمعة: مر الناس فليصلوا، فخرج عبد الله بن زمعة فلقى عمر بن الخطاب، فقال: صل بالناس، فصلّى عمر بالناس، فجهر بصوته فسمعه رسول الله. فقال: أليس هذا صوت عمر؟ قالوا: بلى يا رسول الله فقال: يا أباي الله ذلك والمؤمنون، ليصل بالناس أبو بكر.

فقال عمر لعبد الله بن زمعة بشئ ما صنعت، كنت أرى أن رسول الله ﷺ أمرك أن تأمرني. قال: لا والله ما أمرني أن أمر أحداً^(٢).

ومن الأكاذيب عن عائشة: لما ثقل رسول الله ﷺ قال: مروا أبا بكر فليصل بالناس. قالت: قلت: يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق، إذا قرأ القرآن لا يملك دمه فلو أمرت غير أبي بكر، قالت: والله ما بي إلا كراهية أن يتشاءم الناس بأول من يقوم مقام رسول الله ﷺ، قالت: فراجعت مرتين أو ثلاثاً.

فقال: ليصل بالناس أبو بكر، فإنكن صواحب يوسف^(٣).

ومن الزيف ما جاء عن أنس بن مالك: لما كان يوم الإثنين كشف رسول الله ﷺ ستر الحجر، فرأى أبا بكر وهو يصلي بالناس، قال: فنظرتُ إلى وجهه كأنه ورقة مصحف، وهو يتبسم.

قال: وكِدْنَا أن نفتن في صلاتنا فرحاً برؤية رسول الله ﷺ فإذا أبو بكر دار ينكص، فأشار إليه النبي ﷺ أن كما أنت، ثم أرخى الستر فقبض من يومه ذلك^(٤).

واعترفت أخيراً إذ «قالت عائشة خرج أبو بكر فوجد النبي ﷺ في نفسه خفة، فخرج يهادي بين رجلين كأنني أنظر إلى رجله تخطان من الوجد، فأراد أبو بكر أن يتأخر فأوماً

(١) الصواعق المحرقة لابن حجر ٧٥ وكشف الاستار عن زوائد البزار ٢٢١/٣ وتهذيب اللغة للزهري ١٧٩/٩.

(٢) طبقات ابن سعد ٢١٥/٢ - ٢٢٤، المغازي النبوية، الزهري ص ١٣٢.

(٣) صحيح البخاري، فتح الباري ١٤٠/٨، مغازي الزهري ص ١٣٢.

(٤) أخرجه البخاري، فتح الباري ١٤٣/٨، مغازي الزهري ص ١٣٢.

إليه النبي ﷺ أن مكانك، ثم أتى به حتى جلس إلى جنبه، فكان النبي ﷺ يصلي وأبو بكر يصلي بصلاته والناس يصلّون بصلاة أبي بكر»^(١).

وهذه الرواية تثبت بأن النبي ﷺ لم يوصّ بالصلاة لأبي بكر، لأن النبي ﷺ خرج إلى الصلاة بالرغم من مرضه الشديد منعاً للصلاة أبي بكر بالناس.

أمّا ما قالته عائشة من أن النبي ﷺ كان يصلي بالناس وأبا بكر يصلي بصلاته والناس يصلون بصلاة أبي بكر فهذا يدل على إمامة رسول الله ﷺ للصلاة. بتحريف قليل منها.

لقد جاء حديث صلاة أبي بكر بدل النبي ﷺ في صبيحة يوم الاثنين عن طريق عائشة وأنس بن مالك. واختلفت الروايات مرّة أن أبا بكر صلّى بالناس ثلاثة أيام، ومرّة أنّه صلّى بهم صلاة صبح يوم الاثنين (يوم وفاته). واختلف الروايات دليل بطلانها. فقد قالوا لا حافظة لكذب.

ويرد الحديث أيضاً بأدلة أخرى منها: أن عائشة وفي سبيل السيطرة على ملك المسلمين لابن عمها طلحة أو لابن أختها عبد الله بن الزبير افتعلت حرب الجمل التي راح ضحيتها قريب من عشرين ألف مسلم فما كانت ستفعل في سبيل ملك أبيها! فهل يصح مع هذا قبول حديثها في موضوع خلافة أبيها؟

لقد ردّت عائشة نفسها ذلك الحديث إذ قالت إن النبي ﷺ قد قال لها إنكن صواحب يوسف.

ومن الطبيعي أن يقول لها النبي ﷺ ذلك لأنها احتالت وألحّت في قضية إمامة أبيها للصلاة صبيحة يوم الاثنين.

فالنبي ﷺ لم يكن ليتكلم بهذا الكلام الجارح إن لم تكن القضية خطيرة، والإحتيال في مسألة الخلافة من الأمور العظمى عند المسلمين.

وصواحب يوسف كما جاء في القرآن الكريم كن يلحجن على يوسف في نفسه ويمتنع يوسف منهن ويفر من حيلهن، حتى رغب في السجن هرباً من طلباتهن ومن أراد التوسّع فليراجع التفاسير في هذا الموضوع. وعائشة نفسها روت حديث رسول الله ﷺ لها

ولحفصة «إنكن صواحب يوسف»^(١).

ورغم هذه الإهانة النبوية لعائشة وفشل مسعاها في الحصول على أمر نبوي أو إجازة نبوية بإمامة أبيها لصلاة صبيحة يوم الاثنين، فقد روت أمراً نبوياً بإمامة أبيها لصلاة صبيحة يوم الاثنين! أي أنها ألحّت في هذا الموضوع كثيراً في حياة الرسول ﷺ وبعد مماته. ثم نظقت عائشة بكثير من الأحاديث الصحيحة في أواخر أيام حياتها بعدما ساءت علاقتها بالحكم الأموي أثر قتلهم لأخيها عبد الرحمن، مبجلة بذلك ما قالت من أحاديث بعد وفاة رسول الله ﷺ في سبيل إيصال أبيها إلى السلطة. كقوله ﷺ: أنا سيد ولد آدم وعلى سيد العرب^(٢). وأحب الناس إلى رسول الله ﷺ فاطمة ومن الرجال بعلمها^(٣).

ولقد صدر الأمر النبوي لأبي بكر بالذهاب في حملة أسامة فكيف يكون حاضراً في المدينة في صبيحة يوم الاثنين. وحضوره دلالة غصيانه أمر النبي ﷺ. وقد عصى أبو بكر وعمر الأمر النبوي بالانحراط في حملة أسامة في زمن حياة النبي ﷺ وبعد مماته.

فيكون حال أبي بكر بين أمرين إما أن يكون موجوداً في المدينة في صبيحة يوم الاثنين، وإما أن يكون قد ذهب إلى زوجته في السنع (خارج المدينة). وفي الحالتين يكون عاصياً للأمر النبوي بالذهاب في حملة أسامة. إذ كان أسامة في الجرف، وإذا كان عاصياً للأمر النبوي فكيف يعينه النبي ﷺ إماماً للصلاة بدلاً عنه؟ وإذا كان إماماً للصلاة بأمر نبوي فلماذا لم يبق في المدينة ليصلي بالناس بقية الأوقات؟ فقد كان أبو بكر في السنع عند موت النبي ﷺ؟^(٤) وبعد مماته. والمؤكد أن أبا بكر كان موجوداً في المدينة في صبيحة يوم الاثنين ثم ذهب إلى السنع معرضاً عن الأمر النبوي بالذهاب في حملة أسامة إلى الشام.

(١) تاريخ الطبري ٤٣٩/٢، البداية والنهاية، ابن كثير ٢٥٣/٥.

(٢) حلية الأولياء ٦٣/١، المستدرک الحاكم ١٢٤/٣، كنز العمال ٤٠٠/٦.

(٣) الرياض النضرة ٢١٣/٢، كنز العمال ٨٤/٦، صحيح الترمذي ٣١٩/٢.

(٤) تاريخ الطبري ٤٤١/٢، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣٢٣/٢.

فعندما مات النبي ﷺ أجمعت الأخبار على وجود أبي بكر في السنع، علماً بأن النبي ﷺ قد مات قبل صلاة ظهر يوم الاثنين.

وإذا كانت إمامة الصلاة دلالة على الخلافة العظمى فلماذا لا تكون إمارة علي بن أبي طالب ﷺ للحج في السنة التاسعة دليلاً عليها؟

وهي تتضمن إمامة الصلاة وإمارة الحج وتبليغ سورة براءة، وإرجاع أبي بكر إلى المدينة، ووجله وبكاؤه من نزول قرآن فيه.

أما أنس بن مالك الراوي الثاني للحديث فلقد كان منحرفاً عن إمام المتقين علي بن أبي طالب ﷺ، وكان انحرافه إلى درجة أن امتنع من الشهادة مع سائر الصحابة في مسجد الكوفة بسماعه حديث رسول الله ﷺ: من كنت مولاه فهذا علي مولاه. فدعا عليه الإمام علي ﷺ فأصابه البرص^(١).

وكان أنس بن مالك مع أبي بكر وعمر في أحداث السقيفة وما بعدها لذلك عيَّنه أبو بكر والياً على البحرين^(٢) لأنه من حزبه، وطرده عمر.

ومن الطبيعي أن يكون هذا الرجل الممتنع عن ذكر قول الرسول ﷺ في الغدير غير صالح للحديث خصوصاً في قضية سياسية تخص إمامة المسلمين.

وكان أنس بن مالك ساقى الخمر لأعضاء النادي في السنة الثامنة من عمره وكانت الخمر محرمة في الإسلام، وكان على رأس الذين يهناون بتلك الكؤوس أبو بكر بن أبي قحافة^(٣).

وقد غضب رسول الله ﷺ على أبي بكر وعمر لعودتهما إلى المدينة في يوم الاثنين وعصيانهما أمره فقال لهما ولأتباعهما العاصين:

ألم أمر أن تنفذوا في جيش أسامة؟

فقالوا: بلى يا رسول الله ﷺ.

(١) المعارف، ابن قتيبة ٢٥١، الصواعق المحرقة ٧٧.

(٢) تاريخ الإسلام، الذهبي، عهد الخلفاء الراشدين ص ١٢١، تاريخ خليفة ص ١٢٣.

(٣) راجع موضوع نادي الخمر الشهير وموضوع حرمة الخمر في هذا الكتاب.

قال رسول الله ﷺ: فلم تأخرتم عن أمري^(١).

الدلائل والعبر

قال تعالى في محكم كتابه الشريف:

﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾^(٢).

هناك الكثير من الدلائل والعبر في بحثي حملة أسامة وحادثة يوم الخميس منها.

إنَّ العمر لا مدخل له في القيادة السياسية والعسكرية والدينية والاجتماعية وهذا واضح في تعيين الله تعالى لعلي عليه السلام خليفة للمسلمين في يوم الغدير وفي تعيينه ﷺ أسامة بن زيد أميراً لحملة الشام.

وفي الحادثتين عائد المعارضون ذلك واستمروا في عنادهم إلى ما بعد وفاة رسول الله ﷺ.

مركز تحقيقات كميتر علوم إسلامي

والأفضلية في الإسلام قائمة على العلم والتقوى أمّا التعيين فهو لله ورسوله أولاً ثم للشعب ثانياً. وقد عين الله تعالى علياً عليه السلام في غدير خم إماماً وخليفة للأمة، وجعل رسول الله ﷺ أسامة بن زيد قائداً عسكرياً لحملة الشام.

وبعد ما منع أبو بكر وعمر وسائر رجال الحزب القرشي رسول الله ﷺ من كتابة وصيته في يوم الخميس وأنكرا بيعته لعلي عليه السلام في غدير خم منع الحزب القرشي أبا بكر من كتابة وصيته، وأقدم على قتله! وجعله عبرة لمن اعتبر. وقد قتل الحزب القرشي عمر بن الخطاب وهو الحزب الذي كان ينادي في يوم الخميس بعد عمر: النبي يهجر، يهجر.

أمّا عائشة فقد قيض لها الأمويون مروان بن الحكم يحاربها ويؤذيها ثم قتلها معاوية بن أبي سفيان^(٣).

(١) البحار، المجلسي ٣٠ / ٤٣٤، الأرشاد، المفيد ١ / ١٨٣.

(٢) يوسف ١١١.

(٣) راجع كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة.

لقد دبَّ الخصام بين رجال الحزب القرشي فأصبحوا أعداءً متحاربين بعد أن كانوا إخواناً متحابين فقتل عمر وعثمان أبا بكر واستحوذا على ملكه، ومكر عثمان والأمويون بعمر بن الخطاب فقتلوه شرّاً قتلة.

واحتال عثمان في قتل ولي عهده (بأمر عمر) عبد الرحمن بن عوف، وأفنت عائشة بإراقة دم عثمان وإخراجه من الدين قائلة: أقتلوا نعتلاً فقد كفر^(١).

فأطاعها ابن عمها طلحة بن عبد الله فأقدم على ذبح عثمان انتقاماً لدم أبي بكر. وقد لاقى عثمان ما لا يحظر على بال حيث رفضه الناس وحاصروه وقتلوه وتركوه جثة هامدة على مزبلة المدينة ثلاثة أيام دون غسل ولا دفن.

ونهب معاوية والأمويون للانتقام لمقتل ابن عمهم عثمان فقتلوا طلحة وعائشة ومحمداً وعبد الرحمن أولاد أبي بكر.

وهكذا تمزقت تلك الطائفة وقتل بعضها بعضاً بعد أن كانوا عصابة متحدة في يوم العقبة وفي يوم الخميس وفي يوم الهجوم على نبي فاطمة بنت محمد ﷺ. وقد أخبر تعالى بقتل الناس بعضهم بعضاً قائلاً:

﴿أَوْ يُلْبِسَكُمْ شِعْماً وَيَذِقَ بَعْضُكُم بِأَسَ بَعْضٍ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرُفَ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: إنكم تزعمون أنني آخركم موتاً، وإني أولكم ذهاباً ثم تأتون بعدي أفناداً يقتل بعضكم بعضاً.

فقالوا: يا رسول الله ﷺ ومعنا عقولنا ذلك اليوم؟

فقال رسول الله ﷺ: لا تنزع عقول أهل ذلك الزمان^(٣).

أمّا عن الرواية الأموية الكاذبة بتعيين رسول الله ﷺ لأبي بكر إماماً للصلاة في يوم الاثنين فيكفي في كذبها المطالب التالية:

(١) تاريخ ابن الأثير ٢٠٦/٣، شرح النهج ٢٥٤/١، تاريخ المدينة ١١٦٧/٤.

(٢) الأنعام ٦٥.

(٣) سنن ابن ماجه ١٣٠٩/٢، كتاب الفتن، المروزي ٢٣، مسند الشاميين، الطبراني ١٢٤/٣، كنز العمال ١١٥/١١.

تعيين رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب عليه السلام خليفة للمسلمين في غدير خم، أي قبل شهر من ذلك التاريخ ومبايعة أبي بكر وعمر والمسلمين له بالخلافة في ذلك اليوم. قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في حقه: والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة^(١). وقالت فاطمة عليها السلام: ويحكم أني زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الروح الأمين^(٢).

رغبة أبي بكر في الاستقالة من السلطة قائلاً: يبيت كل رجل معانقاً حليلته مسروراً بأهله وتركتوني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقبلوني بيعتي^(٣). وأعلن أبو بكر مرة أخرى قبل مقتله عن ندمه على استلام سلطة مفضولة^(٤).



مركز تحقيقات كليات علوم الدين

(١) نهج البلاغة، الخطبة الشقشقية.

(٢) شرح النهج ١٦ / ٢٣٤، دلائل الإمامة، ابن جرير الطبري ٤٠ / ٤١، معاني الأخبار، الصدوق ٣٥٤، ٣٥٥، كشف الغمة، الاربلي ١ / ٤٩٢، ٤٩٤.

(٣) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١ / ١٤، أعلام النساء ٣ / ٣١٤.

(٤) لسان الميزان ٨ / ١٨٩ في ترجمة علوان، طبع دار المعرفة - بيروت.



مرکز تحقیقات کلامی و علوم اسلامی

باب

أعمال الحزب القرشي الخطيرة

المخالفة الرسول ﷺ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

قبل وبعد شهادته

بعد عودة النبي ﷺ من الحج ووصيته إلى علي عليه السلام في خطبة الوداع وفي خطبة الغدير أمر رجال الحزب القرشي بالإنخراط في حملة أسامة، وعندها اشتدت الخصومة بين رسول الله ﷺ وبين المتحفزين للسيطرة على الحكم الرافضين وصيته ﷺ إلى علي عليه السلام. فبرزت الخصومة واضحة بين رسول الله ﷺ من جهة وأبي بكر وعمر وعائشة وحفصة من جهة أخرى. فكانت آراء وأقوال وأعمال هؤلاء المعارضة لرسول الله ﷺ متمثلة بما يلي:

١ - رفض رجال الحزب القرشي الانضمام إلى صفوف جيش أسامة وعلي رأس هؤلاء أبو بكر وعمر، فذهب أبو بكر إلى السنع بعد أن سُمّ الرسول ﷺ، فبقي بجانب زوجته هناك، ولم يعد إلا بعد مقتل النبي ﷺ بالسم^(١). واستمر عصيان أبي بكر لحملة أسامة بعد شهادة رسول الله ﷺ فلم يذهب فيها لا قائداً ولا مأموراً رغم مطالبة أسامة له بذلك. ورفض عمر الانضمام إلى حملة أسامة في زمن النبي ﷺ وفي زمن أبي بكر رغم الأمر النبوي له بذلك. بل إنه طالب أبا بكر بإقالة أسامة من منصبه وعصيان الأمر النبوي في تعيينه.

لكنه استمر بمناداة أسامة بالأمر في زمن خلافة أبي بكر. إذ أخرج ابن كثير:

(١) إذ أخبره بذلك مبعوث عمر إليه وهو سالم بن عبيد * كنز العمال ٢٣٢/٧ ط. مؤسسة الرسالة.

كان عمر إذا لقيه (أسامة بن زيد) يقول: السلام عليك أيها الأمير^(١).

٢ - قال عمر وبقية رجال الحزب القرشي لرسول الله ﷺ في تلك الأيام إنه يهجر^(٢) وردوا نظريته ﷺ المصريح بها: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ﷺ وطرحوا نظريتهم: حسبنا كتاب الله^(٣).

٣ - طالبت أغلب نساء النبي ﷺ في يوم الخميس بإعطاء رسول الله ﷺ ورقة ودواة فقال عمر لهن: أسكتن^(٤).

٤ - أمرت عائشة أباهما على لسان النبي ﷺ بالصلاة في صبيحة يوم الاثنين فغضب الرسول ﷺ وجاء إلى الصلاة متكئاً على علي عليه السلام وقثم بن العباس فصلّى بالناس جماعة^(٥).

٥ - منع رجال الحزب القرشي الناس من دفن النبي ﷺ يومي الاثنين والثلاثاء بانتظار مجيء أبي بكر من السنع. فقال العباس بن عبد المطلب في ذلك عن جثمان النبي: إنه ﷺ يأسن^(٦).

٦ - وبرز حقد وغضب رجال الحزب القرشي على رسول الله ﷺ في امتناعهم عن حضور مراسم غسله وتكفينه، وذهابهم بدلاً عن ذلك إلى السقيفة لإجراء مراسم البيعة لأبي بكر^(٧).

٧ - وامتنع أبو عبيدة بن الجراح حفار قبور المهاجرين في المدينة عن حفر قبر رسول الله ﷺ، وذهب لإجراء مراسم السقيفة، فاضطرّ أهل البيت ﷺ لدعوة أبي طلحة حفار قبور الأنصار ليحفر قبراً للنبي محمد ﷺ! ^(٨)

(١) التحفة اللطيفة، السخاوي، البداية والنهاية، ابن كثير ٧٣/٨، طبع مؤسسة التاريخ العربي - بيروت.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٣٢٥/١، سنن مسلم آخر الوصايا، أوائل الجزء الثاني.

(٣) الملل والنحل، الشهرستاني ٢٢/١.

(٤) منتخب كنز العمال، المتقي الهندي ١١٤/٣.

(٥) البداية والنهاية، ابن كثير ٢٥٣/٥، تاريخ الطبري ٤٣٩/٢، سيرة ابن هشام ٣٠١/٤.

(٦) تاريخ الطبري ٤٤٣/٢، أنساب الأشراف ٥٦٨/١، ولم يأسن جثمان الرسول ﷺ رغم طول المدة.

(٧) مسند أحمد بن حنبل ٥٥/١، سنن البخاري ١١١/٤، تاريخ الطبري ٤٤٦/٢.

(٨) تاريخ الطبري ٤٥٢/٢، أسد الغابة، ابن الأثير ٣٣٣/٢، الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢٩٤/٢، ٢٩٨.

وقد جاء عن النبي ﷺ قوله : «بيننا أنا قائم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال لهم : هلم .

قلت : أين ؟

قال : إلى النار والله .

قلت : وما شأنهم ؟

قال : إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري .

ثم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال : هلم .

قلت : أين ؟

قال : إلى النار والله .

قلت : ما شأنهم ؟

قال : إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم^(١).

٨ - بعدما دُفِن رسول الله ﷺ في ليلة الأربعاء، هجم رجال الحزب القرشي على بيت

فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ وكان الهجوم في يوم الأربعاء بعد مراسم بيعة أبي

بكر العامة وتسببت في مقتل فاطمة بنت محمد ﷺ وابنها محسن^(٢).

وبذلك يتوضح اشتداد الصراع بين النبي ﷺ وبين الحزب القرشي إلى درجة يتوقع أن

تنتهي بحمام دم. إذ لعن خاتم الأنبياء المتخلفين عن جيش أسامة واتهم المتخلفون بالجنون

بأنه يهجر وفعلاً انتهت باغتيالهم له ﷺ^(٣).

(١) صحيح البخاري ١٥٠/٨، قال في لسان العرب ٧١٠/١١ وفي حديث الحوض: «فلا يخلص منهم إلا مثل همل النعم»

النعم» الهمل: ضوال الابل واحدها هامل، أي أن الناجي منهم قليل في قلة النعم الضالّة». صحيح مسلم ٢١٧/١ -

٢١٨ كتاب الطهارة، باب استحباب اطالة الغرة، صحيح الترمذي ٣٢١/٥، كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة

الأنبياء ص ٢٢، صحيح النسائي ١٣٣/٢، كتاب الافتتاح، باب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم ص ٢١.

(٢) العقد الفريد ٢٥٩/٤، تاريخ أبي الفداء ١٥٦/١، تاريخ الطبري ١٩٨/٣.

(٣) راجع كتاب هل اغتيل النبي محمد ﷺ للمؤلف.

غضب النبي ﷺ على رجال الحزب القرشي وأقواله فيهم

بعد اشتداد حدة الصراع بين النبي ﷺ وبين حزب قريش ردّ رسول الله ﷺ على أقوال وأعمال الحزب القرشي وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وعائشة وحفصة بشدة بما يلي:

١ - لعن العاصين لحملة أسامة بن زيد إلى الشام^(١).

٢ - ردّ رسول الله ﷺ على قولهم يهجر للنبي ورفضهم النظرية الإلهية: كتاب الله

وعترتي أهل بيتي بقوله ﷺ لهم: إنهن (نساء النبي ﷺ وفاطمة ﷺ) أفضل منكم^(٢) وذلك بعدما قال عمر له: أسكتن^(٣).

وأخرج مالك بن أنس قائلًا: «إن رسول الله ﷺ قال لشهداء أحد: هؤلاء أشهدُ عليهم».

فقال أبو بكر: ألسنا يا رسول الله إخوانهم، أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا؟ قال رسول الله ﷺ: بلى ولكن لا أدري ما تُحدثون بعدي.

فبكى أبو بكر ثم قال: إنا لكاثنون بعدك^(٤).

وهذا من دلائل النبوة إذ أخبر الرسول ﷺ أبا بكر وصحبه بأنهم كاثنون بعده .

٣ - ولما كادت عائشة وحفصة رسول الله ﷺ في امرأته الجديدة زينب بنت أبي الجون

نجحت الخطة فقالت المسكينة لخاتم الأنبياء ﷺ: أعوذ بالله منك وذلك في السنة التاسعة للهجرة.

فقال النبي ﷺ عن عائشة وحفصة: إنهن صواحب يوسف وكيدهن عظيم^(٥).

٤ - ومرة ثانية قال خاتم الأنبياء ﷺ لعائشة وحفصة وسودة المشاركات لعمر

وصحبه في قولهن للنبي يهجر: إنكن صواحب يوسف^(٦) فشبه رسول الله ﷺ عائشة

(١) شرح نهج البلاغة، المعتزلي ٥٢/٦.

(٢) كنز العمال، المتقي الهندي ١٣٨/٣.

(٣) منتخب كنز العمال، المتقي الهندي ١١٤/٣.

(٤) الموطأ، مالك بن أنس ص ٢٣٦، كتاب الجهاد، باب الشهداء في سبيل الله حديث ٩٩٥.

(٥) طبقات ابن سعد ١٤٥/٨، دار صادر بيروت، البحار ٢٠٩/٢٢، فتح الباري على صحيح البخاري ٢٩٤/٩.

(٦) شرح النهج ١١٤/٣.

بزليخا^(١) التي أجبرت يوسف ﷺ على المنكر فامتنع منها.

٥ - أخرج رسول الله ﷺ عمر وأصحابه من منزله في يوم الخميس قائلاً لهم: قوموا^(٢).

٦ - قال الرسول ﷺ لعائشة وحفصة في صبيحة يوم الاثنين يوم شهادته رداً على دعوتها أبريها لإمامة الصلاة في المسجد النبوي: إنكن لصواحب يوسف^(٣). وأقبح النساء في حياة الأنبياء صواحب يوسف ﷺ.

٧ - تمنى النبي ﷺ موت عائشة السريع قبل شهادته ﷺ اذ قالت عائشة: فتمنى رسول الله ﷺ موتي قائلاً: وددت أن ذلك يكون وأنا حي فأصلي عليك وأدفنك^(٤). أي تمنى النبي ﷺ موت عائشة السريع قبل دخولها في فتنه عمياء تتمثل في مشاركتها في قتله ﷺ، ومسيرها لمحاربة علي ﷺ في البصرة.

٨ - وقال النبي ﷺ عن مسكن عائشة: هاهنا الفتنة، هاهنا الفتنة، هاهنا الفتنة، من حيث يخرج قرن الشيطان^(٥).

٩ - وبعدما سقوه السم وصف النبي ﷺ عملهم بالعمل الشيطاني^(٦).

١٠ - وبعد مسمومية النبي ﷺ وقبل شهادته قالت عائشة: ذهب رسول الله ﷺ إلى البقيع ثم التفت إلي فقال: ويحها لو تستطيع ما فعلت!^(٧)

وهذا النص واضح في إقدام عائشة على ارتكاب فعل خطير مشابه لفعلها في معركة الجمل، وما ذلك الفعل إلا إقدامها على سم رسول الله ﷺ لصالح أبيها وعصبته. وفُسر

(١) مجمع البحرين ٢ / ٥٨٣.

(٢) مستد أحمد بن حنبل ١ / ٣٢٥، صحيح مسلم في آخر الوصايا ١ / ٢٣٢، السقيفة والخلافة، أبو بكر الجوهري، صحيح البخاري، باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد والسير ٢ / ١١٨.

(٣) تاريخ الطبري ٢ / ٤٣٩، سيرة ابن هشام ٤ / ٣٠١.

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢ / ٢٠٦.

(٥) صحيح البخاري ٤ / ٩٢، ١٧٤، ٢٠ / ٥، ٩٥ / ٨، صحيح مسلم ٨ / ١٧٢، سنن الترمذي ٢ / ٢٥٧.

(٦) البداية والنهاية، ابن كثير ٥ / ٢٤٥.

(٧) الطبقات، ابن سعد ٢ / ٢٠٣ طبعة دار صادر، بيروت.

رسول الله ﷺ ذلك بعدم سيطرتها على أهوائها. وإقدامها على جريمة عظيمة.

هل قتل رجال الحزب القرشي أحداً من المسلمين؟

وتسبب رجال الحزب القرشي في مقتل الكثير من الصحابة لاحقاً، من أمثال سعد بن عبادة وخالد بن سعيد بن العاص وأبي ذر وعبد الله بن مسعود^(١)، دون سبب موجب لذلك، مثل ردّة بعد إسلام، وزنا بعد إحصان، وقتل نفس مؤمنة.

وبعد اغتيال الحزب القرشي لرسول الله ﷺ وابنته فاطمة رضي الله عنها تقدموا لقتل بقية أفراد أهل البيت رضي الله عنهم وحذف السنة النبوية من النواحي القرآنية والسياسية والعلمية وغيرها بقولهم: حسبنا كتاب الله، فنعوا تدوين السنة النبوية وتفسير القرآن، بينما سمحوا لكعب الأحبار وقيم الداري بالوعظ الديني في مسجد الرسول ﷺ^(٢).

ثم تحرّك رجال الحزب القرشي لاغتيال بعضهم البعض في سبيل الاستحواذ على السلطة والإستمرار فيها، فقتلوا أبا بكر وصاحبه عتاب بن أسيد الأموي، وطبيب العرب ابن كلفة الذي فضح الاغتيال^(٣).

وقتل معاوية أشرف قريش دون استثناء منه لرجال بني أمية. فاغتال في هذا الطريق عبد الرحمن بن أبي بكر وعائشة وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص والحسن بن علي رضي الله عنهما، وزيايد بن أبيه^(٤).

(١) أنساب الأشراف، العقد الفريد، ابن عبد ربه ٢٤٧/٤، السقيفة والخلافة، عبد الفتاح عبد المقصود ص ١٣، تاريخ أبي زرعة ص ١١١، أسد الغابة ٣٥٩/١، تاريخ دمشق، ترجمة أبي ذر، تاريخ أبي الفداء ٣٣٢/١.

(٢) مجمع الزوائد عن الإمام أحمد ص ١٩٠، تاريخ أبي زرعة ص ٣٣٥ ح ١٩١٥، الطبقات، ابن سعد ١٤٠/٥، تاريخ ابن كثير ١٠٧/٨، تاريخ المدينة المنورة، عمر بن شبة ١٢/١.

(٣) اغتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة، المؤلف.

(٤) نظريات الخلفيتين، المؤلف ١٢٩/٢ - ١٥١، العقد الفريد، ابن عبد ربه ٢٤٧/٤، ٢٥٠، طبقات ابن سعد ١٩٨/٣.

مروج الذهب، المسعودي ٣٠١/٢، ٤١٠، السقيفة والخلافة، عبد الفتاح عبد المقصود ص ١٣، سنن البيهقي

١٢٨/٩، مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٢٦/٨، ٢٤/٢٤، الكامل في التاريخ ٢٠٤/٣، ٣٥٣، البداية والنهاية،

سيرة السيدتين عائشة وحفصة

من المستحسن ذكر بعض أعمال عائشة وحفصة للتعرف على شخصيتهما:

- ١ - لقد ذكر البخاري اعتزال رسول الله ﷺ لنسائه^(١) أي طلاق النبي ﷺ لعائشة وحفصة وسودة. وأيد مسلم في كتابه نزول هذه الآية في تلك الحادثة:

﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ، مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ﴾^(٢)

وكان النبي ﷺ قد طلق عائشة وحفصة وسودة ثم راجعهن^(٣).

مما يبين سوء أخلاقهن معه ﷺ وعدم حبهن له وإغضابهن له.

- ٢ - وكانت حفصة وعائشة قد تظاهرتا على رسول الله ﷺ^(٤)، فنزلت الآية المباركة فيها كما قال الرسول ﷺ:

﴿إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ... ضرب الله مثلاً للذين كفروا إمراً نوحاً وامرات لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما...﴾^(٥)

وسأل ابن عباس عمر بن الخطاب عن المقصود بالآية فقال عمر: عائشة وحفصة.^(٦)

٣ - وكانت عائشة وحفصة تؤذيان رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان^(٧).

فقال عمر بن الخطاب لحفصة: «لقد علمت إن رسول الله ﷺ لا يحبك»^(٨).

→ ابن كثير ٩٢/٨، ٩٥، تاريخ الطبري، أحداث معركة بدر، تاريخ يعقوبي ١٣٩/٢، الإستيعاب ٣٩٢/٢، الإصابة

٣٠٦/٣، مقاتل الطالبين ص ٤٧، ٤٨، مستدرک الحاکم ٤٧٦/٣، أنساب الأشراف، البلاذري ٥٨/٣ - ٦٠.

(١) صحيح البخاري ٧٠/٦، طبعة دار الفكر - بيروت.

(٢) التحريم: ٥، صحيح مسلم ١٨٨/٤، ط. دار الفكر - بيروت.

(٣) المستدرک، الحاکم ١٦/٤ ح ٦٧٥٣، ٦٧٥٤، ٢٣٥١، ٢٣٥٢ طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

(٤) صحيح البخاري ٦٩/٦، طبعة دار الفكر - بيروت.

(٥) التحريم: ٤/٦٦، ٥، ١٠ تفسير الثعلبي، الآية، تفسير ابن كثير ٦٣٤/٤، صحيح البخاري ١٣٦/٣.

(٦) صحيح البخاري ٣٦/٣. وجاء في تفسير الثعلبي وتفسير الكشاف أن صالح المؤمنين هو علي بن أبي طالب عليه السلام، الطرائف ص ٢٤.

(٧) صحيح البخاري ٦٩/٦، طبقات ابن سعد، المتوفى سنة ٥٢٣٠، ٥٦/٨.

(٨) صحيح مسلم ١٨٨/٤.

واعتراف البخاري ومسلم بذلك، يعني أن خبر أذاهما لرسول الله ﷺ وغضبه عليهما قد انتشر بين الناس وتواتر الخبر.

٤ - وهما اللتان صوّرتا رسول الله ﷺ بالشیطان نعوذ بالله من ذلك، يوم قالتا للمليكة (زوجته الجديدة): قولي لرسول الله ﷺ: أعوذ بالله منك، فإنه يحب ذلك.

فقالت المسكينة تلك العبارة لرسول الله ﷺ فطَلَّقَهَا^(١). ثم ماتت المسكينة كمدأ^٢ وكانت المتعوذة بالله سبحانه من الرسول ﷺ بتعليم عائشة وحفصة أكثر من واحدة^(٣) إذ قالت اسماء بنت النعمان للنبي ﷺ: أعوذ بالله منك. فقال: أَمِنْ عَائِذَةِ اللَّهِ؛ الْحَقِّي بِأَهْلِكَ^(٤).

٥ - وشككت عائشة في نسب إبراهيم ابن الرسول ﷺ^(٥).

٦ - وخالفت عائشة وحفصة رسول الله ﷺ في مرضه وأرادت كل واحدة منهما أن تدعو أباها لإمامة صلاة الجماعة فقال لهما رسول الله ﷺ: إِنَّكَ صَوَاحِبُ يَوْسُفَ^(٦). وقال رسول الله ﷺ أيضاً هذه الجملة لعائشة وحفصة سابقاً يوم خدعن إحدى زوجاته بالتعوذ منه!^(٧)

٧ - وخالفت عائشة قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾^(٨).

وأمر رسول الله ﷺ في الامتناع عن محاربة علي بن أبي طالب عليه السلام فحاربته في معركة الجمل، وأرادت حفصة الاشتراك في ذلك فمنعها أخوها عبد الله^(٩).

(١) طبقات ابن سعد ٨/١٤٥، المحبر ص ٩٤ - ٩٥، المستدرک، الحاكم ٤/٣٧، الإستیعاب ٢/٧٠٣، الإصابه ٣/٥٣٠ في ترجمة نعمان بن أبي الجون، تاريخ یعقوبی باب ازواج النبی ﷺ.

(٢) راجع موضوع زوجات النبی ﷺ في هذا الكتاب.

(٣) الطبقات، ابن سعد ٨/١٤٥، المحبر ص ٩٤ - ٩٥.

(٤) المستدرک، الحاكم ٤/٤٢، طبعه دار الكتب العلمية - بيروت. وراجع موضوع زوجات النبی ﷺ في هذا الكتاب.

(٥) تاريخ الطبري ٢/٤٣٩، سيرة ابن هشام ٤/٣٠١.

(٦) راجع موضوع زوجات النبی ﷺ في هذا الكتاب طبقات ابن سعد ٨/١٤٥، البحار ٢٢/٢٠٩.

(٧) الأحزاب: ٣٣.

(٨) شرح نهج البلاغة، المعتزلي ٢/٨٠، تاريخ الطبري ٣/٤٧٧، معجم البلدان ٢/٣٦٢، ٢/٧٨ - ٧٩، الروض المطار ص ٢٠٦، تطهير الجنان، ابن حجر، بهامش الصواعق المحرقة ص ١٠٨.

وكانت زبيدة زوجة هارون الرشيد أفضل من عائشة فقد جاء:
«لما قُتِل محمد الأمين دخل إلى السيدة زبيدة أمّه أحد خدمها، وقال لها: ما يجلسك وقد
قُتِل أمير المؤمنين؟

فقلت: ويلك ماذا أصنع؟

قال: تخرجين فتطلبين بثأره، كما خرجت عائشة تطلب بدم عثمان.
فقلت: إخشاً لا أمّ لك، ما للنساء وطلب الثأر ومنازلة الرجال؟ ثم أمرت بثيابها
فسوّدت، ولبست مسحاً من شعر»^(١).

٨ - ووصف النبي ﷺ عائشة بالشیطان وجندي الشيطان: إذ قال رسول الله ﷺ
لعائشة يوماً: أفأخذك شيطانك^(٢).

وروى البخاري: «قام النبي ﷺ خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال:
ها هنا الفتنة، ها هنا الفتنة، ها هنا الفتنة، من حيث يطلع قرن الشيطان»^(٣).
وقال الرسول ﷺ: لَمَنْ سَقَاهُ الدَّوَاءَ (السم) فِي بَيْتِ عَائِشَةَ: إِنَّهَا مِنَ الشَّيْطَانِ^(٤).
٩ - واستمرت عائشة في مخالفتها رسول الله ﷺ فبينما قال الرسول: الولد للفراش
وللعاهر الحجر كتبت عائشة لزياد بن أبيه: «زياد بن أبي سفيان!»^(٥)

١٠ - وفرحت عائشة وحفصة بمقتل أمير المؤمنين علي^(٦) رضي الله عنه وصي رسول الله ﷺ.

١١ - وبينما قال الرسول ﷺ: الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة^(٧). منعت عائشة

(١) مروج الذهب ٣٢٧/٢.

(٢) مسند أحمد ٢٢١/٦.

(٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٢٤٣/٦ حديث ٣١٠٤، ط. دار الريان، صحيح البخاري ٩٢/٤، ١٧٤.

(٤) ٢٠/٥، ٩٥/٨، صحيح مسلم ١٧٢/٨، سنن الترمذي ٢٥٧/٢.

(٥) البداية والنهاية، ابن كثير ٢٤٥/٥.

(٦) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٧٨/٩.

(٧) مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني ص ٤٣.

(٧) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ١٠/٢، سنن الترمذي ٣٠٦/٢، مسند أحمد ٣/٣، ٦٢، ٨٢، الحلية، أبو نعيم ٧١/٥.

تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي ٢٣١/٩، ٢٣٢.

مع مروان بن الحكم من دفن الحسن عليه السلام مع جده عليه السلام ^(١).

فتكون عائشة وحفصة قد اغضبتا رسول الله ﷺ وخالفتا فطلقها ، وكذبنا عليه في الحديث.

١٢ - ومن يفعل هذه الأفعال يكون من السهل عليه ارتكاب جريمة أخرى، وهذا ما يؤيد إقدامها على قتل رسول البشرية ﷺ لتهينة الأرضية لحكومة أبيها. وأصدرت فتوى بقتل عثمان بن عفان . وتسببت في مقتل عشرين ألف مسلم في معركة الجمل، وقتلت ٦٠٠ رجل في البصرة ^(٢) وسعت لقتل الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام في معركة الجمل.

١٣ - ويدعم ذلك الروايات الصحيحة في اشتراكها في قتل رسول الله ﷺ ^(٣). ومثلما أُغتيل رجال الاغتيال كمحمد بن مسلمة ^(٤)، فقد أُغتيلت عائشة بيد معاوية بن أبي سفيان ^(٥).

وأفعال حفصة أيضاً تؤيد الروايات الصحيحة في اشتراكها في قتل رسول الله ﷺ ^(٦). فهي امرأة خشنة الطباع مع رسول الله ﷺ ومع سائر الناس. وبينما تمتعت عائشة وحفصة في ظل خلافة أبيهما بأفضل معيشة دنيوية، في ظل خيرات البلدان المفتوحة، ابتلت فاطمة بنت محمد عليها السلام بالحزن والحرمان والاغتيال فني عمرها تعرضت للجوع والحرمان في حصار قريش لشعب أبي طالب وتعرضت للظلم في ظل حكم أبي جهل وأبي سفيان ثم تعرضت للقتل في زمن حكم أبي بكر وعمر فقالت:

صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبُ لَوْ أَنَّهَا صُبَّتْ عَلَى الْأَيَّامِ صَرْنُ لِبَالِيَا ^(٧)

(١) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٤٥/٧، تاريخ أبي الفداء ٢٥٥/٢، تاريخ اليعقوبي ٢٢٥/٢.

(٢) المنتظم، ابن الجوزي ٨٥ / ٥.

(٣) تفسير العياشي ٢٠٠/١، البحار، المجلسي ٥١٦/٢٢، ٢١/٢٨.

(٤) الإصابة، ابن حجر ٣٨٤/٣.

(٥) الصراط المستقيم ٣ باب ٤٦/١٢، اغتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة.

(٦) المصدر السابق.

(٧) ذكره النابلسي في ثلاثيات مسند أحمد ٤٨٩/٢، والديار بكري في تاريخ الخميس ١٧٣/٢، والعلامة ابن سيد

الناس في عيون الأثر ٣٤٠/٢، والسهودي في وفاء الوفا ٤٤٣/٢، والنهاني في الأنوار المحمدية ص ٥٩٣.

وكان رسول الله ﷺ قد هياها لاستقبال المعضلات والمظالم وذلك من علائم النبوة له ﷺ إذ قال لها: يا فاطمة اصبري على مرارة الدنيا لنعيم الآخرة غداً، فنزلت الآية الكريمة: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾^(١)

وتختلف عائشة عن خديجة اختلافاً منهجياً إذ كانت شديدة الأخلاق حادة الطبع عنيفة المجابهة، وتحاول الاستفادة من شدتها في حل القضايا المعضلة عندها.

قالت أم سلمة: إستيقظ رسول الله ﷺ ذات ليلة وهو يقول: لا إله إلا الله ما فُتح الليلة من الخزائن؟ لا إله إلا الله ما أنزل الليلة من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجر، يريد به أزواجه... يا رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة^(٢). في إشارة منه لنسائه المخالفات له! حديث رسول الله ﷺ هنا عام في الفتنة، وإن منبعا مسكن عائشة، فهل يقصد في ذلك اشتراكها في قتله ﷺ، كما جاء في الرواية أم يقصد اشتراكها في دعم مشروع السقيفة واغتصاب الخلافة، أم تحركها الواسع لرفض النفل الثاني بعد القرآن أي أهل البيت ﷺ، أم افتعالها معركة الجمل للمطالبة بدم عثمان وهي التي قتله، أم هو ﷺ يقصد بحديثه المذكور مجموع تلك الفتن وغيرها التي صنعتها أم المؤمنين عائشة، أو اشتركت في حياكتها.

وكانت لحفصة وعائشة منزلة مشهودة في الشدة والقسوة في التعامل مع رسول الله ﷺ، فنزلت في حقها آيات قرآنية تشهد على ذلك، كما ذكرنا في هذا الموضوع إلا أن منزلة عائشة أم المؤمنين كانت أشد بحيث أشار رسول الله ﷺ إلى منزلها بأنه دار الفتنة ثلاث مرّات.

ولم تؤثر طول مدة الرفقة مع رسول الله ﷺ في عائشة والبالغة عقداً من الزمان، فقد بقيت شديدة قاسية لا ترحم من تبغض ولا تتوانى في الدفاع عن محبوب. ومنطقها منطق أهل الجاهلية كما قال الشاعر:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهاناً
فالجاهلي كان يحب ويبغض طبقاً لعصيته، ويأثر لها بكل السبل المتاحة، ولا يتوانى عن

(١) الضحى ٥. كنز العمال ١٢/٤٢٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب اللباس ٣٣/٤، صحيح الترمذي (الجامع ٤/٤٨٨)، ومسنّد أحمد (الفتح ٣٢/٣٤).

حمل السلاح وطي المسافات الطويلة في سبيل غاياته وغايات قبيلته.
طبعاً كان ذلك من أعمال وصفات الرجال دون النساء إلا ما شذّ وندر، ولقد فعلت أم
المؤمنين عائشة ما عجزت عنه النساء في الجاهلية والإسلام.

قال تعالى في كتابه الشريف:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى...﴾^(١)

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافر
وسجدت شكراً لله تعالى^(٢).

وسمّت خادمها باسم عبد الرحمن؛ حباً وكرامة لعبد الرحمن بن ملجم الخارجي، الذي
قتل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. روي عن مسروق أنه قال: دخلت على عائشة فجلست
إليها فحدثتني واستدعت غلاماً لها أسود يقال له عبد الرحمن، فجاء حتى وقف، فقالت: يا
مسروق أتدري لم سمّيته عبد الرحمن؟
فقلت: لا.

قالت: حباً مني لعبد الرحمن بن ملجم^(٣).

هذا في الوقت الذي روت فيه عائشة في أواخر أيام حياتها في الدنيا أنّ رسول الله ﷺ
قال: أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب^(٤).

أي أنها كانت تعرف ذلك وتكتمه عن الناس لمعارضتها الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام.
وقد امتنع الإمام علي عليه السلام عن إثارة حفيظتها وإغضابها في أيام خلافته، إذ لبى طلبها في
عدم قتل المشاركين لها في حرب الجمل، والمختفين في بيتها في البصرة، ثم أكرمها وأعزّها
وأرجعها إلى بيتها في المدينة المنورة، بصحبة أخيها محمد بن أبي بكر، احتراماً منه لرسول

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني ص ٤٣.

(٣) كتاب الشافي ١٥٨/٤، الجمل، المفيد ص ٨٤.

(٤) مستدرك الصحيحين، الحاكم ١٢٤/٣، كنز العمال ٤٠٠/٦، الرياض النضرة ١٧٧/٢، ١٩٣، ذخائر العقبين ص ٧٧.

حلية الأولياء ٦٣/١، تاريخ بغداد ٨٩/١١، مجمع الزوائد ١٣١/٩.

الله ﷻ.

وقد روت عائشة أن النبي ﷺ طلب من نسائه أثناء مرضه العلاج في بيتها، إلا أنها كذبت ذلك لاحقاً بقولها: ثم رجع ﷺ إلى بيت ميمونة، فاشتد وجعه^(١). وكانت عائشة قد تمارضت عندما شكى رسول الله ﷺ مرضه، فقالت: وارأساه. فقال رسول الله ﷺ: بل أنا وارأساه.

قالت عائشة: فتمنى رسول الله ﷺ موتي قاتلاً؛ وددت أن ذلك يكون وأنا حي فاصلي عليك وأدفنك^(٢).

ورفعت عائشة صوتها على صوت رسول الله ﷺ فضربها أبوها^(٣).

وكسرت إناء أم سلمة الذي قدمت فيه طعاماً لرسول الله ﷺ^(٤).

ثم منعت عائشة مع مروان من دفن سبط النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما مع جده رسول الله ﷺ، بعد أن سمته جعدة بنت الأشعث^(٥).

وعن الفتنة قال رسول الله ﷺ: سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلك أمتي بسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرور فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها - وفي رواية - وسألته أن لا يلبسهم شيعاً فأبى علي^(٦).

وروى أسامة بن زيد: أشرف النبي ﷺ على أطم^(٧) من أطام المدينة ثم قال: هل ترون ما أرى؟ إنني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر^(٨).

(١) الطبقات، ابن سعد ٢/٢٠٦.

(٢) الطبقات، ابن سعد ٢/٢٠٦.

(٣) تفسير القرطبي ١٨/١٦١، كنز العمال ٧/١١٦.

(٤) صحيح النسائي باب الغيرة ٢/١٥٩.

(٥) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٧/٤٥.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الفتن ١٤/١٨، ومسند أحمد (الفتح ٢٣/٢١٥) وكنز العمال ١١/١٢١، ١١/١٢٢.

(٧) الاطم: القصر أو الحصن.

(٨) صحيح البخاري، كتاب الحج ١/٣٢٢، صحيح مسلم ٧/١٨.

مقتل جنّي في مسجد النبي ﷺ

كانت أم المؤمنين عائشة تتوسل بالقوة لحل العضلات وتضرب بيد من حديد كل من يخالف منهجها وأهدافها كائناً من كان. والبعض يتوسل بالصفح والعفو لحل المشكلات.

لذلك تصادمت مع رسول الله ﷺ ومع علي عليه السلام ومع فاطمة عليها السلام ومع غيرهم فرحموها استناداً إلى منهجهم في إدارة الأحداث، وقياساً على تعاملها هذا لم تكن تتصور أن علياً عليه السلام سيتعامل معها بلطف عال بعد معركة الجمل، لسجلها الخطير في معارضة أهل البيت عليه السلام ومحاولاتها في تحطيم أطروحاتهم.

أمّا عن علاقة السيدة عائشة مع سائر الناس ففي رواية «كان جانّ يطلع على عائشة، فحرّجت عليه مرّة بعد مرّة فأبى إلا أن يظهر، فعدت عليه بحديدة فقتلته.

فأتيت في منامها، ففيل لها: أقتلت فلاناً وقد شهد بدرًا، وكان لا يطلع عليك لا حاسراً ولا متجردة، إلا أنه كان يسمع حديث رسول الله ﷺ، فأخذ منها ما تقدّم وما تأخر، فذكرت ذلك لأبيها. فقال: تصدّقي بأثني عشر ألف دينته»^(١).

بعد قراءة هذه الرواية نفهم أن عائشة قد قتلت شخصاً مسلماً، قد اشترك في معركة بدر إلى جنب رسول الله ﷺ.

ولكن يد السياسة قد حرّفت الخبر... نسخته جناناً بعد أن كان إنسياً؛ إذ لا يعقل قتل عائشة لفرد من الجن بيديها الضعيفتين! وهل يمكن قتل الجن؟

وكان الحزب القرشي قد تعوّد منذ الجاهلية إلقاء مسؤولية الأحداث على الجن، للهروب من تبعات الأمور ومخاطرهما.

فقد قتل كفار قريش طالب بن أبي طالب في معركة بدر لمخالفته المشاركة في قتال رسول واتهموا الجن بقتله^(٢).

ولما قتل محمد بن مسلمة (مأمور عمر الخاص) سعد بن عبادة في الشام سارعت السلطة لاتهم الجن بذلك. وأقدمت عائشة على تسطير شعر تأييداً لذلك^(٣).

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي ١٩٦/٢، ١٩٨/٢، تذكرة الحفاظ، الذهبي ٢٩/١.

(٢) السيرة الحلبية ١٥٤٢. تاريخ الطبري ١٤٤/٢.

(٣) تاريخ الإسلام، الذهبي ١٤٩/٣، أنساب الأشراف، البلاذري، العقد الفريد، ابن عبد ربه ٢٤٧/٤.

قد قتلنا سيد الخزرج سعد بن عباد
ورمينا به بسهمين فلم تُخطِ فؤاده^(١)

والسؤال المفروض هو: من هو الصحابي المشارك في معركة بدر الذي قتله عائشة بيديها؟

لقد كان منزل عائشة بجانب المسجد النبوي والحادثة وقعت في ذلك المكان، والمسلمون يزورون المسجد النبوي للصلاة فيه ليلاً ونهاراً، لكننا لا نعلم هوية الصحابي المقتول! وقد يكون الحباب بن المنذر المعارض لأبيها الذي مات في ظروف مشكوك في ذلك التاريخ. لقد عارض زعيماً الأنصار سعد بن عباد والحباب بن المنذر بيعة أبي بكر في السقيفة وكانا من أصحاب العقبة وحملتا رايات الأنصار في حروب المسلمين.

وقد أذرهما عمر بن الخطاب بالقتل في السقيفة بعدما وطأ الحزب القرشي جسم سعد ابن عباد وكسر أنف الحباب وملاً فمه بالتراب^(٢).
وفعلوا وفي عمر بن الخطاب بقوله فجأها من سجل المسلمين بمساعدة أعوانه!
والسؤال المفروض هو من قتل ذلك الصحابي وكيف؟

هل قتله عائشة في المسجد النبوي أثناء سجوده؟ أم كان القاتل عمر، وهل حصل ذلك الصحابي على أسرار خطيرة أوجبت على عائشة قتله أم قُتل بمعارضته لبيعة السقيفة؟ أو قُتل للسببين المذكورين.

وكانت عائشة تجيز للرجال الدخول عليها بعد إرسالهم للرضاعة من أختها أم كلثوم بنت أبي بكر بهذه الفتوى الغريبة^(٣).

وفي تلك الفترة حرّفت السلطة حديث الإفك النازل في تبرئة ساحة مارية القبطية إلى عائشة.

ورغم تصدّيقها عن دية الصحابي المقتول لكنها لم تتصدق عن تسبب في قتلهم في

(١) تاريخ الإسلام، الذهبي ٣ / ١٤٩ طبقات ابن سعد ٣ / ٤٥٨.

(٢) الامامة والياسة ١ / ٨.

(٣) المجموع النوى ١٨ / ٢١٢، المعنى لابن قدامة ٩ / ٢٠١.

معركة الجمل، وغيرها وكان المغيرة بن شعبة قد قال لها: أنتِ قتلتِ عثمان^(١).

النبى ﷺ يتمنى موت امرأة

جاء في رواية عن عائشة قولاها: «دخل عليَّ رسول الله ﷺ وهو يصدع، وأنا أشتكي رأسي فقلت واراأساه، فقال: بل أنا والله يا عائشة واراأساه.

ثم قال: وما عليكِ لو متُّ قبلي فوليت أمركِ، وصليت عليكِ وواريتكِ؟

فقلت: والله إني لأحسب لو كان ذلك لقد خلوت ببعض نسائك في بيتي من آخر النهار،

فضحك رسول الله ﷺ، ثم تهادى به وجعه فاستعزَّ به^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «ذاك (موتكِ) لو كان وأنا حي فاستغفر لكِ وأدعوكِ.

فقلت: وا ثكلياه! والله إني لأظنك تحب موتي، ولو كان ذلك لظلمت آخر يومك معرساً

ببعض أزواجك»^(٣).

لقد أدركت وعرفت عائشة من قول الرسول ﷺ المذكور كرهه لها وحببه لموتها

العاجل فدهشت وصرخت. ولقد تمنى النبي ﷺ موتها لمعرفة بالفتن التي ستخوضها من

بعده والفتن التي تصنعها. ولم تصنع عائشة لقوله ولم تتمن ما تمناه لها، بل رفضت عرضه

ودعائه وأمنيته. وشككت في نواياه ﷺ فجعلتها نوايا دنيوية هدفها الرغبة في الزواج

بنساء آخر وفي غرفتها!

وكان الأجدر بها أن توافق على رغبته ﷺ لتنال شفاعته في الآخرة ودعائه بالمغفرة

في الدنيا.

من غير نسبه وصفته ؟

لقد غير الرواة الأمويون والقصاصون كل ما استطاعوا تغييره ومن ذلك لون الصحابة

(١) العقد الفريد، ابن عبيد ربه الأندلسي ٢٧٧/٤.

(٢) السيرة النبوية، ابن كثير الدمشقي ٤٤٦/٤، البداية والنهاية، ابن كثير ٢٤٤/٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأحكام رقم ٥ ج ٩/١٩٠.

وأصلهم وعبوديتهم. فقد كان عمر بن الخطاب عبداً حبشياً أسود اللون من عبيد الوليد بن المغيرة المخزومي فجعلوه حراً ومن ولد إسماعيل عليه السلام وأبيض اللون!! وهذا الزيف المتعمد يفقد القارئ الثقة بأولئك الكتاب والرواة.

وكانت صهاك جدة عمر زنجية وكان نفيل جدّه زنجياً من الحبشة، وكانا من عبيد عبد المطلب بن هاشم، وكانت حنتمة أم عمر ممن عثر عليها هشام بن المغيرة المخزومي وربّاها^(١) فأصبح عمر عبداً للوليد بن المغيرة المخزومي.

فقد جاء أن عمر بن الخطاب كان عسيفاً (عبداً) للوليد بن المغيرة المخزومي^(٢). وقال ابن حجر العسقلاني عن عمر بن الخطاب: كان أعسر يسراً طويلاً آدم شديد الأدمة^(٣) (أي أسود اللون). وقال سفيان الثوري: كان عمر رجلاً آدم^(٤).

وأقرّ الواقدي بزنجيته قائلاً: إن سمرته إنما جاءت من أكل الزيت عام الرمادة^(٥). فأراد الواقدي أن يبعد أصله الحبشي الزنجي عن أذهان الناس، لكنّه لم يعذر بلالاً الحبشي بأنّه أصبح أسود اللون من أكله الزيت في عام الرمادة! لكن أتباع الخط القرشي الكارهين للون الأسود قالوا: كان عمر أبيض^(٦).

وكان القرشيون يكرهون اللون الأسود لدلالته على العبودية والنسب الأفريقي فكانت هند بنت عتبة مغيلة تحب السود من الرجال وكلما ولدت أسود قتلتها^(٧). وكان أبو بكر وأبوه أبو قحافة من عبيد الحبشة واسم أبي بكر عتيق.

وكان أسود اللون فقد ذكروه في جملة السودان فقال ابن الجوزي في كتاب عيون الأثر:

(١) راجع شرح نهج البلاغة، المعتزلي ١٠٢/٣، تهذيب اللغة ١٢٢/٨، تاج العروس، الزبيدي ١٨٨/١٣، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٣٣٨/٣، مثالب العرب، الكلبي ص ١٠٣.

(٢) أقرب الموارد، مادة عسف.

(٣) تهذيب التهذيب، ابن حجر ٣٨٦/٧.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

(٧) الطرائف، ابن طاووس ٥٠١، تذكرة الخواص، سبط بن الجوزي ٢٠٣، الغدير ١٠ / ١٧٠.

«إن السودان: أسامة بن زيد وأبو بكر وسالم مولى أبي حذيفة وبلال بن رباح»^(١).
وسمّي عتيق لأنه أعتق من العبودية، فجاء: «قال جبير بن مطعم بن عدي لعبده وحشي:
«إن أنت قتلت حمزة عمّ محمد بعني طعيمة بن عدي فأنت عتيق»^(٢)، فعتيق هو كل من
يُعتق.

وكان أولاد أبي قحافة هم: عتيق وعُتيق ومُعتق، وهذه أسماء المُعتقين من العبودية.
واعترف الشاعر عمير بن الأهلب الضبي المشارك في جيش عائشة في معركة الجمل
بعبودية أبي بكر قائلاً:

أطعنا بني تيم بن مرة شقوة وهل تيم إلا أعبد وإماء^(٣)
لذلك قال أبو سفيان عن حكم أبي بكر: ما بال هذا الأمر في أقل قریش مكانة وأذها
ذلة^(٤)، أي أذلاء بالعبودية.

وقال قيس بن سعد بن عبادة لأبي بكر: ليس عندك حسب كريم^(٥).
وقال عمر لابن بكر: والهفاه على ضئيل بني تيم^(٦)، والضئيل هو العبد.
وكان أبو قحافة من عبيد عبد الله بن جدعان التيمي وعمله النداء على طعامه فجاء في
حق ابن جدعان من الشعر:

له داع بمكة مشمل وآخر فوق دارته ينادي
فالمشمل هو سفيان بن عبد الأسد والآخر هو أبو قحافة والاثنان من عبيد عبد الله بن
جدعان. قال هشام بن الكلبي: كانت أم سفيان بن عبد الأسد أمة لابن جدعان^(٧). فسأم
سفيان وأم عتيق من عبيد عبد الله بن جدعان.

(١) عيون الأثر، ابن سيد الناس ص ٤٤٩، وقد حذف الناشرون ذلك في الطبقات الجديدة.

(٢) السيرة الحلبية، الحلي ٢/٢١٧.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٥٣١.

(٤) أخرجه الحاكم وصححه الذهبي، تاريخ الخلفاء، السيوطي ص ٦٦.

(٥) البحار ٢٩/١٦٧.

(٦) شرح النهج، المعتزلي ٢/٣١ - ٣٤.

(٧) منال العرب، هشام بن الكلبي ص ١٣٩، طبعة دار الهدى للتراث - بيروت، معجم البلدان، الحموي ٢/٤٢٤،

١٨٥/٥، السيرة النبوية، ابن كثير ١/١١٧.

وكان ابن جدعان أكبر تاجر للعبيد والإماء في مكة وصاحب أكبر دار لتوليد وبيع الأطفال، فقد كان يملك العشرات من الإماء اللواتي يعرضهن على الرجال فيحملن منهم ثم يبيع الأطفال من آبائهم أو من الغرباء^(١).

وكان الزنا في الجاهلية عملاً عادياً وخاصة للإماء فيقع عشرات من الرجال على الأمة الواحدة مقابل دفعهم المال لمالكها، ثم يبيع المالك وليدها لمن شاء من الرجال أو يعطيه لأحد عبيده العاملين في خدمته فينسب إليه.

وبعد ذكرنا لتلك النصوص نفهم أن أبا بكر كان من العبيد السود، والعبيد السود في الأصل جاءوا إلى مكة من الحبشة، ولأنه أعتق في بني تميم فقد أصبح أبا بكر التيمي. وغير رجال البلاط وأتباع الهوى لونه فأصبح أبو بكر أبيض وعربي وهو أسود وحشي. متناسين نظرة الإسلام إلى اللون والقومية في عدم الفرق عنده! بقوله تعالى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٢) ولم يقل أبيضكم وقرشيكم.

وكان لقمان الحكيم من السودان^(٣) وكانت عائشة أيضاً سوداء اللون مثل أبيها، لكن الرواة المنصفون! جعلوها بيضاء اللون بل شقراء!

جاء في مصنفات الشيخ المفيد^(٤): وفي تاريخ يحيى بن معين: «سمعت يحيى يقول: قال عباد: قلنا لسهيل بن ذكوان: هل رأيت عائشة أم المؤمنين؟ قال: نعم. قلنا: صفها. قال: كانت سوداء»^(٥).

(١) المصدر السابق.

(٢) الحجرات: ١٣.

(٣) اعلام النبلاء، الذهبي ٣٥٥/١.

(٤) مصنفات الشيخ المفيد ٣٦٩/١ في الحاشية.

(٥) مصنفات الشيخ المفيد ٣٦٩/١، تاريخ يحيى بن معين ٥٠٩/٣.

وقال البخاري صاحب كتاب صحيح البخاري: «كانت عائشة أدماء»^(١).
 وجاء في كتابي ابن حبان والذهبي: حدثنا عائشة وكانت سوداء^(٢).
 وقال ابن حجر العسقلاني: «إنها كانت أدماء (أي سوداء)^(٣).
 وقال ابن حجر العسقلاني أيضا: «بوجهها أثر جذري»^(٤).
 فتكون عائشة سوداء في وجهها أثر جذري.
 وكان عثمان بن عفان أسود اللون وبوجهه أثر جذري وكذلك كان يزيد بن معاوية^(٥).
 وسميت بالحمراء في حديث الحوَّاب لأنها كانت سوداء مشربة بالحمرة، مثلما جاء في
 وصف الشريان:
 هو شجر عضاه الجبال تُعمل منه القسي، وقوسه جيدة سوداء مشربة بالحمرة^(٦). وسمي
 الهنود الحمر في قارة أمريكا الشمالية بالهنود الحمر.
 وذكر أن النبي ﷺ قال: يا حميرا^(٧).
 ويتأسف المسلم للتغيرات الحاصلة في كتب السيرة والحديث بحيث تصبح السوداء
 شقراء ويصبح الكذاب موثقاً وبالعكس.
 ولأن بلال الحبشي الأسود من المعارضين للنظام فقد أبقوه على صفته أسود وحبشي،
 عقوبة له! بينما أصبح الرؤساء من البيض والعرب!
 ولأن أبا بكر الحاكم الأول للمسلمين فقد حوَّله الأمويون إلى أبيض وعربي، وأول من
 أسلم، وأقرب رجل للنبي ﷺ، وجعلوا عائشة أقرب امرأة للنبي ﷺ!، ولأن عمر
 أصبح الحاكم الثاني، فقد منحوه مرتبة المقرَّب الثاني عند النبي ﷺ وهكذا!!

(١) التاريخ الكبير، البخاري ١٠٤/٤.

(٢) المجروحون، محمد بن حبان التميمي ٣٥٣/١، ميزان الاعتدال، شمس الدين الذهبي ٢٤٢/٢، ٢٤٣.

(٣) لسان العيزان، ابن حجر العسقلاني ١٢٤/٣، ١٢٥/٣، ١٢٥/٤ طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند.

(٤) لسان العيزان، ابن حجر العسقلاني ١٣٦/٤، طبعة حيدر آباد - الهند.

(٥) تاريخ أبي الفداء ١/ ٢٦٧.

(٦) تاريخ المدينة المنورة، ابن شبة ١٢٣٢/٤.

(٧) الدرجات الرفيعة ١٥.

وهذا أمر طبيعي عند الحكومات في العالم فكل رجل يعارض الحكومة تتهمة بسيل من الصفات البذيئة المنبوذة وبمجرد سقوط الزعيم وأصحابه تنعت الحكومة الجديدة الرؤساء السابقين بالنعوت السيئة وهكذا!!

أما الصفات الراقية الحميدة فتحتكرها السلطات لأفرادها وزعيمها وتسبغهم بها ليلاً ونهاراً وهي منهم بريئة.



مركز تحقيقات كميونيزم وعلوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کلامی و فقهی اسلامی

باب

مَنْ قَتَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

قال الرسول ﷺ: «ما منّا إلّا مسموم أو مقتول»^(١).
وقال رسول الله ﷺ أيضاً: ما من نبي أو وصي إلّا شهيد^(٢).
وقال الله تعالى عن اليهود الذين قتلوا رسله:

﴿فبما نقضهم ميثاقهم وكفروهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق...﴾^(٣)
وقال رسول الله ﷺ لأصحابه: لتحذون حذو اليهود والنصارى حذو القذة بالقذة
فلوا دخلوا جحر ضب لدخلتموه^(٤).
وفعلاً سار الحزب القرشي على خطى اليهود الذين قتلوا يحيى وهارون ﷺ وغيرهم
وقتلوا رسول الله ﷺ وأولاده!.

ويسأل الكثير كيف قُتل رسول الله ؟

جاء في روايتي البخاري ومسلم عن عائشة: «لدنا^(٥) رسول الله ﷺ في مرضه،
فجعل يشير إلينا أن لا تلدونى. قلنا: كراهية المريض الدواء.
فقال ﷺ: لا يبق في البيت أحد إلّا لد، وأنا أنظر إلّا عمي العباس فإنه لم يشهدكم»^(٦).

(١) كفاية الأثر للخرازي القمي ص ١٦٢، وسائل الشيعة ٢/١٤، ١٨/١٤، البحار المجلدي ١/٤٥، من لا يحضره

الفقيه ٤/١٧، اعلام الوری ص ٣٤٩، تاريخ الغيبة الصغرى ص ٢٣٠.

(٢) بصائر الدرجات ص ١٤٨، بحار الأنوار ١٧/٤٠٥، ٤٠/١٣٩.

(٣) النساء ١٥٥.

(٤) تفسير العياشي ٢/٤، تفسير ابن كثير ٢/١٤٨.

(٥) صحيح البخاري بشرح السندی ٣/٩٥، صحيح البخاري ٧/١٧، ٨/٤٠، صحيح مسلم ٧/١٩٨، ٢٤.

(٦) صحيح البخاري ٧/١٧، ٨/٤٠، صحيح مسلم ٧/٢٤، ١٩٤.

ومن الأسئلة الخطيرة المطروحة هنا : من قَتَلَ رسولَ الله ﷺ؟
جاء عن عبد الصمد بن بشير عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام قال: «اتدرون مات
النبي ﷺ أو قُتِلَ إن الله يقول: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾»^(١) فسمَّ قبل
الموت إنيها سمَّاه»^(٢).

وتشير هذه الرواية إلى أن عائشة وحفصة سقتاه السم وقتلتاه.
وجاء في رواية : عائشة وحفصة سقتاه (سماً)^(٣).

وقال المجلسي: «يحتمل أن يكون كلا السمين دخيلين في شهادته»^(٤).
ويقصد المجلسي بالسَّمين سم خبير والسم الثاني الذي سقوه في أواخر أيامه في الدنيا.
وقد ذكرنا في بحث سم خبير في هذا الكتاب أن السم الثاني هو الذي قتله، ولا أثر للسم
الأول في ذلك لأن السم الأول كان في سنة ٧ هجرية في فتح خبير بينما قُتِلَ الرسول ﷺ في
سنة ١١ هجرية.

وثانياً أن النبي ﷺ عَرَفَ بمسمومية الطعام في خبير بواسطة جبرئيل فلم يأكله.
وفي الحادثة الثانية جرَّعوا النبي ﷺ السم في منامه، فدخل في جوفه وقتله!
وذكرت عائشة بعد سم النبي أنه ﷺ قال لها: «ويحها لو تستطيع ما فعلت»^(٥).
وهذا اعتراف من النبي ﷺ ومن عائشة بأنها ارتكبت فعلاً شنيعاً بحق رسول
الله ﷺ.

وجاء في رواية في البحار باجتماع الأربعة على سمِّه^(٦)؛ وهم أبو بكر وعمر وعائشة
وحفصة.

(١) النساء: ١٤٤.

(٢) تفسير العياشي ١/٢٠٠، البحار، المجلسي ٥١٦/٢٢، ٢١/٢٨.

(٣) البحار، المجلسي ٥١٦/٢٢.

(٤) البحار، المجلسي ٥١٦/٢٢، وقد ذكرنا أن سم خبير كان قديماً قبل خمس سنوات، وكان النبي ﷺ لم يأكل طعام
خير.

(٥) الطبقات، ابن سعد ٢/٢٠٣ طبعة دار صادر، بيروت.

(٦) البحار، المجلسي ٢٢/٢٣٩، ٢٤٦ طبعة دار احياء التراث العربي، بيروت، وتفسير علي بن إبراهيم القمي.

جاء عن الامام أبي عبد الله الصادق عليه السلام (١): «لا يقتل الأنبياء وأولاد الأنبياء إلا أولاد الزنا» (٢).

امتناع البعض عن المشاركة في مراسم جثمان النبي ﷺ

بعدما قبض رسول الله جاء آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله في الله عزاء من كل مصيبة و... والسلام عليكم. قال علي عليه السلام: هل تدرون من هذا؟ قالوا: لا. قال: انه الخضر عليه السلام (٣).

وأوصى رسول الله ﷺ علياً أن يغسله فقال علي عليه السلام: أخشى أن لا أطيق ذلك فقال ﷺ: انك ستعان من الملائكة ومات رسول الله ﷺ في حجر علي بن أبي طالب عليه السلام في بيت فاطمة وغسله علي عليه السلام لوحده (٤). وأمر النبي ﷺ بدفنه في المكان الذي يموت فيه فدفن في بيت فاطمة عليه السلام.

وبعدما استشهد الرسول ﷺ منع عمر وعثمان وابن الجراح وأتباعهم من الأعراب دفن جثمان الرسول ﷺ في يومي الاثنين والثلاثاء بحجة عدم موته، وفي يوم الثلاثاء عصرا جاء أبو بكر من السنع، فسمحوا لبني هاشم بغسل ودفن الرسول ﷺ ليشغلوهم ويذهبوا هم لا غتصاب الخلافة الإلهية، فلم يشتركوا في مراسم جهازه، وتأخر دفنه ﷺ إلى ليلة الأربعاء (٥).

ولقد ابتعد الحزب القرشي عن المشاركة في مراسم تشييع خاتم الأنبياء ﷺ وذهبوا إلى سقيفة بني ساعدة لانتخاب فرد من أفرادهم خليفة للمسلمين. فلم يحضر أبو بكر وعمر غسل النبي ﷺ وتشيعه والصلاة عليه ودفنه! والدليل:

(١) والصادق عليه السلام من ذرية رسول الله ﷺ ومن ناحية الام ينتسب إلى القاسم بن محمد بن أبي حذيفة ولا ينتسب إلى القاسم بن محمد بن أبي بكر.

(٢) العلل ص ٣١، البحار، المجلسي ٢٧/ ٢٤٠، كامل الزيارة ص ٧٨، قصص الأنبياء (مخطوط).

(٣) مجمع الزوائد لابن حجر الهيتمي ٩/ ٣٥٠، والكافي للكليني ٣/ ٢٢١.

(٤) طبقات ابن سعد ٢/ ٢٧٧ ط. دار صادر بيروت، مختصر تاريخ دمشق ٢/ ٣٨٢، ٣٩٣ دلائل النبوة، البيهقي ٧/ ٢٤٢ ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

(٥) الطبقات ٢/ ٢٧٣، طبعة دار صادر - بيروت.

قال ابن أبي شيبة: «كان أبو بكر وعمر في الأنصار ولم يحضرا جنازة النبي ﷺ»^(١).
وحتى عائشة لم تحضر مراسم غسل ودفن النبي ﷺ بغياها يومين! فقد قالت:
«والله ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعت صوت المساحي من آخر الليل ليلة
الأربعاء»^(٢).

لذا فقد قال ﷺ: إذا أصيب أحدكم بمصيبة فليذكر مصيبتَه بي فإنها أعظم المصائب^(٣).
وقد أثبتت أمهات الكتب الإسلامية ابتعاد هؤلاء عن حضور مراسم دفن رسول
البشرية.

ويكاد الإنسان المسلم ينفطر فؤاده وتحمّد نبضات قلبه لسماع هذا الخبر، فكيف يمتنع
بعض الصحابة عن حضور مراسم دفن النبي ﷺ وهم يعلنون إسلامهم ويظهرون إيمانهم.
والمدهش في الأمر أن الجماعة التي قالت لرسول الله ﷺ يهجر في يوم شهادته هي
نفسها التي ادعت عدم موته! وتسببت في تأخير دفن جثمان النبي ﷺ واهانة مقامه
الشريف. وقد اقتعلت ذلك لتهيئة الأرضية لمشروع السقيفة واشغال بني هاشم بجهاز
الرسول ﷺ.

وأعجب من ذلك امتناع حفار قبور المهاجرين عن حفر قبر رسول الله ﷺ:
إذ ذهب أبو عبيدة بن الجراح إلى السقيفة لوضع حجر الأساس لخلافة قريش لرسول
الله ﷺ على أن يكون هو ثالث الخلفاء^(٤)!.... يا للمصيبة.

ولما امتنع ابن الجراح عن ذلك اضطر بنو هاشم لدعوة حفار قبور الأنصار أبي طلحة
زيد بن سهل ليحفر قبراً للنبي محمد ﷺ!!^(٥)

وقد كان ابن الجراح من دهاة قريش المتربصين للوصول إلى سدة رئاسة المسلمين وقد

(١) المصنف، ابن أبي شيبة، باب المنازي، خلافة أبي بكر.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٢٦/٦، سنن البيهقي ٤٠٩/٣، مختصر تاريخ دمشق ٢ / ٣٨٢، ٣٩٣.

(٣) الطبقات ٢/٢٧٥.

(٤) تاريخ الطبري ٤٥٢/٢ طبعة مؤسسة الأعلمي - بيروت، الطبقات ٢ / ٢٩٨.

(٥) تاريخ الطبري ٤٥٢/٢، أسد الغابة ٢/٢٨٩، تاريخ ابن الأثير ٢/٣٣٣ الطبقات ٢/٢٩٤، الروض الأنف ٧/٥٥٩.

ذكره المغيرة بن شعبة قائلاً: داهيتا قريش أبو بكر وأبو عبيدة بن الجراح^(١).

وكان المسلمون يسمون كلا من المغيرة وعمرو بن العاص بالداهية.

ولما قتل المغيرة بن شعبة مسلماً في حصار الطائف مكرراً قال صحابي عنه: إنه داهية ولما كذب أحد المنافقين معجزة المطر في حملة تبوك قال عمار بن حزم عنه: إن في رحلي لداهية^(٢).

وبعد اطلاعنا على ترك الحزب القرشي لمراسم جهاز النبي ﷺ نقول:

إنَّ العداء بين الحزب القرشي ورسول الله ﷺ لم يتوقف بل استمر واستفحل وأفضل مصداق لذلك حادثة العقبة، وحادثة الامتناع عن الالتحاق بحملة أسامة، وحادثة يوم الخميس، وحادثة منع دفن جثمان النبي ﷺ، وحادثة الامتناع عن المشاركة في مراسم دفنه. ونظرية رفض ثقل أهل البيت: بقولهم: حسبنا كتاب الله، وحادثة منع تدوين حديثه ﷺ.

والذين حضروا مراسم الصلاة على النبي ﷺ ودفنه مجموعة كبيرة من المسلمين على رأسهم بنو هاشم، فقد جاء عن زيد بن أرقم: «لولا أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من بني هاشم اشتغلوا بدفن النبي ﷺ وبحزنهم فجلسوا في منازلهم ما طمع فيها من طمع»^(٣).

اين دفن النبي ﷺ في غرفة عائشة أم في غرفة فاطمة رضي الله عنها ؟

أمر النبي ﷺ أن يدفن في المكان الذي يموت فيه. ويذكر أن حجرات أزواج رسول الله ﷺ كانت في قبلة المسجد^(٤) فمنها رأى رسول الله ﷺ أبا بكر قد وقف في مقام إمام الجماعة فخرج وأزاحه عن مكانه وصلى هو ﷺ إماماً بالمسلمين^(٥).

(١) تهذيب الكمال، المزي ٣٦٤/٩.

(٢) مغازي الذهبي: ٦٤١، تاريخ ابن الأثير ٢/٢٨٠، تاريخ الطبري ٢/٣٧١.

(٣) الفتوح، ابن أعثم ١٢/١ طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

(٤) البحار ٢٨ / ١٢٦.

(٥) تاريخ الطبري ٤٣٩٢. سيرة ابن هشام ٤ / ٣٠١.

والغرفة التي دُفن فيها النبي ﷺ هي غرفة فاطمة ؓ التي مات فيها رسول الله ﷺ في حجر علي بن أبي طالب ؓ. فأصبحت قبراً ومزاراً له ﷺ اذ قال من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي .

ولم تكن عائشة في غرفة فاطمة ؓ التي دفن فيها الرسول بل سمعت صوت المساحي من غرفتها كما قالت (١).

ثم دفنت الدولة فيها أبا بكر وعمر. ومنع الأمويون دفن الحسن ؓ فيها ثاراً لرفض الناس دفن عثمان الأموي فيها.

ولم تدفن عائشة فيها لأنها غرفة فاطمة ؓ وليس غرفتها ثم زُيِّفت الدولة الأموية ملكية غرفة فاطمة ؓ التي دفن فيها رسول الله ﷺ لصالح عائشة، لبيان موت النبي ﷺ في حجرها.

في حين صحَّحت عائشة في أواخر أيام حياتها موت رسول الله ﷺ في حجر علي بن أبي طالب ؓ أي في غرفة فاطمة ؓ (٢).



متى ارتحلت فاطمة ؓ ؟

لقد قتل رجال الحزب القرشي الكثير من الناس بوسائل مختلفة وعلى رأس تلك الوسائل الاغتيال:

فقد هجم عمر وأتباعه بأمر أبي بكر على بيت فاطمة ؓ، بعد يوم واحد على دفن رسول الله ﷺ، فضغط عمر باب بيت علي ؓ على فاطمة ؓ المسترة خلف الباب، ودخلوا بيتها عنوة دون إذنها (٣).

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢٦/٦، سنن البيهقي ٤٠٩/٣، مختصر تاريخ دمشق ٢/ ٣٨٢، ٣٩٣.

(٢) مجمع الزوائد ١/ ٢٩٣، ٨/ ٢٩٧، فتح الباري ٨/ ١٠٦، كتاب السنة، عمر بن أبي عاصم، الذرية الطاهرة،

الدولابي ٩١، المعجم الكبير، الطبراني ١٢/ ١١٠، ٢٤/ ١٤٥، المناقب، الخوارزمي ٣٠٦، طبقات ابن سعد، ترجمة

الإمام الحسن ؓ ٨٩، مناقب الإمام علي ؓ ابن الدمشقي ١/ ١٠٩، كشف الخفاء، العجلوني ٢/ ٤١٨، ينابيع

المودة، الحنفي القندوزي ٢/ ٢٢٩.

(٣) أنساب الأشراف ١/ ٥٨٦، اعلام النساء ٤/ ١١٤، مروج الذهب، المسعودي ٣/ ٧٧ طبع دار الهجرة.

فاغتالوا فاطمة عليها السلام بعد اغتيالهم لأبيها عليه السلام فقد ماتت بعد فترة وجيزة من ذلك الحادث قال اليعقوبي: إنها عاشت بعد أبيها ثلاثين، أو خمسة وثلاثين يوماً، وهذا أقل ما قيل في مدة بقائها بعد أبيها ^(١).

وقالوا: عاشت أربعين يوماً.

وقول ثالث خمسة وسبعين يوماً وهو الأشهر. والرابع خمسة وتسعين يوماً وهو الأقوى ^(٢).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: إنها قبضت في جمادى الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه سنة إحدى عشرة من الهجرة ^(٣).

وامتنعت سيدة العالمين من التحدث إلى أبي بكر وعمر وعائشة وحفصة من يوم قُتل أبوها إلى أن ماتت ^(٤).



مركز تحقيقات كليات علوم اسلامی

(١) تاريخ اليعقوبي ١١٥/٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي ١١٥/٢. وأيام البكاء على مقتل فاطمة عليها السلام والمسماة بالفاطميات تقام في:

الفاطمية الأولى: ٩ ربيع الثاني برواية شهادتها بعد مرور ٤٠ يوماً أثر شهادة رسول الله ﷺ.

الفاطمية الثانية: ١٥ جمادى الأول برواية شهادتها بعد مرور ٧٥ يوماً أثر شهادة رسول الله ﷺ.

الفاطمية الثالثة: ٣ جمادى الثاني برواية الإمام الصادق عليه السلام بشهادتها بعد مرور ثلاثة أشهر على شهادة رسول الله.

(٣) دلائل النبوة، الطبري ص ٤٥.

(٤) صحيح البخاري، باب فرض الخمس ١٧٧/٥، تاريخ الطبري ٢٠٢/٣، الامامة والسياسة ١٤/١، اعلام النساء

٣١٤/٣، صحيح مسلم ص ١٢٥٩.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کلامی و فقهی اسلامی

باب

من اخلاق و صفات

و اعمال النبی ﷺ





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

أخلاق رسول الله ﷺ

يتكلم بعض المغفلين على الانبياء ومنهم يوسف عليه السلام متهمين اياه بالرغبة في ارتكاب الزنا في قوله تعالى «وهم بها»^(١).

كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، وإذا انتهى إلى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جلسيه أن أحداً أكرم عليه منه، ومن جالسه أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يردّه إلا بها أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أباً. وصاروا عنده في الحق متقاربين يتفاضلون فيه بالتقوى، متواضعين يوقرون الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب.

وكان رسول الله ﷺ دائم البشر سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عيَاب ولا مدّاح يتغافل عما لا يشتهي قد ترك نفسه من ثلاث المراء والإكثار في الكلام وما لا يعنيه.

وترك الناس من ثلاث، كان لا يذم أحداً ولا يعيّر، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأغنا على رؤوسهم الطير ونصتوا له حتى يفرغ،

(١) ولقد تعرضت شخصياً لهذه الفتنة في اليابان اذ تزينت المرأة المحصنة التي كنت في بيتها بحضور ابنها الصغير ولم اعلم بخروج زوجها فاغلقت باب غرفتي وامتنعت منها بالعناية الالهية ثم طلبت مني كتباً ذلك جهلاً منها وحماقة فهربت من البيت.

وإذا سكتت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء أو قيام.

وكان سكوته ﷺ على أربع: الحلم والحذر والتقيرير والتفكير.

ولقد دخل رسول الله ﷺ المسجد وعليه ثوب نجراني غليظ الضَّفَّة فاتاه أعرابي من خلفه فأخذ بجانب رداءه فاجتذبه حتى أثرت الضفة في صفحة عنق رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أعطنا من مال الله عزَّ وجلَّ الذي عندك، فتبسّم رسول الله ﷺ وأمر له^(١).

وقالت عائشة: مارأيت رسول الله ﷺ ضرب خادماً له ولا امرأة قط، ولا ضرب بيده شيئاً إلا أن يجاهد في سبيل الله عزَّ وجلَّ، ولا نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يكون لله، فإن كان لله انتقم^(٢). فوصفه الله تعالى بأسمى وصف:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣).

ولم يكن لرسول الله ﷺ اسم في مكة غير الصدوق الأمين^(٤).

وكان رسول الله ﷺ لا يتكلف في أموره يأكل على الأرض، ويجلس ويمشي في الأسواق، ويلبس العباءة، ويجالس المساكين ويقعد القرفصاء ويتوسّد يده ويقول: إنما أنا عبدٌ أكل كما يأكل العبد وأشرب كما يشرب العبد^(٥).

وكان رسول الله ﷺ فرداً مثل سائر الناس لا يتميز عليهم برئاسة، ولا يتكبر عليهم بنبوة ولا يشمخ عليهم بنسب.

بينما تلاحظ أغلب الناس سابقاً ولاحقاً يرفعون على سائر الأمة بعلومهم ومناصبهم وأنسابهم وأموالهم والوضيعة.

فقد دخل رجل على النبي ﷺ وأصحابه فلم يعرفه ﷺ لعدم تميزه عنهم بمجلس سامٍ ولباس فاخر وحرس زاجر مما اضطره للقول: أيكم محمد؟

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ٨٠/٢، ٨١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سورة القلم ٤.

(٤) عيون الأثر ٦٩/١، البدء والتاريخ، البلخي ٤٦/٢.

(٥) العقد الفريد، ابن عبد ربه ٢٣٧/٤.

فقالوا له: هذا الرجل الأبيض المتكىء^(١).

وقد وصف جعفر بن أبي طالب الرجل الجاهلي خير وصف لتتوضع رسالة الأخلاق التي قادها رسول الله ﷺ إذ قال للملك الحبشة:

«كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف.

فكنا على ذلك حتى بعث الله تعالى إلينا رسولاً منا يعرف نسبه وصدقه وأمانته، وعفاه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة...»^(٢).
وقد وصفه محمد بن إسحاق قائلاً:

كان أعظمهم خلقاً وأكرمهم مخالطة وأحسنهم جواراً، وأعظمهم خلقاً وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهاً وتكرماً، حتى ما كان اسمه في قومه إلا الأمين لما جمع الله عز وجل فيه من الأمور الصالحة^(٣).
وما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال لبيك^(٤).
وكان أشد حياءً من العذراء في خدرها^(٥).

وقال النبي ﷺ: إفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام^(٦).

وصفات رسول الله ﷺ الحميدة توجب علينا معرفتها واتِّباعها، فهو لا يضحك إلا نادراً بل يتبسّم حتى قالوا ما كان أحد أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ.
وكان ﷺ يخزن لسانه إلا فيما يعنيه ويؤلفهم ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم ويؤليه

(١) فتح الباري ١/١٣٩ - ١٤١، تاريخ الطبري ٢/٣٨٤، البداية والنهاية ٥/٦٠.

(٢) البداية والنهاية ٢/٧٢ - ٧٤، تاريخ الخميس ١/٢٦٠.

(٣) سيرة ابن إسحاق ٧٨، دلائل النبوة، البيهقي ١/٩٠.

(٤) تفسير الفخر الرازي ٣٠ / ٨١، الدر المنثور ٨ / ٢٤٣، أسباب النزول للواحدي ٢٩٣.

(٥) صحيح مسلم ٤ / ٤٨٨، صحيح البخاري ٣ / ١٣٠٦.

(٦) المستدرک، الحاکم ٣ / ١٤، سنن ابن ماجه ١ / ٢٣، مسند أحمد ٦ / ٦٣١.

عليهم ويحذر الناس ويحترز منهم، ويتفقد أصحابه ويحسن الحسن ويقويه ويقبح القبيح ويوهنه، وكان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر فكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بعتاب ولا مدّاح وكان ينام على الحصير فيؤثر في جنبه.

وكان النبي ﷺ يبدأ من لقيه بالسلام متواصل الأحزان دائم الفكرة لا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها.

ودعا خاتم الأنبياء إلى الخير والصلاح والعدل قائلاً: النظافة من الإيمان . ومن أخلاق الأنبياء التنظف ^(١).

وأحسنوا مجاورة النعم وموجبات النعم قالها الله تعالى:

﴿ولو أن أهل القرى آمنوا وأنفقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ ^(٢).

وقال زعيم الحضارة الإنسانية ﷺ: لا تستعن بنعمة على معاصيه ^(٣).

وإن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ^(٤). كما قال تعالى:

﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ ^(٥).

ومن نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته

قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم ^(٦).

وأعون شيء على صلاح النفس القناعة، ومن لم يهذب نفسه لم ينتفع بالعقل. وكيف

ينصح غيره من يغش نفسه، وآفة النفس الوله بالدنيا.

وما أقبح بالإنسان أن يكون ذا وجهين، والمنافق من إذا وعد أخلف وإذا فعل أساء

وإذا قال كذب وإذا ائتمن خان، وإذا رزق طاش ^(٧).

(١) البحار ٧٨ / ٣٣٥.

(٢) الأعراف ٩٦.

(٣) البحار ٧٧ / ١٩.

(٤) سنن الترمذي ١٠ / ٢٥٩.

(٥) الضحى ١١.

(٦) نهج البلاغة حكم ٧٣.

(٧) البحار ٧٢ / ٢٠٧.

ومن علامات المنافق قساوة القلب والإصرار على الذنب والحرص على الدنيا وإذا خاصم فجر^(١).

والمنافقون لا يقربون المساجد إلا هجراً ولا يأتون الصلاة إلا دبراً مستكبرين لا يألفون ولا يؤلفون خشباً بالليل سخب بالنهار.

وأمر رسول الله ﷺ بالتباعد الجناز وعيادة المريض وتسميت العاطس ونصرة المظلوم وإجابة الداعي وإبرار القسم^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: من سمع فاحشة فأفشأها فهو كمن أتاها ومن سمع خيراً فأفشأه فهو كمن عمله.

وإذا أويت إلى فراشك فانظر ما كسبت في يومك وإذكر أنك ميت وأن لك معاداً^(٣).

وتهاذوا تحابوا فإنها تذهب الضغائن^(٤) وإن الله تعالى يحبُّ إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه، وكفى بالمرء عيباً أن يعرف من الناس ما يجهل من نفسه. ومن ستر أخاه في فاحشة رآها عليه ستره الله في الدنيا والآخرة^(٥) وقد قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾.

وإياك وما يعتذر منه، وأحب لأخيك ما تحب لنفسك^(٦) وبالمواعظ تنجلي الغفلة، وكرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى وقال الله تعالى:

﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٧).

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾^(٨).

(١) البحار ٧٢ / ١٧٦.

(٢) البحار ٧٦ / ٣٤٠.

(٣) البحار ٧٦ / ١٧٩.

(٤) الكافي ٥ / ١٤٤.

(٥) كنز ٤٤١٥٤.

(٦) البحار ٧٣ / ١٦٨.

(٧) الحجرات ١٣.

(٨) الطلاق ٢.

واحذر كلَّ عمل يُعمل في السر ويستحي منه في العلانية^(١).
ومن غشنا ليس منا وليس في ديننا غش ولا يحلُّ لأحد أن يتصرّف في مال غيره بغير
إذنه^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: إياك والغضب فأوله جنون وآخره ندم^(٣).
وإياك وحب الدنيا فإنها رأس كل خطيئة^(٤) وأهل الدنيا من كثر أكله وضحكه ونومه
وغضبه، يحمدون أنفسهم بما لا يفعلون ويدّعون بما ليس لهم ويتكلمون بما يتمنّون،
ويذكرون مساوىء الناس ويخفون حسناتهم^(٥).
فالتبى محمد ﷺ زعيم الحضارة وأبوها في هذه الدنيا، والناس عالة عليه أخذوا ذلك
منه من سيرته الصادقة ومن أفعاله الناطقة فكان نموذجاً في الأخلاق وقدوة في السيرة.
قال كاتب قصّة الحضارة ول ديورانت في وصف الحضارة إنها الرقة في المعاملة.
وكان محمد ﷺ رقيقاً في كلامه وحركاته وسكناته فهو أس الأساس في أخلاق
الإنسانية. وقد حذره الله تعالى من الخشونة في المعاملة قائلاً:
﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾^(٦)

زهده وكرمه ﷺ

قال ﷺ: عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي بِطَحَاءِ مَكَّةَ ذَهَباً فَقُلْتُ: لَا يَا رَبُّ وَلَكِنْ أَجُوعُ يَوْمًا وَأَشْبَعُ
يَوْمًا، فَإِذَا شَبَعْتُ حَمَدْتُكَ وَشَكَرْتُكَ وَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَدَعَوْتُكَ^(٧).
ولم يتخذ رسول الله ﷺ من شيء زوجين ولا قيصين ولا ردائين ولا إزارين ولا من

(١) نهج البلاغة كتاب ٦٩.

(٢) وسائل الشيعة ج ١٧ / ٣٠٩.

(٣) البحار ٧٣ / ٢٦٦.

(٤) البحار ٧٣ / ٧٦.

(٥) البحار ٧٧ / ٢٤.

(٦) آل عمران ١٥٩.

(٧) الوفاء بأحوال المصطفى ٤٢٠ - ٤٧٩، عيون الأثر ٤١٣ - ٤١٦.

النعال^(١).

فكان لا يدخر شيئاً، وما شبع رسول الله ﷺ وأهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنطة حتى فارق الدنيا.

وكان يظل اليوم يتلوى ما يجد دقلاً يملاً به بطنه وكان كثيراً ما يشد على بطنه حجراً^(٢).

ومات رسول الله ﷺ ودرعه مرهونه عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير!^(٣)

وما شبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام حتى قبض ﷺ^(٤).

وقال الرسول ﷺ: مالي وما للدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها^(٥). وكان فراش رسول الله ﷺ من آدم وحشوه من ليف^(٦).

وقال ﷺ: إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه.

وأفضل الأعمال اطعام الطعام وأطياب الكلام^(٧) والعلم بالله والفقه في الدين وإدخال السرور على المؤمنين^(٨).

مركز تحقيقات كميته بر علوم اسلامی

الاطباع الخشنة

وكان أبو سفيان وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان متطبعين بالخسونة والبخل في الأفعال والأقوال. فقد جاء رجل الى النبي ﷺ فسأله ان يعطيه فقال النبي ﷺ ما عندي شيء ولكن استقرض حتى يأتينا شيء فنعطيك. فقال عمر يا رسول الله هذا اعطيته ما عندك فما كلفك ما لا تقدر عليه فكره النبي ﷺ قول عمر حتى عُرف في وجهه فقال رجل من الانصار يا رسول الله أنفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم رسول الله حتى

(١) الوفاء باحوال المصطفى ٤٨٠، عيون الأثر ٤١٣-٤١٦.

(٢) الوفاء باحوال المصطفى ٤٨٦، عيون الأثر ٣١٤-٤١٦.

(٣) صحيح البخاري ٣ / ١٠٨٣، سنن الترمذي ٣ / ٥١٩، سنن النسائي ٤ / ٣٨.

(٤) صحيح مسلم ٥ / ٤٨٤، صحيح البخاري ٥ / ٢٠٥٥، مسند أحمد ٣ / ٥٨٢.

(٥) سنن الترمذي ٤ / ٥٠٨، سنن ابن ماجه ٢ / ١٣٧٦، مسند أحمد ١ / ٤٩٦.

(٦) سنن أبي داود ٤ / ٧١، صحيح البخاري ٥ / ٣٣٧٢، سنن الترمذي ٤ / ٢٠٨، وأدم يعني جلد.

(٧) البحار ٧١ / ٣١٣.

(٨) البحار ٧٤ / ٣١٣.

عُرف البشر في وجهه ثم قال بهذا امرت .

وقال عمر لرسول الحضارة والأخلاق إنه يهجر. والمجموعة الخشنة خالفت رسول الله ﷺ في العقائد والفقه والأخلاق ولما أرادت السيطرة على الحكم بانقلاب عسكري لاحظت مخالفة الأنصار لمنهجها وتأثرهم بالأخلاق النبوية فاعتمدوا على الأعراب الساكنين خارج المدينة وعلى رأسهم قبيلة أسلم فأدخلوهم المدينة ورغبوهم بالأموال فامتلات سكك المدينة بهم ولما رأهم عمر قال:

ما هو إلا أن رأيت أسلم حتى أيقنت بالنصر^(١).

وفي السقيفة رفض زعيم الأنصار ذلك المنهج الخشن في الاستيلاء على الخلافة فهجم عليه الأعراب ووطأوا جسمه بأرجلهم الفظة ولما احتج الحباب بن المنذر على هذا المنهج الأعرابي المخالف لمنهج الحضارة هجم عليه الأعراب وكسروا أنفه وملأوا فمه بالتراب ووعدوه عمر بالقتل وفعلاً قتل عمر بن الخطاب سعد بن عبادة والحباب بن المنذر المعارضين للأخلاق الجاهلية في الحكم والسياسة.

ولما هجم بعصبته على بيت فاطمة بنت محمد ﷺ وجمع الحطب على بيتها لاحتراقها واولادها وزوجها قالوا له: إن في البيت فاطمة. قال عمر: وإن^(٢) ولم تحضر عائشة جنازة فاطمة عليها السلام وأظهرت مرضاً ونقل إلى علي عليه السلام كلام يدل على سرورها^(٣).

وأحرق عمر بن الخطاب كتب البشرية الموجودة عند الفرس والروم والقبط بعد استيلاء المسلمين على العراق والشام ومصر^(٤). وأظهر خشونة لم يفعلها انسان قط .

وأصدر عثمان ابن عفان أمراً بضرب عبدالله بن مسعود في مسجد النبي ﷺ فهجموا عليه وكسروا ضلعه وقتلوه، وذنبه أنه أشكل على توزيع الخليفة للأموال في صفوف أفراد

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٤٥٨.

(٢) صحيح البخاري باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد والسير ٢ / ١١٨، الامامة والسياسة ١٢، تاريخ الخبيس ١ / ١٨٨.

(٣) شرح التهذيب ٩ / ١٩٨ ط. دار احياء التراث بيروت.

(٤) كشف الظنون ١ / ٤٤٦، تاريخ ابن خلدون ١ / ٣٢، فهرست ابن النديم ٣٣٤، تاريخ التمدن الاسلامي ٣ / ٤٢.

عشيرته! (١)

ولما أشكل عمار بن ياسر على توزيع عثمان للأموال في أفراد قبيلته قام إليه عثمان بنفسه فضربه بيده ورفسه برجله حتى فتق بطنه (٢).

وقد رفس أبو سفيان قبر حمزة قائلاً: إن الأمر الذي كنت تقتاتلنا عليه بالأمس قد ملكناه اليوم (٣) ولاكت زوجته كبد حمزة.

وكان الصراع الحضاري بين أتباع الأخلاق وأتباع الجهل مستمراً فقد منع معاوية بن أبي سفيان الماء عن جيش الإمام علي بن أبي طالب ﷺ لقتلهم عطشاً كما فعل أبو جهل بالمسلمين في معركة بدر.

ولما استولى أمير المؤمنين ﷺ على الماء سمح لجيش معاوية بالشرب منه لأن الدين والمدنية والإنسانية تفرض عليه التعامل مع الناس بأخلاق فاضلة! (٤)

ولكن أصحاب المنهج الجاهلي أصرّوا على غيهم مرة أخرى بمنعهم الماء عن الحسين بن علي ﷺ وأهل بيته وأنصاره في كربلاء وقتلهم عطشاً (٥).

ورغم الأخلاق العالية التي مارسها الحسن بن علي ﷺ مع معاوية بتنازله عن الحكم لصالحه تنكّر معاوية لوثيقة الصلح واغتال الحسن ﷺ!

وهجمت عائشة والأمويون على جنازته بالسهم (٦) ومنعوه من أن يدفن مع جده في غرفة أمه فاطمة ﷺ ولسان حال يزيد بن معاوية:

لا خبر جاء ولا وحي نزل (٧).

واستمرت حالة الصراع بين أتباع الحضارة وأتباع الجهل وكثيراً ما ينتصر أتباع الجهل

(١) تاريخ يعقوبى ٢ / ١٦٢.

(٢) تاريخ الطبرى ٣ / ٤٤٠.

(٣) النزاع والتخاصم ٨٤.

(٤) صفين ١٦٠، تاريخ أبي مخنف ١ / ١٥٩.

(٥) الاخبار الطوال ٢٤٨.

(٦) شرح النهج ١٦ / ١٤، تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي ١٩٣، مقاتل الطالبين ٧٤ ز.

(٧) الانوار القدسية ١٣٠.

بقسوتهم ومكرهم وبطشهم.

ومنذ القدم إلى يومنا هذا يتلبس أتباع الجهل بلباس المدنية ويتشدقون بأحاديث الأنبياء ولأن والدته حكيم بن حزام قد شاركت في معركة بدر مع ابنها دفاعاً عن الجاهلية والوثنية فقد منحها القرشيون وسام الولادة في جوف الكعبة واستمرت وابنها في محاربة الإسلام رغم تكريم رسول الله ﷺ بإطلاق سراحها^(١) بعد معركة بدر.

هل كان النبي الأمي يقرأ ويكتب؟

لقد كثر الاختلاف في أمية الرسول ﷺ فمنهم من ذهب إلى أميته ﷺ بالاعتماد على الكتاب والسنة ومنهم من ذهب إلى قدرته على القراءة والكتابة بالاعتماد على الكتاب والسنة أيضاً!! فكيف ذلك؟

ذكر القرآن الكريم أمية النبي ﷺ قبل البعثة فلم يلتفت البعض إلى ذلك الفرق. قال الله تعالى:

﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذ لا تارتاب المبطلون﴾^(٢). وكلمة تتلو في الآية تخص الكتب المقدسة والكتب العادية أي أنك لم تتلو التوراة والإنجيل من قبل ولم تكتبها يمينك. أي أنه ﷺ لا يحسن الكتابة قبل البعثة ثم تعلمها من جبرئيل بعد النبوة. والمبطلون يرتابون بما كان قبل البعثة لا بعدها. فحرم الله تعالى عليه الكتابة وقول الشعر تأكيداً لحجته وبيانا لمعجزته وحتى الكفار لم يتهموه بأنه يحسن القراءة والكتابة قبل البعثة بنص القرآن:

﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً﴾^(٣) أي اكتتبها آخرون ويقرأون له، ولم يتهموه بالقراءة والكتابة وكان أهل الجاهلية لا يحسنون القراءة والكتابة سوى أفراد قليلين بعد أن اجتمع ثلاثة نفر من طيء فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية

(١) راجع موضوعي ولادة علي في جوف الكعبة ومعركة بدر في هذا الكتاب.

(٢) العنكبوت ٤٨.

(٣) الفرقان ٥.

على هجاء السريانية فتعلّمه قوم من أهل الأنبار ثم تعلّمه أهل الحيرة ثم تعلّمه منهم أهل مكة^(١).

وما بعد عصر الرسالة اختلفوا أيضاً في أنّه ﷺ هل كان يقرأ ويكتب أم يقرأ فقط. ورواية قراءة النبي ﷺ لرسالة العباس له قبل معركة أحد في مصدر أنّه ﷺ قرأها^(٢) وفي مصدر قرأها أبي بن كعب^(٣).

وقال الكثير إنّه ﷺ كان يقرأ ويكتب بعد البعثة النبوية ومن هؤلاء العلماء المرتضى، والشعبي.

وفي عصر الرسالة ليس عندنا دليل على أنّ النبي ﷺ كتب رسالة بيده والقرائن والدلائل تؤيد ذلك أمّا قراءته لرسالة ما فمختلف فيه.

ففي صلح الحديبية كان كاتب الوثيقة عليّاً ﷺ واختلف في نحو عبارة رسول الله ﷺ من الوثيقة بعد طلب الكفار ذلك، هل النبي ﷺ قرأها ومحاها أم عليٌّ ﷺ أشار إليها ومحاها النبي^(٤).

وليس عندنا فرصة أكثر هنا لإشباع التوق والتطلع الموجود عند القاري، العزيز. وجاء أنّ النبي ﷺ هو الذي كتب في تلك الصحيفة محمد بن عبد الله^(٥).

ولقد ذكر البعض دون دراية أمة النبي ﷺ بمعنى عدم معرفته بالقراءة والكتابة بعد البعثة النبوية في حين قال الإمام علي الرضا عليه السلام: «كذبوا عليهم لعنة الله أنى يكون ذلك ويقول الله عز وجل في كتابه:

﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾^(٦) فالأمر هو الذي لم يطلع على المتون السامية القديمة ولم يتبع

(١) فتوح البلدان، البلاذري ص ٥٨٠، ط، دار النهضة - مصر، مقدمة ابن خلدون.

(٢) البحار ١٦ / ١٢٢.

(٣) سيرة زيني دحلان ١ / ٢٢٩ ط، دار السمرقة - بيروت.

(٤) تاريخ يعقوبي ١ / ٥٤.

(٥) تاريخ ابن خلدون ٢ / ٤٤٨.

(٦) الجمعة ٢.

الديانتين المسيحية أو اليهودية .

فكيف كان يعلمهم ما لا يحسن، والله لقد كان رسول الله ﷺ يقرأ ويكتب باثنتين وسبعين لساناً، وإنما سمي الأمي لأنه من أهل مكة، ومكة من أمّها القري، وذلك قول الله في كتابه ﴿لَتَنْذِرُ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(١).

وأطلق القرآن كلمة الأميين على العرب قبل الإسلام لعدم اطلاعهم على الكتب المقدسة.

وكانت أول آية قرآنية نزلت على رسول الله ﷺ هي:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(٢) وهي دلالة على قدرة النبي محمد ﷺ على القراءة بنفسه فقرأ رسول الله ﷺ ما أنزله الله تعالى.

وقد ألح الحزب القرشي في وصم رسول الله ﷺ بالأمية، ووصف أفراد أمثال ابن العاص ومعاوية بالقدرة على القراءة والكتابة! للنيل من النبي ﷺ! وكيف يكون علي بن أبي طالب (عليه السلام) تلميذه قادراً على القراءة والكتابة وأستاذه صاحب مدينة العلم غير متمكن منها! وهل القراءة والكتابة صعبة إلى هذه الدرجة الخطيرة! وقد قال تعالى: العلم نور يقذفه الله في قلب من يريد.

ولما كان كل كلام مخالف للقرآن باطلاً فتثبت عندها حقيقة ما ورد في الآيات القرآنية أعلاه.

وجاء بأنه لما أراد عيسى عليه السلام بعث حواريه لدول العالم آنذاك دعا الله تعالى فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وُجّه إليهم^(٣).

واهتمام رسول الله ﷺ بالقراءة والكتابة كان إلى درجة إعلانه عن إطلاق سراح كل أسير من أسرى معركة بدر مقابل تعليمه عشرة مسلمين القراءة والكتابة^(٤). فهل يعلم

(١) الأنعام ٩٢، معاني الأخبار، الصدوق ٥٣، البحار ٦/ ١٢٨.

(٢) العلق ١.

(٣) الروض الأنف ٧/ ٤٦٦.

(٤) مسند احمد ١/ ٢٤٧، تاريخ الخميس ١/ ٣٩٥.

النبي ﷺ الناس القراءة والكتابة ويترك نفسه أمياً دونهم؟
ويدعي الفريق الأول أن الحكمة في أمية رسول الله ﷺ واستمرارها إبراز معجزة القرآن الكريم ونفي الادعاء الجاهلي بكتابة القرآن من قبل النبي ﷺ. وقد استمر هذا الادعاء إلى نهاية حياة رسول الله ﷺ.

ويدعي الفريق الثاني انتهاء أمية رسول الله ﷺ بالبعثة النبوية ﴿إقرأ باسم ربك﴾. لتظهر معجزة إلهية أخرى تتمثل في تعلمه القراءة دون معلم. وعلى كلا المنحيين فإن المعجزة القرآنية بيّنة واضحة لا يرتقي الإنس والجن لكتابة نظير لها. والمعجزة القرآنية لا تعتمد على أمية النبي ﷺ بل تركز على البلاغة والإحاطة الغيبية بالأحداث والقدرة العلمية الإلهية. ويتوضح عندها أحقية الرأي الثاني.

اخبار النبي ﷺ عن المغيبات

وأخبر ﷺ عن مقتل أمية بن خلف، وفعلاً قُتل في معركة بدر^(١).
وأخبر النبي ﷺ بقتله أبي بن خلف^(٢) وفعلاً قُتل رسول الله ﷺ في معركة أحد، ولما قال الكفار له: ما أجزعك إنما هو خدش، فذكر لهم قول رسول الله ﷺ: أنا أقتل أيماً^(٣).
وأخبر رسول الله ﷺ بفتح خيبر على يد علي بن أبي طالب قائلاً:
لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فأعطاه رسول الله ﷺ إلى أبي بن أبي طالب ففتح الله تعالى عليه^(٤).
وأخبر بمقتله في السنة الحادية عشرة قائلاً لفاطمة رضي الله عنها: إن جبرئيل كان يعارضني

(١) سنن البخاري ٦١ كتاب المناقب ٢٥، باب علامات النبوة في الإسلام ٩٢٩/٦ ح ٣٦٣٢ دلائل النبوة، البيهقي ٢٦/٣، مسند أحمد ٤٠٠/١.

(٢) المغازي، الواقدي ٢٥٠/١، المستدرک، الحاكم ٣٢٧/٢، دلائل النبوة ٢٥٨/٢.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام ١٦٦/٣، الطبقات، ابن سعد ٤٦/٢، عيون الأثر، ابن سيد الناس ١٥/٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجهاد ١٤٣، باب فضل من أسلم على يديه رجل ١٤٤/٦ ح ٣٠٠٩، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصعابة، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ١٨٧٢/٤ ح ٢٤٠٦، مسند أحمد ٣٣٢/٥، حلية الأولياء، أبو نعيم ٦٢/١، التمهيد، ابن عبد البر ٢١٨/٢.

بالقرآن كل سنة وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحوقاً بي^(١) فقتل في ذلك العام.

وأخبر رسول الله ﷺ بغدر الأمة بعلي عليه السلام من بعده، فقال ﷺ: عهد إلي النبي ﷺ أن الأمة ستغدر بي من بعده^(٢).

وأخبر رسول الله ﷺ بقتال الزبير لعلي عليه السلام قائلاً للزبير: لتقاتلنه وأنت ظالم له ثم لينصرك عليك^(٣).

أخبر رسول الله ﷺ بالكثير من الأحداث المستقبلية التي أدهشت الناس مثل فتح الحيرة قائلاً: مثلت لي الحيرة كأنياب الكلاب وإنكم ستفتحنها^(٤).

وأخبر رسول الله ﷺ بفتح المدائن عاصمة الفرس قائلاً: لفتحن عصاية من المسلمين كنوز كسرى التي في القصر الأبيض^(٥).

وأخبر رسول الله ﷺ بفتح مصر قائلاً: إنكم ستفتحنون مصر^(٦).

وأخبر ﷺ بمقتل عمار بن ياسر بيد الفئة الباغية^(٧).

وأخبر بخروج الخوارج قائلاً: تخرج طائفة من أمتي يرقون من الدين يقتلهم علي بن أبي طالب عليه السلام ثلاث مرّات^(٨).

ورأى رسول الله ﷺ بني أمية على منبره فسأه ذلك فقال تعالى «وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس»^(٩).

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب ٦/٦٢٨ ح ٣٦٢٤، صحيح مسلم، فضائل الصحابة ٤/١٩٠٥ مسند أحمد ٢٨٢/٦، ٢٨٣.

(٢) الكنى والاسماء، الدولابي ١/١٠٤، مسند البزار ٢/٢٠٣، المستدرک ٣/١٤٠.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ١٥/٣٨٣ ح ١٩٦٧٣، لسان الميزان ٣/٢٩٥، التاريخ الكبير البخاري ٦/٦٤.

(٤) صحيح ابن حبان ص ٤١٩، مجمع الزوائد ٦/٢١٢، دلائل النبوة، البيهقي ٦/٣٢٦.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الفتن ٤/٢٢٣٧ ح ٢٩١٩، مسند أحمد ٥/١٠٠ - ١٠٣ صحيح ابن حبان ٨/٢٤٣.

(٦) صحيح مسلم، فضائل الصحابة ٤/١٩٧٠ ح ٢٥٤٣، مشكل الآثار، الطحاوي ٢/١٠٢.

(٧) صحيح البخاري ١/١٧٢، مسند أحمد ٣/٥١٦.

(٨) ميزان الاعتدال ٣/٢١٠، لسان الميزان ٤/٣٦٢، صحيح مسلم ٢/٤٤٢.

(٩) الإسراء ٣٠.

من وضع التاريخ الهجري للمسلمين؟

كان للروم والفرس تاريخ يسرون عليه في حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، وقد اختلط العرب بهم وعرفوا منهم ذلك وأهميته في حياة الأمم. وتاريخ الروم يبدأ من زمن الاسكندر وتاريخ الفرس يبدأ من تاريخ زعامة كل ملك لهم.

وكانت العرب لها تاريخ للأحداث يبدأ بآخر واقعة مهمة عندهم فأرخوا بوفاة كعب جد النبي ﷺ وأرخوا بعام الفيل، فقالوا بولادة الرسول ﷺ في عام الفيل ولهم شهر لبداية السنة ألا وهو شهر محرم. ثم اتبع العرب حادثة وفاة عبد المطلب.

والله سبحانه وتعالى العالم بالأحداث وتأريخها لا يمكن أن ينزل رسالته الخاتمة دون تأريخ لها. وكان النبي محمد ﷺ بما عرف من تكامل عقلي وذهني وعملي أدرك أهمية ذلك الأمر في حياة الأمم وتقدمها. لكنه لم يعين بداية السنة الجديدة وهو في مكة حيث صراعه الدامي والعنيف مع طغاة قريش على تبليغ الدين الإسلامي فأخذ بشهر محرم منتظراً للامر الالهي.

وبعد ما هاجر إلى المدينة كان في ذهنه ضرورة التأريخ الجديد لدولته الفتية في الشهر والسنة. وقد وصل رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة في اليوم الأول من ربيع الأول، فأمره الله تعالى بواسطة جبريل^(١) أن يكون ذلك اليوم وذلك الشهر بداية للتقويم الجديد للتأريخ^(٢).

فسار رسول الله ﷺ على الأمر الإلهي ورتب التأريخ الهجري للمسلمين مبتدئاً بالهجرة المباركة إلى المدينة المنورة. وجعل شهر ربيع الأول أول شهور السنة الهجرية. قال الطبري: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة في شهر ربيع الأول أمر بالتأريخ^(٣).

(١) البحار ٥٥ / ٣٥١.

(٢) البداية والنهاية ٤ / ٩٤، ١٠٧، ٨٢٠٧ البحار ج ٥٨ / ٨٣٤٩ تاريخ الطبري ٢ / ٣٨٨، البحار ٤٠ / ٢٦٨، تاريخ الخميس ١ / ٣٣٨.

(٣) تاريخ الطبري ٢ / ١١٠.

وقال الحاكم: وقدم رسول الله ﷺ المدينة في شهر ربيع الأول^(١). وكان التأريخ في السنة التي قدم فيها رسول الله ﷺ المدينة وفيها ولد عبد الله بن الزبير^(٢).

وقال ابن سعد: قدم رسول الله ﷺ المدينة حين هاجر من مكة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر شهر ربيع الأول وهو المجمع عليه، وروى بعضهم أنه قدم لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول^(٣).

وقال اليعقوبي: قدم رسول الله ﷺ المدينة يوم الاثنين لثمان خلون من شهر ربيع الأول^(٤).

قال السيد علي خان: إن التأريخ كان من زمن النبي ﷺ وهو خلاف المشهور من أن التأريخ بالهجرة إنما وضعه عمر بن الخطاب^(٥).

وهناك مئات الروايات الدالة على ثبوت التأريخ الهجري في زمن رسول الله ﷺ وزمن أبي بكر أي لم يدونه عمر.

ويتأسف المسلم عند معرفته بوصول النبي ﷺ إلى المدينة في شهر ربيع الأول، في حين تاريخنا الهجري يبدأ بشهر محرم.

فأراد عمر وطغاة قريش ارجاع التأريخ الى المنهج الجاهلي ومخالفة الامر الالهى في جعل شهر ربيع الاول بداية للسنة الاسلامية.

فلما سأل عمر الصحابة عن زمن بداية السنة الجديدة قال علي عليه السلام هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة^(٦). أي متابعة محمد ﷺ في تعيينه بداية السنة الهجرية كبداية للتأريخ الإسلامي. وكانت بداية السنة عند عرب الجاهلية تبدأ بمحرم فانتخب عمر ذلك^(٧).

(١) المستدرك ٢ / ٦٢٦.

(٢) المستدرك ٣ / ١٣، ١٤.

(٣) طبقات ابن سعد ٢ / ٦، سيرة ابن هشام ٢ / ٣٤١.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤١.

(٥) الدرجات الرفيعة ٢٠٧.

(٦) شرح النهج ١٢ / ٧٤، تاريخ ابن الاثير ١ / ١٠، البداية والنهاية ٧ / ٧٣، ٧٤، البحار ٥٨ / ٣٤٩، المستدرك، الحاكم ٣ / ١٤.

(٧) السيرة النبوية، ابن كثير ٢ / ٢٨٨، البداية والنهاية ٣ / ٩٤، ٢٠٦، ٢٠٧.

وقد أعاد عمر أيضاً مقام إبراهيم عليه السلام إلى ما كان عليه في الجاهلية^(١) إرضاء لطفاة مكة ومخالفة لمنهج إبراهيم عليه السلام وإسماعيل عليه السلام وسيد الرسل ﷺ.

قال الطبري: وفي أيام عمر أراد البعض أن يكون التأريخ من مبعثه وأراد البعض أن يكون من هجرته وأراد آخرون من وفاته^(٢).

فنفهم من ذلك أن التأريخ الهجري وضعه رسول الله ﷺ وبدايته الأولى من ربيع الأول وقدّمه عمر بن الخطاب شهرين ليبدأ بالمحرم وهو بداية السنة عند عرب الجاهلية.

وكان عمر بأعماله تلك يثير حفيظة المؤمنين ويرضي عرب الجاهلية.

وما ذكرناه عن دعوة علي بن أبي طالب عليه السلام للأخذ ببداً التأريخ الهجري ينم عن وجود احتجاج من قبله على الأخذ بالتأريخ الجاهلي.

وفي محاولة من رجال الحزب القرشي لطمس تلك القضية وإخفائها فقد ادعوا أن أول من وضع التأريخ الهجري هو عمر بن الخطاب.

وفي رأيهم أن ذلك فيه فوائد عديدة منها محو مناقب رسول الله ﷺ وتكثير فضائل عمر وإسدال الستار على ما فعله عمر من الأخذ ببداية الشهر الجاهلي وترك الأخذ ببداية التأريخ الإسلامي.

لقد جعل عمر شهر المحرم بداية للسنة فأرضى عرب الجاهلية وأبقى سنة هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة بداية للتأريخ الهجري إرضاءً للمسلمين بضغط ونصيحة الإمام علي عليه السلام^(٣).

لذا لم يكن عمر واضعاً للتأريخ الهجري حتى يكون له منقبة وما فعله يتمثل في محوه شهر ربيع الأول من بداية السنة الهجرية وأخذه بشهر محرم بداية السنة عند أهل الجاهلية.

وبتقديم عمر للسنة الهجرية شهرين من الزمن فقد أثر ذلك على تعيين الناس لسني الأحداث في كتب الحديث والسيرة.

(١) طبقات ابن سعد، ٣ / ٢٠٤ ترجمة عمر بن الخطاب.

(٢) تاريخ الطبري ١١١ / ٢.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ١٢ / ٧٤، البحار ٥٨ / ٣٤٩.

الدلائل والعبر

كانت أعراب الجاهلية التي أسلمت لها مطالبها مثل إبعاد مقام إبراهيم عليه السلام عن الكعبة وجعل شهر محرم بداية للسنة. وتفضيل قريش على سائر الناس وفصل موسم الحج عن موسم العمرة مثلما كان الأمر في الجاهلية.

أما رسول الله ﷺ فلم يستجب لها واستجاب لها أبو بكر بعض الشيء ثم فتح عمر ذلك الباب أكثر مما فتحه أبو بكر وضاعف تلك الاستجابة عثمان بن عفان.

فكان عثمان أحب لقريش من عمر وكان عمر أحب لها من أبي بكر، وتبعاً لهذا فقد خسر عثمان المؤمنين وتعرض لثورة عارمة أودت بحياته.

وكان الخط الجاهلي يأخذ فضائل رسول الله ﷺ ويلصقها بغيره حقداً عليه ولكن الله تعالى فضحهم في أعمالهم تلك.

ومن أعمالهم المخزية إرجاع فضيلة وضع التاريخ الهجري إلى عمر الخطاب مدعين عدم وجود تاريخ للمسلمين في زمن رسول الله ﷺ وزمن أبي بكر.

وكيف تبقى دولة رسول الله ﷺ عشر سنوات في المدينة دون تاريخ في حين كان عرب الجاهلية يسيرون على تاريخ عام الفيل، ثم تاريخ وفاة عبد المطلب.

فرسول الله ﷺ ملزم بالسير على هذه الواقعة أو باتباع حادثة جديدة أما أنه ينكر التاريخ الجاهلي ولا يقترح تاريخاً جديداً فهذه من الطامات الكبرى التي حاول أعداء الإسلام إلصاقها برسول الله ﷺ! للنيل منه ومن المسلمين.

والمنكر في هذا الموضوع اتباع معظم العلماء والكتاب هذا الأمر رادّين فضيلة وضع التاريخ الهجري لعمر!

ومطالب قادة مكة الكثيرة هي التي دفعتهم لاغتيال سيد الرسل وأبي بكر.

والسؤال المطروح هنا هو هل كانت لقريش مطالب أخرى من الأحكام؟

الجواب في المواضع القادمة.



مرکز تحقیقات کلام و علوم اسلامی

باب

کتابة المفازي





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

القارئ والمحقق في موضوع غزوات الرسول ﷺ، يجد بأن يد التحريف قد لعبت بالأحداث فأضافت مواضيع وألفاظاً وحذفت أخرى لأمر مذهبية وقبلية ودينية وغيرها. ولكن النابه من الناس ينتبه إلى صدق الأحاديث من كذبها. كان المسلمون في زمن النبي ﷺ قد تعودوا على الصدق والصراحة وطلب المغفرة والتوبة.

وكان معاوية معروفاً بأوامره بتحريف السيرة والحديث وإيجاد مناقب كاذبة لكبار الصحابة ومحو مناقب أهل البيت ﷺ فحاول أن يحو كل حقيقة في السيرة النبوية الشريفة، وإن يقضي على صراحة العرب البدوية. وحرّف النساخ السيرة تحريفاً منكراً. ثم جاء الناشرون في العصر الحديث فسار الكثير منهم على خطى معاوية بن أبي سفيان. فلقد لاحظنا فرقاً واضحاً بين الطبقات من زيادة ونقصان وتحريف وكأن هؤلاء يريدون أن يكتبوا السيرة مثلما تهوى نفوسهم.

فمثلما يكتب رواة الأساطير، من وضع اسم بطلهم في سطور المحاربين، وحذف اسمه من سطور المنهزمين أو حذف اسمه ووضع كلمة فلان فقد فعل الرواة ذلك.

وكان عروة بن الزبير وابن شهاب الزهري من اللذين ينالون جوائز بني أمية فيقترعون الحديث النبوي والروايات في صالح بني أمية وانصارهم وفي ضرر أهل البيت واتباعهم ومن جملة هؤلاء الكاذبين انس بن مالك والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص وعبد الله بن

عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص .

ومن ضمن الأكاذيب والأراجيف التي نشرها الحزب الأموي للدفاع عن نهج معاوية، وليس حباً بأبي بكر وعمر، ما قاله ابن حزم:

فولّى المنهزمون لا يلوي أحدٌ على أحدٍ فنأداهم رسول الله ﷺ فلم يرجعوا، وثبت مع رسول الله ﷺ عشرة فقط من أصحابه وآل بيته وكان أحدُهم عمرُ بن الخطاب^(١).

وكانَ عمر يعرف بما ستخطّه اليد الأموية من تحريف الحقائق، يوم صرّح بفراره مراراً، صراحة بدوية دون خوف من أحد.^(٢)

وكان عمر معروفاً بالصراحة فلقد صرّح بفراره وفرار أبي بكر من أرض المعركة في أحد قائلًا: إني رأيت أبا هذا جاء يوم أحد، وأنا وأبو بكر قد تحدّثنا أن رسول الله قُتل.

فقال: يا أبا بكر يا عمر مالي أراكما جالسين؟ إن كان رسول الله قُتل فإنَّ الله حيٌّ لا يموت^(٣).



حامل لواء النبي ﷺ في مغازيه؟

لقد شارك علي عليه السلام في كلِّ المعارك التي خاضها رسول الله ﷺ حاملاً لواء الإسلام. ولم ينهزم في حرب قط وخلفه رسول الله ﷺ على المدينة في حرب تبوك^(٤).

وجاء في كتاب مستدرك الحاكم: عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: لعلي بن أبي طالب عليه السلام أربع ماهن لأحد: هو أول عربي واعجمي صلّى مع رسول الله ﷺ، وهو صاحب لوائه في كل زحف، وهو الذي ثبت معه يوم المهراس^(٥) وفر

(١) جوامع السيرة لابن حزم ٢٣٨.

(٢) راجع مواضع الغزوات في هذا الكتاب.

(٣) حياة محمد ﷺ، محمد حسين هيكل، لباب الآداب ١٧٩.

(٤) في حملة تبوك طلب النبي ﷺ من علي عليه السلام البقاء في المدينة لحمايتها من المنافقين وقال له: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

(٥) يوم أحد والمهراس ماء قرب أحد.

الناس، وهو الذي أدخله قبره^(١).

وعن مالك بن دينار قال: سألت سعيد بن جبير وإخوانه من القراء: من كان حامل راية رسول الله ﷺ؟

قال: كان حاملها علي ﷺ.

وفي نص آخر: أنه لما سأل مالك سعيد بن جبير عن ذلك غضب سعيد، فشكاه مالك إلى إخوانه من القراء فعرفوه: أنه خائف من الحجاج، فعاد وسأله فقال: كان حاملها علي، هكذا ﷺ سمعت من عبد الله بن عباس^(٢).

وقال ابن عباس: كان علي ﷺ أخذ راية رسول الله يوم بدر. قال الحاكم: وفي المشاهد كلها^(٣).

وعن علي ﷺ أنه قال: كُسرَ يده يوم أحد، فسقط اللواء من يده، فقال رسول الله ﷺ: دعوه في يده اليسرى، فإنه صاحب لوائي في الدنيا والآخرة^(٤).

وعن ثعلبة بن أبي مالك قال: كان سعيد بن عباد صاحب راية رسول الله في المواطن كلها، فإذا كان وقت القتال أخذها علي بن أبي طالب ﷺ^(٥).

وذكر ابن هشام وابن الأثير وابن كثير: وفي معركة أحد نادى أبو سعد بن أبي طلحة صاحب لواء المشركين علياً ﷺ: أن هل لك يا أبا القضم في البراز من حاجة؟

قال: نعم. فبرزوا بين الصفين، فاختلفا ضربتين، فضربه علي فصرعه، ثم انصرف عنه ولم يُجهز عليه، فقال له أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟

فقال: إنه استقبلني بعورته، فعطفني عنه الرحم، وعرفت أن الله عز وجل قد قتله.

(١) مستدرك الحاكم ١١١/٣، مناقب الخوارزمي ٢٢/٢١، وتلخيصه للذهبي بهامشه، تيسير المطالب ٤٩، ارشاد المفيد ٤٨.

(٢) مستدرك الحاكم ١٣٧/٣، ذخائر العقبى ٧٥.

(٣) ذخائر العقبى ٧٥.

(٤) تاريخ الخميس ٤٣٤/١.

(٥) أسد الغابة ٢٠/٤، أنساب الأشراف ١٠٦/٢.

وجاء ان أبا سعد بن أبي طلحة خرج بين الصفين، فنادى: أنا قاصمٌ من يبارز برازاً، فلم يخرج إليه أحدٌ، فقال: يا أصحاب محمد، زعمتم أن قتلناكم في الجنة، وأن قتلنا في النار، كذبتهم واللات، لو تعلمون ذلك حقاً لخرج إليّ بعضكم.

فخرج إليه علي بن أبي طالب عليه السلام فاختلفا ضربتين، فضربه علي فقتله. وذكر السهيلي برواية الكشي في تفسيره عن سعد: لما كفّ عنه علي طعنته في حنجرته فدلج لسانه إليّ كما يصنع الكلب ثم مات ^(١).

إن أبا سعد بن أبي طلحة هو أول من كشف (من أبطال قريش) عورته أمام علي بن أبي طالب عليه السلام طلباً للشفقة عليه بعد مصرعه، والظاهر انه تعلم ذلك من افعال رفاقه في معركة بدر، إذ قتل علي عليه السلام نصف قتلى المشركين.

وبعد ما عُرف علي عليه السلام بذلك شرع أبطال قريش في كشف عوراتهم أمام علي عليه السلام طلباً للشفقة وعلى رأس هؤلاء عمرو بن عبد ود العامري وعمرو بن العاص وبسر بن أرطاة ^(٢). وكان علي عليه السلام حامل لواء رسول الله ﷺ وقاتل أصحاب الوية المشركين، فذكر ابن هشام في سيرته: وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء في احد، حتى ما يدنو معه احدٌ من القوم ^(٣).

وذكر الطبري ذلك في تاريخه قائلاً: لما قتل علي بن أبي طالب أصحاب الألوية... قال جبريل:

لا سيفَ إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي ^(٤)

وذكر ابن الأثير في تاريخه ذلك الأمر عن أبي رافع ^(٥).

وذكر المؤرخون والرواة حمل علي عليه السلام للواء الإسلام في معارك النبي ﷺ ^(٦).

(١) سيرة ابن هشام ٧٨/٣، الكامل في التاريخ ١٥٢/٢، تاريخ الطبري ١٩٤/٢، السيرة الحلبية ٢٢٢/٢، السيرة النبوية، ابن كثير ٣٩/٣.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير ١٢٢/٤.

(٣) سيرة ابن هشام ٨٢/٣، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ص ١٥٤.

(٤) تاريخ الطبري ١٩٧/٢.

(٥) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ١٥٤/١.

(٦) السيرة النبوية، ابن كثير ٢٢٧/٣، ٣٥١، مستدرك الحاكم ٣ / ١٣٠ طبعة دار الكتب العلمية - بيروت.

وقضى علي بن أبي طالب علي حامل راية الكفار في حنين^(١).

وقال ابن اسحاق: وقد قتل علي بن أبي طالب طلحة بن أبي طلحة، وهو يحمل لواء قريش، والمحكم بن اخنس بن شريق بن حميد بن زهير، وأبا أمية بن أبي حذيفة بن أبي المغيرة.

ومر سعد بن أبي وقاص برجل يشتم علياً، والناس حوله في المدينة، فوقف عليه وقال: يا هذا: علي ما تشتم علي بن أبي طالب؟

الم يكن أول من أسلم؟ ألم يكن أول من صلى مع رسول الله؟ ألم يكن أزهد الناس؟ ألم يكن أعلم الناس؟ وذكر حتى قال: ألم يكن صاحب راية رسول الله في غزواته^(٢).

وقد قتل أبطال العرب مع رسول الله ﷺ من أمثال عمرو بن عبد ود العامري وبطل اليهود الحارث ومرحب وبطل الشام في معركة صفين حريث^(٣) وفر من معاوية وابن العاص وعبيد الله بن عمر وبسر بن أرطاة^(٤). وقال علي عليه السلام: أنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب^(٥).

مركز تقيت في تير علوم رسي

لماذا لم يقتل القرشيون عمر في احد والخندق؟

كانت قريش تعرف نوايا عمر المعارضة للرسول ﷺ فأرسلوه لقتله في مكة! واستمرت قريش في حبها لعمر أثناء حروبها مع المسلمين ويوم السقيفة وما بعد ذلك، لماذا؟ ولم يقتل سعيد بن العاص عمر في معركة بدر^(٦)

وترك خالد بن الوليد قتل عمر في معركة أحد، بالرغم من أن خالد كان في كتيبة خشناء، وعمر بن الخطاب فاراً لوحده، إذ قال خالد:

(١) تاريخ الخميس ١٠٢/٢.

(٢) مستدرك الحاكم ٥٠٠/٣، حياة الصحابة ٥١٤/٢.

(٣) الأخبار الطوال، أحمد بن داود الدينوري ص ١٧٥.

(٤) المصدر السابق ص ١٧٥، ١٧٦.

(٥) مستدرك الحاكم ١٢١/٣.

(٦) الارشاد ٧٦/١.

«رأيت عمر بن الخطاب رحمه الله حين جالوا وأنهزموا يوم أُحُد وما معه أحدٌ، وإني لفي كتيبة خشناء، فما عرفه منهم أحدٌ غيري، فنكبت عنه، وخشيت إن أُغريْتُ به من معي، أن يصمدوا له^(١)».

فخالد يقتل المهاجر والأنصاري ويترك عمر لماذا؟
وفي معركة الخندق تمكَّن ضرار بن الخطاب (الفهري) من قتل عمر بن الخطاب (العدوي) إلا أنه تركه، إذ قال الواقدي:

وحمل ضرار بن الخطاب الفهري على عمر بن الخطاب بالرمح، حتى إذا وجد عمر مسَّ الرمح رَفَعَه عنه، وقال: هذه نعمة مشكورة، فاحفظها يا ابن الخطاب، إني قد كنتُ حلفتُ لا تمكِّنني يداي من رجلٍ من قريش أبداً^(٢).

لقد اضيف إلى الرواية مقطعاً لم يكن موجوداً فيها وهو قوله: «قد كنت حلفت لا تمكِّنني يداي من رجل من قريش أبداً»! لايجاد عذر في سبب امتناع ضرار عن قتل عمر، إذ جاء في الرواية: «حمل ضرار بن الخطاب وهبيرة بن أبي وهب على (القرشي) كرم الله وجهه فاقبل على ﷺ عليهما، فأما ضرار فولى هارباً ولم يشب، وأما هبيرة فثبت، ثم التقى درعه وهرب، وكان فارس قريش وشاعرها.

فهما أرادا قتل علي القرشي ﷺ وأبي قريشي مخلص في الإسلام والابقاء على جواسيس قريش في جيش رسول الله ﷺ».

وذكر ابن ضرار بن الخطاب: لما هرب ضرار تبعه عمر بن الخطاب، وصار يشد في أثره، فكرر ضرار راجعاً وحمل على عمر بالرمح ليضعه ثم أمسك وقال:

يا عمر هذه نعمة مشكورة اثبتها عليك، ويد لي عندك غير مجزئ بها فاحفظها، ثم رفعها عنه، وقال له: ما كنت لأقتلك يا ابن الخطاب.

ووقع له مع عمر مثل ذلك في أحد فانه التقى معه فضرب عمر بالقناة، ثم رفعها عنه،

(١) مغازي الواقدي ٢٣٧/١.

(٢) مغازي الواقدي ٤٧١/١.

وقال له: ما كنت لأقتلك يا ابن الخطاب^(١).

ولا يتصور أحد بأن ضرار بن الخطاب أخ لعمر بن الخطاب، بل هو ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كثير بن عمرو بن سفيان بن محارب بن فهر القرشي الفهري. وذكر ابن عساكر تمكّن فارس قریش ضرار الفهري من قتل عمر فلم يقتله إذ قال: وكان ضرار بن الخطاب فارس قریش وشاعِرَهم، وحضر معهم المشاهد كلها، فكان يقاتل أشد القتال، ويحرّض المشركين بشعره، وهو قتل عمرو بن معاذ أخا سعد بن معاذ يوم أحد، وقال حين قتله: لا تعدّ من رجلاً زوّجك من الحور العين.

وكان يقول: زوّجت عشرة من أصحاب محمد ﷺ، وأدرك عمر بن الخطاب فضربه بالقناة، ثم رفعها عنه، وقال: يا ابن الخطاب، إنها نعمة مشكورة، والله ما كنت لأقتلك. وهو الذي نظر يوم أحد إلى خلاء الجبل من الرماة، فأعلم خالد بن الوليد، فكرّاً جميعاً بمن معها، حتى قتلوا من بقي من الرماة على الجبل، ثم دخلوا عسكر المسلمين من ورائهم. وقال ضرار: زوّجت يومئذ (في معركة أحد) أحد عشر منكم من الحور العين^(٢) أي ان قریش الجاهلية لا تريد قتل عمر لمعرفة بحاله وأهدافه. فأحبّ عمر ضراراً، فعندما كان في طريق مكّة في زمن حكمه، قال عبد الرحمن لرباح غنّنا.

فقال له عمر: إن كنت آخذاً فعليك بشعر ضرار بن الخطاب^(٣).

ووجدت في كتب الإصابة، والإستيعاب وتاريخ دمشق ما يخالف ما ذكره الواقدي، بأن ضراراً لم يقتل عمر، لأنّه حلف أن لا يقتل قرشياً؟! ففي الحقيقة انه قتل مسلمين من قریش.

(١) السيرة الحلبية، الحلبي الشافعي ٢/٣٢١.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ١١/١٥٦، ١٥٧ طبعة دار الفكر، مغازي الواقدي وطبقات الشعراء لابن سلام ٦٣، وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ١٤/٢١٤ عن الواقدي والبلاذري وابن اسحاق. وكانت هذه يدأ عند عمر كافأه بها حين إستخلف، فراجع طبقات الشعراء ٦٣، والبداية والنهاية ٣/١٠٧ عن ابن هشام.

(٣) الأصابة، ابن حجر ٢/٢٠٩.

إذ ذكر ابن حجر قول ابن عساكر قائلاً: «وهو أي ضرار الذي ادّعى قتل عشرة من أصحاب النبي ﷺ حيث قال: «زوّجت عشرة من أصحاب النبي بالحور العين»^(١). وقال ضرار بن الخطاب الفهري لأبي بكر لاحقاً: نحن كنّا لقريش خيراً منكم، أدخلناهم الجنة، وأوردتهم النار»^(٢).

وهذا اعتراف منه بقتل مهاجرين مسلمين من قريش، وادّعاؤه إرسالهم إلى الجنة بيده، وبفضل منه تجاههم! في حين قتل المهاجرون رجالاً من قريش فأرسلوهم إلى النار. ولاحظنا في الرواية هجوم ضرار بن الخطاب وهبيرة لقتل علي بن أبي طالب القرشي فلم يفلحوا! ولقد كانت الحرب بين المسلمين والكفار حرب حياة وموت يقتل فيها المحارب أعداءه من أي فئة وقبيلة كانوا!

فقد قال أبو سفيان في رسالة للنبي ﷺ بعد معركة الخندق: «لقد سرت إليك في جمع وأنا أريد أن لا أعود إليك أبداً حتى استأصلكم»^(٣). وبعد إسلام قريش في فتح مكة قهراً، أسلم ضرار بن الخطاب، لكنه بقي محلاً لشرب الخمر إلى أن مات، محتجاً بآية:

﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا، إذا ما اتَّقَوْا وآمنوا وعملوا الصالحات﴾^(٤)

وبعد إسلامه في فتح مكة استمر في شرب الخمر مثل عمر إلى أن مات عليها. ومثل هذه الميتة مات وحشي قاتل حمزة إذ ما زال يحذ في الخمر إلى أن مات والأقبح أنه مات في حمص في بركة خمر!^(٥)

وكان ضرار بن الخطاب الفهري من القساة الجبارين فقد اعترف بقتله عشرة من

(١) الإصابة لابن حجر ٢/٢٠٩.

(٢) الاستيعاب بهامش الإصابة لابن عبد البر الأندلسي ٢/٢١٠، الإصابة لابن حجر العسقلاني ٢/٢١٠.

(٣) السيرة الحلبية ٢/٣٣١.

(٤) السيرة الحلبية ٢/٣٣١.

(٥) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٦/٢٥٨ - ٢٦٦، ط. دار الفكر - دمشق.

المؤمنين^(١). وتشهد الحوادث بقتل خالد وضرار للكثير من المسلمين القرشيين دون رحمة (عدا عمر)!

ولم يحدثنا الواقدي في المغازي بقتل عمر بن الخطاب لرجل من مشركي قريش. بل ذكر قائلاً بأن سيف عمر لم يستخدم في الحروب:
«قال ابن عمر كان سيف عمر فيه فضة أربع مائة درهم، وقد أخذ معاوية سيف عمر، ولم يستعمله ايضاً»^(٢).

إذن لم يستخدم عمر سيفه في الحرب، وقد اشترك في حرب بدر فقط، وانهزم في المعارك الأخرى!

ولا أدري كيف حدث هذا فهم لم يقتلوا عمر، وعمر لم يقتل شخصاً منهم.
إذ لم يقدم سعيد بن العاص و خالد بن الوليد وضرار بن الخطاب على قتل عمر، حينما تمكنا منه في أرض المعركة. مما يبين معرفتهم بأسلامه الصوري المزيف!
وأقدم عمر بن الخطاب وأبو بكر على مدح قتلى بدر المشركين بعد شربهما الخمر قائلين

وكائن بالقلب قلب بدر^(٣) من الفتيان والعرب الكرام

أيوعدني ابن كبشة^(٤) أن سنجيا وكيف حياة أصداء وهام

أبعجز أن يرده الموت عني وينشرني إذا بليت عظامي

ألا من مبلغ الرحمن عني بأنني تارك شهر الصيام^(٥)

وأثناء الحديث بين عمر وابن معديكرب البطل المعروف، عرّض^(٦) الأخير بهزائم عمر من طرّف خفي.

(١) الإصابة، ابن حجر ٢/٢٠٩.

(٢) كنز العمال ٦/٦٩٤ ح ١٧٤٤٨.

(٣) قلب بدر هو المكان الذي دفن فيه الرسول ﷺ قتلى بدر المشركين.

(٤) ابن كبشة: كان كفار قريش يكتنون النبي ﷺ ابن كبشة ١٢

(٥) المستطرف ٢/٢٦٠، جامع البيان ٢/٢١١، تفسير الطبري في تفسير آية لا تقرّبوا الصلاة وانتم سكارى ٢/٢٠٣

و ٢١١.

(٦) عرّض تعريضاً والتعريض ضد التصريح من القول.

وظاهر الأمر أن فراره في الحروب كان معروفاً، ذكره خالد بن الوليد وابن معديكرب وآخرون، وصرّح به عمر نفسه. فقد سأل عمر من عمرو بن معديكرب عن السلاح، فأخبره بما عرف، حتّى بلغ السيف، فقال: هنالك قارعتك أمك عن ثكلها. فعلاه عمر بالدرة، وقال: بل أمك قارعتك عن ثكلها، والله إني لأهمّ أن أقطع لسانك. فقال عمرو: الحمى أضرعتني لك اليوم، وخرج من عنده وهو يقول:

اتسوعدني كأنك ذو رُعَيْن بسانعم عيشة أو ذو نُواس
فكم قد كان قبلك من ملك عظيم ظاهر الجبروت قاس
فأصبح أهله بادوا وأمسى يُنْقَلُ من أناس في أناس
فلا يغفرك ملكك كلُّ ملك يصير مذلة بعد الشمس
فاعتذر عمر إليه^(١).

والشيء الملفت للنظر في معركة أُجَد، أن أبا بكر كان من الفارين كما اعترف هو نفسه^(٢). وقد فرَّ أبو بكر وعمر من حملة الشام بقيادة أسامة التي أمر بها النبي ﷺ، في حياته وبعد مماته.

ثم اتهم عمرو بن سعيد بن العاص الأموي عمر بن الخطاب بالفرار من حملة الشام، وعيَّره بذلك أمام المسلمين^(٣).

رسائل سرية

وبعد هزيمة الكفار في معركة بدر، حاول عبد الرحمن بن عوف حماية أمية بن خلف، الطاغية المعروف، وانقاذه من يد المسلمين، وسبب ذلك وجود كتابات خطية بينها، وظاهر تلك الخطابات كونها سرّية. إذ جاء عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه: كاتبت

(١) مروج الذهب، السعدي ٢/٣٢٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/١٥٥، السيرة النبوية لابن كثير ٣/٥٨، كنز العمال ١٠/٢٦٨، تاريخ الخميس ١/٤٣١، حياة الصحابة ١/٢٧٢، البداية والنهاية ٤/٢٩.

(٣) تاريخ يعقوبي ٢/١٢٧، ١٣٣، طبعة ليدن، تاريخ الطبري ٢/٣٣٥.

أمية بن خلف كتابة في أن يحفظني في صاغيتي بمكة، واحفظه في صاغيته^(١) في المدينة. فلما بلغ أسم عبد الرحمن، قال: لا أعرف الرحمن كاتبني باسمك الذي كان فكاتبته عبد عمرو، فلما كان يوم بدر خرجت لأحرزه في شعب، حتى يأمن الناس، فرأيت بلالاً مولى أبي بكر، فأقبل حتى وقف على مجلس الأنصار.

فقال: يا معشر الأنصار أمية بن خلف لا نجوت أن نجا، فخرج مع نفر. قال عبد الرحمن فلما خشيت أن يدركونا خلّفت لهم ابنه اشغلهم به فقتلوه، ثم أتوا حتى لحقونا، وكان أمية رجلاً ثقیلاً^(٢).

ولقد نادى بلال: يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت أن نجا^(٣). وعهود ابن عوف لابن خلف مخالفة لبنود بيعة المسلمين للنبي في عدم اجارة الكافرين واموالهم ولكن ابن عوف عاهد أمية بن خلف سراً في ذلك!

وروى إبراهيم بن عبد الرحمن أيضاً أن رجلاً قال لأبيه: قد جئت لأمر، وقد رأيت اعجب منه، هل جاءكم إلا ما جاءنا، أم هل علمتم إلا ما علمنا؟ قال عبد الرحمن: لم يأتنا إلا ما قد جاءكم، ولم نعلم إلا ما علمتم؛ قلت: فالتأزهد في الدنيا وترغبون فيها، ونخف في الجهاد وتنشغلون عنه! وانتم سلفنا وخيارنا وأصحاب نبينا ﷺ؟

قال عبد الرحمن: لم يأتنا إلا ما جاءكم، ولم نعلم إلا ما علمتم، ولكننا بولينا بالضرّاء فصبرنا، وولينا بالسرّاء فلم نصبر^(٤). وهذا اتهام صارخ لابن عوف بفراره وصحبه من الزحف والغزو بعد فضح علاقته السرية مع أمية بن خلف. وصحبه هم عمر وعثمان ومعاوية وابن الجراح والمغيرة.

وقد جعل عمر بن الخطاب عبد الرحمن بن عوف خليفة بعد عثمان بن عفان لسجله، الحافل بالخدمات لقريش! وهو أحد أعضاء العقبة في حملة تبوك^(٥).

(١) الصاغية: هم الذين يميلون إليك في حوائجهم. القاموس.

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٧٦/٤، طبعة دار الفكر، دمشق.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير ٣/٣٥٠ ط. دار احياء التراث.

(٤) المصدر السابق ٧٧/٤.

(٥) راجع موضوع العقبة في هذا الكتاب ليُفتح ذهنك وتنجلي الغبرة عن بصيرتك بأن الاشتراك في حملة العقبة أحد شروط الخلافة عند قريش وهي متوفرة في أبي بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن ومعاوية.

نظرة رسول الله ﷺ إلى الفتوحات

لو عدنا إلى زمن النبي ﷺ الذي حكم عشر سنوات في مدينة يثرب لوجدنا أن الانتصارات في زمنه كانت أعظم وأهم وأخطر من الفتوحات اللاحقة . لأن النبي ﷺ في المدينة قد بدأ أولاً بتأسيس الدولة الإسلامية ونشر الإسلام بين أفرادها . وكانت قبائل العرب واليهود المحيطة بالمدينة والساكنة فيها تحيك المؤامرات للقضاء على الإسلام .

فكانت هجمات قريش وغيرها على المدينة للقضاء على نور الإسلام مستمرة ، واشد هذه الهجمات خطورة هجمة الاحزاب . وبعد فشل هذه الهجمات استمر الجيش الإسلامي في الجهاد .

ونلاحظ في مسيرة الرسول ﷺ أنه بالرغم من الإمكانات الضعيفة في المدينة ووجود اليهود والمنافقين فيها فقد تحرك نحو الغزو . فكانت نظرية النبي ﷺ الهجوم خير وسيلة للدفاع .

ففي السنة الثانية للهجرة تحرك النبي ﷺ وأتباعه للسيطرة على قافلة قريش التجارية . ولم تكن قريش تتصور أن النبي ﷺ سيتحول إلى الهجوم عليها بهذه السرعة المخاطفة هذا أولاً .

وثانياً إنها لم تتصور إمكانية إنتصار جيش النبي ﷺ عليها . لذلك لما ذكرت عاتكة منامها من وقوع صخرة من جبل أبي قبيس وتناثرها في منازل مكة ، أدرك أبو جهل تفسير هذا المنام ، بإنتصار جيش النبي ﷺ وانتشار القتلى في دور قريش . فلم يصدق حصول ذلك بهذه السرعة المذهلة .

فأقدام النبي ﷺ لم تثبت في المدينة ، والمنافقون أقوياء فيها ، وعلى رأسهم ابن أبي ، وكان يهود بني قريظة ، وبني قينقاع ، وبني النضير في أوج قوتهم . وكان جواسيس قريش قد هاجروا مع المهاجرين !

ولكن النبي ﷺ أوجد نظرية جديدة ، تتمثل في الهجوم ، ثم الهجوم دون مراعاة لصيف أو شتاء أو كثرة مشاكل وقوة عدو ، بالتوكل على الله تعالى .

فما أن انتصر النبي ﷺ في السنة الثانية في بدر حتى غزا يهود بني قينقاع وانتصر عليهم. وهكذا حقق الجيش الإسلامي الفتي الذي لا يتجاوز الثلاثمائة مقاتل انتصارين على جبهتين في سنة واحدة! جبهة الكفار وجبهة اليهود. ثم غزا النبي ﷺ غزوة السويق. وفي السنة الثالثة غزا المسلمون غزوة قرارة الكدر وغزوة غطفان وغزوة بني سليم وسرية القردة وغزوة احد. وبالرغم من خسارة المسلمين في معركة أحد لم يستوقف النبي ﷺ عن الجهاد، فكانت غزوة حمراء الاسد وسرية أبي سلمة.

وفي السنة الرابعة كانت غزوة بدر معونة، وغزوة الرجيع، وغزوة بني النضير، وغزوة بدر الموعده، وسرية ابن عتيك.

وفي السنة الخامسة الهجرية كانت غزوة ذات الرقاع، وغزوة دومة الجندل، وغزوة المريسيع، وحرب الخندق (الاحزاب). وفي هذه السنة كانت غزوة بني قريظة.

وفي السنة السادسة للهجرة كانت سرية عبد الله بن انيس، وغزوة القرطاء، وغزوة بني لحيان، وغزوة الغابة، وسرية عكاشة بن محصن، وسرية أبي عبيدة إلى ذي القصة، وسرية زيد بن حارثة، وسرية علي بن أبي طالب إلى بني سعد في فدك.

ثم كانت سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة، وسرية عبد الله بن رواحة، وسرية كرز بن جابر، ثم غزوة الحديبية.

واستمرت غزوات النبي ﷺ وسراياه، ففي السنة السابعة كانت غزوة خيبر، وسرية بني عبد بن ثعلبة، وغزوة القضية.

وفي السنة الثامنة للهجرة كانت سرية غالب بن عبد الله بالكديد، وسرية كعب بن عمير إلى ذات أطلاق، وسرية شجاع بن وهب إلى أرض بني عامر، وسرية إلى خثعم بنباله.

وفي السنة الثامنة للهجرة كانت غزوة مؤتة، وهي أول غزوة إلى الشام، خارج أرض الجزيرة العربية.

ولم تقف مصيبة مؤتة في طريق الغزو والجهاد، فكانت غزوة ذات السلاسل، بالرغم من الوجوه التي استشهدت في معركة مؤتة، من مثل جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة، ثم سرية خضرة وأميرها أبو قتادة.

وفي السنة الثامنة كانت غزوة فتح مكة ذلك الفتح المبين. ثم تبعها غزوة بني جذيمة، ثم غزوة حنين، ثم سرية بني كلاب وسرية علقمة بن مجزز وسرية علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الفليس. وكانت خطة النبي ﷺ في الغزو انه لا يغزو غزوة الا ورئى بغيرها؛ لئلا تذهب الأخبار بانه يريد كذا وكذا.

وفي السنة التاسعة للهجرة كانت غزوة تبوك، فغزاها رسول الله ﷺ في حرٍّ شديد^(١). وهذه الغزوة مثل غزوة مؤتة إلى الشام. لكن النبي ﷺ انتصر فيها وخاف الروم محاربتة. ثم أعقب ذلك غزوة أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل.

وفي السنة العاشرة للهجرة كانت غزوة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى اليمن، وفي السنة الحادية عشرة جهز النبي ﷺ حملة أسامة بن زيد إلى الشام.

وبذلك يكون الرسول ﷺ جهز ثلاثة جيوش إلى الشام في السنوات الثامنة والتاسعة والحادية عشرة. وقاد جيش السنة التاسعة (تبوك) بنفسه.

إذن حارب النبي ﷺ داخل الجزيرة العربية وخارجها، وهو الذي وضع حجر الأساس للجهاد الداخلي والخارجي. وبالرغم من كل المصاعب جهز النبي ﷺ ثلاث حملات إلى بلاد الروم (الشام). فيكون النبي ﷺ في مدة قصيرة قد فتح جزيرة العرب، وأرسل جيوشه إلى خارجها.

وبهذا يتوضح أن نظرية الغزو والجهاد قد أسسها الرسول ﷺ وقادها بنفسه، فتعود المسلمون على هذا الاندفاع والاستبسال لطلب الأجر والثواب.

وهذا الاندفاع البطولي لم تقف أمامه جيوش كسرى وجحافل هرقل ولم تصده جبال ايران ولا مضيق الاندلس.

فالجهاد والغزو الذي دعا إليه الله في محكم كتابه وحديث رسوله هو الذي علّم المسلمين الحرب في سبيل الله لفتح البلدان الاخرى ونشر راية الإسلام.

فلم تقف أمام جيوش المسلمين فيلة رستم، ولا الأعداد الهائلة من جنده، فتلك

(١) مغازي الواقدي ٢/ ٩٩٠. مغازي الذهبي باب سرايا النبي ﷺ.

الجيوش الموحدة التي تعوّدت على الحرب، بقلّة العدد والعدة، والاعتماد على نصر الله، والركون إلى الايمان، والتوسل بالشهادة، لم تلتفت وراءها، بل صوّبت وجوها إلى الأمام لفتح الحصون تمهيداً لفتح القلوب بنور الإسلام.

وبلغت تلك الجيوش حدّاً من التوكل على الله سبحانه والاحتفاء بالتقوى، أنّها كانت تنتصر على الأعداء في جبهات القتال ضد الكفر حتى في زمن ملوك بني أميّة البعيدين عن التقوى!

ثم انحرفت نظرة السلطة إلى الغزو. قال عبد الله بن عامر: رأيي لك يا امير المؤمنين (عثمان) أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك، وأن تجمرهم في المغازي، حتى يذّلّوا لك، فلا تكون همّة احدهم الا نفسه، وما هو فيه من دبر دابته وقل فروته^(١).

فهدف الغزو هنا إذلال الناس واشغالهم وليس الفتح الإسلامي ونشر الدين. وبينما كانت جيوش الموحدين تستبسل في جبهات القتال في الهند والأندلس، كان الوليد بن يزيد يقضي ليله في الغناء والسكر مع بطانته الفاسدة حتى بلغ الأمر حداً من التدهور ان قتلت السلطة الأموية موسى بن نصير فاتح الأندلس مع أبنائه، كي تسلب منه الشهرة والفخر، وتبقى صاحبة ذلك!

وأصبح هدف الملك المال وليس الإسلام، إذ اخبر احد الولاة هشام بن عبد الملك بقلّة الموارد المالية في بلاده.

فقال له هشام: احلب الدر فإن انقطع احلب الدم! وأعاد هشام الجزية على من أسلم من أهل السغد فكفرت السغد وبخاري^(٢). ولما ضعفت بعض الموارد المالية بسبب تحوّل الكفار نحو الإسلام قرّرت السلطة الاموية أخذ الجزية منهم ولو أسلموا!

وقد جاء في القرآن الكريم آيات كثيرة تحث على الجهاد والغزو:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ

(١) تجارب الامم، مسكوية ٢٧٣/٨.

(٢) تاريخ الطبري ٣٩٨/٥، ٣٩٩.

الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ^(١)

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٢)

كما قال النبي ﷺ أحاديث كثيرة تحث على الغزو والجهاد، وشارك بنفسه في حروب الجهاد والفتح، فكان هذا أكبر دليل على تشجيعه لذلك.

ولقد غزا النبي ﷺ بنفسه وبقيادته ثمان وعشرين غزوة !! ولما بلغ النبي ﷺ واحداً وستين سنة قاد غزوة تبوك.

الولاية في عهد النبي ﷺ

لقد ولي النبي ﷺ ثلاثة من أبناء سعيد بن العاص بن أمية وهم أبان وخالد وعمرو (الذين استشهدوا في خلافة أبي بكر)^(٣) حكاماً على الولايات الإسلامية.

وكان رسول الله ﷺ قد استعمل عمرو بن سعيد على خيبر ووادي القرى وتيماء وقُبض النبي ﷺ وهو يليها له^(٤).

وولي النبي ﷺ العلاء بن الحضرمي على البحرين^(٥) وولي الأرقم بن أبي الأرقم على ولاية^(٦).

وكان خالد بن سعيد على اليمن وأبان بن سعيد على البحرين^(٧).
في حين لم يوافق عمر على أمر أبي بكر بإرسال خالد بن سعيد أميراً على فرقة من جيوش المسلمين الذاهبة إلى الشام، فأطاعه أبو بكر.
فلم يعين أبو بكر واحداً من هؤلاء السابقين إلى الإسلام، لنصرتهم علي بن أبي

(١) الأنفال: ٧٤.

(٢) العنكبوت: ٦٩.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢١١/١٩.

(٤) تيماء: بليد في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام، معجم البلدان ٦٧/٢.

(٥) أسد الغابة ٧/٤.

(٦) أعلام البلاء ٢ / ٤٨٠.

(٧) البحرين: اسم جامع لبلاد على ساحل البحر بين البصرة وعمان، معجم البلدان ٣٤٦/١.

طالب ﷺ ودعوتهم إلى بيعته. فلم يبايع خالد لأبي بكر إلا بعد ستة أشهر من ذلك. وتمثلت بيعته في إقدام أبي بكر على مسح يد خالد بيده! وعين أبو بكر بدلاً عنهم الطلقاء من بني أمية مثل عتاب بن أسيد ويزيد بن أبي سفيان وعتبة بن أبي سفيان! (١)

وعلي بن أبي طالب ﷺ لم يبايع أبابكر بالخلافة وبعد ستة أشهر زاره أبو بكر إلى بيته مع جماعة ومسحوا يد أبي بكر بيده فاعتبرها أبو بكر ببيعة له.

وبينا أرسلت الدولة الصحابة المخلصين إلى ساحات الجهاد فاستشهدوا واغتالت آخرين احتفظت بالمؤيدين لها من أمثال ابن عوف وعثمان بن عفان والحكم بن أبي العاص وأبي سفيان وأولاده (معاوية وعتبة وعنيسة) وزيد بن ثابت ومحمد بن مسلمة وعمر بن الخطاب وعبد الله بن سلام في المدينة.

لذلك عيّر عمرو بن سعيد بن العاص عمر بن الخطاب بالجبن لامتناعه عن الالتحاق بحملة أسامة في زمن أبي بكر (٢).



الدلائل والعبر

تختلف مغازي رسول الله ﷺ الانسانية عن مغازي المخالفين لمنهجه من الطغاة والعتاة والمردة في أخلاقها وأهدافها، فنيته فتح البلدان لله تعالى وتعاليمه السامية وشريعته السمحاء، وانتقاذ الشعوب من الاستعباد، والديانات البالية والطقوس الفانية.

فغاية النبي ﷺ نشر الحضارة في ربوع البلدان لا امتصاص خيراتها واستغلالها كما فعلت وتفعل حكومات الدنيا!

وهذا هو الفرق الجوهرى بين المنطق النبوي والمنطق الجاهلي، ومع الأسف كانت وما زالت نظرة الناس إلى الفتوحات في سعتها، وغنائمها فتقاس عندئذ فتوح المسلمين للاندلس والهند بفتوح المغول للصين وروسيا وإيطاليا.

(١) راجع كتاب نظريات الخلفيتين موضوع أولاد أبي سفيان.

(٢) تاريخ يعقوبي ١٣٣/٢ طبعة ليدن.

ويراجع لذلك طبقات ابن سعد ١٠٠/٤، الإصابة ٣٠٠/٤، طبقات خليفة ٢٩٨/١١، وتاريخ خليفة ١٠٤/٧٢.

سيرة ابن اسحاق ٢٠٩، جمهرة ابن حزم ٨٠، وسيرة ابن هشام ٣٦٠/٢ تاريخ أبي زرعة ٢١٧/١.

في حين كان هدف المغول تحطيم الحضارات وجمع الأموال واشباع الشهوات وارضاء نفوسهم السادية بالقتل وراقاة الدماء!

ان المغازي تختلف اختلافاً أصولياً في هدفها واخلاقتها ومغازي النبي ﷺ هدفها اصلاح الإنسان، وتهذيب نفسه، ورفع تمدنه وثقافته ووعيه ليصبح نموذجاً للخلق الراقي.

فأصبحت حقوق سكان البلدان المفتوحة في اليمن وعمان والبحرين متساوية مع سكان المدينة وسمحت الدولة بالحريات لأهل الديانات السماوية، وأسقطت كل الفروق اللونية والقومية وغيرها تحت مظلة ﴿إن اكرمكم عند الله اتقاكم﴾ فأصبح سلمان الفارسي وبلال الحبشي الاسود في المرتبة الاولى من الصحابة المقربين.

واعطت الدولة فرص التعليم وادارة الولايات بصورة متساوية ووفرت الأمن للجميع وحافظت على كرامة الناس واحترامهم ودحرت المنتفعين والظالمين تحت ظل العدالة الاسلامية.

فتفجرت طاقات أفراد الأمة وازدهرت مؤسسات الدولة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فعرف الناس الفرق بين الحكم الجاهلي والحكم الاسلامي. فرفع رسول الله ﷺ عرب الجاهلية من أسفل طبقات الهاوية الى أعلى الدرجات الراقية في فترة وجيزة.

ولما مات رسول الله ﷺ وأعاد عثمان بن عفان الاحكام القرشية الجاهلية ثار عليه المسلمون وقتلوه، وهي اول ثورة اسلامية عارمة هدفها اصلاح والعدالة.

ولما نجح معاوية في التسلط على مقاليد الحكم مع بقية افراد بني أمية تطوّرت الفتوحات الاسلامية ولكن فقدت بريقها الاسلامي فقد قال هشام بن عبد الملك لواليه على الهند:

ثكلتك أمك احلب الدرفان انقطع احلب الدم، وأصدر أمراً بأخذ الجزية من المشركين ولو اسلموا! فكفر معظم المسلمين الهنود.

وأفعال الملوك المسلمين الظالمة بحق شعوبهم وشعوب العالم تابع من سيرتهم على الخطى الجاهلية وتنكرهم للتعالم الاسلامية.

فتعرض الاسلام نفسه لهجمة غادرة من قبلهم، تمثّلت في تشكيكهم بالدين ومهاجمتهم لخاتم النبيين.

ولم يفصل الكثير من الناس بين الاسلام وبين ملوك المسلمين فتعرض الدين المحمدي لهجمة شرسة من قبل الأعداء المتخذين أفعال الطغاة ذريعة لهجومهم. ولا يدرك الكثير الأثر العظيم لسيرة سيد المرسلين في تقوية المسلمين ويكفي لادراك ذلك انه ﷺ انتشل عرب شبه الجزيرة العرب من جحيم الجاهلية الى جنة الاسلام، ففرت رايات العدالة والانسانية والمساواة والأمان في ارض المسلمين.

فأصبح الاعرابي الشرس القاتل لابنته والغازي لجيرانه وابناء عمه معطياً للخمس والزكاة ومحامياً عن المظلوم وأنيقاً في المعاملة والتصرف.

فصعد العرب سلم الحضارة مرتبة بعد اخرى مع رسول الله ﷺ ثم بدأوا بنزولها بعد مقتله ﷺ درجة بعد اخرى الى قاع السقوط! وهذه عبرة لنا في ضرورة التمسك بالدين لصعود درجات العلى والابتعاد عن السقوط والهزيمة.

ان قدرة رسول الله ﷺ الاخلاقية والحضارية تتجسد في انقاذه أمة على سطح المعمورة نقلة نوعية ودفعها الى ساحة الحرية والعدالة والانسانية.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات و پژوهش‌های اسلامی

باب

القرآن الكريم





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الآخبارات الغيبية في القرآن

جاء في القرآن الكريم أخبارات عن الحوادث الغيبية :

﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا﴾^(١).

﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك﴾^(٢).

ومن أخباراته تعالى انتصار المسلمين في معركة بدر الكبرى^(٣) وكذلك انتصار

النصارى على المجوس بقوله تعالى: *مَرْيَمُ تُحَمِّلُهُ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ*

﴿الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلون في بضع سنين﴾^(٤)

ورغم هذا فقد ترك أغلب الناس القرآن وأهل البيت إذ جاء:

﴿ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾^(٥).

وجاء بأن للقرآن ظاهراً وباطناً فقد قال رسول الله ﷺ: له ظهر وبطن فظاهره حكم

وباطنه علم، لا تحصى عجائبه، ولا يشبع منه علماءؤه^(٦).

وقال عبدالله بن مسعود الصحابي الكبير الشأن: إن القرآن نزل على سبعة أحرف ما

(١) سورة هود ٤٩.

(٢) آل عمران: ٤٤.

(٣) البيان الخوئي ٨١ - ٨٤.

(٤) سورة الروم ١.

(٥) الفرقان ٣٠.

(٦) كنز العمال ١٨٦/٢، حياة الصحابة ٤٥٦/٣.

منها حرف إلا وله ظهر وبطن وإن علي بن أبي طالب عليه السلام عنده علم الظاهر والباطن^(١).

المحكم والمتشابه

جاء في الكتاب العزيز ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾^(٢) ومنذ البعثة النبوية وإلى اليوم يحاول الحائذون عن الحق والملاحدة الجري خلف المتشابه من القرآن وتفسيره وفق اهوائهم.

وقد قال رسول الله ﷺ: اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي^(٣). وقد فسّر محمد بن عبد الله عميد أهل البيت عليه السلام المحكم والمتشابه فيه مما يفسر حاجة الثقل الواحد للآخر فهما ركنان لا ينفصلان.



وجاء في القرآن الكريم حول التأويل:

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾^(٤) والراسخون في العلم هم محمد وأهل بيته الكرام عليه السلام، ويبين ذلك حاجة القرآن إلى تفسير أهل البيت عليه السلام.

فالآيات المحكمات هن أم الكتاب ومقابلها المتشابهات التي يتردد معناها بين معنى وآخر، يرجع إلى محكمات الكتاب فتعين معناها فتصير الآية المتشابهة عند ذلك محكمة بواسطة الآية المحكمة^(٥).

(١) مصابيح السنة ١/ ١٧٦، مجمع الزوائد ٧/ ١٥٢، تاريخ ابن عساکر، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ٣/ ٢٥، اسمى المناقب ٨٢، حلية الأولياء ١/ ٦٥، الاتقان ٢/ ١٨٧.

(٢) آل عمران ٧.

(٣) صحيح مسلم ٥/ ٢٢ ح ٢٤٠٨ والدر المنثور ٧/ ٢٤٧.

(٤) آل عمران ٧.

(٥) راجع تفسير الطباطبائي ٣/ ٢٣.

فقوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾^(١)

يشتبه المراد منه على السامع أول ما يسمعه، فإذا رجع إلى قوله تعالى:

﴿ليس كمثله شيء﴾^(٢)

استقر الذهن على أنَّ المراد به التسلط على الملك والإحاطة على الخلق دون التمكن والاعتماد على المكان المستلزم للتجسم المستحيل على الله سبحانه.

ومن قصص التأويل سيرة موسى ﷺ مع الخضر ﷺ إذ قال الخضر:

﴿سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾:

﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا، وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا، فأرنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما، وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة، وكان تحته كنز لهما، وكان أبوهما صالحا﴾^(٣)
ولولا تأويل الخضر ﷺ لحكم موسى ﷺ عليه يارتكاب جريمتين شنيعتين.

ترك البعض للثقلين

لقد ترك أغلب الناس الثقلين وتوجهوا نحو الدنيا. إذ قال أهل السقيفة لرسول الله ﷺ في مرضه: حسبنا كتاب الله رداً على قوله بالثقلين^(٤). أي رفضوا ثقل أهل البيت ﷺ نظرياً ونفذوا ذلك عملياً إذ قتلوا رسول الله ﷺ وفاطمة ﷺ وخلعوا علياً ﷺ وأولاده من الخلافة الذين نص عليهم رسول الله ﷺ باسم الأئمة الإثنا عشر.

ثم تركوا القرآن الكريم الثقل الثاني إذ جاء قوله تعالى:

﴿إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾^(٥) فرفضوا نسخ القرآن في زمن أبي بكر

(١) طه ٥.

(٢) الشورى ١١.

(٣) الكهف ٧٨ - ٨٢.

(٤) صحيح البخاري ١ / ٣٧.

(٥) الفرقان ٣٠.

وعمر وعثمان ومنعوا تفسيره ليصبح مهجوراً.

وقد أجبر حذيفة بن اليمان عثمان على نسخ القرآن فنسخه فتحطمت نظرية الحزب القرشي في منع نسخ القرآن والسعي لتحريفه مثلما حرّف اليهود التوراة. ثم اظهر الحجاج والوليد بن يزيد الأموي علناً معارضتهما للقرآن الكريم^(١) إذ قرأ الوليد قوله تعالى:

﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾^(٢)

فدعا بالمصحف فنصبه غرضاً للنشأ، وأقبل يرميه وهو يقول:

أتسوعد كل جبار عنيد فلهنا إذا جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يارب خرقني الوليد^(٣)

وأعلن كفره قائلاً:

تسلّب بالخلافة هاشمي بلا وحي أتاه ولا كتاب^(٤)

وقد قال علي عليه السلام في بني أمية: والله لا يزالون حتى لا يدعوا الله حراماً إلاّ استحلوه ولا عقداً إلاّ حلوه وحتى لا يبقى بين مدر ولا وبر إلا دخله ظلمهم^(٥).

الثقل الثاني في القرآن والسنة

لقد ذكر الله تعالى في كتابه مناقب أهل البيت عليه السلام في مواطن عديدة منها:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٦)

وقد نصّ العلماء على أنها نزلت في أهل البيت محمد وعلي وفاطمة والحسن

(١) مستدرک الحاكم ٣ / ٦٤٢ طبع دار الكتب العلمية - بيروت

(٢) سورة إبراهيم ١٥، ١٦.

(٣) مروج الذهب ٢ / ١٩٩ - ٢٠٠، الكامل، ابن الأثير ٥ / ٢٩٠، الأغاني ٦ / ١٢٥، الجوهر في سير الملوك والخلفاء وال슬اطين ٧٩.

(٤) مروج الذهب، المسعودي ٢ / ٢٠٠.

(٥) شرح النهج، المعتزلي ٧ / ٧٨.

(٦) سورة النحل، ٤٣، وسورة الأنبياء، ٧.

والحسين عليه السلام، والذين أيّدوا نزولها في هؤلاء من علماء السنة:

الطبري في تفسيره ج ١٤/ ١٠٩. والآلوسي في تفسيره روح المعاني ١٤/ ١٣٤.
والقرطبي في تفسيره ١١/ ٢٧٢. والتستري في تفسيره إحقاق الحق ٣/ ٤٨٢. وابن كثير في
تفسيره ٢/ ٥٧٠. والحاكم في تفسيره شواهد التنزيل ١/ ٣٣٤. والإمام الثعلبي في تفسيره
لهذه الآية.

وجاء أيضاً: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١)
فالآية في حق أهل البيت محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، نزلت في بيت أم سلمة،
عندما كان هؤلاء الخمسة تحت الكساء، وسميت الآية بآية التطهير.

ولما أرادت أم سلمة الدخول معهم تحت الكساء، رفض النبي ﷺ ذلك وقال: أنتِ على
خير. ومصادر السنة التي سلّمت وأيّدت نزولها في محمد وعلي وفاطمة والحسن
والحسين عليهم السلام هي:

- ١- خصائص الأمام النسائي / ٤٩، ٢- مسلم في صحيحه باب فضائل أهل البيت ٢ /
- ٣٦٨، ٣- صحيح الترمذي ٥ / ٣٠، ٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل ١ / ٣٣٠، ٥- تلخيص
- الذهبي، ٦- الصواعق المحرقة لابن حجر ٨٥، ٧- الإشتيعاب لابن عبد البر ٣ / ٣٧،
- ٨- تفسير القرطبي ١٤ / ١٨٢، ٩- أحكام القرآن لابن عربي ٢ / ١٦٦، ١٠- مستدرک
- الحاكم ٣ / ١٢٣، ١١- أسباب النزول للواحدي ٢٠٣، ١٢- منتخب كنز العمال ٥ / ٩٦،
- ١٣- البخاري في التاريخ الكبير ١ / ٦٩، ١٤- تفسير الفخر الرازي ٢ / ٧٠٠، ١٥- السيرة
- الحلبية ٣ / ٢١٢، ١٦- أسد الغابة لابن الأثير ٢ / ١٢، ١٧- تفسير الطبري ٢٢ / ٦،
- ١٨- تاريخ ابن عساكر ١ / ١٨٥، ١٩- تفسير الكشاف للزخشري ١ / ١٩٣، ٢٠- مناقب
- الخوارزمي، ٢٣، ٢١- السيرة الدحلانية ٣ / ٣٢٩، ٢٢- تفسير ابن كثير ٣ / ٤٨٣،
- ٢٣- العقد الفريد لابن عبد ربه ٤ / ٣١١، ٢٤- مصابيح السنة للبغوي ٢ / ٢٧٨، ٢٥- الدر
- المنثور للسيوطي ٥ / ١٩٨.

وقد قال الفخر الرازي: إِنَّ الآيَةَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْخَمْسَةَ مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ مَطْهُرُونَ مِنَ الذُّنُوبِ الصَّغِيرَةِ وَالْكَبِيرَةِ.^(١)

وهناك الكثير من المفسرين والحفاظ والمؤرخين والعلماء من أهل السُنَّة، ممن لم نذكرهم هنا قد ذكروا نزول الآية في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين خاصَّة.^(٢)

ولم تدَّعِ عائشة ولا حفصة ولا أم سلمة بأنها من أهل البيت عليهم السلام، بل على العكس من ذلك ذكرت عائشة وأم سلمة بأن الآية نزلت في حق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين. ثم جاء بعض الرواة والحفظة فالصقوا نساء النبي عليه السلام بأهل بيته حقدًا عليهم وحسدًا لهم!

والآية الثالثة التي أجمعوا على نزولها في أهل البيت عليهم السلام هي:

﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُوا أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٣)

وآية المباهلة معروفة بين المسلمين بيوم المباهلة بين المسلمين والنصارى وخوف النصارى من المباهلة بعد مجيء محمد عليه السلام وعلي عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين.

وعن أبي مسعود الأنصاري أنه قال: أتانا رسول الله عليه السلام ونحن في مجلس سعد بن عُبادة، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله عز وجل أن نصلي عليك، فكيف نصلي عليك؟ فسكت رسول الله عليه السلام حتى تمنينا أنه لم يسأله. فقال قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد، كما باركت على إبراهيم في العالمين إِنَّكَ حميد مجيد.

ولما كان يوم أحد شجَّ رسول الله عليه السلام في وجهه، وكسرت رباعيته، فقام رسول الله عليه السلام يومئذ رافعاً يديه يقول:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى الْيَهُودِ أَنْ قَالُوا: عَزِيرُ ابْنِ اللَّهِ، واشتدَّ غَضَبُهُ عَلَى النَّصَارَى

(١) تفسير الرازي ٢ / ٧٠٠.

(٢) راجع كتاب الغدير للعلامة الأميني في هذا الباب.

(٣) آل عمران ٦١.

أن قالوا: المسيح ابن الله، وإن الله اشتدَّ غضبه على من أراق دمي، وآذاني في عترتي^(١).
وقد ذكر النبي ﷺ أحاديث في فضل أهل البيت ﷺ منها قوله ﷺ: أهل بيتي مثل
سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق^(٢).
وقال الرسول ﷺ: نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد^(٣).

هل كان القرآن مدوناً في زمن النبي ﷺ ؟

لقد اهتم الرسول ﷺ بقضية جمع القرآن الكريم في حياته، وأهتم بها الإمام علي عليه السلام من بعده. فبعد موت الرسول ﷺ وقضية السقيفة قال الإمام علي عليه السلام: بأنه قد حصر جهوده في قضية جمع القرآن الكريم. وقد أكمله وأتمه فكان أول قرآن كامل وصحيح عند المسلمين^(٤).

وسعى عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب في جمع القرآن الكريم أيضاً. فعرف في تلك الفترة الزمنية قرآن الإمام علي عليه السلام وقرآن ابن عباس وقرآن ابن مسعود. وبعد حرب اليمامة ونجاح الدولة في القضاء على المعارضة السياسية هذأت الأوضاع في جزيرة العرب ولم تقدم الدولة على نسخ القرآن.

هناك شواهد كثيرة على تدوين القرآن الكريم في زمن النبي ﷺ، إذ وصلت لنا أدلة بوجود مصحف علي عليه السلام ومصحف عبد الله بن عباس ومصحف عبد الله بن مسعود .
في رواية عن عبد الله بن الزبير « بعثني (أي عثمان) إلى عائشة فجئت بالمصاحف التي كتب فيها رسول الله ﷺ القرآن فعرضناها عليها حتى قوَّمنها^(٥) ».

(١) كنز العمال ٤٣٥/١٠ حديث ٣٠٠٥٠.

(٢) كنز العمال ٢١٦/٦، مستدرک الصحيحین ٣٤٣/٢، المعجم الكبير للطبراني ٢٧/١٢ ح ١٢٣٨٨ الصواعق المحرقة، ابن حجر ص ١٨٦.

(٣) كنوز الحقائق ص ١٥٣، الرياض النضرة ٢٠٨/٢.

(٤) كنز العمال ١٢٧/١٣، مصنف ابن أبي شيبة ١٩٧/٧، مصنف عبد الرزاق ٤٥٠/٥، أنساب الأشراف ٥٨٧/١، التسهيل، ابن جزى ٦/١، وذكره أبو نعيم في الحلية.

(٥) تاريخ المدينة المنورة ٩٩١/٣.

وذكر عمر بن شبة في تاريخ المدينة:

«أن عثمان بن عفان كتب إلى الامصار أمّا بعد فإن نفرًا من أهل الأمصار اجتمعوا عندي فتدارسوا القرآن، فاختلفوا اختلافًا شديدًا، فقال بعضهم قرأت على حرف أبي الدرداء، وقال بعضهم قرأت على حرف عبد الله بن مسعود.

وقال بعضهم قرأت على حرف عبد الله بن قيس، فلما سمعت اختلافهم في القرآن ورأيت أمرًا منكراً، فاشفقت على هذه الأمة من اختلافهم في القرآن، وخشيت أن يختلفوا في دينهم بعد ذهاب من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ الذين قرأوا القرآن على عهده وسمعوه من فيه، كما اختلفت النصارى في الإنجيل بعد ذهاب عيسى بن مريم، وأحببت أن نتدارك من ذلك.

فأرسلت إلى عائشة أم المؤمنين أن ترسل لي بالأدم الذي فيه القرآن الذي كتب عن فم رسول الله ﷺ حين أوحاه الله إلى جبريل، وأوحاه جبرئيل إلى محمد وأنزله عليه، وإذا القرآن غرض، فامرت زيد بن ثابت أن يقوم على ذلك. ولم أفرغ لذلك من أجل أمور الناس والقضاء بين الناس، وكان زيد بن ثابت أحفظنا للقرآن، ثم دعوت نفرًا من كتاب أهل المدينة وذوي عقولهم، منهم نافع بن طريف، وعبد الله بن الوليد الخزاعي، وعبد الرحمن بن أبي لبابة، فأمرتهم أن ينسخوا من ذلك الأدم أربعة مصاحف وأن يتحفظوا»^(١).

وقال ابن جزى: كان القرآن على عهد رسول الله ﷺ متفرقاً في الصحف وفي صدور الرجال، فلما توفي رسول الله ﷺ قعد علي بن أبي طالب عليه السلام في بيته فجمعه على ترتيب نزوله، ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير، ولكنه لم يوجد»^(٢).

وذكر الشيرازي في نزول القرآن وأبو يوسف يعقوب في تفسيره في قوله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك﴾ قال ضمن الله محمداً أن يجمع القرآن بعد رسول الله علي بن أبي طالب، قال ابن عباس: فجمع الله القرآن في قلب علي عليه السلام وجمعه علي عليه السلام بعد موت رسول الله بستمه أشهر^(٣).

(١) تاريخ المدينة المنورة ٩٩٧/٣.

(٢) التسهيل، ابن جزى ٦/١.

(٣) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣١٩/١.

وذكر الكثير من العلماء والحفاظ جمع علي بن أبي طالب عليه السلام للقرآن الكريم منهم: أبو العلاء العطار والموفق خطيب خوارزم في كتابيهما، والخطيب في الأربعين بالاسناد عن السدي وأبو نعيم في الحلية.

وجاء في كتاب كنز العمال: عن محمد بن سيرين قال: لما توفي النبي ﷺ أقسم علي عليه السلام أن لا يرتدي برداء إلا إلى الجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف ^(١).

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه ١٩٧/٧ قول الإمام علي عليه السلام:
« جعلت علي أن لا أرتدي إلا إلى الصلاة حتى أجمعه للناس، فقال أبو بكر: نعم ما رأيت » ^(٢).
وجاء في أخبار أهل البيت: أنه (علي عليه السلام) آلى أن لا يضع رداءه على عاتقه إلا للصلاة حتى يؤلف القرآن ويجمعه، فانقطع عنهم مدة إلى أن جمعه، ثم خرج إليهم في إزار يحمله وهم مجتمعون في المسجد، فانكروا مصيره بعد انقطاع مع التيه، فقالوا: لأمر ما جاء أبو الحسن؟ فلما توسطهم وضع الكتاب بينهم، ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: إني مخلف فيكم ما إن تمسكتم به لن تصلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وهذا الكتاب وأنا العترة، فقام إليه عمر، فقال له: إن يكن عندك قرآن فعندنا مثله، فلا حاجة لنا فيكما، فحمل عليه السلام الكتاب وعاد به، بعد أن ألزمهم الحجة ^(٣).

وعن سليم بن قيس الهلالي: « سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: ما نزلت علي رسول الله آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها علي فاكْتُبها بخطي » ^(٤).
وحاول عمر في أيام سلطته أخذ قرآن علي منه لإتلافه فامتنع علي ^(٥) ولو أتلفه لأصبح القرآن مثل الحديث في عصرنا الحاضر ومثل توراة اليهود!

(١) كنز العمال، المتقي الهندي ١٢٧/١٣.

(٢) كنز العمال ٥٨٨/٢، الإستيعاب ٩٧٤/٣، ورواه عبد الرزاق في مصنفه ٤٥٠/٥، أنساب الأشراف ٥٨٧/١.

(٣) راجع الاحتجاج، الطبرسي ٢٥٥/١، البحار، المجلسي ٤٢/٩٦-٤٣، تفسير نور الثقلين ٢٢٦/٥.

(٤) تفسير العياشي ٢٥٣/١.

(٥) السقيفة، سليم بن قيس ٢٢٧.

منع الدولة لتدوين القرآن

وأول من أظهر اطروحة الحزب القرشي في القرآن والحديث كان أبو بكر فهو الذي امتنع من نسخ القرآن الكريم. ثم سار عمر على ذلك المنهج فلم ينسخ القرآن الكريم في مدة حكمهما.

وامتنع أبو بكر عن تدوين الحديث النبوي، واحرق ما دوّن منه، ومنع ذكر الحديث بين المسلمين. ثم طبق عمر بن الخطاب ذلك المنهج بحذافيره.^(١)

أخرج المتقي الهندي، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب أنه قال: أراد عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن فقام في الناس فقال: من تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف، والألواح، والعصب، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان، فقتل وهو يجمع ذلك إليه.^(٢)

أي مضت ثلاث عشرة سنة من حكم أبي بكر وعمر ولم يجمعا القرآن الكريم!!^(٣). والصحيح ان قرآن علي عليه السلام موجود ولم يرغب أبو بكر وعمر في نسخه وتكثيره بين المسلمين!

وقد قال الله سبحانه في محكم كتابه الشريف: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.^(٤)

وإذا كان القرآن مكتوباً فلماذا ذكروا جمع أبي بكر وعمر وعثمان للقرآن وتشكيلها اللجان في ذلك؟

الواقع ان الروايات التي ذكرت جمع هؤلاء للقرآن كُتبت في الزمن الأموي وهدف الدولة من ذلك عدّة أمور:

١ - محاولة انكار وجود مصاحف مدوّنة ومكتوبة في زمن النبي ﷺ.

(١) راجع موضوع الحديث النبوي في هذا الكتاب.

(٢) منتخب كنز العمال ٤٥/٢.

(٣) راجع موضوع تدوين القرآن في هذا الكتاب.

(٤) الحجر، ٩.

٢- اعطاء فضيلة للخلفاء في اقدمهم على جمع القرآن توازي فضيلة علي عليه السلام في جمعه للقرآن في زمن النبي ﷺ.

ودعوى الأمويين تلك فشلت بعد امتناع أبي بكر وعمر من استنساخ القرآن طيلة ثلاث عشرة سنة حكما فيها البلاد، بدأت من سنة ١١ هجرية وانتهت في سنة ٢٤ هجرية.

٣- ايجاد عذر واهي للمعارضين لذكر السنة النبوية بحجة خوفهم من اختلاط الحديث بالقرآن!

وقد بان زيف هذا الدليل بامتناع الخليفين الأول والثاني من تدوين القرآن والسنة ولو كان هناك خوف واقعي في قلبيهما لنسخا القرآن الموجود فعلا آنذاك ودوّننا السنة النبوية. وعدم نسخهما للقرآن الكريم وعدم تدوينها السنة النبوية يثبت رغبتهما في ادامة ذلك. والذي يؤكد هذا المنحى اقدام الخليفين على إحراق الحديث المدوّن في زمن النبي ﷺ فبعد مقتله ﷺ منعا الصحابة من ذكر الحديث وسجنا الصحابة في مدينة الرسول ﷺ.

ومن الطبيعي أن تكون عملية منع تدوين القرآن والسنة بداية للفتنة الدينية العظمى التي وقع فيها اليهود والنصارى.

وهذه القضية يدركها كل إنسان عاقل فهل خفيت تلك المسألة على أبي بكر وعمر؟ بينما قال عثمان لاحقا: اشفقت على هذه الأمة من اختلافهم في القرآن^(١).

لقد ذكرنا بان الحديث النبوي ﷺ الداعي لنشر وتدوين السنة النبوية قد ذكره عمر وباقي الصحابة وهو: ليلغ الشاهد منكم الغائب^(٢).

والأخطر من ذلك أن عمر بن الخطاب أقدم على تزيف القرآن الصحيح المدوّن في زمن النبي ﷺ والمعروف بمصحف علي عليه السلام بذكر آيات كثيرة بدعوى انها من القرآن الكريم، وانكاره حقيقة آيات أخرى مدوّنة فعلاً^(٣).

(١) تاريخ المدينة المنورة ٩٩٧/٢.

(٢) تفسير الصافي ١ / ٣٠٤ واعجاز القرآن للباقلائي ١٣٢.

(٣) راجع ذلك في موضوعه الخاص في هذا الفصل.

ولو استمر عمر بن الخطاب في حكومته لمنع نسخ القرآن، وثبتت دعواه في زيادته ونقصانه، واستمر منع تفسيره وتدوينه ومنع تدوين وذكر السنة النبوية. وبكلمة أخرى ضياع تراث الثقلين!

ولحدثت في المسلمين فاجعة تشابه فاجعة أهل الكتاب ولكن الله سبحانه وتعالى قال في محكم كتابه الشريف ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١) وعندما لمس الناس خطورة فعل أبي بكر وعمر في عدم نسخها للقرآن الكريم وعدم جمعها له على قراءة واحدة اوجد عبد الله بن الزبير عذراً قائلاً: كان عمر قد همَّ أن يجمع المصاحف فيجعلها على قراءة واحدة فطعن طعنته التي مات فيها^(٢).

لقد ذكروا هذا العذر بعد مقتل عمر على يد أبي لؤلؤة وذكروا بان عمر نوى أيضاً أن يكلم المغيرة في أمر أبي لؤلؤة لكنه طعن! ولم يطلع أحد على نوايا عمر، وما تلك إلا ظنون وحجج كتبت بعد مقتله ليس لها حقيقة.

ولم يهتم رجال الحزب القرشي بالقرآن وعدم اهتمام الوليد بن يزيد بن عبد الملك بالقرآن يبين نظرة الحزب إلى كلام الله تعالى، إذ استفتح الوليد بالقرآن فقرأ ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، مَنْ وَرَاءَهُ جَهَنَّمُ وَيَسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ فدعا بالمصحف فنصبه غرضاً للنشأ وأقبل يرميه وهو يقول:

أَتُوعِدُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ففها أنا ذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب خرقني الوليد^(٣)

(١) العنبر: ٩.

(٢) تاريخ المدينة المنورة ٢/٩٩٠.

(٣) مروج الذهب، المسعودي ٣/٢١٦.

من أجبر الدولة على تدوين القرآن؟

وتشير النصوص إلى فعالية حذيفة بن اليمان في توحيد نسخ القرآن الكريم في زمن عثمان مما يبين أوامر الإمام علي عليه السلام في هذا المجال لأن حذيفة بن اليمان كان تلميذاً مطيعاً لعلي عليه السلام كما كان لرسول الله ﷺ^(١). إذ ضغط على عثمان وأجبره على نسخ القرآن فنسخه^(٢). وإن قرآن عمر كان مجموعاً بواسطة زيد بن ثابت ووضع عند حفصة دون رغبة باستنساخه. ولما ضغط المسلمون على عثمان بقيادة حذيفة بن اليمان رضخ عثمان لهذا ووافق على استنساخ القرآن الكريم فتأسست لجنة فيها زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وحذيفة وآخرون. ولم تأخذ اللجنة بقرآن حفصة، لذلك لما ماتت حفصة في زمن دولة معاوية أسرع مروان بن الحكم (والي المدينة) إلى الحصول على قرآن حفصة لاتلافه، وفعلوا نفذ ذلك^(٣). وذكر ابن شهاب عن خارجة بن زيد بن ثابت قال: لما ماتت حفصة أرسل مروان إلى عبد الله بن عمر بعزيمة، فأعطاه إياها فغسلها غسلًا، وجاء فشققها ومزقها^(٤). وكان هذا القرآن الصحيح مطبوعاً بقراءة علي بن أبي طالب عليه السلام فأخذها عنه عليه السلام عاصم فجاء: «عن حفص، عن عاصم، عن أبي عبد الرحمن قوله: لم أخالف علياً في شيء من قراءته، وكنت أجمع حروف علي عليه السلام، فالتقي بها زيدا في المواسم بالمدينة فما اختلفنا إلا في التابوت، كان زيد يقرأ بالهاء وعلي عليه السلام بالتاء»^(٥). وقرأنا الحالي فيه كلمة التابوت بقراءة علي عليه السلام لا بقراءة زيد بن ثابت. ولأن زيد بن ثابت من أصل يهودي وأعماله مشكوكة فقد ذكر ابن عساكر بأن عبد الله بن مسعود كان يكره استنساخ القرآن بواسطة زيد بن ثابت^(٦).

(١) راجع تاريخ المدينة المنورة، عمر بن شبة ٩٩٨/٣.

(٢) البحار ٨٩/ ٧٦ والسنن الكبرى للبيهقي ٤١/ ٢ وفتح الباري ٩/ ١٤.

(٣) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد، الهيثمي ١٥٦/٧.

(٤) تاريخ المدينة المنورة ١٠٠٣/٣.

(٥) سير اعلام النبلاء، الذهبي ٤٢٦/٢.

(٦) مختصر تاريخ دمشق ٥٧/ ١٤.

اعتقاد الحزب القرشي بنقص القرآن

أخرج البخاري وغيره عن عمر بن الخطاب أنه قال - وهو على المنبر - إن الله بعث محمداً بالحق نبياً، وأنزل عليه الكتاب فكان ممّا أنزل آية الرجم، فقرأناها، وعقلناها، ووعيناها. رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلّ بترك فريضة أنزلها الله والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء.

ثمّ إنّنا كنا نقرأ فيما يقرأ في كتاب الله، ألاّ ترغبوا عن آبائكم فإنّه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم»^(١).

وقال عمر: كنّا نقرأ: ألاّ ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم. ثمّ قال لزيد بن ثابت: أكذلك؟ قال: نعم^(٢).

وهكذا اثبت صحيح البخاري بأنّ عمر وزيد بن ثابت كانا يقولان بنقص القرآن الكريم، وهو من اسباب عدم رغبتهما بنسخ القرآن الكريم، وفعلاً لم ينسخ القرآن في زمن أبي بكر وعمر.

والادلة على اعتقاد عمر بن الخطاب بتحريف القرآن قوله لعمر: أوليس كنّا نقرأ من كتاب الله؟ أن انتفاءكم من آبائكم كفر بكم. فقال: بلى.

ثمّ قال عمر: أوليس كنّا نقرأ الولد للفراش وللعاهر الحجر، فيما فقدنا من كتاب الله. فقال أبي: بلى^(٣).

ومن هذا يتبيّن أنّ عمر اعتقد بنقص آية [ألاّ ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم] من القرآن الكريم.

(١) صحيح البخاري ٤٣/١٠، الاتقان لابي عبيد ٤٢/٢.

(٢) الدر المنثور ١٠٦/١، فزيد بن ثابت اليهودي السابق مدوّن القرآن عند أبي بكر وعمر وعثمان يؤمن بنقص القرآن الكريم.

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ١٠٦/١، كنز العمال ٥٦٧/٢ ح ١٥٣٧٢.

«وأخرج مسلم عن أبي الأسود عن أبيه أنه قال: بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن فقال:

أنتم خيار أهل البصرة، وقرأوهم، ولا يطولنّ عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم، كما قست قلوب من كان من قبلكم وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فنسيتها غير أنني قد حفظت منها: [لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب]. وكنا نقرأ سورة نشبهها بإحدى المسبحات فنسيتها، غير أنني حفظت منها: [يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة]

نحزى بما أوردناه وهو كاف هنا لبيان كيف تفعل الرواية حتى في الكتاب الأول للمسلمين وهو القرآن الكريم! ولا ندري كيف يذهب هذه الروايات التي تفصح بأن القرآن فيه نقص، وتحمل مثل هذه المطاعن مع قول الله سبحانه:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١) وأيهما تصدق؟!^(٢)

قال الأشعري بنقص القرآن للقراء فحرفهم عن الدين فأصبحوا خوارج لذا انتخبوه ممثلاً لهم في معركة صفين.

وذكر السيوطي عن ابن عباس أنه قال: أمر عمر بن الخطاب منادياً فنادى: أن الصلاة جامعة، ثم صعد المنبر فحمد وأثنى عليه، ثم قال: يا أيها الناس لا تجزعن من آية الرجم إنها نزلت في كتاب الله وقرأناها، ولكنها ذهبت في قرآن كثير ذهب مع محمد، وآية ذلك أن النبي ﷺ قد رجم، وإن أبا بكر قد رجم، ورجمت بعدهما، وأنه سيجيئ من هذه الأمة من يكذبون بالرجم^(٣).

وأخرج الإمام أحمد، عن ابن عباس أنه قال: خطبنا عمر فحمد الله تعالى، وأثنى عليه فذكر الرجم فقال: لا نتخذ عن عنه، فإنه حد من حدود الله تعالى. إلا أن رسول الله ﷺ، قد

(١) الحجر، ٩.

(٢) أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو رية ٢٥٦.

(٣) الدر المنثور ١٧٩/٥.

رجم، ورجمنا بعده، ولولا أن يقول قائل: زاد عمر في كتاب الله عز وجل ما ليس منه لكتبته في ناحية من المصحف^(١).

وقال الشيخ محمد أنور: [فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية من كتاب الله... إلخ] وأراد عمر أن يكتبها في المصحف! فإن قلت: إنها إن كانت من كتاب الله، وجبت أن تكتب، وإلا وجب أن لا تكتب. فما معنى قول عمر؟

قلت: أخرج الحفاظ عنه: لكتبها في آخر القرآن^(٢). وجاء في تفسير الدر المنثور للسيوطي عن حذيفة أنه قال: قال لي عمر بن الخطاب: كم تعدون سورة الأحزاب.

قلت: ثنتين أو ثلاث وسبعين.

قال عمر: إن كانت لتقارب سورة البقرة^(٣) وكان فيها الرجم^(٤). وقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: ألم نجد فيها أنزل علينا: «أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة»؟ فإننا لم نجدها.

قال: أسقط فيما أسقط من القرآن^(٥). إذاً ابن عوف يؤمن أيضاً بنقص القرآن! وهو شرط من شروط الخليفة فجعله عمر ولياً للعهد بعد عثمان لكن عثمان والأمويين قتلوه لصالح معاوية ابن أبي سفيان المؤمن بنقص القرآن والمعتقد بضرورة حذف أهل البيت عليهم السلام عقائدياً وسياسياً أيضاً.

وأخرج الشيخ عبد الرحمن السيوطي عن ابن عمر أنه قال: ليقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله، وما يدريك ما كله؟ قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقول: قد أخذت منه

(١) مستند الإمام أحمد ٢٣/١ وأخرجه النسائي.

(٢) فيض الباري على صحيح البخاري ٤/٤٥٣.

(٣) أي ٢٨٦ آية!!

(٤) الدر المنثور ٥/١٨٠.

(٥) كنز العمال للمتقي الهندي ٥٦٧/٢.

ما ظهر^(١). فالتحق عبد الله بن عمر بركب القائلين بنقص القرآن ! ولا يمانه بذلك فقد رشحه أبو موسى الأشعري للخلافة في قضية التحكيم المعروفة. إذن اعتقد عمر بأن القرآن تنقصه ما يلي:

آية الرجم.

آية: أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم.

آية: أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة.

آية: إن انتفاؤكم من آبائكم كفر بكم.

آية: الولد للفراش وللعاهر الحجر.

آية الشيخ والشيخة.

وفي سورة الأحزاب توجد ثلاث وسبعون آية. بينما اعتقد عمر بأنها في حجم سورة البقرة أي مائتان وست وثمانون آية، أي أن عمر يؤمن بنقص سورة الأحزاب لمائتين وثلاث عشرة آية !! وبذلك يظهر لنا أن عمر من المعتقدين بنقص القرآن الكريم. ومن المعتقدين بنقص القرآن عائشة :

قالت لأم المؤمنين زينب بنت جحش ابنة عمه النبي ﷺ بعد مقتل النبي ﷺ: يقال إن عندكم شيئاً من كتاب الله عز وجل لم تظهروه؟

فقالت زينب: لو كنتم محمد ﷺ مما أنزل الله عز وجل عليه لكنتم هذه الآية:

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾^(٢).

فتكون النتيجة: أن نظرية عمر في الثقلين القرآن وأهل البيت ﷺ تتمثل في الإيمان بنقص القرآن الكريم، وحذف أهل البيت ﷺ. فأين وصية النبي ﷺ في الثقلين؟ بقوله ﷺ: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي^(٣).

(١) الدر المنثور ٢/ ٢٩٨، تفسير روح المعاني للآلوسي ١/ ٢٥.

(٢) الأحزاب ٣٧، مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٢/ ٢٧٣.

(٣) صحيح مسلم ٥/ ٢٢ ح ٢٤٠٨ والدر المنثور ٧/ ٣٤٩.

صحة القرآن الكريم

والمسلمون اليوم من سنة وشيعة متفقون على صحة القرآن الكريم الموجود بين أيدينا بلا نقص ولا زيادة ولا تحريف. ولا يعني هذا أنه لا يوجد سابقاً بعض العلماء منهم ممن يقول بخلاف ذلك، بل أنه يوجد علماء سابقون عندهم ممن يقول بنقص القرآن وتحريفه إلا أن العلماء الآخرون وهم الأغلبية قد تغلب قولهم وانتصر عند الطائفتين والحمد لله (١). وفي أيامنا هذه لم نسمع بعالم مسلم سني أو شيعي يتبع من يقول بتحريف أو نقص أو زيادة في الكتاب الكريم.

إذن المسلمون اليوم متفقون على صحة القرآن الكريم وأنه بلا زيادة ولا نقصان. وسوف نجد في هذا الموضوع أن ممن كان يقول بنقص القرآن عمر بن الخطاب إلا أن جمهور المسلمين خالفوه في ذلك. وأيده أبو موسى الأشعري وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وابن عوف. وقد احتج عالم الأزهر محمود أبو ريّة على القول بنقص القرآن قائلاً: «ولم يقف فعل الرواية عند ذلك بل تبادت إلى ما هو أخطر من ذلك، حتى زعمت أن في القرآن نقصاً ولحناً، وغير ذلك مما أورد في كتب السنة، ولو شئنا أن نأتي به كله هنا لطال الكلام - ولكننا نكتفي بمثالين مما قالوه في نقص القرآن، ولم نأت بهما من كتب السنة العامة، بل مما حمله الصحيحان، ورواه الشيخان: البخاري، ومسلم (٢)».

وجهة نظر الدولة في تفسير القرآن

والمعروف عن عمر عدم رغبته في تفسير القرآن الكريم. واصراره في معاقبة كل من يسأل عن ذلك. فعن قرظة بن كعب قال: خرجنا نريد العراق، فمشى معنا عمر بن الخطاب إلى صرار، فتوضأ ثم قال: أتدرون لم مشيت معكم؟ قالوا: نعم نحن أصحاب رسول الله مشيت معنا.

(١) صحيح البخاري ٤٣/١٠، أضواء على السنة النبوية، أبو رية ص ٢٥٦، الايضاح، الفضل بن شاذان ١١٣، ١١٤.

(٢) أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو رية ٢٥٦.

قال: إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل، فلا تصدّوهم بالأحاديث، جرّدوا القرآن وأقلّوا الرواية عن رسول الله ﷺ إمضوا وأنا شريككم. فلما قدم قرظة قالوا: حدّثنا. قال: نهانا عمر بن الخطاب..! (١)

ليصبح القرآن كتاباً بلا تفسير اي بلا معنى فنشأت طائفة قرّاء القرآن المعروفة بالخوارج وهؤلاء القراء اجبروا الامام عليا على التحكيم بتمثيل الاشعري في صفين (٢).

وأراد ابن حبان (أبو حاتم) أن يعذر عمر لأنه وجد الفتق كبيراً فقال: «لم يكن عمر بن الخطاب وقد فعل يتهم الصحابة بالتقول على النبي ﷺ ولا ردهم عن تبليغ ما سمعوا من رسول الله. وقد علم أنه ﷺ قال: ليبغ الشاهد منكم الغائب وأنه لا يحل لهم كتمان ما سمعوا من رسول الله ﷺ. ولكنّه علم ما يكون بعده من القول على رسول الله ﷺ لأنه ﷺ قال: إن الله تبارك وتعالى نزل الحق على لسان عمر وقلبه. وقال ﷺ: إن يكن في هذه الأئمة محدّثون فعمر منهم. فعمر من الثقات المتّقين الذين شهدوا الوحي والتنزيل فأنكر عليهم كثرة الرواية عن النبي ﷺ» (٣).

ويذكر أن حديث نزول الحق على لسان عمر وقلبه باطل لكون رواته من الكذبة (أبو هريرة وعبد الله بن عمر العمري ويحيى بن سعيد وجهم بن أبي الجهم ومخالف لأقوال عمر وتصريحاته وهو القاتل: كل الناس أفهم منك يا عمر حتى النساء المخدرات (٤). ومسألة كون عمر ممّن شهد الوحي والتنزيل لا تنفي حاجة الناس إلى تفسير وحديث.

والمسألة الثانية هي افتقاد ابن حبان للرد المناسب والمنطقي في الموضوع، فذهب بعيداً للإستناد على قضية خيالية لأثبات القضية الأولى.

فحديث أن عمر رجل محدّث ليس له أساس من الصحة فهو وحديث: «لو كان نبي بعدي لكان عمر» قالته المؤسسة السياسية الأموية. إذ دعا معاوية إلى ذكر مناقب نبوية في الخلفاء الثلاثة الأوائل فكثرت الأحاديث في هذا المجال.

(١) كتاب المجروحين ١ / ٣٦.

(٢) صفين ٥٠٣.

(٣) كتاب المجروحين لابن حبان ١ / ٣٣.

(٤) ميزان الاعتدال للذهبي، تهذيب التهذيب ١٠ / ٤٨٩.

قال ابن عرفة: إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة إفتعلت في أيام بني أمية تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغبون به أنوف بني هاشم^(١).

وبينا أيّد ابن حبان حديث وجوب تبليغ الشاهد للغائب. وصحّح حديث عدم حلية كتمان ما سمعوا من رسول الله ﷺ احتار كيف يخرج من هذا المأزق المخرج، فصوّر له خياله ان يرفع عمر إلى درجة الأنبياء والمحدثين الذين ينسخون ما ثبتته نبي البشرية ﷺ! وإذا كان النبي ﷺ قد جاء بأحكام جديدة نسخت بعض أحكام الديانات السابقة، فهل أراد ابن حبان أن يقول: إن عمر المحدث قد نسخ ما جاء به الرسول ﷺ في وجوب تبليغ الشاهد للغائب. فهل هو نبي بعد نبي؟!...

وإذا قال ابن حبان: أن غايته ليست كذلك (وكانت كذلك) بل أراد أن عمر قد أدرك مخاطر مستقبلية لكتابة الحديث فمنع كتابته. فهذا يعني أن عمر يعرف علوم الغيب للمستقبل، والنبي ﷺ الموحى إليه من السماء لا يدرك ذلك!

إذن التفسيران مرفوضان في منع عمر لكتابة وذكر الحديث. ولا يبقى إلا تفسير واحد وهو الصحيح. وذلك التفسير يتمثل في إتباع عمر لنظريته، ونظرية قريش المتمثلة في حسبنا كتاب الله المجرد بلا تفسير.

وقد منع عمر ورفاقه الحديث النبوي وردّوه في زمن النبي ﷺ إذ قالوا في يوم الخميس: إنه ﷺ يهجر، حسبنا كتاب الله^(٢).

إذن نظرية منع نشر الحديث النبوي ومنع كتابته قد قالها عمر ورفاقه في أيام حياة النبي ﷺ، ولا علاقة لها بتخوّف عمر وأبي بكر وعثمان من اختلاط الحديث بالقرآن الكريم! أليس كذلك؟

فالنبي ﷺ قال: إئتوني بورقة ودواة لأكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً. فقال عمر: حسبنا كتاب الله.

(١) فجر الإسلام، أحمد أمين ٢١٣.

(٢) صحيح البخارى باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد والسير ١١٨/٢.

وقال عمر النبي ﷺ يهجر وقال أتباع عمر: القول ما قال عمر^(١).

فالمؤكد هناك أمران، أمر نبوي بكتابة الحديث ونشره وأمر قرشي بمنع كتابته ومنع نشره. وبذلك تكون عملية إيجاد التبريرات لأعمال عمر وأصحابه في هذا المجال ليس لها معنى ولا موضع؛ لأنها أقوال ضد معتقدات عمر ورفاقه.

فإن عمر لما منع من كتابة الوصية، لم يخف من إختلاط الوصية بالقرآن بل رفضها وقال: حسبنا كتاب الله، فلم يبرر عمله أمام النبي ﷺ بما ذكره.

ذكر السيوطي في تفسيره والبيهقي في شعب الإيمان والخطيب، والحاكم وصححه عن أنس، أن عمر قرأ على المنبر:

﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ [إلى قوله] وأباً^(٢).

قال: كل هذا قد عرفناه. فما الأب؟ ثم رفض [رفع] عصا كانت في يده.

فقال: هذا لعمر الله هو التكلف، فما عليك أن لا تدري ما الأب. إتبعوا ما يُبَيِّن هده من الكتاب فاعملوا به، وما لم تعرفوه، فكلوه إلى ربه^(٣).

وأخرج السيوطي، أن رجلاً سأل عمر عن قوله: وفاكهة وأبا، فلما رأهم يقولون أقبل عليهم بالدرة.

ثم قال السيوطي: قرأ عمر: ﴿وفاكهة وأبا﴾ فقال: هذه الفاكهة فقد عرفناها، فما الأب؟ ثم قال مه نهينا عن التكلف.

وأخرج ابن راهوية في مسنده عن محمد بن المنتشر قال: قال رجل لعمر بن الخطاب: اني لأعرف أشد آية في كتاب الله، فأهوى عمر فضربه بالدرة وقال: مالك نَقَبْتَ عنها،

فانصرف حتى كان الغد قال له عمر: الآية التي ذكرت بالامس. فقال:

﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾^(٤) فما منا أحد يعمل سوءاً إلا جُزِيَ به.

(١) صحيح البخاري، باب قول المريض قوموا عني ٩/٧، صحيح مسلم، آخر الكتاب.

(٢) عبس، ٢٧-٣١.

(٣) الدر المختور ٦/٣١٧.

(٤) النساء: ١٢٣.

فقال عمر: لبثنا حين نزلت ما ينفعنا طعام ولا شراب حتى أنزل الله بعد ذلك ورخص وقال:

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾^(١)

وقال ابن أبي الحديد: وكان عمر لا يهتم بتفسير القرآن، فيهمل ما لا يعرفه، ويعاقب من يسأل عما لا يعرف. وفي لفظ الطبري كان عمر يقول: جرّدوا القرآن ولا تفسروه، واقلّوا الرواية عن رسول الله وأنا شريككم^(٢).

وكان عمر لا يعرف الكثير من معاني القرآن ويمنع من معرفتها، فقد جاءه رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما الجوار الكنس؟

فطعن عمر بخصرة معه في عمامة الرجل فألقاها بيده عن رأسه فقال: أحروري؟ والذي نفس عمر بيده لو وجدتكم مخلوقاً لأنحيت القمل عن رأسك^(٣).

وإن رجلاً يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر وقد أعدّ له عراجين النخيل فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ.

فأخذ عمر عرجوناً من تلك العراجين فضربه فقال: أنا عبد الله عمر، فجعل له ضرباً حتى دمي رأسه، وترك ظهره ودبره، ثم تركه حتى برأ فدعا به ليعود له قال صبيغ: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد أن تداويني، فقد والله برئت، فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري: ان لا يجالس أحد من المسلمين !!

أي ان عمر لا يسمع بالسؤال عن تفسير الآيات وفهم معانيها ونظريته تتمثل في تجريد القرآن الكريم. ليصبح القرآن مهجوراً، كما أخبر الله تعالى في كتابه الشريف ولكن في القرآن ناسخا ومنسوخا وفيه خاص وعام فالخاص كقوله تعالى:

(١) الدر المنثور ٢/٢٢٧، النساء: ١١٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣/١٢٠.

(٣) كنز العمال ١/٢٢٩ نقلاً عن الكنى للحاكم، الدر المنثور ٦/٣٢١.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

وقال علي عليه السلام: إذا كتبت الحديث فاكتبوه باسناده ثم دعا عليه السلام إلى رواية الحديث إضافة إلى تدوينه^(١)

وعن الزهري عن عروة أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن، فاستفتى أصحاب رسول الله في ذلك، فأشاروا عليه أن يكتبها واستخار عمر الله فيها شهراً. ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال: إني كنت أريد أن أكتب السنن وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكتبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً^(٢).

نلاحظ في هذا النص أن أصحاب النبي ﷺ قد طلبوا منه كتابة الحديث، وذكرنا في الموضوع السابق طلب النبي ﷺ تدوين الحديث وتبليغه وحفظه، ورغم هذا فقد عارض عمر تدوين الحديث وتبليغه!

وواضح أن عدم كتابة الحديث يؤدي إلى اختلاف الأمة. وهو ما يريده الحزب القرشي.

الحزبان اليهودي والقرشي يحاربان الحديث النبوي

ذكر عمر أن اليهود قد تركوا كتاب الله واهتموا بالكتب التي كتبوها. والحقيقة أن اليهود لم يهتموا بأحاديث الأنبياء، ولو اهتموا بها وساروا على نهجها الصحيح لما انحرفوا عن الدين.

بل انهم لم يكتبوا الأحاديث النبوية، وحرّفوا كتبهم السماوية وتركوا أوصياء الله، وساروا على خطاهم رجال السقيفة.

والملاحظ لسيرة أهل الكتاب، يفهم أن انحرافهم قد جاء من منعهم كتابة الحديث النبوي، وتحريف الكتب السماوية. وأبو بكر وعمر وعثمان وباقي الصحابة يدركون ذلك! ولم نجد في كتب اليهود انهم ساروا على آراء الأوصياء، بل ترك أتباع النبي سليمان عليه السلام

(١) كنز العمال ١٢٩/١٠ عن الحاكم، تقييد العلم ٩١، نور الإبصار ١٢٢، سنن الدارمي ١/١٣٠، تاريخ يعقوبي

٢٢٧/٢، تاريخ بغداد ٦/٣٩٩.

(٢) كنز العمال ١٠/١ ح ٢٩٤٧٤.

وصيهم آصف بن برخيا.

وترك أتباع النبي ﷺ وصيهم يوشع بن نون.

وبذلك يكون أصحاب سليمان وموسى ﷺ قد تركوا الوصي والحديث النبوي، وهكذا فعل المسلمون بعد النبي ﷺ بتركهم الوصي (علياً) ﷺ والحديث النبوي، ولقد قال النبي ﷺ: لَسَّيْنُ سَنَنَ مِنْ قَبْلِكُمْ شَبْرًا بِشَبْرٍ^(١)

لقد أمر النبي ﷺ بقول الحديث قائلاً: حَدِّثُوا عَنِّي وَلَا حَرَجَ^(٢).

فغيرت الدولة ذلك إلى حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج^(٣).

ورروا زيفاً قوله ﷺ لكعب الأحبار: اقرأ التوراة آناء الليل والنهار^(٤) بدل اقرأ القرآن آناء الليل والنهار.

وبعد منع أبي بكر وعمر الناس من كتابة الحديث النبوي انتشرت أحاديث كعب وقيم الداري باسم الأحاديث النبوية لأن عمر سمح لها فقط بالوعظ في المسجد النبوي!

لقد كانت نظرية الحزب القرشي تتمثل في عدم كتابة الحديث النبوي ومخالفة النبي ﷺ والصحابة.

ومات عمر ولم ينسخ كتاب الله أيضاً، فأبقى المسلمين دون كتاب ودون حديث، والكتاب دون تفسير وبعده قراءات، والحديث النبوي ممنوع تدوينه والنطق به، وأهل البيت ﷺ محذوفون بنظرية حسبنا كتاب الله!!

وكانت نظرية اليهود متفقة مع الحزب القرشي في عدم كتابة الحديث النبوي. وسار أبو بكر وعمر على تلك النظرية القائلة بأن النبي ﷺ يغضب ويرضى فكيف تكتبون عنه^(٥) وتلك النظرية معارضة لنظرية الله تعالى في رسوله. إذ قال:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾

(١) الاقتصاد للطوسي ٢١٣ ومستند احمد ٢ / ٨٤

(٢) كنز العمال ١٠ / ١٢٨، صحيح مسلم ٨ / ٢٢٩، تقييد العلم ٣١ - ٣٥ / ٧٨.

(٣) صحيح البخاري ٢ / ١٦٥، سنن أبي داود ٣ / ٣٢٢.

(٤) غريب الحديث ٤ / ٢٦٢، جامع بيان العلم ٢ / ٥٣.

(٥) تفسير العنار، (محمد رشيد رضا ١٠ / ٧٦٦، ١٩ / ٥١١).

فالملاحظ أنَّ أصحاب رسول الله ﷺ قد أشاروا على عمر بكتابة السنن دون مخالف منهم لهذا. ورأي الصحابة يبين أنَّ النبي ﷺ هو الذي دعا إلى كتابة السنن النبوية. فإذا كان النبي ﷺ وأصحابه يدعون إلى كتابة السنن لأهميتها فلماذا خالف عمر والحزب القرشي ذلك؟

إن نظرية الحزب القرشي تتمثل في حسبنا كتاب الله، وهذه النظرية تتضمن هذا المعنى أي منع تدوين الحديث النبوي.

لذلك دعا عمر إلى عدم كتابة الحديث النبوي الشريف، وحبس الصحابة في المدينة كي لا ينتشروا في الدول المختلفة فينتشر معهم الحديث النبوي.

قال أبو هريرة: ما كان أحد منا يقول على عهد عمر بن الخطاب: قال رسول الله ﷺ إلا سيل ظهره دماً^(١).

وذهب عمر لأبعد من ذلك في معتقده يوم أخرج الحديث النبوي الشريف، المكتوب على جلود الحيوانات والاشخاب^(٢). وهذه خسارة لا تعوّض للتراث الإسلامي.

مركز تحقيقات كميّة علوم إسلاميّة

(١) مختصر تاريخ ابن عساکر ١١/٣.

(٢) كنز العمال ٢٣٩/٥.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

المصادر

حرف الالف

- ١ - أنساب الأشراف، احمد بن يحيى بن جابر البلاذري، تحقيق المحمودي مؤسسة الأعلمي بيروت.
- ٢ - الأخبار الموفقيات، الزبير بن بكار، المتوفى سنة ٢٥٦ هجرية طبع سنة ١٤١٦ هجرية. وزارة الثقافة - بغداد.
- ٣ - الايضاح، الفضل بن شاذان النيسابوري، المتوفى سنة ٢٦٠ هجرية. مؤسسة الأعلمي - بيروت.
- ٤ - الإمامة والسياسة، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هجرية ، شركة الحلبي - مصر.
- ٥ - الاخبار الطوال، أحمد بن داود الدينوري المتوفى سنة ٢٨٢ هجرية - وزارة الثقافة والأرشاد - مصر.
- ٦ - اثبات الوصية، علي بن الحسين بن علي المسعودي، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف.
- ٧ - اضواء على السنة المحمدية، محمود ابورية، مؤسسة أنصاريان ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- ٨ - الطبقات الكبرى، ابن سعد، المتوفى سنة ٢٣٠ هجرية دار صادر - بيروت.
- ٩ - الإصابة، احمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢ هجرية. دار احياء التراث العربي - بيروت.
- ١٠ - أسد الغابة، ابن الأثير علي بن محمد الجزري ، المتوفى سنة ٦٣٠ هجرية. دار احياء التراث العربي - بيروت.

- ١١ - الامالي، ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، المتوفى سنة ٤٦٠ هجرية. مؤسسة النشر الإسلامي، قم.
- ١٢ - الامالي، المفيد، منشورات النشر الإسلامي، قم.
- ١٣ - الإمام الحسين عليه السلام، عبد الله العلايلي، الشريف الرضي، قم.
- ١٤ - الاموال - ابو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هجرية. دار الكتب العلمية
- ١٥ - الاخبار الموفقيات - الزبير بن بكار - منشورات الشريف الرضي - قم
- ١٦ - اطراف مسند الإمام أحمد، ابن حجر العسقلاني، دار ابن كثير، بيروت.
- ١٧ - الاختصاص، المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المتوفى سنة ٤١٣ هجرية، منشورات جماعة المدرسين، قم.
- ١٨ - ارشاد القلوب - ابو محمد الحسن بن محمد الديلمي - منشورات الشريف الرضي - قم .
- ١٩ - الاحتجاج، لابي منصور احمد بن علي الطبرسي، دار الاسوة، قم.
- ٢٠ - الارشاد. محمد بن محمد النعمان العكبري البغدادي المتوفى سنة ٤١٣ هجرية. مؤسسة آل البيت. قم

حرف الباء

- ٢١ - البداية والنهاية، ابن كثير، اسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هجرية مؤسسة التاريخ العربي بيروت.
- ٢٢ - البدء والتاريخ، احمد بن سهل البلخي، المتوفى سنة ٣٢٢ هجرية. دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٣ - بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، المتوفى سنة ١١١١ هجرية. مؤسسة الوفاء، بيروت.
- ٢٤ - البيان والتبيين، الجاحظ، دار صعب، بيروت.
- ٢٥ - بلاغات النساء لاحمد بن ابي طاهر طيفور المتوفى سنة ٢٨٠ هجرية. المطبعة الحيدرية - قم

حرف التاء

- ٢٦- تاريخ الامم والملوك لابي جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة ٣١٠ هجرية مؤسسة الأعلمي - بيروت.
- ٢٧- تاريخ أبي الفداء اسماعيل بن علي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٢٨- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير أبي الفداء اسماعيل الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هجرية، دار احياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٩- تاريخ المدينة المنورة، عمر بن شبة النميري المتوفى سنة ٢٦٢ هجرية طبعة السعودية.
- ٣٠- تاريخ أبي زرعة الدمشقي، عبد الرحمن بن عمرو النصري، المتوفى سنة ٢٨١ هجرية دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٣١- تاريخ الخلفاء، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١ هجرية. الدار المتحدة - مصر.
- ٣٢- تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، المتوفى سنة ٢٩٢ هجرية دار صادر - بيروت ١٣٧٥هـ.
- ٣٣- تاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط العصفري، المتوفى سنة ٢٠٤ هجرية دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٣٤- التنبيه والاشراف، علي بن الحسين المسعودي، المتوفى سنة ٣٤٥ هجرية دار صادر - القاهرة.
- ٣٥- تاريخ مختصر الدول، ابن العبري غريغوريوس الملطي المتوفى سنة ٦٨٥ هجرية طبع مؤسسة نشر الثقافة الاسلامية - قم.
- ٣٦- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، ورام بن أبي نؤاس المالكي، دار التعارف - بيروت.
- ٣٧- تثبيت الامامة، يحيى بن الحسين بن القاسم المتوفى سنة ٢٩٨ هجرية، دار السجادة، بيروت.
- ٣٨- تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة اسماعيليان، الطبعة الثانية قم.
- ٣٩- تفسير التبيان، ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، مكتب الاعلام الاسلامي - قم.
- ٤٠- تفسير مجمع البيان، لابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، المتوفى سنة ٥٤٨ هجرية المكتبة العلمية - طهران.

- ٤١ - تقريب المعارف، لابی الصلاح تقى بن نجم الحلبي، المتوفى سنة ٤٤٧ هجرية. طبع قم.
- ٤٢ - تاريخ بغداد، ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي، المتوفى سنة ٤٦٣ هجرية دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٤٣ - تفسير الآلوسي، محمود البغدادي المتوفى سنة ١٢٧٠ هجرية. دار احياء التراث العربي، بيروت.
- ٤٤ - تنوير الحوائك في شرح موطأ مالك، جلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت.
- ٤٥ - تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨ هجرية دار الكتاب العربي.
- ٤٦ - تفسير الفخر الرازي - دار احياء التراث العربي - بيروت.
- ٤٧ - تاريخ ابن الوردي، زين الدين بن عمر المتوفى سنة ٧٤٩ هجرية دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٤٨ - تفسير الكشاف، الزمخشري، مكتب الاعلام الإسلامي ١٤١٤ هـ.
- ٤٩ - تاريخ الخميس لحسين بن محمد بن الحسن الدياربكري - دار صادر - بيروت.

حرف الجيم

- ٥٠ - الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن ابي حاتم الرازي، المتوفى سنة ٣٢٧ هجرية. دار احياء التراث العربي - بيروت.
- ٥١ - الجمل، المفيد محمد بن العكبري، مكتبة الداوري، طهران.
- ٥٢ - جمهرة أنساب العرب، علي بن احمد بن حزم، المتوفى سنة ٤٥٦ هجرية. دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٥٣ - جمل من أنساب الاشراف، احمد بن يحيى البلاذري، المتوفى سنة ٢٧٩ هجرية دار الفكر، بيروت - لبنان.

حرف الحاء

- ٥٤ - حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٥٥ - حياة محمد، محمد حسين هيكمل، طبع مصر.

٥٦ - حديث الإفك - جعفر مرتضى - دار التعارف - بيروت

٥٧ - حياة الحيوان الكبرى، محمد بن موسى الدميري، المتوفى سنة ٨٠٨ هجرية. منشورات الشريف الرضي - قم.

حرف الخاء

٥٨ - الخصال، محمد بن علي ابن بابويه القمي الصدوق، المتوفى سنة ٣٨١ هجرية. منشورات النشر الإسلامي، قم.

حرف الدال

٥٩ - دلائل النبوة، احمد بن حسين البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨ هجرية دار الكتب العلمية بيروت.

٦٠ - دلائل الصدق، محمد حسن المظفر، دار المعلم، القاهرة.

٦١ - الدرجات الرفيعة. علي خان الشيرازي. مؤسسة الوفاء - بيروت

مركز تحقيقات كليات علوم وادب

حرف الراء

٦٢ - رجال الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن المتوفى سنة ٤٦٠ هجرية. المكتبة الحيدرية. النجف.

٦٣ - الرد على المتعصب العنيد، ابن الجوزي، تحقيق المحمودي.

٦٤ - رجال الكشي، تحقيق مهدي الرجائي. مؤسسة آل البيت - قم.

٦٥ - رجال السيد بحر العلوم، محمد مهدي بحر العلوم. منشورات الصادق، طهران.

٦٦ - الروض الأنف، عبد الرحمن السهيلي المتوفى سنة ٥٨١ هجرية. دار احياء التراث العربي - بيروت.

حرف السين

٦٧ - السيرة الحلبيّة، علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي، المتوفى سنة ١٠٤٤ هجرية دار احياء التراث العربي - بيروت.

- ٦٨ - سيرة ابن اسحاق، محمد بن اسحاق بن يسار، المتوفى سنة ١٥١ هجرية دار الفكر بيروت.
- ٦٩ - السيرة النبوية، أحمد زيني دحلان، المتوفى سنة ١٣٠٤ هجرية دار احياء التراث العربي بيروت.
- ٧٠ - سيرة ابن هشام لابي محمد عبد الملك بن هشام، شركة الحلبي - مصر ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م.
- ٧١ - سيرة المصطفى، معروف الحسني، دار القلم، بيروت.
- ٧٢ - السيرة النبوية، عيون الأثر، محمد ابن سيد الناس، المتوفى سنة ٧٣٤ هجرية. مؤسسة عز الدين، بيروت.
- ٧٣ - السيرة النبوية، أبو حاتم محمد بن احمد التميمي، المتوفى سنة ٣٥٩ هجرية دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٧٤ - السقيفة وفدك، الجوهري، مكتبة ناصر خسرو، طهران.
- ٧٥ - سفينة البحار - عباس القمي - دار الاسوة - قم.
- ٧٦ - كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق الأنصاري - نشر الهادي - قم.

حرف الشين

- ٧٧ - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، دار الحلبي وشركاه، مصر، وطبعة دار الفكر، بيروت.

حرف الصاد

- ٧٨ - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١ هجرية تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار احياء التراث العربي - بيروت.
- ٧٩ - صحيح النسائي، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٨ هـ.
- ٨٠ - صحيح الترمذي، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٨ هـ.
- ٨١ - صحيح أبي داود، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٩ هـ.
- ٨٢ - صحيح ابن ماجه، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٨ هـ.

٨٣ - صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم المتوفى سنة ٢٥٦ هجرية دار القلم - بيروت.

٨٤ - الصحيح من سيرة النبي الاعظم، جعفر مرتضى، دار السيرة، بيروت.

حرف العين

٨٥ - العقد الفريد، ابن عبد ربه، دار احياء التراث العربي بيروت.

٨٦ - عمر بن الخطاب الفاروق القائد، محمود شيت خطاب، دار مكتبة الحياة - بيروت.

٨٧ - عبقرية عمر، عباس محمود العقاد، دار الهلال.

٨٨ - عيون الاخبار - عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هجرية. دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٢٥ م.



مركز توثيق كتب الحديث
حرف العين

٨٩ - الغارات، ابراهيم بن محمد بن سعيد ابن هلال النقي، دار الكتاب الاسلامي، ايران.

حرف الفاء

٩٠ - الفتوح، ابن اعثم، احمد بن اعثم الكوفي المتوفى سنة ٣١٤ هجرية دار الكتب العلمية.

٩١ - الفاروق عمر، محمد حسنين هيكل، دار المعارف - مصر، ط. الخامسة.

٩٢ - فتح الباري، احمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢ هجرية. دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٣ - فتوح الشام، محمد بن عمر الواقدي، المتوفى سنة ٢٠٧ هجرية. دار الكتب العلمية، بيروت.

حرف القاف

٩٤ - قصص العرب، جاد الحق والبهجاوي ومحمد أبو الفضل، دار احياء الكتب العربية.

حرف الكاف

- ٩٥- الكامل في التاريخ، ابن الأثير علي بن ابي الكرم الشيباني، دار بيروت ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.
- ٩٦- فتوح البلدان، احمد بن يحيى البلاذري، تحقيق رضوان محمد رضوان دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٩٧- الكافي، ابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني، المتوفى سنة ٣٢٩ هجرية دار الكتب العلمية، طهران.

حرف اللام

- ٩٨- لسان الميزان، احمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢ هجرية دار الفكر - بيروت.

- ٩٩- لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم، مطبعة ادب الحوزة ١٤٠٥ هـ.



حرف الميم

- ١٠٠- المعارف، لابي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، دار الثقافة - مصر.
- ١٠١- مروج الذهب، علي بن الحسين المسعودي، دار الأندلس بيروت.
- ١٠٢- مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني، المتوفى سنة ٣٥٦ هجرية الطبعة الثانية المكتبة الحيدرية - النجف.
- ١٠٣- مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر، لمحمد بن مكرم (ابن منظور) دار الفكر - دمشق.
- ١٠٤- ميزان الاعتدال، محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨ هجرية دار المعرفة - بيروت.
- ١٠٥- المغازي، محمد بن عمر الواقدي المتوفى سنة ٢١٢ هجرية طبع دار المعرفة الاسلامية ١٤٠٥ هجرية.
- ١٠٦- مناقب أمير المؤمنين عمر، محمد بن الجوزي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٠٧- المنتظم، أبو الفرج بن الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧ هجرية. دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٠٨- المثالب، هشام ابن الكلبي، دار الهدى للتراث - بيروت.

- ١٠٩ - من لا يحضره الفقيه، لابي جعفر محمد بن علي ابن بابويه القمي الصدوق، نشر الإمام المهدي عليه السلام - قم.
- ١١٠ - مرآة العقول، محمد باقر المجلسي، دار الكتب العلمية - طهران.
- ١١١ - معاني الاخبار، ابو جعفر محمد بن علي الصدوق، المتوفى سنة ٣٨١ هجرية مؤسسة النشر الإسلامي، قم.
- ١١٢ - المستدرک، الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ هجرية، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١١٣ - مقتل الحسين عليه السلام، الموفق بن احمد المكي الخوارزمي، المتوفى سنة ٥٦٨ هجرية. دار انوار الهدى، قم.
- ١١٤ - المناقب، الموفق بن احمد الخوارزمي، المتوفى سنة ٥٦٨ هجرية. مؤسسة النشر الإسلامي - قم.
- ١١٥ - معجم البلدان، ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، المتوفى سنة ٦٢٦ هجرية. دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١١٦ - المحلى، علي بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسي - طبع دار الفكر.
- ١١٧ - معجم الادباء، ياقوت بن عبد الله الحموي، المتوفى سنة ٦٢٦ هجرية. دار التراث العربي، بيروت.
- ١١٨ - المعجم الكبير، ابو القاسم سليمان بن احمد الطبراني، المتوفى سنة ٣٦٠ هجرية دار احياء التراث العربي، بيروت.
- ١١٩ - معجم رجال الحديث، ابو القاسم الموسوي الخوئي، مركز نشر آثار الشيعة، قم.
- ١٢٠ - الملل والنحل، الشهرستاني، المكتبة الانجلو مصرية - القاهرة.
- ١٢١ - مرآة الجنان لعبد الله بن اسعد بن علي اليافعي المتوفى سنة ٧٦٨ هجرية دار الكتب العلمية.
- ١٢٢ - مشكل الآثار لاحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي. المتوفى سنة ٣٢١ هجرية. دائرة المعارف. الهند طبعة ١٣٣٣ هجرية.

حرف النون

- ١٢٣ - نوادر المخطوطات - عبد السلام هارون - دار الجيل - بيروت.
 ١٢٤ - النسب، لابي عبيد القاسم بن سلام، المتوفى سنة ٢٢٤ هجرية دار الفكر، بيروت.

حرف الواو

- ١٢٥ - وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري، المتوفى سنة ٢١٢ هجرية. مكتبة المرعشي النجفي، قم ١٤١٨هـ.
 ١٢٦ - وفيات الأعيان، احمد بن محمد بن ابراهيم ابن خلكان، المتوفى سنة ٦٨١ هجرية دار الكتب العلمية، بيروت.
 ١٢٧ - وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، المتوفى سنة ١١٠٤ هجرية. دار احياء التراث العربي، بيروت.
 ١٢٨ - وقعة الطف - لابي مخنف لوط بن يحيى - مؤسسة النشر الاسلامي - قم.
 ١٢٩ - الوفا بأحوال المصطفى لابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هجرية. دار الكتب العلمية.

حرف الياء

- ١٣٠ - ينابيع المودة، سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي، الشريف الرضي، قم.

فهرس محتوى الجزء الثانى

٥	الفصل الخامس: معركة خيبر
٧	حركة النبى ﷺ إلى خيبر
٩	استعداد اليهود للحرب
١١	وقائع المعركة
١٩	نتيجة المعركة
٢١	رد الشمس بين الحقيقة والخيال
٢٦	محاولة يهود خيبر قتل النبى ﷺ
٢٦	الصحابه: لم يأكل النبى طعام خيبر المسموم
٣٢	فدك
٣٤	غزوة وادى القرى
٣٥	الدلائل والعبر
٣٩	الباب الثالث: مرحلة الانتشار
٣٩	الفصل الاول: احداث ما قبل فتح مكة
٤١	معاهدة النبى ﷺ للنصارى
٤٤	غزوة ذات السلاسل
٥١	غزوة مؤتة

٥٤	الدلائل والعبر
٥٧	الفصل الثاني: فتح مكة عنوة
٥٩	العداء بين خزاعة وبني بكر
٦٣	خيانة حاطب
٦٣	خروج النبي ﷺ إلى مكة
٦٦	دخول مكة
٦٨	المهدور والدم
٧٢	تخطيم الأصنام
٧٤	هل بايع الرجال والنساء النبي ﷺ في فتح مكة ؟
٧٦	مسيرة قريش قبل وبعد فتح مكة
٧٩	هل غدر خالد بنى جذيمة ؟
٨١	الدلائل والعبر
٨٧	الفصل الثالث: معركة حنين
٩٤	تجسس هوازن
٩٥	مؤامرة الطلقاء والأعراب والجواسيس
٩٦	المنهزمون
١٠٠	النصر الإلهي في حنين
١٠٠	دور النبي ﷺ في المعركة
١٠٢	الغنائم والسبايا
١٠٤	موقف الانصار من توزيع الغنائم
١٠٦	الصراع بين قريش وهوازن
١٠٨	الشهداء والقتلى
١٠٩	حصار الطائف
١١٢	اسلام أهالي الطائف

١١٤	الدلائل والعبر
١٢١	الفصل الرابع: قدوم وفود العرب على رسول الله ﷺ
١٢٣	وفود العرب إلى رسول الله ﷺ
١٣٠	مسيلة الكذاب والاشعث
١٣١	سفراء النبي إلى ملوك العالم
١٣٢	الدلائل والعبر
١٣٥	الفصل الخامس: أزواج رسول الله ﷺ
١٣٧	نساء الرسول
١٤٠	اسباب تعدد زوجات الرسول
١٤١	كم زوجة للنبي طُلقت بخديعة؟
١٤٥	زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش
١٤٧	ولادة إبراهيم بن رسول الله ﷺ
١٤٩	القرآن ونساء النبي ﷺ
١٥٠	رأي عائشة في القرآن
١٥١	من هن المخالقات لرسول الله ﷺ؟
١٥٣	من هي التي ضربها رسول الله ﷺ؟
١٥٤	صفات نساء النبي ﷺ
١٥٥	الدلائل والعبر
١٥٩	الفصل السادس: محاولات اغتيال النبي ﷺ في المدينة
١٦١	محاولة أبي سفيان اغتيال النبي ﷺ
١٦٤	محاولة صفوان بن أمية اغتيال النبي ﷺ
١٦٦	محاولات أخرى لقتل النبي ﷺ
١٦٧	محاولة شيبة بن عثمان اغتيال النبي ﷺ
١٦٩	الفصل السابع: غزوة تبوك

- ١٧١ من هو بمنزلة هارون من موسى ﷺ ؟
- ١٧٥ من دلائل النبوة
- ١٧٦ أعمال المنافقين في حملة تبوك
- ١٧٩ علاقة الرسول ﷺ بهرقل وأهالي الشام
- ١٨٠ محاولة اغتيال النبي ﷺ في العقبة
- ١٨٤ رواية ابن حزم الأندلسي
- ١٨٩ مسجد ضرار
- ١٩١ غزوة دومة الجندل
- ١٩٢ الدلائل والعبر
- ١٩٧ حوادث أخرى في السنة التاسعة
- ١٩٩ تحريم المسكر ونادي الخمر الشهير
- ٢٠٢ غزوة قبيلة طي وإسلام عدي بن حاتم الطائي
- ٢٠٤ من ذهب أميراً على الحج في السنة التاسعة ؟
- ٢١١ الدلائل والعبر
- ٢١٥ الفصل الثامن: غزوة اليمن وحجة الوداع
- ٢١٧ غزوة علي بن أبي طالب ﷺ إلى اليمن
- ٢٢٣ **الباب الثالث: مرحلة الترسيف**
- ٢٢٣ الفصل الأول: حديثا الثقلين
- ٢٢٣ حديثا الثقلين والإمامة في حجة الوداع
- ٢٢٤ حديث الثقلين في حجة الوداع (١٠ هـ)
- ٢٢٥ حديث الثقلين في عرفة ١٠ هـ
- ٢٢٦ حديث الثقلين في منى
- ٢٢٧ إخبار الرسول ﷺ بالأئمة الإثني عشر:
- ٢٣١ لماذا عصت قريش في عرفة ومنى سنة ١٠ هـ ؟

٢٣٥	حديث الثقلين والخلافة فى سنة ١٠ هـ
٢٣٧	نزول آيتى البلاغ وإكمال الدين
٢٤٦	حديث الثقلين فى المدينة سنة ١١ هـ
٢٤٧	مصير المخالفين لحديث الثقلين ؟
٢٤٧	حوادث الحارث الفهرى وأصحابه
٢٤٨	الدلائل والعبر
٢٥١	من الوقائع المهمة
٢٥٣	حديث الطائر
٢٥٤	صحيفة المعارضة
٢٥٥	صحيفتا المقاطعة عند بنى لؤى وبنى فهر
٢٥٦	هل أخبر النبى ﷺ بمقتله الوشيك ؟
٢٦٠	الدلائل والعبر
٢٦٣	الفصل الثانى : حملة أسامة والاحداث المرتبطة بها
٢٦٥	إنتداب عصبة قريش لحملة أسامة
٢٦٦	معارضة عصبة قريش لحملة أسامة
٢٦٨	المخالفون لحملة أسامة ؟
٢٧٤	حادثة يوم الاثنين وكتابة الوصية
٢٧٨	إمامة الصلاة فى صبيحة يوم الإثنين ؟
٢٨٢	الدلائل والعبر
٢٨٥	الفصل الثالث : أعمال الحزب القرشى الخطيرة المخالفة للرسول ﷺ
٢٨٧	قبل وبعد شهادته
٢٩٠	غضب النبى ﷺ على رجال الحزب القرشى وأقواله فيهم
٢٩٢	هل قتل رجال الحزب القرشى أحداً من المسلمين ؟
٢٩٣	سيرة السيدتين عائشة وحفصة

- ٣٠٠ مقتل جنّي في مسجد النبي ﷺ
- ٣٠٢ النبي ﷺ يتمنى موت امرأة
- ٣٠٢ من غير نسبه وصفته ؟
- ٣٠٩ مَنْ قَتَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟
- ٣١٣ امتناع البعض عن المشاركة في مراسم جثمان النبي ﷺ
- ٣١٥ اين دُفِنَ النبي ﷺ في غرفة عائشة أم في غرفة فاطمة ؟
- ٣١٦ متى ماتت فاطمة ؟
- ٢٢٣ **الباب الرابع: من مواضع السيرة**
- ٣١٩ الفصل الاول: من اخلاق وصفات واعمال النبي ﷺ
- ٣٢١ أخلاق رسول الله ﷺ
- ٣٢٦ زهده وكرمه ﷺ
- ٣٢٧ الاطباع الخسنة
- ٣٣٠ هل كان النبي الأمي يقرأ ويكتب ؟
- ٣٣٣ اخبار النبي ﷺ عن المغيبات
- ٣٣٥ من وضع التاريخ الهجري للمسلمين ؟
- ٣٣٨ الدلائل والعبر
- ٣٣٩ الفصل الثاني: كتابة المغازي
- ٣٤٢ حامل لواء النبي ﷺ في مغازيه ؟
- ٣٤٥ لماذا لم يقتل القرشيون عمرَ في أحد والخندق ؟
- ٣٥٠ رسائل سرية
- ٣٥٢ نظرة رسول الله ﷺ إلى الفتوحات
- ٣٥٦ الولاية في عهد النبي ﷺ
- ٣٥٧ الدلائل والعبر

٣٦١	الفصل الثالث: القرآن الكريم
٣٦٣	الاخبارات الغيبية في القرآن
٣٦٤	المحكم والمتشابه
٣٦٤	التأويل
٣٦٥	ترك البعض للثقلين
٣٦٦	الثقل الثانى في القرآن والسنة
٣٦٩	هل كان القرآن مدوناً في زمن النبي ﷺ ؟
٣٧٢	منع الدولة لتدوين القرآن
٣٧٥	من أجبر الدولة على تدوين القرآن ؟
٣٧٦	اعتقاد الحزب القرشي بنقص القرآن
٣٨٠	صحة القرآن الكريم
٣٨٠	وجهة نظر الدولة في تفسير القرآن
٣٨٧	اختلاف القراءة يؤدي إلى اختلاف الأمة
٣٩١	هل نزل قرآن وفق رغبات بعض وليس وفق حكمة الله تعالى ؟
٣٩٧	الفصل الرابع: الحديث النبوي
٣٩٩	حث النبي ﷺ على حفظ الحديث وتدوينه
٤٠١	الحزبان اليهودي والقرشي يحاربان الحديث النبوي
٤٠٥	المصادر
٤١٥	فهرس محتوى الجزء الثاني